رسائل صوفية مخطوطة

١- الروض الأنيق في وصول الطالبين إلى مقام التحقيق
للشيخ محمد بن محمود بن علي الداموني المتوفى بعد سنة ١٣٠٨هـ

٢- تفسير فاتحة الكتاب وأسرار بسم الله الرحمن الرحيم
للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ

٣- نفحات القرب والاتصال
بإثبات التصريف لأولياء الله تعالى والكرامات بعد الانتقال
للشيخ أحمد بن محمد المكي الحسيني الحموي المتوفى سنة ١٠٩٨هـ

٤- رسالة في دوران الصوفية
للشيخ علي بن محمد الحمالي التونسي المتوفى سنة ١٢٤٨هـ

٥- رسالة لباس الفتوة
للعارف بالله تعالى علي بن محمد وفا المتوفى سنة ٨٠٧هـ

٦- فتح الحق في الجمع والفرق
للشيخ العارف أحمد بن يوسف الحريثي المتوفى سنة ٨٦٢هـ

٧- الغرر في فضائل عمر رضي الله عنه
للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ

٨- الدعاء بأسماء سور القرآن الكريم لمؤلف مجهول

٩- أسرار الوجود المعروف بالهيئة السنية في الهيئة السنية
للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ

١٠- رسالة وحدة الوجود
للشيخ الملا عبد الرحمن الجامي المتوفى سنة ٨٩٨هـ

تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح




دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

رسائل صوفية مخطوطة

١- الروض الأنيق في وصول الطالبين إلى مقام التحقيق

للشيخ محمد بن محمود بن علي الدامومي المتوفى بعد سنة ١٢٠٨ هـ

٢- تفسير فاتحة الكتاب وأسرار بسم الله الرحمن الرحيم

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

٣- نفحات القرب والاتصال

بإثبات التصريف لأولياء الله تعالى والكرامات بعد الانتقال

للشيخ أحمد بن محمد المكي الحسيني الحموي المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ

٤- رسالة في دورات الصوفية

للشيخ علي بن محمد الجمالي التونسي المتوفى سنة ١٢٤٨ هـ

٥- رسالة لباس الفتوة

للعارف بالله تعالى علي بن محمد وفا المتوفى سنة ٨٠٧ هـ

٦- فتح الحق في الجمع والفرق

للشيخ العارف أحمد بن يوسف الحريثي المتوفى سنة ٨٦٢ هـ

٧- الغرر في فضائل عمر رضي الله عنه

للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

٨- الدعاء بأسماء سور القرآن الكريم لمؤلف مجهول

٩- أسرار الوجود المعروف بالهيئة السنية في الهيئة السنية

للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

١٠- رسالة وحدة الوجود

للشيخ الملا عبد الرحمن الجامي المتوفى سنة ٨٩٨ هـ

تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح




دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title:Rasā'il ṣūfiyyah Maḫṭūṭah
(Sufi letters)
classification: ***Sufism***
Editor: Sa'īd 'Abdul-Fattāḥ
Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages: 440
Year: 2007
Printed in: Lebanon
Edition: 1st

الكتاب: رسائل صوفية مخطوطة
التصنيف: تصوف
المحقق: سعيد عبد الفتاح
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 440
سنة الطباعة: 2007
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى


ISBN 2-7451-5290-4 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5290-9 (13 dig)
90000
9 782745 152909



دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah**

Aramoun, al-Quebbeh,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Solch Beirut 1107 2290

عرمون، القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

الإهـــداء

إلى سماحة الإمام العارف بالله تعالى

سيدي القطب الكبير

صـــلاح الدين التجاني الحسني الحسيني

شيخي وحبيبي

أهديك نسمات القرب الصافي

من أنواركم

سعيد عبد الفتاح

مفتتـــح

أسماء الرسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

" اللَّهُمَّ إني أقدم إليك بين يدي كل نَفَسٍ، ولمحةٍ، ولحظةٍ، وطرفةٍ يطرف بها أهل السموات، وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن، أو قد كان. اللهم إني أقدم إليك بين يدي ذلك كله، وقبل ذلك كله، وبعد ذلك كله، ومع ذلك كله، وعند ذلك كله، وفي ذلك كله:

اللهم لك الحمد حمداً دائما مع خلودك، ولك الحمد حمداً لا منتهى له دون مشيئتك، ولك الحمد حمداً لا يزيد قائلها إلا رضاك، ولك الحمد حمداً ملياً عند كل طرفة عينٍ وتنفُسٍ نَفَسٍ.. ملء ما علم، وعدد ما علم، وزنة ما علم". ثم

" اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم". صلاة فائقة جميع صلوات خلق الله، دائمة بدوام ملك الله، مضروبة في كل عدد في علم الله، بعدد كل ما في علم الله، وعرِّفنا بها إياه، معرفة أبدية بمحض فضلك يا ألله."

ملء ما علم، وعدد ما علم، وزنة ما علم.

ثم أمَّا بعد

إنه من دواعي السرور أن تُهيَّأ الفرصة، بتقدير المولى عز وجل، لأن نقوم بعمل تحقيق لمجموعات من الرسائل الصوفية المخطوطة. ولا أخفي أن هذا الأمر راودني كثيراً، إذ في تجميع عدد من الرسائل وتحقيقها حكمة عليا من الباري سبحانه وتعالى، وهي أن يبسط الحق بين يدي القارئ مجموعة من الآراء والأفكار المختصرة، وربما الكاملة – في تنوع الرسالة– فإنه سبحانه قد منَّ عليَّ بالعمل في الرسائل كثيراً، وخاصة أثناء نشر رسائل الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، فقد حققت له وحده ما يقرب من مائة رسالة، ويزيد. فاكتشفت أثناء ذلك أن كل رسالة يمكن أن تستقل بنفسها من حيث فكرتها وطبيعة منهجها

وطبيعة موضوعها كذلك. وتكون مع مثيلاتها لنفس المؤلف، فهي في وحدة خاصة، ووحدة عامة مع غيرها من الرسائل لنفس المؤلف. فانظر كم تعطي هذه الرسائل المتعددة الأفكار عن المؤلف الواحد، وكم يكون تجلي الحق عليه، وتجدده إذا علمنا أن تجليات الحق سبحانه وتعالى متجددة لا تتوقف، فما بالك أن تكون هذه الرسائل لمجموعة مختلفة من المؤلفين إذا كان هذا هو الشأن مع مؤلف واحد.

فكل مؤلف هنا له مشرب مختلف عن الآخر، وتفكير مخصص، لكن من الضروري التعرف على هذا التنوع في الأفكار والمشارب. فإنك ستلتقي مع عدد من المؤلفين هم عشرة لعشر رسائل، انظر المفتتح أو الفهرس ليقول لك أهمية ذكر هؤلاء العشرة، ثم إن هذه الرسائل تتحدث في موضوع واحد فلها جميعا بالرغم من تعددها وحدة واحدة وهي التصوف.

أما بخصوص الأفكار التي تطرحها هذه الرسائل فإني أتوسم في قارئ التصوف الاقتراب من هذه الأفكار فهي جديدة حتى لوكنت قرأت مثلها فهي مشرب مختلف، وأنفاس مختلفة، وتجدد للتجليات الإلهية المتنوعة، فإني ألقي بين يديك بها لتتمتع بأنوارها المتنوعة، ومشاربها المتعددة. وأسأل المولى العلي القدير أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه وابتغاء مرضاته.

سعيد عبد الفتاح

الرَّوْضُ الأَنِيقُ

فِي وُصُولِ الطَّالِبِينَ إِلَى مَقَامِ التَّحْقِيقِ

تأليف

الشيخ العلامة الصوفي المرشد
محمد بن محمود بن علي
الشافعي الداموني الخلوتي النقشبندي
المتوفى بعد سنة ١٢٠٨هـ

المؤلـــف

هـــو: الـــشيخ محمد بن محمود بن علي الداموني الصوفي خادم السجادة البكرية بمصر.

قـــيل إنـــه كان حيا حتى سنة ١٢٠٨هــ وهي السنة التي انتهى فيها من تأليف شرح كتاب التدبيرات الإلهية لابن عربي.

له مؤلفات منها:

١- الـــنفحات القدسية في شرح التدبيرات الإلهية للشيخ الأكبر فرغ منها سنة ١٢٠٨هــ

٢- الروض الأنيق في وصول الطالبين إلى مقام التحقيق.

٣- السر الخفي المضمر على كتاب الإسرا لابن عربي.

٤- وكشف القناع المعجب عن حدود عنقاء مغرب.

وعن مصادر ترجمته فقد ذكره:

١- كحالـــة في معجم المؤلفين ١٢/٤ باسم: محمد الداموني. وقال: (كـــان حـــيا ١٢٠٨ هـ =١٧٩٤ م) وهو:محمد بن محمود بن علي الداموني، البكري. صوفي..إلخ

٢- البغدادي: هدية العارفين ٢: ٣٥١،

٣- الـــبغدادي: إيـــضاح المكـــنون ٢: ٣٦٥ ٤٧٩:
Brockelmann: s , II

٤- فهرس مخطوطات الظاهرية.

نسخة الكتاب
المخطوطة

اعـــتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسخة خطية من المكتبة الأزهرية الكائنة بالجامع الأزهر الشريف، وحصلت على صورة ورقية لها، وهي تحت رقم (خـــصوصية ١٢٦٦) ٤٣٠٠٤ تصوف، ليس عليها تملكات ولا أختام خاصة، ولا ساعات، وخلافه.

النـــسخة كتـــبت بخط نسخي معتاد، ما عدا العنوان، وكذلك الصفحة الأخـــيرة. فقد كتب بخط سميك وبطريقة الهرم المقلوب، وأسفل العنوان كتب: بسم الله الرحمن الرحيم تاريخ هاذا(كذا بالأصل المخطوط) الكتاب ألف ومائتين سنة من بعد هجرة النبي (ﷺ).

- عدد الصفحات يقع في ٢٨ ورقة.
- عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ١٧ سطرا.
- عدد الكلمات في السطر الواحد من١٦-١٧كلمة.
- العناوين الداخلية للفصول وبعض العناوين الجانبية كتبت بالحبر الأحمر فهي ضعيفة في التصوير.
- لا توجد أية تفاصيل أخرى بالمخطوط يمكن أن تلفت النظر سوى ما يمكن الوقوف عليه أثناء التحقيق، وهي أمور يسيرة أيضا.
- لا يوجد أختام خاصة سوى ختم المكتبة الأزهرية.

نماذج من صور المخطوط

الروض الأنيق في وصول الطالبين إلى مقام التحقيق
للشيخ العلامة الصوفي المرشد المسلك
محمد بن علي الشافعي الخلوتي النقشبندي
الخلوتي رحمه الله تعالى
ونفعنا به
آمين

١٢٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من مخطوط الكتاب

بنقاره وينادي لهم ويحطها بينهم ويمتد من [illegible] ايضا الشام مع الزلازل الكبار
وصبره على مصايب الذنوب ويتحقق انه مخلوق مثله وان الذي ابتلاه بذلك قادر
ان يبتليه كما ابتلاه فيحمد الله الذي عافاه مما ابتلى به اخوه ويرحمه بقلبه ويدعو له بظهر
الغيب بالمغفرة والتوبة والانابة وهكذا ساير الاكوان والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل [illegible] والحمد لله وحده هذا وقد وجد اخر نسخة المؤلف عفا الله عنه
قال بفمه ورقمه بقلمه جامعه خادم الفقرا واضعف الضعفا والعاجز
المعترف بتقصيره في كل وقت وحين المرتجي من مولاه ان يسامحه ويغفر له
ذنوبه ولوالديه واحبابه والمسلمين محمد بن علي [illegible] المتشرف
[illegible] امين [illegible]
[illegible] والشهداء والصالحين وجعلني من [illegible]
[illegible] واغفر لي [illegible]
واصلح ما [illegible] وعاملنا بالمغفرة
وحسن الخاتمة [illegible] المسلمين [illegible]
[illegible] في [illegible] عشر [illegible] من ذي الحجة
سنة ست وتسعين [illegible]
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
واتم التسليم امين امين
اللهم امين

الصفحة الأخيرة من مخطوط الكتاب

الروض الأنيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله الـــذي أنزل أقوال الشريعة لتكليف أهل الإيمان، وأمر بأفعال الطـــريقة لقـــرب الموقنين بالأذهان، ووهب أحوال الحقيقة بالمجاهدة للعارفين بالـــشروط والآداب والأركان، وكشف سبحات وجهه بالمحبة للعاشقين في كل زمان ومكان، وأوضح أسرار الوحدة بنفي سواه في كل آن، فسبحان من أعطى حبيـــبه خـــزائن العلم، وجوامع الكلم، والسبع المثاني، والكتاب المبين المصان، والمرسلة بالخلافة الكبرى إجراء أحكامه في العالمين أهل التصديق في الأحاديث والقرآن، وجعل طاعته كطاعته بل عين طاعته موصلة لحقيقة حق اليقين بالعرفان، وأوجب إتباعه على الثقلين الإنس والجان. فمن تتبع أقواله وأفعاله فهو من الفرقة الواصـــلين بالمشاهدة والشهود لحقيقة حق اليقين. ومن تتبع أقواله وأهمل أفعاله يوشك أن يكون من الهالكين.

والـــصلاة والـــسلام على النبي الصادق الأمين، الذي لقّن أصحابه الذكر الجهـــري، والذكـــر الخفـــي ليكونوا بذلك من الفائزين، وأرشدهم إلى شهود معبودهم ونقلهم من مقام التلوين[1] إلى مقام التمكين[2]. وأدّبهم بآداب العبودية

---

(١) (مقام التلوين): هو تنقل العبد في أحواله. قال الشيخ في الفتوحات: إنه عند الأكثرين مقام نقص وعندنا هو أكمل المقامات، حال العبد فيه هو حال قوله تعالى: (كل يوم هو في شأن) (الرحمن/٢٩) والتلوين له مراتب عديدة أولها: تلوين التجلي الظاهري، الذي هو عبارة عن ظهور آثار الأسماء الإلهية، فإذا تعاقب ظهور آثارها المتنوعة الأحكام المتلونة الآثار على قلب السيار. فإن ذلك التعاقب يسمى تلوينات التجليات الظاهرية. وثاني المراتب هو: تلوين التجلي الباطني وهو تعاقب أحكام التجليات الباطنية حتى ينحجب السائر بأثر كل واحد منها عن الآخر. ثم المرتبة الثالثة، وهي مرتبة تلوين تجلي الجمع: وهو التلوين الواقع في مرتبة الجمع والبرزخية الحاصلة بين الظاهر والباطن فإن أحكام كل واحد منها بموجب خصوصيتها، وآثار تميزاتها تستلزم الانحجاب عن الآخر، فيسمى ذلك الانحجاب تلوينات تجليات رتبة الجمع والبرزخية.

انظر: القاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (بتحقيقنا): ١/٣٤٦.

(٢) (مقام التمكين): أما التمكين فهو عبارة عن التمكين في التلوين، وعند غير الشيخ ابن عربي فهو يعبر عن حال أهل الوصول، ومراتب التمكين أيضا ثلاث مراتب. المرتبة =

ليكونوا بذلك من المقربين.

وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبل النجاة بالمتابعة، والمبايعة، والتلقين. ووصلوا إلى الأخذ بالاستقامة مع الاستدامة وكانوا من الحائزين، وعلى التابعين لهم في الطريقة بالعلم والعمل فما هم معه من الذاكرين.

أما بعد:

فإن أحلى ما تتحلى به النفوس النفيسة الاستقامة مع الله تعالى بمتابعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جميع أقواله، وأفعاله، وأحواله.

فأما أقواله : فهي الشريعة.

وأما أفعاله: فهي الطريقة.

وأما أحواله: فهي الحقيقية.

فكل منها لازم للآخر لا ينفك عنه أبداً، وفى حديث مرفوع: **(الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي)** [1]. فحينئذ فمن تتبع أقواله وأهمل أفعاله فهو من أفسق الفاسقين وأضل الضالين، ومن تتبع أفعاله وأهمل أقواله فهو زنديق متين، وإن إدعى الوصول فهو صادق ولكن إلى أسفل السافلين، ومن إدعى أحواله وأهمل أقواله وأفعاله فهو من الضالين المضلين، بل هو من إخوان الشياطين. لا بل هو رئيس الشياطين.

إذن الشرع باب، والحقيقة دار. قال الله تعالى في محكم الكتاب العزيز

=

الأولى: التمكين في تلوينات التجليات الظاهرية. والمرتبة الثانية: التمكين في تلوينات التجليات الباطنية. والمرتبة الثالثة:التمكين في تلوينات التجليات الجمعية. انظر التفاصيل: المرجع السابق ٣٤٨/١.

(١) حديث: (الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة حالي، والمعرفة رأس مالي).
هكذا أورده العجلوني صاحب كشف الخفاء في كتابه: الحديث رقم (١٥٣٢) ٥١٨/٢، وقال فيه: لم أر من ذكره فضلا عن بيان حاله. نعم ذكر بعضهم أنه رآه في بعض كتب الصوفية. فليراجع. وهذا ربما يطلب من الذي يأخذ بنص الحديث أن يراجعه قبل العمل به.

المصون:

﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١). فالذي لا يأتي البيوت من أبوابها لا تصدق له أقوال، ولا أفعال، ولا أحوال فهو لص في الطريق فاحذره، لئلا يفسد عليك دينك فتكون من النادمين. لأن الشرع أصل، والطريقة فرع، والحقيقة ثمرٌ، فلا يكون الثمر إلا بوجود الأصل والفرع، ولا يكون الفرع إلا بوجود الأصل. فأصل بلا فرع لا يُعبأ به، وفرع بلا أصل لا يُعبأ به، وثمر بلا فرع لا يُعبأ به. وأضرب لك مثالا آخر تعرف منه الشريعة، والطريقة، والحقيقة وتتحقق بالجزم أنها شيء واحد وهو:

أن الشريعة كالبيضة لها ظاهر وهو القشر، ولها باطن وهو اللب الأبيض، ولهـا بـاطن الباطن وهو اللب الأصفر. وحقيقة هؤلاء الثلاثة شيء واحد وهو البيضة ؛ فالقشر الظاهر مثال لظاهر الشريعة، واللب الأبيض مثال لباطن الشريعة وهو الطريقة، ولب اللب الأصفر مثال لباطن باطن الشريعة وهو الحقيقة. وحقيقة هـؤلاء الثلاثة شيء واحد وهي الشريعة فياليت شعري وقد تضع المرء بالقشر مـاذا يحصل له من الفائدة ومن أراد الوصول إلى اللب الأبيض فمن أين يكون الوصول ؟!

فهل له باب آخر يتوصل إليه منه من غير القشر ؟

ومن أراد الوصول إلى لب اللب الأصفر فمن أين يكون الوصول إليه إلا أن يخرق القشر الظاهر واللب الأبيض حتى يصل إليه ؟

وهذا أمر محسوس لا ينكره إلا من استولى عليه الشيطان والنفوس ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (المجادلة /١٩). وكيف يسوغ لأهل الطريقة

---

(١) الآية رقم (١٨٩) من سورة البقرة ونصها: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ البقرة/ ١٨٩

والحقيقة أن يخالفوا ما أتاهم به رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ويفعلوا فعلا لا يجوز فعله إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).فحاشاهم من ذلك بل يجب عليهم أن يتمسكوا بظاهر الشريعة خوفا أن تزل أقدامهم فيكونوا من الهالكين. نسأل الله العافية لنا ولإخواننا وأحبائنا والمسلمين. لأن السلوك في الطريق خطر عظيم ولا يعينهم على الوصول لحضرة القرب من الله تعالى إلا التمسك بأذيال الطريقة إلى الممات، وأما ما يصدر من بعضهم من الشطح بما يخالف ظاهر الشريعة فمأوّل بتأويل مطابق لظاهر الشريعة حرفا بحرف، ولا يقع ذلك منهم أيضا إلا فى مقام جمع الجمع(١)، وهو الاستهلاك في الله تعالى بالكلية حين يرون الأكوان لا وجود لها بقطع النظر عن الموجد لها فهم فانون فى الله عن أنفسهم، وفى حالة السكر ما ترقوا إلى مقام البقاء. ومن كان هذا حاله فهو معذور أيضا لأنه سكران، والسكران بغير اختياره ساقطة عنه التكاليف الشرعية.

وأمـــا إذا رجع من السكر للصحو والإحساس تـــزن جميع ما يصدر منه بميزان الشريعة فكل ما وافق مقبول منه، وكل ما خالف وخرق الإجماع فمردود علـــيه، ونجـــرى عليه سائر الأحكام الشرعية ونعده من الفرقة الضالين المضلين كالزنادقة وأضرابهم من الملحدين، ونحن عليهم من رؤوس المنكرين فلا نوافيهم ولا نصافيهم ونحكم بكفرهم ولو طاروا في السماء ومشوا على الماء ولا نفارق الشريعة الغراء طرفة عين. فهذا مذهبنا لأن الشريعة ميزان لأهل الحقيقة فكل قول أو فعل لا يطابق الشريعة إذا تأول فهو مردود وصاحبه مطرود. وأما الذي يصدر

---

(١) (الجمع) هو الاشتغال بالحق بحيث يجتمع الهم، ويتفرغ الخاطر للتوجه إلى حضرة قدسه، وهو عكس الفرق، وهو تفرقة الخاطر عن ذلك. فالجمع أعلا مقامات التوحيد بتلاشي الحدث في القدم.

أمّا جمع الجمع: فتارة يراد به ما قاله المؤلف، وتارة يراد به حق في خلق، كما أن الجمع حق بلا خلق،والفرق رؤية خلق بلا حق. وقد يعنون بجمع الجمع شهود الوحدة في الكثرة، وشهود الكثرة في الوحدة.انظر: القاشاني: لطائف الإعلام:١/٣٩٢ والشيخ محمود خطاب السبكي:ص٢٦١.

ـــنه شيء لا يخرق به الإجماع فلا تنكر عليه ذلك لاحتمال أن يكون صدر منه علـــى مـــذهب من يرى صحة ذلك. ولما عرفت يا أخي أن الشريعة والطريقة والحقـــيقة شيء واحد فاحذر أن تدخل للطريقة على جهل من الشريعة. أي مما يجـــب عليك معرفته لا العلم الزائد على الاحتياج لأن العلم الزائد على حاجتك سنة وأما تزكية نفسك من الأفعال القبيحة ففرض. فيجب عليك أن تقدم الفرض على السنة ومتى زكيت نفسك ثم قرأت جميع العلوم فلا بأس بل ذلك نور على نور فاجعل العلم مصباحك فى ظلام النفوس تنجو به من العكوس. فها أنا أشرح لـــك الشروط، والأركان والآداب الموصلة. من تمسك بها إلى حضرة الاقتراب وذلـــك علـــى حـــسب ما وصل إليه علمي وفهمي وذوقي وعزمي لكوني من العاجـــزين غير أنني تشبهت بالمتشبهين وتلقطت هذه الكلمات من آثار ساداتنا الـــصالحين (قـــدس الله أسرارهم) وعاد علينا باقتفاء أثارهم وأما الفقير الحقير {فإني}[1] لست من فرسان هذا الميدان. ومن أين لمثلي أن يجول مع الفرسان ا بـــل ولا يـــوجد في شـــروط الإرادة كالمريدين، فضلا عن أن أكون من السادة المؤلفين أرباب المعارف والتمكين. ولكن حركتنى يد القدرة الأزلية لجمع هذه الرســـالة المختصرة المفيدة من أقوال ساداتنا المتقدمين لبعض الأخوان الطالبين، ولاحظـــت في ذكى قول من قال من السادة القادة أهل التمكين (قدس الله سره) وأعاد علينا وعلى المسلمين بره آمين في قوله:

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا * إن التشبه بالكرام فلاح

وسميتهما (**بالروض الأنيق في وصول الطالبين إلى مقام التحقيق**)

وأســـأله جـــل جلالـــه أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يهدى بها السالكين إلى الصراط المستقيم.

إعلـــــم يا أخي – وفقني الله وإياك لمرضاته وأشهدنا كمال ذاته – أن الشروط والأركان والآداب في الطريقة لا بُدَّ منها فمن لم يأت بالأركان والآداب

(١) ما بين المعقوفتين من المحقق، يقتضيها السياق.

تامة مع استكمال الشروط فهو كدابة الرحى، أو كالحمار المربوط. أعني لا يجئ منه شيء في الطريق بل يُخشى عليه أن يصير زنديق الزناديق، فلو عبد الله تعالى ألف سنة مع إهمال ما تقدم من الشروط والأركان والآداب إن سَلِمَ من الضلال فلا يضع له قدما من داخل الباب. وإنما أعلا مقاماته، إن لاحظته يد العناية من قبـــيل الكـــرامة، فيصل إلى مقام النفس اللوامة. وإن لم تلاحظه العناية لا يفارق النفس الأمارة ويبتلى في حب الإمارة فيرجع القهقرى إلى أسفل سافلين، ويأخذ بناصية الهوى وإبليس اللعين حمانا الله من ذلك وأنقذنا من المهالك.

۞ فأما الشروط فهي[1]: التوبة، والإنابة قبل البيعة، ثم البيعة من الشيخ الكامــل فهـــو آكدها، ثم الجوع، والسهر، والصمت، والعزلة، والذكر الدائم، والفكر المتراكم.

فأما التوبة، فهي: أول منازل السلوك، وآخرها.

لأن معنى التوبة من حيث الشريعة هي الرجوع للطاعات من المعاصي.

---

(١) (شروط الإرادة):عقد السادة شروطا للمريد لكي يكون في طريق السلوك إلى الله، ويصح له وقتئذ أن يكون مريدا صادقا يمكن له أن يدخل في عداد السالكين إلى الله تعالى وهذه الشروط التي اصطلحوا عليها خمس: أولها أن يخرج الإنسان عن عادته، لا كيف ما كان، بل عما تقتضيه عادات الطبع ورعونات النفس، وتوجه دواعي الهوى إلى الاقتدار بوظائف الشرع، مطيعا للأوامر والنواهي الإلهية. وثانيها: أن ينصرف الإنسان عما لا يصح له بعد أن يعد مريدا إلا بالصرف عنه، وهو أن لا يتزين بين الناس بشيء من وظائف العبادات، أو كريم العادات التي جرت عليها عادة أهل الإرادة.

ثالثها: صدق القصد بأن لا يشوب إخلاصه رياء ولا سمعة، ولا ميل إلى الصيت فحري يوشك أن يكون مريدا صادقا في قصده للدخول في هذا المر الجليل الشأن.و رابعها الإقبال على الله تعالى بالكلية، بأن يتلافى كل تفريط بحيث لا يترك فريضة تفوته حتى ينصلح قلبه. و خامسها: أن لا يحتمل الإنسان الموصوف بصفة الإرادة لله تعالى داعية تدعو إلى نقض عهد، ولا يصبر على صحبة ضد، ولا يقعد عن الجد بحال. انظر: القاشاني: لطائف الإعلام (معجم للمصطلحات والإشارات الصوفية)١/٣٨، وانظر الشروط التي اختارها الشيخ محمود خطاب السبكي: أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية. بتحقيقنا: ص١٣٦.

ومن حيث الطريقة رجوع عن مقام الغفلة إلى مقام الحضور.

ومن حيث الحقيقة رجوع إلى الله عن جميع ما سواه.

وأشار (صلى الله عليه وسلم) إلى هذا المعنى الحقيقي بقوله (صلى الله عليه وسلم):

(إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة)[١] فبه تكون التوبة لازمة لكل أحد في كل حال من الأحوال وكل زمن من الأزمان. قال الشيخ الشبلي (قدس الله سره) وأعاد علينا وعلى المسلمين بره: من قال: أتوب غدا لقد همّ بمعصية الله في الحال لأنه ترك الواجب عليه في ذلك الوقت وهي التوبة لأنها واجبة لما أمر الله بها عباده على العموم في قوله: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

وأما الإنابة: فهي الاستسلام لله تعالى ولقبول أحكامه المنزلة منه على العباد قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الزمر/٥٤). فبين التوبة والإنابة مساواة من حيث الشريعة[٢].

---

(١) حديث: (إنه ليغان على قلبي.....) بهذا اللفظ متفق عليه من حديث الأغر، وباقي الروايات كلها حوالي أربعين رواية (أستغفر الله في اليوم مائة مرة). انظر: سنن أبي داود ١/٨، ٤٧٥، ومسند أحمد بن حنبل ٢١١/٤ الحديث(١٧٨٨١)، وابن حبان ٢١١/٣ الحديث(٩٣١) والحكم في المستدرك:٦٩١/١، والطبراني في الكبير ٣٠٢/١ الحديث رقم (٨٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان ٦٤٠/٤٣٨/١، والسنن الكبرى: ٥٢/٧/ ١٣١٩، والنسائي: ١١٦/٦، وأبو نعيم: حلية الأولياء: ٣٤٩/١، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٢٥١.

(٢) (الإنابة) ثلاثة أشياء: الرجوع إلى الحق إصلاحا، كما رجع إليه اعتذارا. والرجوع إليه وفاء، كما رجع إليه عهدا. والرجوع إليه حالا، كما رجع إليه إجابة. وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحا بثلاثة أشياء بالخروج من التبعات والتوجع للعثرات واستدراك الفائتات. وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاء بثلاثة أشياء بالخلاص من لذة الذنب وبترك الاستهانة بأهل الغفلة تخوفا عليهم مع الرجاء لنفسك وبالاستقصاء في رؤية علل

وأما من حيث الطريقة: فالإنابة أخص من التوبة لأن التوبة تشمل الرجوع عن الكفر والمعصية وغيرها. والإنابة هي الرجوع عن الغفلة فقط.

ثم اعلم أن للتوبة أركاناً أربعة: وهي الندم على المعصية، والاعتذار، والإقلاع عنها، وترك العود إليها. فإن نقص واحد منها لا تصح التوبة ولا يرجى قبولها عند الله.

ولها شروط وآداب:

أما الشروط: فهي الخوف من الله تعالى، وتعظيم الذنب، ومعرفة قساوة النفس وعدم إتباع شهواتها والإقلاع عن مألوفاتها، وانتباه القلب عن رقدة الغفلة. ورؤية التائب ما هو عليه من سوء الحال واستقباحه لذلك.

وأما آدابها: فهي اتهام التوبة أنها ليست بمقبولة عند الله لكونه لا يعلم أهو قد أتى بشروطها تامة كما هو المطلوب منه أم لا، ولكن يرجو العفو من الله تعالى لأن السيد قد يعفو عن عبده مع اقترافه الذنوب، ولكن يجب عليه أن لا ينسى الذنوب ما دام خلف الحجاب، ومتى روق له المشرب من بعد خرق الحجاب. فنسيان الذنب أولى في حضرة الاقتراب، ولكن يحذر من ارتكاب الذنوب، ومن الغفلة عن المحبوب، ويبكي على ما سلف برفضه للشهوات لأن الشهوات للإنسان آفات، ويهجر إخوان السوء في كلا الحالات، ولا يميل إليهم ولا عند الممات ويلازم صحبة العلماء الأفاضل ويهجر الأكابر والوسائل. فمن تاب هذه التوبة الجامعة للشروط والأركان والآداب تكون توبته نصوحا صادقة داعية للاقتراب فلا تبقى للذنوب أثر ويتنور قلب صاحبها بنور شمس المعارف والقمر ويكون صاحبها كيوم ولدته أمه وينتفي بذلك همه وغمه.

قال الواسطي[1] (قدس الله سره) التوبة النصوح: لا تبقى على صاحبها أثرا

= الخدمة. وإنما يستقيم الرجوع إليه حالا بثلاثة أشياء بالإياس من عملك ومعاينة اضطرارك، وشيم برق لطفه بك. انظر: الهروي: منازل السائرين: ٨ .

(١) (*الواسطى*) *أبو بكر الواسطى أبو بكر محمد بن موسى الواسطى* خراساني *الأصل*. من فرغانة. صحب الجنيد والنوري. قال الواسطى: الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد من =

مـــن المعـــصية ســـراً ولا جهراً فمن كانت توبته نصوحا فلا يبالى كيف أمسى وأصبح.

ثم اعلـــــم أن مـــن نقض توبته بحب البشرية مرة أو مرارا فلا يقنط من رحمة الله ولا يقطع من رجائه بل يسارع إلى توبة أخرى لأن الله تعالى يحب توبة عـــبده، ولو يتوب عن ذنب ثم يعود إليه في يوم سبعين مرة، لأن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن سيئاتهم فليكن العبد ملازما للتوبة عند كل ذنب، وفى كل وقـــت وعلـــى كل حال حتى يجئ أجل التوبة المكتوب عند الله فيتوب توبة لا يعقبها ذنب لأن لكل أجل كتاب.

فالحاصل أن العبد مأمور بالتوبة على كل حال سواء قبلها الله أو لم يقبلها وســـواء أذنب العبد أو لم يذنب لأن التوبة عبودية تعبدنا الله بها فإن كانت من الذنب فهي واجبة، وإن كانت بغير ذنب فهي سنة قال (صلى الله عليه وسلم): (**توبـــوا إلى الله فـــإني أتوب إليه في كل يوم مائة مرة**)[1] فعلى كل حال لا بُدَّ للعبد أن يداوم على التوبة حتى يكون من التائبين الممدوحين في كتاب الله تعالى

=

سوء الأدب. وقال: الواسطى: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى الأنتان والجيف يريد به صحبة الأحداث. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد ابن عبد العزيز المروزي يقول: سمعت الواسطى يقول: جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً وشره نفوسهم انبساطاً ودناءة الهمم جلادة فعموا عن الطريق وسلكوا فيه المضيق فلا حياة تنموا في شواهدهم ولا عبادة تزكوا في محاضرتهم إن نطقوا فبالغصب وإن خاطبوا فبالكبر وثب أنفسهم ينبيء عن خبث ضمائرهم وشرههم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم. قاتلهم الله أنى يؤفكون. سمعت الأستاذ أبا علي الدقّاق رحمه الله يقول: سمع بعض المراوزة إنساناً صيدلانياً يقول: اجتاز الواسطى يوم جمعة بباب حانوتي قاصداً إلى الجامع. فانقطع شسع نعله فقلت: أيها الشيخ أتأذن لي أن أصلح نعلك فقال: أصلح. فأصلحت شسعه فقال: أتدري لم أنقطع شسع نعلي قال: لأني ما اغتسلت للجمعة!! فقلت له: يا سيدي هاهنا حمام تدخله فقال: نعم. فأدخلته الحمّام فاغتسل.انظر الرسالة القشيرية: ترجمة الواسطى.

(١) انظر تخريج الحديث المتقدم على هذا الحديث.

ولم يكن من المصرين المذنبين.

ثم اعلم أن الذنب داء ودواؤه التوبة. فمن أذنب ولم يتب حصل في نفسه داء آخــــر، ثم إذا أذنب ولم يتب يزداد داء آخر، وإن أصر على الذنب ولم يتب تمكـــن الداء حتى لا يرجى برؤه فيكون من الهالكين نسأل الله العافية قال (صلى الله عليه وسلم):

(ألا أدلكـــم علـــى دائكم ودوائكم ألا إن داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار) (١)

ثم اعلم أن التوبة على ثلاث مراتب:

- فمن رجع إلى الله خوفا من عقابه فهو صاحب التوبة.
- ومن رجع إلى الله بقصد القرب منه فهو صاحب الإنابة.
- ومن رجع إليه لقصد الترقى لمقام الشهود فهو صاحب الأوبة.

فكانت التوبة للعوام المؤمنين، والإنابة للخواص السالكين، والأوبة للأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) والكمال بالوراثة عنهم من الأولياء الكرام.

وأمـــا توبة النبي (صلى الله عليه وسلم) فهي معنى الأوبة التي هي الرجوع إلى الله للترقـــي في مـــراتب الشهود ولكن عين قلبه أنوار فليس هو من ظلمات الأغيار.

وتوبة الله تعالى عوده إلى عبده بلطفه ورجوعه إليه بكرمه قال تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (النساء /٢٧) أي أن يلطف بكم.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة /١١٨) أي وفقهم للتوبة. والرجوع عن الحرية فليس مقام أعلا من مقام التائبين إلى الله تعالى لأن من صحت له التوبة صحت له كل المقامات العلية، وحسن منه الحال وزكت منه الطوية.

---

(١) حديث: (ألا أدلكم على دائكم.....) انظر: شعب الإيمان: ٧١٤٧/٤٢٨/٥.
وله رواية أخرى عند البيهقي أيضا أنظرها في شعب الإيمان.

قال بعض العارفين: لأن يصح لك مقام التوبة، ويوفقك إليها خير لك من أن يطلعكـــم على سبعين ألف غيب. ولا بد لمن أراد البيعة أن يقدم التوبة عليها عـــند الـــشيخ الكامل. وأما **الشيخ الكامل**: فتعريفه هو من كَمُل على يد شيخ كامل، وشيخه كمل على يد شيخه كامل. وهكذا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيكون من أهل السلسلة وللشيخ علامات سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

ثم اعلـــم أن المريد إذا أخذ عن شيخ كامل وفيه الأوصاف المذكورة آنفا يعـــنى أشياخ كُمَّل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)متى قال يا شيخي تهتز السلـــسلة إلى رســـول الله (صلى الله عليه وسلم) وتمده رجالها وتأخذ بيده عند الـــشدائد والأهـــوال في ســـلوك الطريق وغيره.وإن أخذ عن شيخ لم تتوفر فيه الشروط المذكورة لم يكن من أهل السلسلة بل هو مقطوع لا يجئ منه شيء بل يخـــشى علـــيه الهوان من النفس والهوس والشيطان فإنهم يلعبون به كيف شاءوا فيكون من الهالكين نسأل الله العافية لنا ولإخواننا وأحبائنا والمسلمين وإلى ذلك أشـــار ســـيدي القطـــب الحقيقي السيد مصطفى البكرى الصديق[1] (قدس الله أسراره) وأشرق عليَّ شمس معارفه وأقماره في ألفيته حيث قال:

متى يحرك المريد السلسلة تأتي إليه من رجالها الصلة

---

(١) (السيد مصطفى البكري الصديقي): قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محي الدين الصديقي أبو المعارف البكري الدمشقي الصوفي الحنفي الشهير بالقطب البكري ولد سنة ١٠٩٩ وتوفي بدمشق سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف. صنف من الكتب الابتهالات السامية والدعوات النامية. الأربعون المورثة للانتباه فيما يقال عند اللزوم والانتباه. الاستغاثة الآتية بالنصرة والإغاثة. الاستغفارة المدنية الإنارة. إقامة العراقية. والموائد الإشراقة. ألفية الوفية للسادة الصوفية في التصوف. الإمداد البكري على صلاة البكري. انتظار فتح الفرج واستمطار منح الفرج. بديع موشحات بالبديع مرشحات وغيرها كثير جدا. انظر: البغدادي: هدية العارفين: ٤٤٦/٢، كحالة: معجم المؤلفين: ٢٧١/١٢، الجبرتي: عجـــائب الآثار ١/ ١٦٥، الكتاني: فهرس الفهارس: ١٥٩/١، الزركلي: الأعلام: ١٤١/٨، المرادي: سلك الدرر: ١٩٠/٤.

ومن بغير وصلة يـــــحرك ما نال شيئا وعليه الدرك [١]

ومن علامات الشيخ الكامل ملازمته للطريقة فلا يفتر عنها أبد ولا يكون على غير المولى معتمداً ويذاب على المجاهدة ما دام حيا ووقت الممات. وأما إذا اغتر بالأوراق المكتوبات وبوس اليد من بعض الجماعات، وأعجبه حاله. ووضع للناس أقواله وأفعاله. وقالت له نفسه أنت صرت شيخا وخليفة أرح نفسك من هـــذه المجاهدات فإن المجاهدة لأرباب البدايات السالكين على نهج أهل النهايات. وأمـــا الواصـــلون فمـــا عليهم شيء من ذلك لكونهم قطعوا عقبات نفوسهم، وتخلـــصوا من المهالك فصدقها فيما قالت، ومال معها [٢] كيف مالت، وصار يتـــرك أوراده ومجاهداته، وصيامه، وقيامه، ويخالط الأكابر والأعيان، والأمراء، والـــوزراء، والسلطان، ويقبل هداياهم من غير أن يقف على حقيقة الحال، ولا يميز بين الحرام، والمشتبه، والحلال. بل بقول الشرع له الظاهر فلا يلزمنى البحث عن حقيقة ذلك فهذا واحد من علامات المهالك بل يسافر إليهم بقصد الطلب، وإذا نالـــه شيء كان لفافا، ولا يبالى من دواعي العَطَب. ثم صار يجالس الخاص والعـــام ويـــتكلم في المجلس العام في اصطلاح الأقوام ثم يسمع الغيبة في مجلسه، وكذلك النميمة مع البهتان، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن المنكر، بل وافقهم في جميع ذلك في السر والجهر[٣]، فهذا ممكور به ولا بد. لكونه قد غلا في مذهب

---

(١) البيتان رقم (٢٣٢، ٢٣٣) من الألفية إلا أن كلمة (بغير وصلة) أتت في الأصل (بدون وصلة).

(٢) منعنا التعليق على موضوع الشيخ الكامل أن المؤلف وعد بأنه سيتكلم في ذلك.بالرغم من ان هذا الموضوع بالذات هو عماد أي طريقة صوفية، لأن الشيخ هو الطبيب المعالج لكل المرضى الذين يذهبون إليه، فهل رأيت عيادة بدون طبيب تصلح ؟ وهل إذا لم يسمع المريض وصف العلاج الذي وصف له من الطبيب ويأخذه ثقة به يشفى ؟ ومع ذلك قد استكملت المخطوط قراءة ولم أقف على زيادة تشفيني في الكلام منه عن الشيخ الكامل. (المحقق)

(٣) وهل مثل هذا يصح شيخا ؟ ! أكرم الله مشايخنا سيدي الشيخ صلاح الدين التجاني، وزاده علما وقربا من ربه، فقد ترك كل شيء لله، وما وجدناه مشغولا بشيء من حطام =

القـــوم، وتجـــاوز الحد، وانتقض عهده من الأشياخ ومن رسول الله وطرد من حضراتهم ومن حاضرة الله، وأخرج من سلسلة القوم الكرام، وباء بغضب من الله فرجع إلى أسفل سافلين أعني النفس الأمارة ؛ فيكون من حزب الشياطين. نسأل الله العافية والمعافاة الشافية، فكيف ينبغي لهذا المغرور أن يترك ما كان السبب في وصوله إلى الله تعالى فما هكذا أحوال أهل الله. وإنما أحوالهم كلما ازدادوا رفعة يـــزدادون رغبة ورهبة، ولا يسمحون لأنفسهم أن يكون فعلهم في يومهم الذي هـــم فـــيه مساويا لفعلهم بالأمس، بل لا بد لهم من الازدياد مع الأنفاس، وأدنى تـــرقيهم في المقامات أن يرقوا في كل يوم وليلة أربعة وعشرين ألف مقام بعدد الأنفـــاس المحصورة، لأن الأنفاس المعتدلة في الإنسان المعتدل المزاج في كل يوم وليلة أربعة وعشرون ألف نفس. ومنهم من يرتقي في كل نفس مقامات، وذلك بحـــسب مـــالهم عند الله درجات ؛ فضلا عن كونهم يرجعون إلى ورائهم بترك أعمالهم التي كانت سببا لوصولهم إلى الله تعالى.

حُكِيَ عن سيد الطائفتين سيدي محمد الجنيد البغدادي[١] حكاية ما معناها

= الدنيا بالرغم من وجودها بين يديه فلم يُشغل بها، ولا حتى بالآخرة، ولم نره منشغلا على الحقيقة إلا برضى مولاه، فقد علمونا أنه لا ينبغي لعبد أن يجاهد ولا ينظر لأي عمل عمله لأنه لله. زادهم الله فضلا كثيرا إنه ولي ذلك والقادر عليه، (المحقق).

(١) (الجنيد) هو: الإمام (أبو القاسم الجنيد): ابن محمد ابن الجنيد الخزاز القواريري. ولد سنة ٢١٥ هـــ ببغداد، وأصله من نهاوند، كان تلميذا للسري السقطي، وهو خاله.كان يقول: " احذروا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله، ثم قرأ قوله تعالى: " **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** " (آية (٧٥) من سورة الحجر فقال للمتفرسين. ترك الجنيد عددا من الرسائل طبعت قديما، وأقواله مشهورة ومنتشرة في بطون الكتب الصوفية حتى لا يكاد يخلو منها كتاب. توفي الجنيد (رحمه الله) سنة ٢٩٧ هـــ وهو مقبول على جميع الألسنة.

انظر ترجمته في: السلمي طبقات الصوفية ص ١٥٥، الدكتور جمال سيدبي: رسائل الجنيد.

=

حين حضرته الوفاة كان يتلو ورده فقال له بعض أصحابه: يا سيدي لقد وصلت إليه سبحانه وتعالى، فخفف عنك، وأرح نفسك.

فقـــال: يا هذا. شيء وصلنا به إلى الله تعالى، فلا ينبغي لنا تركه إلى حين نلقى الله سبحانه وتعالى به.

وقال الله تعالى لأشرف مخلوقاته محمد (صلى الله عليه وسلم): ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر/٩٩) أي: الموت.

وقال عيسى (عليه الصلاة والسلام) حاكيا عن ربه: ﴿ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴾ (مريم/٣١). فإذا كان هذا في حق هؤلاء الأنبياء الكرام (عليهم الصلاة والسلام) فما حالي وحالك يا مسكين تب إلى الله تعالى مما أنت فيه، وارجع إلى الله بالخدمة والطاعة مع الأدب التام فلعل الله سبحانه وتعالى أن يقبلك ويدخلك في سلك أحبابه المقربين.

ومن علاماته أن يكون ملازما لكل ما يأمر به المريد لكي يقتدي بأقواله، وأفعاله، وأحواله. فهذا هو الشيخ الناضج فإذا أمر المريد بالصوم فيكون صائما، وإن أمـــره بالجـــوع فيكون جائعا، وإن أمره بقيام الليل فيكون قائما، وإن أمره بالعـــزلة فـــيكون معزولا، إلا في وقت الانتفاع به ؛كالذكر، والتربية، وما أشبه ذلك. وإن أمره بالصمت فيكون صامتا، وإن أمره بالذكر فيكون ذاكرا، وإن أمره بالورع عن الحرام والمشتبه فيكون ورعا، وإن أمره بالزهد فيما في يده من المباح فـــيكون زاهدا، وإ ن أمره بالحلم فيكون حليما، وإن أمره بالعفة فيكون عفيفًا،

=

سزكين: تاريخ التراث العربي ١٣١/٤/١ الجامي: نفحات الأنس ٢٦٦/١، أبو نعيم: حلية الأولياء ٢٥٥/١٠، المناوي: الكواكب الدرية ١/ ٣٧٦، ابن كثير: البداية والنهاية: ١١/ ١١٣ البغدادي: هدية العارفين ٢٥٨/١، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٤٥٨/٢ الترجمة العربية، كحالة: معجم المؤلفين: ١٦٢/٣، الدكتورة سعاد الحكيم: رسائل الجنيد أيضا.

وأن أمـــره بغـــض البصر عما لا يرضى الله فيكون غاضا، وإن أمره بالفرار من الأكابر، والأعيان، والأمراء، والسلطان فيكون منهم فاراً، وإن أمره برد هداياهم إذا لم تكن من حلال فيكون لها راداً، وإن أمره بالمراقبة فيكون لا بد مراقبا، وإن أمـــره بالمحاسبة على نفسه من الكبائر والصغا ئر والخواطر فيكون لنفسه محاسبا، وإن زجره عن الغيبة والنميمة ؛ فيكون لنفسه زاجرا، وإن أمره بالتواضع فيكون متواضعا وإن نهاه عن حب الرياسة والشهرة فيكون لنفسه ناهيا، وإن أمره بترك الـــشهوات فـــيكون لها تاركا، وإن أمره بالعفو عمن ظلمه فيكون منصفا بذلك ومسامحا، وإن أمره بحسن الخلق والرحمة والرأفة على خلق الله فيكون رؤوفا بهم وراحما. وعلى هذا فقس سائر الأوصاف(١).

وأمـــا الـــشيخ إذا أمر المريد بشيء وفعل هو بخلاف ذلك فلا يقتدي به لكـــونه لا يصلح للتربية ولا يؤخذ عند الطريق ولا هو من هذا الفريق وإنما هو غـــشاش ولحب الريـــاسة رشاش قال (صلى الله عليه وسلم): (**من غشنا ليس مـــنا**)(٢) وإلى ذلك أشار القطب الحقيقي سيدي مصطفى البكري الصديقي في

---

(١) أي هذا حال القدوة قبل أن يأمر يكون هو منفذا لما يأمر به المريدين. وبالرغم من أن هذا النوع من التربية بالاصطلاح قد انتهى زمنه إلا أننا بالفعل نجد شيخنا –والحمد لله تعالى– نعم القدوة لنا في كل هذا، وأكثر منه زاده الله تعالى بسطة في العلم والجسم.

(٢) حديث: (من غشنا فليس منا): رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه وفيه ومن حمل علينا السلاح فليس منا، وعنده أيضا عنه مرفوعا من غش فليس مني قاله حين مر على صبرة من طعام وأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال أصابه السماء يا رسول الله. قال: جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس. فذكره، ورواه ابن عنبسة عن العلاء بلفظ " ليس منا من غش" .

وللعسكري عن أبي هريرة بلفظ الترجمة وزاد قيل: يا رسول الله ما معنى قولك ليس منا؟ فقال: ليس مثلنا. وفي الباب عن أنس وبريدة وحذيفة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعلي وغيرهم. ولفظ حديث علي عند العسكري: ليس منا من غش مسلما أو ضاره أو ماكره. ولفظ حديث ابن عمر عند القضاعي: يا أيها الناس لا غش بين المسلمين من غش فليس منا. ولفظ حديث أنس عند الدارقطني في الأفراد بسند

ألفيته بقوله:

فإنه لم يدر، ومن فعل قد * غش، والغشاش بالنار اشتعل

ومثله أولاد الأشياخ، إذا لم يسلكوا الطريق في حياة آبائهم أو بعدهم إلى أن يبلغوا رتبة الكمال ويؤذن لهم في الإرشاد فلا يؤخذ عنهم الطريق إلا للتبرك فقط فقد ظهر لنا أن الأشياخ الذين لم تكمل فيهم هذه الأوصاف إذا تصدروا للمشيخة والإرشاد فهم غشاشون وداخلون في وعيد الحديث المارِّ آنفا ولا بد للشيخ أن يعرف عقبات الطريق وأهواله، وقبضه، وبسطه، وجلاله، وجماله، وكماله، وسكره وصحوه، وسحقه، ومحقه، وطمسه، واصطلامه، وجمعه، وفرقه، وفناءه، وبقاءه وتلوينه، وتمكينه، وإخلاصه، ورياءهُ. ويميز بين تجلى الشيطان، والنفس، والروح من تجلى الله تعالى بأفعاله وأسمائه وصفاته وذاته ويعرف دسائس النفس والشيطان وإغوائه إلى غير ذلك من اصطلاحات الأقوام لكى يعرف أمراض القلوب ودواءها ويعرف المريد في أي مقام وتكون معرفته لجميع ذلك من طريق الذوق والحال لا من باب الفهم والقال وإذا وجد المريد من توفرت فيه هذه الشروط فيأخذ عنه فإنه الغاية والمراد بل هو الأكسيد الأكبر الذي يقلب جميع الأجساد فخذ عنه ولا تبالي بالأشياخ الناقصين مع حياتهم ووجودهم بل ولو كانوا حاضرين لكون وجودهم كالعدم بل من تمسك فيهم زل فيه القدم لكونهم تهلكة للمريدين فيهلكون من تمسك بهم ولا بد لكونهم من أخوان الشياطين وأما من أخذ عنهم بقصد التبرك فلا باس بذلك وإنما قولنا فى حق من يريد السلوك إلى ملك الملوك فإذا ماتوا هؤلاء الأشياخ وأخذ المريد عن غيرهم فمن باب أولى بل ويجب على الأشياخ المتقدمين في الذكر أن لا يداخلهم الحسد ويرضوا عن مريدهم بسبب الأخذ عن الشيخ الكامل بل يحثوه على ذلك بل ويبتدئوا بالأخذ عن الأستاذ قبل مريدهم ولا يقولون هذا قادري،

=

ضعيف: من غش أمتي فعليه لعنة الله.انظر: العجلوني: كشف الخفاء:٢/١٥٤٤ الحديث رقم (٢٥٤٧).

أو هذا رفاعي، أو أحمدى، أو دسوقي، أو نقشبندي، أو خلوتي إلى غير ذلك من جميع الطرق فكيف نأخذ عنه وطريقه غير طريقنا أو تستنكف نفوسهم الأخذ عنه لكونهم أشياخًا فما هذا إلا من جهالة قامت بهم، ومن عمارة قلوبهم، ومن استيلاء الغفلة عليهم، ومن انقيادهم لأوامر النفس والهوى والشيطان الملعون ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة/١٩) لأن الطريق واحد هو معرفة الله سبحانه وتعالى على الكشف والشهود واليقين الكامل بعد كشف الغطاء وطرح القيود وملازمة باب الوصيد ورفض باب التشكيك والترديد وهذا حاصل على يد كل شيخ كملت فيه الأوصاف كما عرفت فليس بين أهل الله خلاف ولا عبرة بكونه قادريا أو رفاعيا، أو أحمديا، أو دسوقيا، أو نقشبديا، أو خلوتيا، أو غير ذلك. فإن الطرق وإن تعددت فهي راجعة لطريق واحد وهو معرفة الله تعالى بحق اليقين فهذا محط رحال الطالبين وإلى ذلك أشار سيدي السيد مصطفى البكري الصديقي (قدس الله سره) وأعاد علينا وعلى المسلمين نفعه وبره في ألفتية حيث قال:

الطرق شتى والطريق واحد * إلى المنى يسلك فيها الواجد[1]

فعلى هذا من فرق بينهم يخشى عليه من الطرد عن حضراتهم ومن طرد من حضراتهم طرد من حضرة الله ورسوله لأن الأشياخ كالدر المنظوم في السلك الواحد، ورئيسهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهم نوّابه وهو نائب الحضرة الإلهية فمن فرق بينهم فهو بمنزلة من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وكمن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض فإن أحببت الجميع أحبك الجميع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن أحبه رسول الله أحبه الله تعالى، ومن أحبه الله تعالى فهو من المقربين ومن المحبين والمحبوبين[2] قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

(١) أي الذي يجد هذا الطريق فيكون من عناية الله تعالى به.

(٢) المحب والمحبوب: درجة من مراتب المقربين، ولعله يقصد هنا أن الجملة تفسيرية.

﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران /٣١) وإن أبغضت واحداً منهم أبغضك الجميع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لكونهم نوابه وكالأعضاء له وهو رأسهم، فمن أعاب على عضو واحد من الجسد فقد أعاب الجسد كله من القدم للرأس، وقد عرفت أن رأسهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإن أعبت على واحد منهم سرى العيب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فماذا يكون حالك يا مسكين غير أن تكون من الهالكين ؛ فتب إلى الله تعالى من التفرقة والحب لفرقة والبغض لأخرى، وكن محبهم جميعا ومتى منَّ الله عليك بشيخ كامل كائنا من كان فخذ عنه الطريق ولا تسأل عن طريقته لأن الشيخ الكامل إذا أنفرد في الكون بأسره للتربية يكفيه لأن المقصود من الأخذ والتربية الوصول إلى الله تعالى، وهذا حاصل من كل شيخ كامل وإن راودتك نفسك في عدم الأخذ عنه فازجرها وأقهرها على ذلك، وإن لم تفعل ولم تدارك نفسك بالتوبة والإنابة وتأخذ عنه الطريق وتنقاد إليه انتقض عهدك من الأشياخ وأخرجوك من سلكهم فتكون من الخاسرين، وكذلك الأشياخ الذين لم تتوفر فيهم شروط الكمال، إذا وجدوا من هو أكمل منهم ولم يأخذوا عنه ويقولون نحن أشياخ مسلكون في الطريق. وهذا شيخ مثلنا فكيف نأخذ عنه أو طريقه غير طريقنا فليتوبوا إلى الله تعالى لئلا ينتقض عهدهم وينبذوهم أشياخه وراء ظهورهم هذا في حق المريدين السالكين في الطريق الذين لم تكمل تربيتهم وفى حق الأشياخ الكُمَّل إذا وجدوا أكمل منهم فكيف بالمريدين الذين لا يعرفون التربية ولا التلقين ولا سلكوا الطريق ولا عرفوا كيفية السلوك فيه بل ولا وضعوا لهم قدما في الطريق. فمن باب أولى لأن مثال المريد في تربيته كالطفل في رضاعته، فإذا تكمل مدة رضاع الطفل ولم يقدر يتغذى بالطعام وماتت أمُّه وهو على هذه الحالة فيرضعونه من أي امرأة وجدوها، وما المقصود من رضاعته إلا نتاجه. فإذا فطموه والحالة هذه يموت حتى ولو كان من أبناء الملوك والأمراء والأكابر والوزراء. إذا ما وجد من يرضعه إلا الجوار يرضعونه منهن، وهكذا حالة المريد إذا مات شيخه قبل نتاجه وكمال تربيته إذا لم يأخذ من شيخ آخر، وآخر، وآخر، وهلُمَّ جر، حتى يجد

شيخا كاملا يكمل على يده بأن يبلغه إلى مقام الخلافة الكبرى التي هي عين الحقيقة ويعرف مسالك الطريقة لا الخلافة الصغرى التي يدعو صاحبه إلى ظاهر الشريعة ولا يقدر أن يدعو إلى عين الحقيقة فما دام المريد ناقصا عن مرتبة الكمال ولم يجد شيخا يكمل. فليأخذ عن أشياخ كثيرة إلى ألف فأكثر. وأما إذا وجد شيخا كاملا فيلزمه ولا يأخذ عن غيره أبدا حتى يكمل تربيته، ويأذن له في الخلافة الكبرى كما تقدم فيجوز له الأخذ عن أي شيخ كان سواء كان أعلا منه أو مساويا له أو أدنى منه لأنه لا يكون شيخا كاملا حتي يأخذ عمن هو أعلا منه وعمن هو مساوٍ له، أو عمن هو أدنى منه. وفى ذلك إشارة إلى أنه قد ملك نفسه، ومن ملك نفسه قادر على أن يملك الغير وإلا فلا، لأن من لم يملك نفسه، ويقهرها فنفس غيره من باب أولى.

وأمـــا الجوع: فلأنه يعين على النفس، وهو أكبر الشروط فلا يملك المريد نفسه إلابه لأن الله سبحانه وتعالى عذب النفس بأصناف العذاب كذا كذا أعواما، وما أقرت بالعبودية إلا بالجوع فالجوع ينبوع وفيه الخير مجموع.

وأما السهر: فلأن الليل خلوة الأحباب، ومحل خمود البشرية والاقتراب ؛ فمـــن يدعـــى المحبة وينام الليل فهو كاذب في المحبة ولا ذاق من ثمرة الحب حبَّة. فالمحـــب يقلقــــه الوجد والشوق إلى لقاء محبوبه ومن تحقق بذلك توصل إلى نيل مطلوبه.

وأما الصمت: فهو على قسمين وكل قسم ينقسم إلى قسمين:

فـــصمت بالقلب، وصمت باللسان. فمن صمت قلبه تفجرت منه ينابيع الحكمـــة على لسانه، ومن صمت لسانه ولم يصمت قلبه لم تكتب عليه خطيئة، هـــذا في الـــبداية للمريدين. وأما في النهاية للمريدين يصمت قلبه عن الأغيار، ولسانه يترجم بالمعارف والأسرار، ويصمت لسانه عن السوى، وقلبه وجنانه في المناجاة للواحد القهار.

وأما الذكر: فلأنه مجلاة لمرآة القلوب، ومحو الصدأ عنها من ران الذنوب، وســـلاح الطالـــبين يـــرهب به الأعادي من الهوى، والنفس، والشيطان، ومن

الصادي والبادي ومرضاة للموجود الواحد المعبود.

وأما الفكر: فلأنه يفتق الأذهان ويوصل الطالب إلى مشاهدة الملك الديان في كل ذرة من الأكوان في كل زمان ومكان، ومن وصل إلى هذا الشأن فلا يحظر العذاب بالنيران ولا دخول الجنان. وكيفية الفكر يا أخا العرفان أن تتفكر في مصنوعات مكون الأكوان كخلق السموات السبع وما فيها من الكواكب والأفلاك وما فوقها من العرش والكرسي والأفلاك. وفى الجنة وما أعد لأهلها من النعيم المقيم. وفى النار وما أعد لأهلها من العذاب الأليم. وفى الأراضين السبع وما فيها من الجبال والأوعار والأحجار والأشجار والبحار والأنهار والعيون والآبار والزروع والأثمار والوحوش والأطيار والأبرار والفجار. وما أشبه ذلك مما تخيله الأفكار فالتفكر في ذلك لحظة خير من عبادة سبعين سنة[1] ممن يقوم الليل ويصوم النهار ويتهجد في الأسحار.

وأما العزلة والخلوة: فمن أعظم المهمات للمريدين فينتج منها الإستيحاش من الخلق، والأنس برب العالمين. وأما المرادين فهم بالخيار بل هم مع التجلي حينما دار.

---

(١) ورد في هذا الموضوع، وهو التفكر كثير من الأحاديث منها ما أورده الإمام العجلوني في كشف الخفاء وفيه: (تفكُر ساعة خير من عبادة سنة) وفي لفظ ستين سنة ذكره الفاكهاني بلفظ: (فكرة ساعة) وقال: إنه من كلام سري السقطي، وفي لفظ ستين سنة. وذكره في الجامع الصغير بلفظ (فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة) وورد عن ابن عباس وأبي الدرداء بلفظ: (فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة) وقال النجم: إن العراقي قال: في جزء له روينا من حديث عبد الله بن سلام أنه صلى الله عليه وسلم خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم تتفكرون ؟ فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن لهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله لم يعصوا طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم ؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم هم ؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا).انظر: العجلوني: كشف الخفاء ٣٦٩/٢ الحديث رقم (١٠٠٤).

وأمـــا كيفـــية الذكر: وهو أن يكون بالاسم الذى تلقنه من الأستاذ فلا يلـــتفت عـــنه لغيره لأنه المهام، ولا يكون له غيره من الأسماء صالح للحصن، والمـــلاذ لأن مـــن الشروط اللازمة على المريد أن يلازم الاسم الذى تلقنه من الأســـتاذ وعنه لغيره لا يحيد، ومن فعل بضد ذلك وقع من رأس الدرع وانحل عزمه وانفلج، وكلما قطع اسما يلقنه الأستاذ اسما على التدريج.

وأما إذا حصل الإذن الإلهى بتلقين الأسماء دفعة واحدة لمن يختاره الله تعالى فيلقنه الأستاذ دفعة واحدة كما أمر ولا بأس بذلك يكون الأستاذ نائب رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وهو الواسطة بينه وبين الله سبحانه وتعالى، وهو نائب الحضرة الإلهية لا يفعل شيئا سُدى بل بإذن من الله سبحانه وتعالى هذا في طريق ساداتنا الخلوتية قدس الله أسرارهم وأعلا في الخافقين منارهم ونفعنا بعلومهم وأسرارهم وفهومهم. وأما غيرهم من الأساتذة أعاد الله علينا من بركاتهم ونفحنا نفحة من نفحاتهم فيقولون علينا التلقين وعلى الله الهداية فلا ينتظرون الأذن ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ (البقرة /١٤٨).

﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (البقرة /٦٠).

ولقـــد شاهدنا الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم، قطب زمانه فريد عصره، ووحـــيد أوانه أستاذنا الشيخ محمود الكردي[1] قدس الله سره وأعاد علينا وعلى

---

(١) سيدي محمود الكردي: محمود الكوراني (١١٩٥ هـ = ١٧٨١ م) محمود بن محمد بن يزيد الكوراني الكردي الخلوتى: متصوف، ومشهور البركة يعتقده الخاص والعام كثير الرؤية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن كراماته أنه متى اراد رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) رآه. وله مكاشفات عجيبة نفعنا الله بحبه ولا حجبنا عن قربه وهو الذي قام للإرشاد والتسليك بعد انتقال شيخه وسلك على يده كثير وخلفوه من بعده منهم خاتم الأولياء القطب الكبير سيدي أحمد التجاني صاحب الطريقة التجانية الكبرى. سكن القاهرة، وتوفى بها. كان يقول إن مولده في (صفاقص) من بلاد (كوران). له مؤلفات منها: نصيحة الأحباب،ورسالة في الحكم والمواعظ، ومثلها (السلوك لأبناء الملوك) في نحو ستة كراريس، تناقلها الناس في أيامه، وقرظها بعض الشعراء. انظر: الزر =

المسلمين بره لقن الأسماء السبعة لأناس كثيرة دفعة واحدة، وذلك من بعد الإذن الصريح والفقير الحقير منهم، وقد وقع لي ذلك غير مرة لقنت الأسماء السبعة دفعة واحدة لمن أذن الله له بذلك بالأذن الصريح لا بالإشارة والتلويح.

ثم اعلم أن الأنفس سبعة، وهى باعتبار ذاتها واحدة، وهى الناطقة.

وأما تعددها فباعتبار صفاتها، وتقلبها من حال إلى حال.

فإن كانت في المرتبة الأولى فتسمى أمارة.

وإن كانت فى المرتبة الثانية فتسمى لوامة.

وإن كانت في المرتبة الثالثة فتسمى ملهمة.

وهكذا إلى آخر المراتب ففي المرتبة السابقة تسمى كاملة.ثم جعلوا لها من الأسماء سبعة لكل نفس اسم من أسماء الله الحسنى يحرق صفاتها الذميمة ويحليها بالأوصاف الحميدة. فإذا داوم المريد على الذكر بالأسماء المخصوصة بها بالشروط المستقدمة والآداب الآتية فتحرق صفاتها النميمة ويخرق حجبها الظلمانية والنورانية فيرى الأشياء على ما هي عليه أصلا وحقيقة لا فرعًا ومجازا لأن المانع من ذلك وجود هذه الحجب التي هي من ظلمات الذنوب لأن لكل نفس ضرب عشرة من الحجب من عشرة في سبعة فتكون سبعين حجابا[1]،

كلي: الأعلام: وانظر كحالة: معجم المؤلفين:١٢/١٦٤، والجبرتي في عجائب الآثار: ٢/٦١ -٦٨).

(١) لحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): حديث: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة) عن أنس رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (سألت جبريل هل ترى ربك ؟ قال: إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو رأيت أدناها لاحترقت) رواه الطبراني في الأوسط وفيه قائد الأعمش، قال أبو داود: عنده أحاديث موضوعة. وذكره ابن حبان في الثقات وقال يهم وعن عبد الله بن عمرو، وسهل بن سعد، رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله: (صلى الله عليه وسلم): (دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ما تسمع نفس شيئا من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسها.) رواه: أبو يعلى، والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو، وسهل أيضا وفيه موسى بن عبيدة لا يحتج به، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى

وحجب النفس الأمارة ظلمانية، وباقي الأنفس حجبها نورانية.

فالظلمانية: هي التي لا يرى ظاهرها من باطنها، وبالعكس.

والنورانية: هي التي يرى ظاهرها من باطنها، وبالعكس.

وكل حجاب من حجب هذه الأنفس. الأول أكثف من الثاني، والثاني أكثف من الثالث، وهكذا إلى العاشر. فالتاسع أكثف من العاشر[1]. ومتى خُرِقت لك هذه الحجب وصلت إلى الله تعالى، وصِرت من عبيد الاختصاص، وتميزت عن عبيد الانتقاص ؛ فتكون ممن قيل فيهم في محكم القرآن: ﴿ إِنَّ عِبَادِى

الله عليه وسلم فقال يا محمد هل احتجب الله عز وجل عن خلقه السموات والأرض قال: نعم بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور، وسبعون حجابا من نار، وسبعون حجابا من ظلمة، وسبعون حجابا من رفارف الإستبرق، وسبعون حجابا من رفارف السندس، وسبعون حجابا من در أبيض وسبعون حجابا من در أحمر، وسبعون حجابا من در أصفر، وسبعون حجابا من در أخضر وسبعون حجابا من ضياء استضاءها من ضوء النار والنور، وسبعون حجابا من ثلج، وسبعون حجابا من ماء، وسبعون حجابا من غمام، وسبعون حجابا من برد، وسبعون حجابا من عظمة الله التي لا توصف. قال فأخبرني عن ملك الله الذي يليه قال النبي صلى الله عليه وسلم: أصدقت فيما أخبرتك يا زفر قال نعم قال: فإن الملك الذي يليه إسرافيل ثم جبريل ثم ميكائيل ثم ملك الموت صلى الله عليهم أجمعين. رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد المنعم بن إدريس كذبه أحمد وقال ابن حبان كان يضع الحديث.

انظر: ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد: ١ /٧٩،٨٠.

وانظر معجم أبي يعلى: ١ /٩٠، وانظر أيضا مسند الروياني: ٢/ ٢١٢.

والطبراني في معجمه الكبير ٦ / ١٤٨.

والسنة: لابن أبي عاصم: وقال: إسناده ضعيف: ٢ / ٣٦٧.

وانظر الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٢١ /(٣٠٧٤).

(١) كنت قد حققت كتاب (السير والسلوك إلى ملك الملوك) من تأليف قاسم بن صلاح الدين الخاني، وأورد حديثا طويلا رائقا لتقسيمات النفس وتفاصيل كثيرة تظهر أهمية هذا الموضوع. انظر هذا الكتاب في طبعة مكتبة الثقافة الدينية.

﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الحجر/٤٢) بل إن دمت على ما أنت عليه من المجاهدة، إن سبقت لك العناية فتصير على الكل كالسلطان. ولا تظن يا أخي أن هذه الحجب بالنسبة للخالق ؛ لا بل نسبتها للمخلوق، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا. فالخالق لايحجبه شيء، إذ هو مُطّلع على حقائق الأشياء وعلى ظاهرها، وباطنها، ورقائقها، ودقائقها، ولا يحجبه الامتزاج فيرى الظلمة في الظلمة، ويرى النور في النور، والماء في الماء. ولا تظن أيضًا أن هذه الحجب حسية بل هي معنوية ولا الوصول إلى الله تعالى وصولا حسيًا بل هو معنوي لأن الله تعالى لا يوصف بقرب، ولا ببعد، ولا بجة، ولا بزمان، ولا بمكان، ولا بآن. فهو خالق القرب والبعد، والجهات، والزمان والمكان، والأوان فهذه كلها أكوان وهو محيط بها وبسائر الأكوان.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد /٤) بالعلم، والإحاطة، والغلبة، والقهر، أو بالكلاءة[1]، والحفظ، والنصر. ثم لا بد أن أذكر لك دوائر النفوس السبعة، وأوصافها الذميمة والحميدة:

أما الدائرة الأولى: الأمَّـــــارة

فلها الصفات السبع التي هي أمهات جميع الأخلاق الصحيحة.

---

(١) (الكلاءة): كَلأَهُ الله (يَكلَؤُه) مهموز بفتحتين، (كِلاَءةً) بالكسر و المدّ حفظه و يجوز التخفيف فيقال (كَلَيْتُهُ) (أكَلاهُ) و (كَلِيتُهُ) (أكْلاهُ) من باب تعب لغة لقريش لكنهم قالوا (مَكْلُوٌّ) بالواو أكثر من (مَكْلِيٌّ) بالياء و (اكتلأت) منه احترست و (كَلأَ) الدين (يَكْلأُ) مهموز بفتحتين (كُلُوءا) تأخر فهو (كَالِئ) بالهمز وَيَجُوزُ تَخفِيفُهُ فَيصِيرُ مِثْلَ القَاضِي وقال الأصمعي هو مثل القاضي ولا يجوز همزه، ونهي عن بيع (الكَالِيء) (بالكَالِيء) أي بيع النسيئة بالنسيئة قال أبو عبيد صورته أن يسلم الرجل الدراهم في طعام إلى أجل فإذا حلّ الأجل يقول الذي عليه الطعام ليس عندي طعام ولكن يعني إياه إلى أجل فهذه نسيئة انقلبت إلى نسيئة فلو قبض الطعام ثم باعه منه أو من غيره لم يكن (كالئا بكالئ) ويتعدى بالهمزة و التضعيف و (الكلأُ) مهموز العشب رطبا كان أو يابسا قاله ابن فارس وغيره و الجمع (أَكْلاءٌ) مثل سبب و أسباب وموضع (كَالِيءٌ) و(مُكلِيءٌ) فيه الكلأ، والكلاءة هنا تعني الحماية والرعاية. انظر المصباح المنير: ٢/٥٤٠.

وهي: الكبر، والبخل، والحرص، والحسد، والشهوة، والحقد، والغضب.

وأما الدائرة الثانية: فسُمِّيت لوامة

ولها من الصفات السبع المذمومة: وهى العشرة، والعجب، واللهو، واللوم، والتمنى، والمكر، والقهر.

وأما الدائرة الثالثة: فسُمِّيت بالمُـــلهمة

لأن الله ســبحانه وتعالى ألهمها فجورها وتقواها. أي علّمها، وألهمها ما يــنفعها، ومــا يــضرها، ولها سبع صفات محمودة وهى: العلــم، والتواضع، والتحمل، والسخاء، والاستفاضة، والقناعة، والصبر.

وأما الدائرة الرابعة:فسُمِّيت بالمطمئنة

ولهــا ســبع صــفات كريمة وهى: الإيثار، والورع، والزهد، والشكر، والتوكل، والعبادة، والتذلل.

وأما الدائرة الخامسة: فسُمِّيت بالراضية

ولهــا ســبع صفات شريفة وهى: الذكر، والإخلاص، واليقين، والرضى، والرياضة، والكرامة، والوفاء.

وأما الدائرة السادسة: فسُمِّيت بالمَرضية

ولها سبع صفات عالية وهى: فناء البشرية، والتخلق بأخلاق الله، والتفكر فى الحضرات الإلهية، والتنوير بنور الله، والتقرب إلى الله، والرحمة على خلق الله.

وأما الدائرة السابعة: فسميت بالكاملة

ولها سبع صفات كروبية وهى: الكشف، والمشاهدة، والمحاضرة، والمعاينة، والمحاذاة، والخلافة، والإضافة(١).

ثم بعد ذكر الدوائر السبع أردت أن أشرح كل نفس، وأبين كيفية التخلص مــنها والترقي عنها إلى ما فوقها، وأعقد لكل نفس منها فصلاً حتى تكون على بصيرة من نفسك وتعرفها فى أي مقام هي.

---

(١) والصفحات القادمة فيها تفاصيل أكثر لهذا الموضوع.

الفصل الأول
في
الـــنفس الأمّارة

وهي المذكورة في الكتاب العزيز بقوله تعالى حاكيا على لسان سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف/٥٣).

وأوصافها تقدمت آنفا عند ذكر مراتب النفوس.

وإنمـــا سميت أمارة لكونها لا تأمر صاحبها إلا بالسوء ولا تفعل الخير إلا مكرهة عليه.

ومحل هذه النفس: الصدر.

وحالها: الميل إلى الهوى.

وعالمها: عالم الشهادة.

وواردُها: الشريعة.

وسيرها: إلى الله تعالى.

وما يختص بتزكيتها من الأسماء الحسنى: (لا إله إلا الله).

ونـــورها: أزرق فإذا اشتغل صاحب هذه النفس الأمارة بذكر هذه الكلمة الطيـــبة تزول عنه الصفات الحيوانية، ويتطهر من القاذورات البشرية، وترفع عنه الحجب المانعة عن الوصول إلى الله تعالى.

ولا بد أن أشرح كيفية الذكر وآدابه وهي: أن يجلس الذاكربطهارة كاملة ظاهراً وباطناً في مكان طاهر، قاعداً على ركبتيه مستقبل القبلة، واضعا يديه على فخذيه، مغمضاعينيه ثم يستحضر صورة شيخه، ويستمد منه قلبا أو لسانا، أو هما معـــا ويعتقد أن استمداده من شيخه استمداد من حضرة صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) لأن الشيخ نائبه. ويخيل خيال شيخه بين عينيه، ثم يُطأطئ رأسه إلى سُرَّته ويأخذ " لا إله " منها، ثم يأخذ "إلا الله " في حالة الاستواء، ويجرها إلى منكبه الأيمن ويضرب بها على فم القلب اللحمي تحت الثدي الأيسر، ويمد رأسه عـــند ذلك يمينا وشمالا، ويهز جسده حتى يتحرك كل عضو منه ليأخذ كل جزء

منه حصة من الذكر ويكون كل ذلك لكم بالحضور التام مع المذكور بلا غفلة. لأن الذكر هو التخلص عن الغفلة، ولا يلحن في حروف هذه الكلمة الطيبة، بل يخرج حروفها من مخارجها، وأن يرفع صوته عند الذكر ؛ لتنقلع عن قلبه الخواطر الرسمية ؛ لأن رفع الصوت يعطل الحواس والقوى عن أحكامها، وأن يلاحظ فى حالـة النفي نفى ألوهية كل شيء، وفى الإشارات إثبات ألوهيته سبحانه وتعالى وأن يحفظ قلبه من دخول الخواطر، لتزداد جمعيته، وتتوسع حقيقة قلبه ؛ حتى لا تـزاحمه بعد ذلك الخواطر فتحصل له حقيقة التوحيد. لأن التوحيد الصحيح لا يحصل إلا بعد انتفاء الخواطر والأفكار.

وينبغـي كلمـا كرر هذه الكلمة الطيبة أن يترقى فى الحضور بالمذكور، والـتخلص عـن شهود الذكر، ولقد أدركنا في ذلك ذوقا من فضل الله سبحانه وتعـالى، وهو لنا حال لا ينفك، فهذا مقام ياله من مقام ! فأين من شاهد ذلك ذوقا، وكشفا، وحالا ؟!

وأين من لم يذقه ولم يعرف كيفيته بل يعرف ذلك اعتقادا أو قالا ؟!

وأيـن مـن سمع بأوصاف الجنة ولم يرها ولم يعرف داخلها ؟! وأين من دخلـها ورأى قـصورها، وحورها، وغلمانها، وأنهارها، وأشجارها، وأثمارها، وأطـيارها، وحُلَلِهـا إلى غـير ذلك ؟ وتنعَّم فى هذا جميعه، وتخلص من جميع المهالـك، فشتان بين معتقد وذائق وبين من شرب الشراب المعكر، ومن شرب الـشراب الرائق وبين من لفق من ظاهر كلام الغير وبين من فاته الحقايق. وإلى ذلك أشار سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي[1] قدس الله سره بقوله: (كل من ذاق

---

(١) الشيخ عبد الغني النابلسي: عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ) (١٦٤١ - ١٧٣١ م) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن احمد بن إبراهيم الدمشقي، الصالحي، الحنفي، النقشبندى، القادري، المعروف بالنابلسي. عالم، أديب، ناثر، ناظم، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بدمشق في ٥ ذي الحجة، ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر بدمشق إلى أن توفي في ٢٤ شعبان. من تصانيفه الكثيرة: الحقيقة والمجاز في رحلة =

عرف، وقد تهنى بالحضور).

فـــإن أردت يا أخي أن تكون من أهل هذا الشأن فلازم الذكر بالشروط، والآداب والأركان فتدخل جنة الأمان، وتكون من أهل العرفان، ويتضح لك من الأحاديث والقرآن، وتأخذ العلم اللدني عن الملك الديان فلا تحتاج بعد ذلك إلى كتب لأجل إرشاد الأخوان، وإنما كتابك قلبك والشريعة ميزان.

وينبغـــي لك بعد أن تقول: لا إله إلا الله، وتداها بحسب الطاقة ثم تقول

-

بلاد الشام ومصر والحجاز، الدواوين الثلاثة: ديوان الإلهيات، ديوان الغزليات وديوان المدايح والمراسلات، جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص لابن عربي، مجموعة فتاوى في الفقه الحنفي، وتعطير الأنام في تعبير المنام. (خ) المحبي: نفحة الريحانة ١٢٧ / ٢ - ١٣١ / ٢، دفتر الكتب التي صنفها عبد الغني النابلسي ٨٧ / ٢ - ٩١ / ٢، عام ٥٩٥٢، ظاهرية، الصديقي: خلاصة تحقيق الظنون ٩١، نقولا الترك: حوادث الزمان ٦ / ٢ - ٩ / ١، كتاب في التراجم ١١ / ٢، عام ٧٥٢٢، ظاهرية، عبد الغني النابلسي: الحقيقة والمجاز ٥٢ / ٢، ٥٣ / ٢، جميل العظم: السر المصون ٤١، ثبت أحمد المنيني ٥٠ / ١ - ٥٢ / ١، ثبت محمد الغزي ٣٦ / ٢، ٤٩ / ١ - ٥٢ / ١، تنقيح حوادث البديري ٣٨ / ١، ترجمة عبد الغني النابلسي ٨٣ / ٢ - ٨٥ / ٢، مجاميع ١٤٤، ظاهرية، فهرست أسماء الكتب التي صنفها عبد الغني النابلسي، عام ٥٩٥٢، ظاهرية، الأيوبي: كتاب في التراجم ١٣٧، عام ٤٣٢٤، ظاهرية، محمد أبو السعود الجسيبي: مجموعة متنوعة ٣٦ / ٢، عام ٤٦٦٨، ظاهرية، فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) المرادي: سلك الدرر ٣: ٣٠ - ٣٨، الجبرتي: عجائب الآثار ١: ١٥٤ - ١٥٦، ابن شاشو: تراجم بعض أعيان دمشق: ٦٧ - ٨٣، البغدادي: هدية العارفين ١: ٥٩٠ - ٥٩٤، الزر كلي: الأعلام ٤: ١٥٨، ١٥٩، فنديك: اكتفاء القنوع ٢٣١، الجلبي: مخطوطات الموصل ١٤٠، ١٥١، كتبخانة أسعد أفندي ٢٦، حميديه كتبخانة ٦٠، جميل العظم: عقود الجوهر ٤٦ - ٦٩، الكتاني: فهرس الفهارس ٢: ١٥٠ - ١٥٢، سر كيس: معجم المطبوعات ١٨٣٢ - ١٨٣٤، النبهاني: جامع كرامات الأولياء ٢: ٨٥ - ٨٩، البغدادي: هدية العارفين ١: ٥٩٠ - ٥٩٤، زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٣: ٣٢٤، ٣٢٥ كحالة: معجم المؤلفين: ٥/ ١٤٩.

محمد رسول الله حقا، وتلاحظ في مركز تحقيق رسالته وعموم دعوته[1]، وأنك مقـــر ومعتـــرف فى ذلك جزما بالقلب من غير ترديد ولا تشكيك ثم تصمت وتـــسكن عن الحركة قدر إحدى وعشرين حركة وأطرق رأسك للأرض وليكن قلـــبك حاضرا مع المذكور، خاشعا، معتذرا عن التقصير فى جميع الأمور، وتلوم نفـــسك مـــراراً كي ينطلق منك الأسر وتراقب فى سرك وارد الذكر فإن أفناك وأغـــناك إلى الحشر لأن هذا وقته، ومن لم يأته فى وقته فمن علامات مقته. فإذا ورد عليك والحالة هذه فى لحظة واحدة يعمر وجودك ويحقق شهودك لمشهودك فيظهر لك من كل شيء أحسنه، فلحظة الوارد خير لك من مجاهدة ألف سنة ثم تمـــنع نفسك شرب الماء مقدار ساعة ونصف إن قدرت على ذلك وإن خفت علـــى نفسك من عدم الشرب أن يؤديك إلى المهالك فهو مباح لك أن تشرب حين ذلك لأن الذكر يورث شوقا وحرقة للمذكور والماء يطفئه، وإن أمكنك أن يكـــون الذكـــر بمحل مظلم إن لم يكن هناك من ينتقد وإلاّ فلا، وإن أمكن أن يكون المحل مطيبا بالروائح الطيبة. فيكون أحسن وذلك لأجل إخوانك الملائكة والجن المؤمنين، لأنهم لا بد لهم من الحضور فى مجالس الذكر، كما شاهدنا ذلك غـــير مـــرة بعين البصائر، لا بالعين البصيرة وسمعنا أصواتهم فى الذكر معنا سماعا صـــحيحا، ونطقـــا صريحًا ؛ كما روينا ذلك عن السادات طبق ماهو محرر فى كتـــبهم، ومـــتى لمعـــت لك البوارق، أو الشهب، أو الكواكب أو سمعت ذكر الملائكـــة أو الجن فلا تخف من ذلك لأن من يخاف ربه يخافه كل شيء. فلا يقـــدر على إذايتك أحد من جميع العالمين بل إنما أنت حبيبهم ولكنهم يعينونك علـــى ذكـــر الله، وعلى أعدائك ؛ النفس، والهوى، والشيطان، لأن الملائكة إذا حـــضروا مجلسا ذهبت منه الشياطين. وأما الجن المؤمنون المجتمعون عليك لأجل ذكـــر الله تعالى فحاشاهم من الأذى فالذي يأتِي لذكر الله بقصد غفران الذنوب، وحـــصول الـــتوبة، أو بقصد القربة وبقصد القيام بالعبودية فقط، فهل يقترف

---

(١) أي تلاحظ نفسك في بداية الدعوة وأنك واحد من الداعين إلى الله، الذين يغيرون لدينهم.

الكبائر ؟! أو يظن فيه ذلك ؟ فهم بمعتزل عن ذلك. ولكن ينبغي لك يا أخي إن لاح لك شيء مما ذكر أن لا تلتفت إليه ولا تلقى بالك لشيء ما لأن مرادك الله. وأما هؤلاء فلا حاجة لك فيهم بل يقطعونك إن مال قلبك إليهم، وإذا ملت عن الحضور بالله فتحجب عن الخالق بالمخلوق وعن الرازق بالمرزوق فلا يكن همك إلا مرضات الله تعالى، وأن تذكر الله بالله.

ومن علامات من يذكر الله بالله أن يحترق جوفه من نار الأشواق كما شاهدنا ذلك ذوقا وحالا، ولازم الإخلاص تشهد هذا المشهد فترتاح من ورطة التكليف بالإخلاص وترتقي إلى مقام الاستخلاص، لأن من ذكر الله بالله فلا يرى له ذكرا، ولا يرى له عملا يخلص فيه. فهل رأيت أحداً يرائي بأعمال غيره. وأما الذين يكلفهم الله بالإخلاص فهم الذين يشهدون لهم أعمالا فيلزمهم الإخلاص بها فجاهد نفسك يا أخي لكي ترتاح من ورطة الإخلاص بشهودك أن الأعمال الصالحة من الله تعالى وأنت آلة لها ونسبتها لك مجازا بمحض فضل الله سبحانه وتعالى لا حقيقة فمتى شهدت هذا المشهد ذوقاً لا اعتقاداً كما شهدنا فترتاح من الإخلاص كما ارتحنا. ومن ثم قيل: (العالمون كلهم هلكى إلا العاملين كلهم هلكى إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم) [1]. ثم اعلم أن حقيقة الإخلاص أن تخلص عبادتك لله تعالى.

وأدناه المعبر عنه بالإخلاص أن تخلص عبادتك من الشوائب كالرياء،

---

(١) (الناس كلهم موتى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم غرقى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم.) وبعضهم يرويه " هلكى " في الكل وبعضهم يرويه " موتى " في الكل. قال الصغاني وهذا حديث مفترى ملحون والصواب في الإعراب " العالمين " و " العاملين " و " المخلصين " انتهى..وأقول فيه إن السيوطي نقل في النكت عن أبي حيان أن الإبدال في الاستثناء الموجب لغة لبعض العرب وخرج عليها قوله تعالى ﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ انتهى. وعليه فـ " العالمون " وما بعده بدل مما قبله. انظر: العجلوني: كشف الخفاء:١٧٩٤/٢حديث رقم (٢٧٩٦). وانظر: الغزالي إحياء علوم الدين: وتخريجات الحافظ العراقي لهذا الحديث.

وملاحظة السوى، ولا تحب أن يطلع على عبادتك أحد سوى الله تعالى، ولا يضرك ملاحظة الثواب، وخوف العقاب مادمت في هذا المقام، ومتى نقلك الله منه إلى مقام الاستخلاص فحقيقة إخلاصك حيث ينيرك من حولك وقوتك في الأعمال الصالحة، ولا يليق في مقامك طلب الثواب، وخوف العقاب في مقابلة الأعمال الصالحة. لأنك قد اطلعت عليها، وعرفت أنها ليست لك. وإنما هي لله تعالى، ونسبتها لك مجازا بمحض فضل الله وكرمه عليك، إن وفقك لها وأبرزها على يديك، وإن لاحظت الثواب والعقاب فليكن من باب المنة والفضل، لا من باب المقابلة والعدل قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف /١١٠) فعلى هذا إياك ثم إياك أن تقيم في مقام الإخلاص، وتكلف نفسك فيه بل ارتح منه بالمجاهدة لهذه النفس الخبيثة حتى تشهد أن الأعمال أبرزتها يد القدرة الأزلية ويتضح لك بالذوق من قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الصافات/٩٦) أي: خلقكم وخلق أعمالكم[1] فيظهر لك النور الأزرق، وتذهب صفات نفسك الأمارة، وتصير

(١) مقام الإخلاص: قال الله عز وجل (ألا لله الدين الخالص) الإخلاص تصفية العمل من كل شوب وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمل من العمل والخلاص من طلب العوض على العمل والنزول عن الرضا بالعمل.والدرجة الثانية: الخجل من العمل مع بذل المجهود وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود.
والدرجة الثالثة: إخلاص العمل بالخلاص من العمل تدعه يسير مسير العلم وتسير أنت مشاهدا للحكم حرا من رق الرسم. ويقول ابن عربي: ولما علم الله ما أودعه في خلقه وما جعل في الثقلين من الحاجة إلى ما أودع الله في الموجودات وفي الناس بعضهم لبعض قال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً أي لا يشوبه فساد ولا يشرك بعبادة ربه أحداً أي لا يذل إلا لله لا لغيره وأمر أن نعبده مخلصين له الدين وقال ألا لله الدين الخالص وهو الدين المستخلص من أيدي ربوبية الأكوان فإذا لم ير شيئا سوى الله، وأنه الواضع أسباب المضار والمنافع لجأ إلى الله في دفع ما يضره ونيل ما ينفعه من غير تعيين سبب فهذا معنى الإخلاص ولا يصح وجود الإخلاص إلا من المخلَصين بفتح اللام فان الله إذا اعتنى بهم أستخلصهم من ربوبية الأسباب التي ذكرناها فإذا =

ترى منامات مرضيات كاجتماعها بالأولياء والصالحين وأهل الطاعات والعارفين فينقلك الأستاذ للاسم الثاني.

الفصل الثاني
في
اللوامة وما يختص بها

وتقدم ذكر صفاتها. فسيرُها: لله.

وعالمها: عالم البرزخ.

ومحلها: القلب.

وحالتها: المحبة.

وواردها: الطريقة.

ونورها: أشقر.

وسميت لوامة لكونها تارة تميل للطاعات، وتارة تميل للمعاصي، ومتى وقعت في معصية لامت نفسها، وندمت على فعلها، وتابت إلى الله تعالى بالإقلاع عنها، وتلازم الطاعة. ثم بعد حين تقع في معصية أخرى، ثم تتوب. وهلم جرا، فهذا مقام الأبرار.

والاسم المختص بتزكيتها: (الله).وكيفية الذكر به بتحقيق الهمزة وسكون الهاء وإن فتحت الهاء وتركت الهمزة فيصير ذكرك: (هلا) وهذا ليس بذكر، ولا ينتج منه شيء للذاكر إلا التعب فقط، لأن الله سبحانه وتعالى ليس له هذا الاسم ولا يدل عليه بل هو كون من الأكوان أرأيت إذا أردت أن تنادى زيدا مثلا

استخلصهم كانوا مخلصين بكسر اللام وإنما أضاف إليهم الإخلاص ابتلاء ليرى هل يحصل لهم امتنان بذلك على الحق أم لا وقد وجد في قوله تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ﴾ [الحجرات: ١٧] فان منوا بذلك وبخوا ونبهوا بقوله ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]. انظر الهروي: منازل السائرين: ١٦، وابن عربي: الفتوحات المكية: ٢/٢٢٠.

وقلت يا عمرو فهل يجيبك زيد أم لا ؟ فهذا لا يكون أصلا ولا يقبله عقل عاقل أبـــدا، وإنما إذا أردت أن تنادى زيدا فتناديه باسمه فتكون منه الإجابة ولو قصد الذاكر (هلا) ذات الله فلا يقبل منه.

ثم اعلـــم أنه لا بد للذاكر أن يقول الله الله حتى يضيق نفسه، ويتنفس، ثم يـــستأنف الذكر كما تقدم. وإن أمكنه التنفس على الفرد بمعنى يكون وقوفه فى كـــل مرة على الوتر على الشفع فيكون أحسن، وهكذا يكون ذكره دائما. ومن علامات قطع هذه النفس اللوامة وخرق حجبها أن تذهب عنك الصفات الذميمة ويظهر لك النور الأشقر والأصفر فتراه فى بعض الأوقات يلمع كالبرق وأنت فى حالة الذكر مغمض العينين وتسمع سائر الأشياء تذكر الله تعالى بهذا الاسم العظيم الأعظم، وتسمع الذكر من قلبك بأذني رأسك وتصير ترى مقامات تختص بعالم الأرواح والأسرار الإلهية فهذه علامات قطع هذه النفس وخرق حجبها، ولكن لا بـــد لك أولا من ذكر هذا الاسم الشريف باللسان جهرا حتى ينـــزل الذكر من اللـــسان للقلـــب[1]؛ فتراه مكتوبا بالنور فى سويداء القلب، وتترك ذكر اللسان،

---

(١) (ذكر القلب) يقول ابن عربي عن القلب وفعله: اعلـــم يا بنى- وفقنا الله وإياك - أن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمـــن إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه، فإن أزاغه كان بيتا للشيطان، ومحلا للخسران، وموضع نظر المطرود من رحمة الله، ومعدن وسواسه، وحضرة أمانيه، ومهبط مردته، وخزانة غروره.وإن أقامه فذلك قلب المؤمن التقي الورع ؛ الذي قال فيه: (وما وسعني أرضى ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) فقلب يسع القديم فكيف يحس بالمحدث موجودا، وفى هذا المقام تحقق شيخ الشيوخ أبو يزيد البسطامي (رضي الله عنه) حيث قال:لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف لما أحس به. فقلب العبد الخصوصى بيت الله، وموضع نظره، ومعدن علومه، وحضرة أسراره، ومهبط ملائكته، وخزانة أنواره، وكعبته المقصودة، وعرفاته المشهودة، رئيس الجسم ومليكه﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ مع السلامة من الآفات،وزوال الموانع، بصلاحه صلاح الجسد، وبفساده فساده. ليس لعضو ولا جارحه حركة، ولا ظهور، ولا كمون، ولا حكم، ولا تأثير إلا عن أمره. وهو محل القبض والبسط، والرجاء والخوف، والشكر والصبر.

-

وتذكــر بالقلب. ومتى ظهر لك العلامات المذكورة آنفاً فينقلك الأستاذ للاسم الثالث.

الفصــــل الثــالث
في
بيان النفس الملهمة

سمــيت بهــذا الاسم لأن الله سبحانه وتعالى ألهمها علــم ما يضرها وما ينفعها.

وصفاتها سبعة محمودة تقدم ذكرها عند ذكر مراتب النفوس السبعة.

وهي أشرف وألطف من اللوامة.

فسيرُها: على الله.

وهو محل الإيمان والتوحيد وهو محل التنــزيه والتجريد. وهو الموصوف بالسكر والصحو، والإثبات والمحو، والإسراء والنزول. هو ذو الجلال والجمال، والأنس والهيبة، والتجلي والمحق.هو صاحب الهمة والمكر، والحرية والوجود، وعين التحكيم والانزعاج، والعلة والاصطلام، والتداني والترقي، والتدلي والتلقي، والأدب والسر، والسنة، والوصل والفصل، والغيرة والحيرة.هو حامل المعاني، ومدبر المغاني. كما أنه صاحب الجهل والغفلة، والظن والشك، والكبر والكفر، والنفاق والرياء، والعجب والحسد، والشوب والهلع، ومحل الأوصاف المذمومة كلها. إذا لم ينظر الله إليه ولا أدناه منه،حرمه التوفيق والهداية، وخيبته في الأزل العناية. هو رسول الحق إلى الجسم، فإمّا صادق وإمّا دجّال، إمّا مُضِلّ وإمّا هاد.فإن كان كريما أكرم، وإن كان لئيما أُسلم. فإن كان رسول خير، وإمام هدى حرّك أجناده بالطاعة، وتوجهت سُفراؤه إلى أمرائه العشرة من عالم الغيب التي هي حضرته، وعالم الشهادة التي هي باديته يكتب الاستقامة على السنة والجماعة، لكل أمير بما يليق به من التكليف تقتضيه حقيقته. وهم عشرة:خمسة ملكوتية. وخمسة ملكية.فالأمراء الملكوتيون: يُسمّون أرواحا.والأمراء الملكيون: يُسمّون حواسا. كحاسة السمع، وحاسة البصر، وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس.والأمراء الروحانيون: كالروح الحيواني، والروح الخيالي، والروح الفكري، والروح العقلي، والروح القدسي. فإذا نفذ الأمر الإلهي إلى أحد هؤلاء الأمراء من القلب بادر إلى امتثال ما ورد عليه، على حسب حقيقته، وهؤلاء السفراء هم الخواطر المشهورة.

وواردها: المعرفة.

وعــــالمها: عالم الأرواح.

وحــــالها: العشق.

ونـــورها: أحمر.

والاسم:الذي يذكر به السالك المختص بتزكيتها " هو " وكيفية الذكر به أن يأخـــذ الهاء من تحت الثدي الأيمن بالنفس الصاعد ويجره إلى الكتف الأيسر ويخفـــض رأسه عند الأخذ إلى جهة اليمين، ويرفعه عند المد إلى جهة اليسرى بحـــيث يلتوي عنقه بقدر ما يمكنه ويحرك جميع أعضائه عند ذلك، ويمد الواو بقـــدر ألف واحد، أو ألفين، أو ثلاث ألفات. ويجتهد في ذكره حتى يغيب عن شـــعوره ويـــستغرق فى غيب الهوية الذاتية السارية فى الأكوان بلا سريان وهو يلاحظهـــا فى القلـــب حتى يغيب فيها عن حسه بحيث يرى الأول فى الآخر، والآخر في الأول، والظاهر في الباطن، والباطن في الظاهر، فيفنى عن نفسه الفناء الأول.

- وأما الفناء الثاني فيعتريه في المقام الخامس.

- والفناء الثالث يعتريه في المقام السابع، وهو عين البقاء وإلى ذلك أشار سيدي عمر بن الفارض[1] (قدس الله سره) بقوله:

---

(١) (ابن الفارض): هو (عُمر بن الفارض) هو: عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل، المصري، المعروف بابن الفارض، شرف الدين، أبو حفص، سلطان العاشقين، الشاعر الصوفي الشهير صاحب التائية الكبرى والشعر الراقي الرائق الجميل.ولد (رضي الله عنه) بالقاهرة في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦هـــ ونشأ بها واشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري، وغيره. ثم حبب إليه طريق السادة الصوفية، فمضى في الطريق حتى بلغ فيه ما بلغ. شهد له بذلك الكثيرون من علمائه وأولياء الله تعالى، وشهد له نموذجه الفريد لهذه الأشعار العذبة الممتلئة، بل والمكتنزة بالمعاني، المشعة بالأنوار، فضلا عن كراماته الشهيرة التي نقلها أهل زمانه. ترك ديواناً من الشعر الرائق وتوفي، رحمه الله، بالقاهرة سنة ٦٣٢ هـــ ودفن بالقرافة.

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * وكان فناؤه عين البقاء

يعنى الفناء الثالث هو عين البقاء. فمن حاز هذه المقامات الثلاثة كان من الفائزين الحائزين الواصلين، وإلى هذا أشار بعضهم بقوله: (من شهد الخلق لا فعل لهم، فقد فاز. ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل).

ثم اعلم يا أخي وفقني الله وإياك إلى شأنه ومنحنا شهود ذاته أن هذا المقام الثالث الذى نحن بصدده. أعني مقام النفس الملهمة، هو مزلة أقدام السالكين فلا بد لهم من مرشد يرشدهم إلى التجليات الإلهية لأن للنفس والروح تجليات فيشكل على السالك التمييز بين التجليات فقد يعتقد أن تجلى النفس والروح هو تجلى الله سبحانه وتعالى فيضل عن الصراط المستقيم، كما وقع لي في ابتداء حالي في هذا المقام. كنت أرى نورا كالقمر فى وجهي تجاه جبهتي إن فتحت عيني أو غمضتها أراه ولا يفارقني فظننت أنه من تجلى الله على وما أعرب لي عن ذلك وعرفني حقيقة التجلي الرباني من التجلي النفساني من التجلي الشيطاني إلا أستاذي (قدس الله سره) وأعاد علينا وعلى المسلمين بره، لأن روحانيته كانت لا تفارقني فجزاه الله عنى أفضل الجزاء، ومن لم يكن له مرشد في هذه المرتبة فليترك الذكر بهذا الاسم ويشتغل بالاسم الثاني أو الأول حتى يجد المرشد خوفا إن يزل قدمه فيكون من الهالكين نسأل الله تعالى العافية.

ثم اعلم أن الفناء الأول[1] قد وقع فيه خلاف عند السادات (قدس الله

=

انظر: كحالة: معجم المؤلفين: ٧ / ٣٠١.

ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١ / ٤٨٣.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٦ / ٢٨٨.

د/ محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي.

يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء: ٢ / ٢١٨.

(١) الفناء: هو الزوال والاضمحلال، كما أن البقاء ضده . والطائفة يجعلون الفناء على مراتب وهي كثيرة. وعند الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه): افن عن الخلق بإذن الله تعالى، وعن هواك بأمر الله تعالى، وعن إرادتك بفعل الله تعالى، وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى .ولكل مرحلة من هذه علامة تميزها..ثم إن الفناء

=

أســـرارهم) وأعلى منارهم ففريق منهم يعبرون عنه بالذهول الذى يعترى الذاكر بهـــذا الاسم في هذه المرتبة والفريق الأخر يعبرون عنه بفناء الصفات المذمومة، والـــذي شـــاهدته في نفسي ذوقا حين كنت فى هذه المرتبة الحالتين معا ولا بد للـــسالك الصادق المجاهد جهادًا كليّاً أن يذوقهما معا، وينبغي للسالك أن يسلم أمـــره للمرشد ولا يزن أعماله فى هذه المرتبة بميزان الشريعة لأن المرشد فى هذه المـــرتبة علـــى قدم الخضر (عليه السلام) فتحرم مخالفته، وفى هذا المقام يتعاقب القبض والبسط على السالك. فبالقبض يكاد أن ينشق صدره، وبالبسط يكاد أن يطـــير لله جسده. فبالقبض تفنى بشريته وبالبسط تزداد روحانيته فعلى الحالتين تحـــصل لـــه الفائدة، وفى هذا المقام يدخل فى الولاية الصغرى التي هي الولاية الخاصـــة. وعند دخول هذا المقام يظهر له النور الأحمر بالتجلي له، وذلك النور من النفس الملهمة بل من حقيقتها فحينئذ يلقنه الأستاذ الاسم الرابع.

الفصـــل الرابـــع
في
النفس المطمئنة وأحوالها

وتقدمت صفاتُها وهى ألطف وأشرف من الملهمة.

فسيرُها: مع الله.

وعـــالَمُها: عالم الحقيقة المحمدية.

ومحلُّـــها: السر.

وحـــالُها:الوصلة.

ووارِدها: الحقيقة.

له مراتب متعددة.

انظرها في: القاشاني: معجم المصطلحات الصوفية: ٢ / ٢١٧. كما أن البقاء في اللغة ضد الفناء. وله معان.) وعند السادة الصوفية: يطلق ويراد به: رؤية العبد قيام الله في كل شيء. فالبقاء أحد المقامات العشرة التي يشتمل عليها قسم النهايات لأهل السلوك في منازل السير إلى الله تعالى.

ونـــورُها: أبيض.

وا سمُها المختص بتزكيتها: حق.

وكيفية الذكر به أن يأخذه من السر تحت الثدي الأيسر ويجره إلى فمه، ويخفض رأسه إلى جهة السر عند الأخذ ويرفعه إلى الجبهة التي فوق عند الإخراج ويلاحظ معناه أنه واجب الوجود ظاهر فى كل موجود على معنى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (القصص/٨٨) فإن داوم على ذكره بهذه الكيفية ينشرح صدره للإسلام فتطمئن نفسه وروحه بذلك، ويتجلى عليه الله سبحانه وتعالى باسمه الحق، ويسرى ذلك التجلي فى ظاهره وباطنه، وينادى له الحق من سره: (أنا الحق) لكمال اتصاله إلى الحق سبحانه وتعالى فعند ذلك تضمحل عنه الأحكام الإمكانية، وتظهر له الآثار الحقانية، وفى هذه الحالة يحتاج إلى المرشد كمال الاحتياج ليدله على معرفة الفرق بين الوجود الحقاني والوجود الامكانى، ويخرجه من بحر الحيرة إلى ساحل الهداية، ومن مقام التلوين إلى مقام التمكين[1]، لأن هذا المقام مذلة أقدام العارفين وقلما يخلص فيه العارف عن الدعاوي والشطحات كما وقع للمنصور[2] في قوله: " أنا الحق " فلو كان له مرشد لأخرجه من هذا المقام وعقباته العظام، ومن لم يكن له مرشد وتكلم بما يخالف ظاهر الشريعة فهو معذور، عند أهل الحقيقة لعلمهم أنه لا يتكلم على لسانه بل يتكلم على لسان الحق فكلامه مُؤَوَّل بتأويل مطابق لظاهر الشريعة حرفا بحرف كما حكي عن أبي يزيد البسطامي[3] (قدس الله سره) حين قال: " سبحاني ما أعظم شأني "

(١) تقدم أول الكتاب التعريف بمقامي التلوين والتمكين فانظر هما.

(٢) ربما قصد الحسين بن منصور الحلاج، ولا ندري هل منعه من ذكر الاسم شيء.

(٣) (أبو يزيد البسطامي): طيفور بن عيسى بن سرو شان، كان جده مجوسيا فأسلم، وهم ثلاثة أخوة: آدم، و طيفور، وعليٌّ، وكلهم زهّاد، عُبّاد، أرباب أحوال، وهو من أهل بسطام، مات، ﷺ سنة ٢٦١هـ.كان يقول: (من أدّعى الجمع بابتلاء الحق، يحتاج أن يُلزم نفسه علل العبودية).

وسئل أبو يزيد: بما نالوا المعرفة؟ قال: بتضييع مالهم والوقوف مع ماله.

فسئل عن ذلك فقال في الجواب: حق ذكر نفسه على لسان عبده.

وحكى عن المنصور الحلاج[1] لما قتل كل قطرة دم وقعت منه على الأرض كتبت على الأرض " أنا الحق " ولولا أن سلم نفسه للقتل باختياره ؛ بل كان يحثهم على قتله، ويقول: ما من شيء أهم للمسلمين من قتلى. لما كان أثر فيه شيء لأن الحال يحمى صاحبه كما وقع لسيدنا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) فى نار نمرود فإن حاله حماه منها بل أذهب النار بالكلية، وقلب صفتها من الإحراق إلى الإغراق، بعد ما كانت نارا تحرق فصارت ماء تغرق ولولا أن الله تعالى قال لها ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأنبياء٦٩) لتأذى (عليه الصلاة والسلام) من شدة بردها فقد كانت للناظرين نارا، وهى في الحقيقة نور. وكانوا يظنون أنه فى أشد العذاب والعقاب الأليم وهو يتنعم فى النعيم المقيم ويتلذذ فى مسامرة الكريم وكذلك المنصور من الوارثين لهذا المقام فكانوا يظنون أن فى القتل والصلب يقاسى أشد العذاب، وهو في النعيم وأعذب شراب ولو أراد أن يدفع أذاهم عنه لردهم عنه خائبين وما أثر فيه شيء وسلم نفسه منهم ومن جميع العالمين ولكن خيَّره مولاه بين لقائه وبقائه فاختار لقاء مولاه وأحب أن يُقتل في حبه قتلة حسية بعد قتلته المعنوية فينال الشهادتين ويحصل على المقامين، ومن حكم بقتله من سادتنا أهل الشريعة فهو مثاب على ذلك صيانة للشريعة الغرّاء الواضحة البيضاء، فهم مقيدون بحفظ الحدود وأخذ

=

انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء ٣٣/١٠، الشعراني: الطبقات: ٨٩/١، الإمام القشيري: الرسالة ص١٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٠١/١، السلمي: طبقات الصوفية ٦٧، ابن كثير: البداية والنهاية: ٣٥/١١، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٤٣، المناوي: الكواكب الدرية ٤٤٢/١.

(١) هو الحسين بن منصور، الملقب بالحلاج. وهو أحد ألقابه الكثيرة ولكنه أشهرها. ولد سنة ٢٤٤هـ وقتل ببغداد سنة ٣٠٩هـ عن خمسة وستين عاما. صحب عمرو بن عثمان المكي، والإمام الجنيد وغيرهما.ترك عددا من المؤلفات تصل إلى خمسين مؤلفا.
انظر: كتاب(أخبار الحلاج) بتحقيقنا، وانظر أيضا بتحقيقنا(قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد) المكتبة الأزهرية للتراث.

عليهم مولاهم بذلك المواثيق والعهود. وكل من تخلق بما تخلق به الحلاج يجب عليهم قتله إن لم يتحققوا بسكره وغيبوبته عن شعوره. وأما إن تحققوا بسكره وغيبته عن شعوره فحرام عليهم قتله بالإجماع ويقتل به الجم الغفير لإجماع العلماء أن من اعتقد فى خل أنه خمر فشربه لا يأثم وإن سكر لا تجرى عليه الأحكام الشرعية فى حال سكره فكيف بمن سكر فى حب الله، وفى شهود الله، وعقله في قبضة الله تعالى، وهو مأخوذ عنه، ومستهلك في الحضرة الأحدية فمن باب أولى. لأن ميزان الشرع على العقلاء وما هو على المجانين. إذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب، فهذه كلمة جامعة، وبروقها لامعة، وسحبها هامعة، وثمارها يانعة، وللشرور مانعة، ولحجة الغير قاطعة، فهي من لباب العلم ومن جوامع الكلم. فأمعن النظر فيها لعلك تفهم ما انطوى فيها فتبدو لك خوافيها، وتنظم من قوافيها. فلنلوى عنان البيان عن مجال التبيان ونرجع لما نحن بصدده فنقول:

إن السكران في حب الله تعالى، الغائب عمن سوى الله، ساقطة عنه التكاليف الشرعية بالإجماع، ومتى رجع من السكر إلى الصحو تجرى عليه سائر الأحكام الشرعية، ولكن لا يرجع السالك عن دعواه فى هذه المرتبة، ولو رجع للصحو ما لم يرجعه شيخه عنها ويبلغه إلى مقام الصحو والانتباه لأن السالك فى هذا المقام من العارفين القاصرين عن رتبة التعبير فليسوا كالكاملين. لأن المعرفة دون الكمال، فالعارف إذا لم يصل إلى مقام تلوين التمكين، ويرتقى عن مقام تلوين التلوين لا يقدر على تعبير ما يقول مطابقا للشريعة. وأما المتمكن في مقام تلوين التمكين يعبر عن جميع ما يقول بعبارة صريحة موافقة للمعقول والمنقول، ومن ثم قيل: العارف ما عنده شيء تالف. يعنى العارف المتمكن ولقد غرقت فى لجة هذا المقام وقاربت أن أذوق فيه كئوس الحمام ولكن تداركت فى يد العناية الأزلية وجفتني الألطاف الخفية بل وفى الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم شيخي وقرة عيني الشيخ محمود الكردي (قدس الله أسراره) وأعلى فى الخافقين مناره لقد فك عقالي من هذا المقام وانقذنى من لجتّه وأهواله العظام، وبلغني غاية المراسم. فجزاه الله عنى كل خير عميم وأسكنه أعلى المقامات فى جنان النعيم ثم إذا رجع المريد للإحساس وجمع بين الحق والخلق من غير التباس فى كل طرفة ولمحة ونفس من الأنفاس ولا يشغله الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق، ويراهما معا

بالضرورة. فجاز للشيخ أن يعطيه الخلافة ويأذن له فى الإرشاد وتسمى هذه الخلافة الصغرى.

وأمًّا الخلافة الكبرى لا تعطى للسالك فى هذا المقام ولكن فى المقام السابع بعـــد إتمامـــه، لأن صاحب هذا المقام ما فى طاقته وقدرته أن يدعو الناس إلى الحقيقة، وإنما يدعوهم لظاهر الشريعة والطريقة ولا بد للسالك أن يحذر فى هذا المقام حب الرياسة، والشهرة، والكرامة، ولا يرضى بشيء من ذلك إلا إذا أراد الله له ذلك على سبيل الحتم، وعلى سبيل العرض لأن هذا كله من أعظم القواطع عـــن الله ومـــن أكـــبر الموانع الحاجبة عن شهود الله. ولا بد أن يكون السالك كالتراب تحت جريان الأقدار ساكنا تحت قهر المشيئة تاركا للاختيار وأن يحفظ الآداب مع الله فى كل حال من الأحوال من الأخذ والعطاء والقال والأعمال لأن الـــسالك فى هذا المقام يؤخذ بأدنى شيء من إساءة الأدب[1]. فمن أساء الأدب

---

(١) اعلم أيدك الله أن الله تعالى يقول: "وهو معكم أينما كنتم" فالأديب: إمَّعة لما عنده من السعة فهو مع كل مقام بحسب ذلك المقام، ومع كل حال بحسب ذلك الحال ومع كل خلق ومع كل غرض فالأديب: هو الجامع لمكارم الأخلاق والعليم بسفسافها لا يتصف بها بل هو جامع لمراتب العلوم محمودها ومذمومها لأنه ما من شيء إلا والعلم به عند كل عاقل فالأدب جماع الخير وهو ينقسم إلى أربعة أقسام في اصطلاح أهل الله:

القسم الأول: أدب الشريعة، وهو الأدب الإلهي الذي يتولى الله تعليمه بالوحي والإلهام به أدب نبيه صلى الله عليه وسلم فهم المؤدَّبون المؤدِّبون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله أدبني فأحسن أدبي).

والقسم الثاني: أدب الخدمة، وهو ما أصلحت عليه الملوك في خدمة خدمها وملك أهل الله هو الله فقد شرع لنا كيفية الأدب في خدمته وهو معاملتنا إياه فيما يختص به دون معاملة خلقه فهو خصوص في أدب الشريعة لان حكم الشريعة يتعلق بما هو حق لله وبما هو حق للخلق.

والقسم الثالث أدب الحق وهو الأدب مع الحق في أتباعه عند من يظهر عنده ويحكم به فترجع إليه وتقبله ولا ترده ولا تحملك الأنفة إن كنت ذا كبر في السن أو المرتبة وظهر الحق عند من هو أصغر منك سناً أو قدراً أو ظهر الحق عند معتوه تأدبت معه وأخذته عنه واعترفت بفضله عليك فيه هذا هو الاتصاف وما رأيت من تحقق بهذا =

تسارع إليه العطب لكونه من المقربين، ومن فريق العارفين، ومتى حصل له هذا الكمـــال، وتقـــرر في مقـــام الوصال، وظهر له النور الأبيض، وهو نور النفس المطمئنة، وتحقق بالحقيقة وتقرر فى مقام الوصلة يلقنه الأستاذ الاسم الخامس.

الفصل الخامس

فى

النفس الراضية وأحكامها وأحوالها

وتقدمت صفاتها.

فسيرُها: في الله.

خلقاً في عمري الا سيد واحد يقال له أبو عبد الله ابن جبير لقيته بمدينة سبتة وقصر كتامه وهو جزء من آداب الشريعة فان أدب الشريعة هو الأم لباقي الأقسام.
والقسم الرابع: أدب الحقيقة وهو ترك الأدب بفنائك وردك ذلك كله إلى الله وسيأتي في الباب الذي يلي هذا الباب وهو في المقامات كالوهب في أصناف العطاء وهو أن يعطي لينعم لا لسبب آخر وكذا المأدبة الاجتماع على طعام ماله سبب إلا الدعوة إليه خاصة.لا لسبب بل لكون جامع ذلك له نفس فاضلة خيرة بالذات فذلك هو الأديب وللأدب حال ومقام وهذا باب معرفة مقامه فمقامه هو ما يثبت له دائماً وليس ذلك إلا الأدب مع الحق فإنه له الدوام في الدنيا والآخرة، وما فاز به الا أهل الفتوة من الملامية لا غير. سلكوا فيه كل مسلك واستخرجوا كنوزه، وحصلوا فوائده كما قال الله تعالى انه (ما خلق السموات) وهو كل عالم علوي (والأرض) وهو كل عالم سفلي (السماء) من عالم الصلاح (والأرض) من عالم الفساد ومنه اشتقت اسم الأرضة لما تفسده في الثياب والورق والخشب ويسمى أيضاً السوس والعث وما بينهما (الا بالحق) من العالم فهذا الحق المخلوق به هذا العالم هو الذي تتأدب معه فانه سبب وجود أعيان العالم وبه يحكم الله يوم القيامة بين عباده وفي عباده وبه انزل الشرائع فقال لرسوله داود "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى" وان كان مخلوقاً بالحق فانه مما بين السماء والأرض أو هو عين الأرض فمقام الأدب العمل بالحق والوقوف عند الحق وإياك أن تتوهم من هذا القول إن الصدق هو الحق من حيث انك تقول قال حقاً إذا صدق في قوله وقال صدقاً بل الحق حاكم على الصدق وعلى الكذب بالحسن والقبح فالحق في موطن يحمد الصدق وفي موطن يذمه وينهي عنه ويثني على الكذب الذي هو ضده. انظر: ابن عربي: الفتوحات المكية: ٢/ ٢٨٤ الباب ١٦٨.

وعـــالمُها: عالم اللاهوت.

ومحـــلُّها: سر السر، وهو الفؤاد.

وحـــالُها: الفناء.وليس لها وارد.

ونـــورُها: أخضر.

واسمها المختص بتزكيتها: " حي "، وكيفية الذكر به أن يأخذه من الجانب الأيمن من فوق الثدى الأيمن ويمده إلى لسانه وعند أخذه يخفض رأسه إلى صدره فى الجهة اليمنى وعند إخراجه يرفعه إلى الجهة الفوقية ويلاحظ معناه بأنه واجب الوجود المتصف بالحياة القديمة الأزلية الموجبة لجميع الكمالات الإلهية ويداوم على ذكره بهذه الكيفية حتى يفنى عن حياته الحادثة، ويبقى بالحياة الباقية، فحينئذ يرى أن جميع الأشياء ذات حياة حية بحياة الله القديمة الأزلية سارية فيها بلا سريان فيذوق معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ فيسمع الأشياء تذكر الله بلسان القال ذكرا صريحا من غير إشكال فهذا مقام ما هو لأهل الحجاب بل لمن كشفت الحجب عن عين قلبه، وولج من داخل الباب، ورروقت له كؤوس المدام وارتوى من صرف الشراب واتصف بالفناء عن الفناء ورأى الوجود كالسراب. ففي هذا المقام ينكشف للسالك ملكوت كل شيء فيرث الآيات الدالة على الله تعالى هي عين الوجود الخفي ويضمحل هناك الوجود الخلقي ويسمع تسبيحات الملأ الأعلى ويفقه تسبيحات الأشياء ويرى الملائكة يدخلون من باب عالم الملكوت ويخرجون من باب عالم الشهادة ولقد صفا لى الوقت لحظة وذلك فى جوار سيدي الشيخ على التلمساني (قدس الله سره) فى الخلوة المعلومة لمولانا الشيخ حسن الطباخ المعدة للأذكار لساداتنا خلوتية دمشق الشام (قدس الله أسرارهم) فتجلى الله سبحانه وتعالى باسمه الحى فسمعت قراءة البردة من حيطان تلك الخلوة المنورة بلسان فصيح وقراءة مرتلة بإذني رأسي وما ذلك إلا من بركة من نحن فى رحابهم وتحت أنظارهم فإياك أن تنكر ذلك فتقول هذا شيء مستغرب الوقوع فتكذب صريح الآيات القرآنية وإن قلت: ذهب الزمان وما بقى أحد من أهل هذا الشأن فنقول لك: ماذا تقول فى

حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة**)[١] فمن جد وجد ومن لازم الباب لا يرد وإن أردت أن تكون من أهل هذا المشهد وتسمع نطق الأكوان بذكر الواحد الأحد فاخرج من الدنيا ولا تجنح إلى حد سوي من خلق الخلق وتنـــزّه عن النظير، والمثيل، والصاحبة، والولد. فتذوق حينئذ ما ذقنا وتجد فى السير كي تلحقنا وإن لم تقدر على إطلاق وثاقك من أسر النفس الأمارة فالعب الكرة والصولجان مع الصبيان فى الحارة وسلم لأهل الأذواق أذواقهم فيكون لك مالهم وعليك ما عليهم فتحشر يوم القيامة فى نصرتهم تحت ألويتهم ولواء سيد المرسلين والأولين والآخرين لأن (**المرء مع من أحب**)[٢]: (**المرء على دين خليل فلينظر أحدكم من يخالل**)[٣] وأما المعترض

---

(١) حديث: (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة). قال في المقاصد قال شيخنا لا أعرفه ولكن معناه صحيح يعني في حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة)وقال ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية لم يرد بهذا اللفظ وإنما يدل على معناه الخبر المشهور: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم وفي لفظ من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفسر ذلك الأمر بريح لينة يرسلها الله لقبض أرواح المؤمنين ثم لا يبقى على وجه الأرض إلا شرار أهلها فتقوم الساعة عليهم كما في حديث لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله انتهى. انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ٢٤٧/٢ الحديث رقم (١٢٦٧).

(٢) حديث: (المرء مع من أحب) وعن عبد الله – يعني ابن مسعود – قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ كبير فقال: يا محمد متى الساعة ؟ قال: " ما أعددت لها؟ ". فقال: لا والذي بعثك بالحق ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله قال: " فأنت مع من أحببت ". قال: فوثب الشيخ فبال في المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " دعوه فعسى أن يكون من أهل الجنة ". وصب على بوله ماء. قلت: له في الصحيح منه: " المرء مع من أحب " .
رواه البزار وفيه سمعان المالكي وهو مجهول وقد ضعفه أبو زرعة وبقية رجاله رجال الصحيح.
انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد: ٤٩٨/١٠ الحديث رقم (١٨٠٢٢).

(٣) (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) ورد في الأصل المخطوط بكلمة " يحشر ".
رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي عن أبي هريرة رفعه وتساهل ابن

فمطرود عن حضراتهم وحضرات رب العالمين ويخشى عليه أن يكتب في ديوان إبليس اللعين وقيل فى ذلك مواليا:

لا تعترض واعتقد تكتب من الأحباب كلـيلة القدر أخفاها عن الطلاب
ولا تكـن منكـراً يغلق عليك الباب الأوليا في الورى أخفاهم الوهاب

اللهم اجعلنا من المحبين فيهم المحبوبين لديهم ممن يصدق بأقوالهم ويسلم لهم سـائر أفعـالهم ولا تجعلنا من المنكرين عليهم المحرومين مما لديهم واجعلنا ممن استدام على خدمتهم ودام على صحبتهم اللهم أمين.

ثم اعلـم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته أن السالك فى هذا المقام لا يحـتاج إلى مرشدين فيه عن هذا المقام لأنه إذا طمع فى الترقى ترقية همته بعناية من الله سبحانه وتعالى ومع ذلك لا يقدر السالك على الإرشاد لعدم رسوخه فى مقـام الـبقاء بالله لأن البقاء بالله يعطى له في المقام السابع ومن خصوصيات الـسالك أنه متى دخل فى هذا المقام أحبه جميع الأنام من صالح وطالح ويكرمه جميع الملك فلا يلتفت لشيء أصلا لأن الالتفات فى هذا المقام إعراض عن الحق، ومتى تجلى له الحي باسمه الحي بصفة الحياة القديمة وفني عن الحياة الحادثة فظهر به النور الأخضر، يلقنه الشيخ الاسم السادس.

الفصل السادس
في
النفس المرضية وأحوالها وأحكامها

وتقدم ذكر صفاتها.

فسيرها: عن الله.

الجوزي فأورده في الموضوعات ومن ثم خطأه الزركشي وتبعه في الدرر، وقال الحافظ في اللآلئ والقول ما قال الترمذي يعني أن الحديث حسن. ورواه العسكري عن أنس رفعه بلفظ المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى الك من الخير أو من الحق مثل الذي ترى له. ورواه ابن عدي في كامله بسند ضعيف. وأورده جماعة منهم البيهقي في شعبه بلفظ من يخال بلام مشددة .

انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ٢/١٢٧٨ الحديث رقم (٢٢٨١).

وعالمها: عالم الشهادة.

ومحلها: الخفي ؛ في الجانب الأيمن من الصدر.

وحالها: البقاء.

وواردُها: الشريعة.

ونورها: أسود لانطماسها بأنوار التجلي.

واسمهـــا: القيوم، وكيفية الذكر به أن يأخذه الذاكر من الخفي، في الجانب الأيمن من الصدر، ويجره إلى لسانه مع رعاية مخارج حروفه، ويخفض رأسه إلى الجهة اليمنى عند الأخذ، ويرفعه إلى جهة الفوق عند الإخراج، ويلاحظ معناه أنه ذات الواجب الوجود التي لها قيومية السموات والأرض وما بينهما، ويداوم على ذكره بهذه الكيفية حتى يتجلى له بصفته القيومية فيشاهد بعد ذلك قيومية الله عز وجل فى كل محسوس ومعقول ويرى العوالم كلها قائمة بقيوميته سبحانه وتعالى، وبـــذلك التجلـــي يحـــصل له فناء الوجود فى الوجود ويقال عند الصوفية: فناء الـــشهود فى الـــشهود، وإيـــصال الوجود بالوجود.ويقال له أيضا: فناء الفناء، فيحـــصل للسالك من ذلك التجلي وجود يحيط بجميع الوجود ويكشف له سر قوله تعالى فى الحديث القدسي: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)[1] الحديث فلو رمى نفسه من العالم يتضرر لأن ذلك الوجود يصونه ويعطيه

(١) حديث: (كنت سمعه الذي يسمع به) وأذكر هنا رواية الإمام البخاري وفيها: الحديث (رقم ٦٠٢١) قال: حدثني محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته. وهذه الرواية بهذه الكيفية انفرد بها البخاري، ولكن للحديث طرق أخرى وصيغ أخرى.

وانظر في ذلك: مسند الإمام أحمد الحديث رقم (٩٢٤٤)، (١٠٣٦٤)، (٢٤٩٩٧).

الله قـــدرة على جميع الأضداد ويتشكل بأشكال متعددة ويرى المحمل فى المفصل والمفصل في المحمل، ويدعو الخلق إلى الشريعة والطريقة، ولا يدعوهم إلى الحقيقة إلا إن أذن لـــه الحق عز وجل. ولا يحتاج السالك إلى المرشد في هذا المقام فى كشف الأسرار، وإنما المرشد معه كالرفيق الشفيق لا يُفارقه أبدا.

والسالكون في هذا المقام على قسمين:

۞ قـــسم لا يـــؤذن لهم بالرجوع للخلق وإرشادهم بل يسترهم الله عز وجل فى قباب حضرته ويختصهم لخدمته فلا يزالون فى المشاهدة إلى حين يلقوا الله بها.

۞ وقـــسم يؤذن لهم بالرجوع للخلق لأجل إرشادهم إلى معرفة الحق. وهذا القسم أرقى لأن نفعهم متعد، بخلاف القسم الأول ؛ فإن نفعهم قاصر على أنفسهم. ويلزمهم التستر عن الخلق والفرار منهم، والقسم الثاني بالعكس، ومتى دخـــل السالك فى هذا المقام يبشر بالخلافة. وعند إتمامه يخلع عليه خلعها فإذا ظهـــر له ذلك وتمت له التجليات القيومية وظهر له نورها الأسود يلقنه الأستاذ الاسم السابع.

الفصل السابع
في
النفس الكاملة
وأخذ الخلافة، ولبس التاج والخرقة

وهـــى أشرف دوائر النفوس، وقد تقدمت صفاتها، ولها في كمال اللطافة والنورانـــية، فهي لطيفة ربانية، ومظهر أخلاق الله، ومنبع أسراره، وهى عارفة مالها وما عليها من آداب العبودية ومخالفاتها، ولها الفناء والبقاء والشهود والدوام، ولها الترقي، والتدلي، وشهود الوحدة في الكثرة والكثرة فى الوحدة.

وســـيرها: بالله.

وعـــالمها: الكثرة مع الوحدة.

وواردهـــا: جمع الجمع.

وحـــالهـــا: البقاء.

ومحـــلها: الأخفى.

ولا نور لها لانطماس نورها بنور الله عز وجل.

واسمهـــا: قهار. وكيفية الذكر به أن يأخذه الذاكر من الأخفى من وسط الصدر، ويجره إلى لسانه مع مراعاة مخارج حروفه ويخفض رأسه إلى صدره عند الأخذ، ويرفعه عند إخراجه إلى جهة الفوق، ويلاحظ معناه بأنه واجب الوجود المتصف بكل موجود. فإن داوم الذاكر على ذكره بهذه الكيفية يتجلى له القهار بصفة القهر فيحترق بأنوار ذلك التجلي ما فيه من بقايا الحجب الكونية والآثار البـــشرية، حـــتى يتمكن في مقام البقاء بالله ويرى تلك الأنوار فى باطنه وظاهرة فتكون حينئذ نفسه روحا نورانياً صافيا خالصا لله عز وجل، ولو أراد بعد ذلك أن يقيدها بجلابيب البدن فلا يمكنه، وتكون تجليات الحق سبحانه وتعالى متوالية علـــيه، ويتصرف بعد ذلك بجميع الأسماء الحسنى، ويتصرف في الولاية الكبرى، ويـــؤذن بـــالأذن المطلـــق لتربية الخلق على العموم، ويكون صاحب الشريعة والطـــريقة، والحقـــيقة علـــى الاستقبال ويكون مظهر الحقيقة المحمدية والخلافة الـــربانية. فيأذن له الأستاذ الإذن المطلق وينصبه خليفة لتربية الناس وردهم إلى الحقيقة وإيصالهم إلى الله عز وجل على الكشف والعيان، من غير فكر، ولا دليل، وبـــرهان. ويعطـــيه الـــتاج المعنوي، والخرقة المعنوية، ويجلسه على السجادة للإرشاد.

ثم اعلـــم أن التاج والخرقة على قسمين: " **صوري ومعنوي** ".

أمـــا **التاج المعنوي**: هو الانقياد التام لأحكام الله والاستسلام لطاعته من غـــير مـــنازعة النفس وأما **الخرقة المعنوية**: فالتخلق بأخلاق الله مع المظهرية بتجليات الله تعالى.

وأمـــا الـــتاج الـــصوري: فهو الذي اختاره المرشدون مما يلبسونه على رؤوسهم من القلنسوة المخصوصة المشكلة بأشكال مختلفة على حسب اصطلاح أهل الطريق والحقائق.

وأما الخرقة الصورية: هي لباس الفقر الذى يلبسه الصوفية فهو ممن ألبسه الله عـــز وجـــل، وهـــى ذات القطع، وإنما يلبسها الصوفية لدلالتها على التاج المعنوي والخرقة المعنوية فكان لباسهما سُنَّة عند المشايخ لأن عندهم رواية: أن جبريل (عليه السلام) أتى بتيجان وخلع من ألبسة الجنة إلى رسول الله (صلى الله علـــيه وسلم) فألبسها للخلفاء الراشدين ثم ألبسها الخلفاء لمن استخلف منهم، ثم تسلـــسل ذلـــك عن المشايخ. وكانوا يلبسونها للذين يستحقون الخلافة ويجوز لبسهما لمن أراد أن يتشبه بالصوفية للمحبة لهم للإرشاد فيحرم لبسهما، ثم لا بد لمن يلبس التاج والخرقة أن يعظمهما ويراعى حرمتها وأن يترك الدنيا بعد لبسهما لأنهمـــا لـــباس الفقير لا لباس الغنى، وأن لا يرتكب المعصية حال لبسهما، وأن يتـــرك الأخـــلاق الذمـــيمة، ويتصف بالأخلاق الحميدة، وأن يشتغل بالرياضة والمجاهدة، وأن يلبسهما بالطهارة الكاملة بعد البسملة لأنهما لباس الصلحاء، وأن لا يدخل بهما بيت الخلاء وأن لا يجلس بهما في مجالس الفسق وموضع القذر.

وكيفية ألبساهما الشيخ للمريد أن يضعهما بين يديه وهو مستقبل القبلة، ثم يقرأ الفاتحة الشريفة، ويدعو للمريد. والمريد واقف على رجليه مكشوف الرأس ثم يجلس بين يدي الشيخ ويمد رأسه على الأرض ويكبر الشيخ ثلاث تكبيرات ويلبس التاج على رأسه.

وأمـــا إلباس الخرقة فينـــزع ما عليه من اللباس ثم يلبسه له من غير تكبير ولا يمـــد رأســـه على الأرض، ويستحب للشيخ عند ذلك أن يذكر نسبة التاج والخـــرقة عـــن الشيخ الفلاني وهو لبسها عن الشيخ الفلاني، وهكذا إلى سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم يقرأ الفاتحة لأرواحهم ولإخوانه والمسلمين.

دســـائس النفس ۞

اعلـــم يا أخي -وفقني الله وإياك لمرضاته - أن للنفس دسائس وحيلا في العبادات كثيرة سنذكر البعض منها مما حذرت منها الأشياخ فلا بد لك من معرفتها حتى تخلص عبادتك من الفساد، وتكون صالحة عن القول، ومرفوعة إلى الله بحسن القبول لأن الملائكة لا ترفع أعمال العباد إلا إذا كانت صالحة عن الفساد لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر/١٠) فإذا كان الأمر كذلك، فلا بد للعابد أن يزكي عبادته عن تلويث النفس، وإفسادها لأن النفس أعدى العدو، ومظهر الفساد والعند، ولم يسلم أحد من مكرها، ولا يأمن عاقل من ضررها وغدرها، ولو كان نبيا مؤيدا وحصورا وسيدا ؛ كما قال سيدي الصديق بن الصديق يوسف (عليه الصلاة والسلام): ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف/٥٣).

وفي الحديث الشريف: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) (١).

۞ (العنوان من المحقق)، وكنت قد حققت منذ فترة طويلة مجموعة من الرسائل الصوفية: الأولى بعنوان:كشف اللبس عن دسائس النفس.تأليف: محمد أبو الحسن البكري الصديقي، وكشف اللبس عن تجريد النفس تأليف: أحمد شهاب الدين السبكي، وكشف اللبس في مناصحة النفس تأليف نور الدين علي المنير، وقد نشروا جميعا في مجلد واحد بعنوان: (رسائل في النفس). صدر عن الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠م .

(١) حديث: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) أورده العجلوني في كشف الخفاء بلفظ: (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) وقال:
رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف، وله شاهد من حديث أنس. وفي كنز العمال: (ليس عدوك الذي يقتلك فيدخلك الله به الجنة وإن قتلته كان لك نورا ولكن أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك.)وقال:رواه العسكري في الأمثال عن سعيد بن أبي هلال، مرسلا. ورواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي مالك الأشعري، وما أحسن ما قيل

إني بليت بأربع ما ســــلطوا ... إلا لأجل شقاوتي وعنــــائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

ثم اعلم أن دسائس النفس لا تعد ولا تحصى لنكارتها، وخفائها، ولا يعرفها إلا العباد المخلصون وأصحاب الكشف العارفون الكاملون.

- **فمن دسائسها:** استحلاؤها بالعبادة لموافقة تلك العبادة لها، أو لملاحظة الوصول بها إلى غرض من أغراضها كالرئاسة، والشهرة، والثناء عليها بسبب تلك العبادة، وهذه الدسيسة أخفى دسائس النفس، وأضرها لأن أكثر العابدين لا يطلعون عليها ويعبدون الله مع هذه الدسيسة، ويتعبون في عبادتهم ويبعدون بها عن الله تعالى قال (صلى الله عليه وسلم): **(تعس عبد الهوى)**[1] فالعابد بهذه الدسيسة يداوم على عبادته طول عمره ويحسب أن استحلاءه بالعبادة من كمال الإخلاص، ولو راجع نفسه فى ذلك تقول له أنت مخلص فى عبادتك، فلو لم تكن مخلصا بها مادمت على إقامتك عليها طول عمرك وهو يصدقها فى ذلك، ويثبت في عبادته بسرور قلبه ويضيع عمره فى عبادة هواه، ولا يكون له فى عبادته شيء من الثواب، وإنما يكون له فيها الإثم والعذاب فهذه الدسيسة تلبس على ضعفاء العباد من أهل الحظوظ والأغراض، ولا يعرفها إلا

انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١/١٥٩ الحديث رقم (٤١٢)،والمتقي الهندي في كنز العمال ٤/٧٤٥ الحديث رقم (١١٢٦٣). و الحديث رقم (١١٢٦٤).

(١) حديث: (تعس عبد الهوى).

لم يُعرف بهذا اللفظ وإنما المعروف: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وتعس عبد الخميصة إن أعطي رضي وإن منع سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا فانتقش. طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن شفع لم يشفع وإن استأذن لم يؤذن له)..قلت: رواه البخاري خلا من قوله: " طوبى لعبد " إلى آخره، فرواه تعليقا.

رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.انظر الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٠/٤٦٧ الحديث رقم (١٧٩٢١). والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣/٣٧٢ الحديث رقم (٦١٧٠) وقال رواه البخاري، والبيهقي، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وانظر أيضا العجلوني في كشف الخفاء: ٢/٣٦٥ الحديث رقم (٩٩٤).

الزاهدون عن الدنيا والآخرة ولا يطلع عليها إلا العارفون بسر الإخلاص فلا بد لمـــن لا يعرف كيفية الإخلاص أن يحترز عن العبادة التي تستحليها نفسه لكي يخلـــص من عبادة هواه لأن الهوى أقبح ما عبد من دون الله[1] وأبغض آلهة عند الله.

قـــال أبـــو الحسن الشاذلي[2] (قدس الله سره) أقبح الذنوب تعلق النفس بالعبادات واسحلاؤها.

- **ومن دسائسها:** اعتبارها بالعبادات بأن يلاحظ امتثال أمر الله واكتساب رضاه تعالى ويكون غافلا عن الله عند أدائها وساهياً فى أركانها وآدابها فتكون

---

(١) في هذا الكلام إشارة أيضا إلى حديث: ٨٩٥ - وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع). رواه الطبراني في الكبير وفيه الحسن بن دينار وهو متروك الحديث. انظر الهيثمي: مجمع الزوائد: ٤٤٧/١ الحديث رقم (٨٩٥) وانظر كذلك حديث: وعن أبي الأعور السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أخوف ما أخاف على أمتي شح مطاع وهوى متبع وإمام ضال) رواه الطبراني والبزار وفيه من لم أعرفه انظر الحديث رقم (٩٢١٩).

(٢) (أبو الحسن الشاذلي): (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م)هو: علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، نسبة إلى شاذلة قرية من افريقية، الضرير، نزيل الإسكندرية (نور الدين، أبو الحسن) صوفي، فقيه، ناظم، شاعر، تنسب إليه الطريقة الشاذلية، وتوفي بصحراء عيذاب قاصدا الحج، فدفن هناك في ذي القعدة. من تصانيفه: الاختصاص من القواعد القرآنية والخواص، رسالة الأمين لينجذب لرب العالمين، السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل المسمى بالجواهر المصونة واللآلي المكنونة، كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني المالكي، والمقدمة العزية للجماعة الأزهرية وكلاهما في فروع الفقه المالكي. ابن الملقن: طبقات الأولياء ٣٥ / ٢، ٣٦ / ١، الصفدي: الوافي ١٢: ٩٢ فهرس المؤلفين بالظاهرية، الشعراني: الطبقات ٢: ٥ - ١٧، حاجي خليفة: كشف الظنون ٤٠٤، ٦٦١، ٦٦٢، حسن الكوهن: جامع الكرامات ١٥ - ٥٨، محمد الفاسي: مناقب أبي الحسن الشاذلي، علي سالم عمار: أبو الحسن الشاذلي، البغدادي: هدية العارفين ١: ٧٠٩: ٧١٠، الزر كلي: الأعلام ٥: ١٢٠.

العبادة كالعادة حتى تضطرب نفسه إذا تركها وتستريح إذا فعلها كسائر العادات إنما يفعلها المرء لراحة نفسه وأكثر من ابتلى بهذه الدسيسة العوام ؛ لأنهم يصلون ويصومون باعتياد أنفسهم عليها على ما رأوها من إبائهم وعلمائهم من حال صغرهم ولا يخطر فى بالهم امتثال أمر الله تعالى ولا عبوديته لأنهم غافلون عن ذلك فما جزاؤهم فى تلك العبادة إلا عذاب أليم وويل عظيم قال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ (سورة الماعون/٤، ٥).

– **ومن دسائسها**: الاشتغال بعبادة لا تطيق المداومة عليها، ولما تشتغل بها أياما قليلة تتركها وتترك معها غيرها من العبادات، فيكون صاحبها ضالا عن الصراط المستقيم وأكثر من يقع بهذه الدسيسة أهل الطريق لأن نفوسهم تريد أن تقطعهم عن العبادة فلا تقدر عليهم إلا بأن تكلفهم من العبادة بما لا يطيقون فلما تكلفهم بها نفسهم ويشتغلون به يعسر عليهم فعل ذلك فيتركون العبادة بالكلية ويكونون من المعطلة. قال (صلى الله عليه وسلم): (**لا تشادّوا هذا الدين فإنه متين من يشاده يغلبه، ولا تبغضوا لأنفسكم عبادة الله، خذوا من العبادة بقدر ما تطيقون، وإياكم أن يتعود أحدكم عبادة ثم يرجع عنها**)[1].

(١) حديث: (لا تشادوا الدين) ورد هكذا: (المنبت لا أرض قطع ولا ظهرا أبقى رواه البزار والحاكم في علومه والبيهقي وابن طاهر وأبو نعيم والقضاعي والعسكري والخطابي في العزلة عن جابر مرفوعا بلفظ أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى واختلف في إرساله ووصله، ورجح البخاري في تاريخه الإرسال.وأخرجه البيهقي أيضا والعسكري عن عمرو بن العاص رفعه لكن بلفظ فإن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى وزاد فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذرا تخشى أن تموت غدا وسنده ضعيف. وله شاهد عند العسكري عن علي رفعه: (إن دينكم دين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع) وفي سنده الفرات بن السائب ضعيف وهذا كالحديث الآخر الذي أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة: (أن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا أغلبه) وروى أحمد عن أنس بلفظ: (أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) وليس فيه الترجمة.وروى الخطابي في العزلة عن ابن عباس قال ما أمر الله عباده بما أمر =

- ومن دسائسها: أن يعبد الله للتقرب إليه والتعزز به تعالى، فالعبادة بهذه الدسيسة لحظوظ النفس لأن النفس تنحط بالتعزز والتقرب إلى الله تعالى، لتتكبر بذلك على الخلق فكل عبادة تكون لتقرب النفس إلى الله وتعززها ليست بعبادة خالصة لله تعالى بل إنما هي لحظوظ النفس فمعبوده في الحقيقية حظ نفسه فلا بد للعابد أن لا يقصد بعبادته إلا تعظيم الله تعالى، ورضاه وإقامة عهوده، وحفظ حدوده، وفناء وجوده بعبادة معبوده ؛ حتى تكون خالصة لله تعالى مقبولة عند حضرته عز وجل قال تعالى ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ (الزمر/٣) ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة /٥).

- ومـــن دسائسها: أن يعبد الله لأجل الكرامة، والأحوال، وهذه العبادة لحظ النفس لأن النفس تريد أن تكون ممتازة بالكرامة والأحوال بين الناس، وهذه الدسيسة عقبة صعبة لا يعبر منها السالكون إلا بإعانة الشيخ لهم أو بإعانة النجدة الإلهـــية، ومنشأ هذه الدسيسة حب الرياسة والشهرة. فلا بُدَّ للسالك أن يطهر نفسه من حب الرياسة والشهرة فإذا ظهرت فى السالك هذه الدسيسة فليستغفر الله من عبادته وليقل لنفسه الذكر بهذه العبادة تستحق العقوبة لا الكرامة.كما قال الشيخ الجنيد (قدس الله سره): طلب المغفرة عن العبادة أقرب من طلب العوض والكرامة.

- ومن دسائسها: الاعتناء بالعبادات و الإعجاب فيها، والسرور بفعلها.

إلا والشيطان فيه نزعتان فإما إلى غلو وإما إلى تقصير فبأيهما ظفر قنع. انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١٣٦٦/٢ الحديث رقم (٢٣٣٩) .

أما الجزء الآخر من الحديث فإنه ورد: عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خذوا من العبادة ما تطيقون فإن الله لا يسأم حتى تسأموا) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه بشر بن نمير وهو ضعيف. وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عليكم من العمل بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. انظر: الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥٣٣/٢، ٥٣٤ الحديث رقـــم (٣٥٦٤) و (٣٥٦٥).

فالعبادة بهذه الدسيسة أقبح من المعصية التي تحصل بها الندامة، لأن تلك المعصية توجب الرجوع إلى الله عز وجل، ولا يمكن للعابد إزالة هذه الدسيسة إلا بمعاداة نفسه وهواه واتهامها فى كل حال، والخشية من الله فى حال عبوديته لكونه مقصرا فيها.

قال بعض العارفين: إن لم تخش أن يعذبك الله بأفضل أعمالك فأنت هالك.

- ومن دسائسها: الأمن من مكر الله، ولو يعبد الله ألف سنة بجميع العبادات ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف /٩٩).

فاحذر يا أخي منها بأن تقول لك إن الله يرحم الفاسقين والفجار، فكيف لا يرحمك وأنت مشغول بعبادته أناء الليل والنهار، فتأمن مكر الله فتنقلب على عقبيك وتكون من الهالكين، لأن هذه الدسيسة خطر عظيم هلك بها كثير من العباد.

- ومن دسائسها: أن يعبد الله رجاء الجنة أو خوفا من النار. ومن يعبد الله بهذه الدسيسة فقد تبعده عن الله حسنته لأنه لا يقنع عن الله بما دونه ويخاف مما سواه إلا كل ناقص فالعبد الخالص لا يرجو لعبوديته إلا الله تعالى ولا يخاف أحدا سواه وهذه الدسيسة تنشأ عن الجهل بالله والنظر إلى ما سواه. قال تعالى في بعض الكتب المنزلة: (فمن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار أو لو لم أخلق جنةً ولا ناراً لم أكن أهلا لأن أطاع ؟!).

- ومن دسائسها: أن يقصد بالعبادة اقتداء الناس به فيها، وهذه الدسيسة أيضا تنشأ من حب الرياسة، والشهرة، وإقبال الناس إليه. فلا بُدَّ للسالك أن يلازم الخمول والاكتتام ويحترز من التعين والاحتشام حتى يحصل له الأنس مع الله والشوق إلى لقائه كما قيل من استأنس مع الحق استوحش من الخلق.

- ومن دسائسها: أن يطلب الأجور من الله تعالى على العبادة، وأكثر الناس مبتلون بهذه الدسيسة. وإنما تنشأ هذه الدسيسة من استعظام العبد عبادته واستحسانها وعدم علمه بأن الله لا يضيع أجر عبادة عبده فلا بُدَّ للسالك أن يعبد

الله من غير مقابلة الأجور والأعواض لأنه لا يطلب ذلك على العبادة إلا كل محجوب عن الله، وكل بعيد من مقام الأدب فمن يعرف الله بكمال المعرفة فلا يطلب من الله إلا العفو من تقصيراته فيها ويعتذر لقبولها. فينبغي للسالك أن يعبد الله رغبة ورهبة لا طلبا للأجور قال الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة: (إن أودَّ الأودَّاء إليّ من عبدني لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها).

- **ومن دسائسها**: التسويف في العبادة بأن يقول: إنما أعمل في المستقبل. يقول مثل ذلك إلى أن يموت بلا عمل ويكون فى الآخرة من الخاسرين، فلا بُدَّ للسالك من المسارعة في العبادة لأن شروط الطريق مبنية على الاستعجال فى العبادة ولا ينبغي أن يقول سوف أعمل كذا لأن الوقت كالسيف يقطع عمر الإنسان ولا يدركه قال (صلى الله عليه وسلم): (**هلك المسوفون**) (١).

- **ومن دسائسها**: أن يعاهد الله أن يعمل كذا وكذا من العبادة العظيمة والرياضات الشاقة فلما يباشرها ولم يقدر عليها، ينكث عهده، وينقض ميثاقه، ويكون مسئولا عنه فى الآخرة(٢) وممقوت به عند الله قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا

---

(١) حدثنا عبد الله حدثني أبو داود المباركي سليمان بن محمد ثنا أبو شهاب عن شعبة عن الحكم عن أبي المورع عن على قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال من يأتي المدينة فلا يدع قبرا الا سواه ولا صورة الا طلخها ولا وثنا الا كسره قال فقام رجل فقال انا ثم هاب أهل المدينة فجلس قال علي رضي الله عنه فانطلقت ثم جئت فقلت يا رسول الله لم ادع بالمدينة قبرا الا سويته ولاصورة الا طلختها ولا وثنا الا كسرته قال فقال من عاد فصنع شيئا من ذلك فقد كفر بما أنزل الله على محمد يا علي لا تكونن فتانا أو قال مختالا ولا تاجرا إلا تاجر الخير فإن أولئك هم المسوفون في العمل)وهذا الحديث يشير إلى ان المسوف المشار إليه هنا مثله مثل الهالك، ولم أقف على رواية بنصها هكذا. تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

انظر: مسند احمد بن حنبل:١/١٣٨ الحديث رقم (١١٧٠).

(٢) ولذلك فإن مشايخنا أكرمهم الله تعالى علمونا استغفارا ينفع فيما يحدث للإنسان من هذه الأمور.

ففيه: «اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عُدتُ فيه، وأستغفرك لما وعدتك من =

عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ (الصف/ ٣).

- ومن دسائسها: المسارعة إلى العبادات النافلة مع التكاسل في العبادات المفروضة فالسبب في ذلك أن الفرائض بتكليف الله على عباده فالنفس لفرعونيتها لا تدخل تحت تكليف خالقها فلذلك تتكاسل في تأديتها، وأما العبادة النافلة فليست النفس مكلفة بها ولا محكومة عليها فلما تعمل بهواها واشتهائها فلذلك تسارع إلى فعلها.

قال الشيخ ابن عطا الله[1] (قدس الله سره) من علامات إتباع الشهوات

نفسي ثم أخلفتك فيه، وأستغفرك لما أردتُ به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معاصيك، وأستغفر الله العظيم عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته وكل معصية ارتكبتها، ولكل ذنب أحاط به علم الله» ملء ما علم، وعدد ما علم، وزنة ما علم. هذا الاستغفار قال سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه: يسمى هذا الاستغفار باستغفار الخضر (عليه السلام)..

انظر: مجموعة أحزاب وأوراد القطب الصمداني، خاتم الأولياء سيدي أحمد بن محمد التجاني.

(١) (ابن عطاء الله): (٧٠٩ هـ =١٣٠٩ م) احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري، الجذامي، الشاذلي، الشهير بابن عطاء الله (تاج الدين، أبو العباس، وأبو الفضل) صوفي مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير، والحديث، والفقه، والنحو والأصول. توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة من مصنفاته: التنوير في إسقاط التدبير في التصوف، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح، لطائف المتن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه ابي الحسن أصول مقدمات الوصول، والمرقى إلى القدير الأبقى. (خ) موسى الأيوبي. التذكرة ٥٨ / ٢، ٥٩ / ١، كتاب في التراجم ١٨ / ٢ عام ٤٦١٦، ظاهرية، فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٢٧٣ - ٢٧٥، السبكي: طبقات الشافعية ٥: ١٧٦، ١٧٧، ابن العماد: شذرات الذهب ٦: ١٩، ٢٠، الشعراني: لواقح الأنوار ٢: ٢٧، ابن فرحون: الديباج ٧٠ - ٧١، الكوهن: جامع الكرامات ٩٧ - ٩٩، حاجي خليفة: كشف الظنون ٥٠٢، ٦٧٥، ١٥٥٤، ١٦٥٨، ١٧٦٩، البغدادي: إيضاح المكنون ١: ٩٣، ٢: ٤٦٩، فهرست الخديوية ٥: ١٢٢، الجفري: كنز البراهين ٣٣.

مسارعة النفس إلى النوافل والمستحبات والتكاسل بالفرائض والواجبات فمن كانت النوافل أهم إليه من الغرائض فهو مخدوع وممكور به.

– ومن دسائسها: أن يطلب العز والشرف عند الله تعالى بالعبادات وهذا يوجب البعد عن الله، ويقسى القلوب لأنه يلزم العبد أن لا يطلب إلا التذلل والتحقر والفناء في العبادات حتى يكون مقربا ومحبوبا عند الله، وسبب ذلك قيام النفس على جبلتها وعن محبوبيتها عن رعونتها فلا بُدَّ أن يزيل عنها هذه الصفات بتذليلها وتحقيرها وفنائها حتى لا تطلب بعبادتها عزة عند الله قال الشيخ على الخواص(١) (قدس الله سره): " سبب القسوة التي يجدها العابد فى قلبه حين صلاته، ودعائه، ومراقبته قيام العزة والفناء فيه. فإن حضرة الله تعالى لا يدخلها من تلبس بأحد هذين الوصفين ".

والحاصل لا بُدَّ لكل أحد أن يعبد إجلالا، وامتثالا(٢)، ورغبة، ورهبة،

(١) (الشيخ علي الخواص): هو الشيخ الفاضل علي البرلسي المعروف بالخواص. شيخ الإمام عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنهم جميعا، وهو أحد أكابر العارفين، وأعيان الأولياء والأصفياء شيخ الإمام عبد الوهاب الشعراني، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وكان يتكلم على معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أبلغ من المتعلمين، وكان كلامه نفيسا جدا. كان يقول: لو وُلِّي الخضر أو القطب شيئا من ولايات هذا الزمان، ما أمكنه أن يفعل بالناس إلا ما يستحقونه، إنما هي أعمالكم ترد عليكم. إذا كان هذا كلامه في القرن العاشر، بل في اوله فكيف بأهل القرن الخامس عشر. قال النبهاني نقلا عن صاحب المنن: رأيته – أي سيدي علي الخواص – نزل سلم المقياس لما توقف النيل عن الزيادة فتوضأ، وصار الماء يتبعه، فزاد في ذلك اليوم ذراعا. مات رضي الله تعالى عنه سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ودفن بزاوية بركات خارج باب الفتوح.انظر: المناوي الكواكب الدرية: ٤/٩٠، الشعراني: الطبقات الكبرى ٢/١٤٧، درر الغواص في فتاوى سيدي علي الخواص المقدمة، شذرات الذهب لابن العماد: ٨/٢٣٣، النبهاني: جامع كرامات الأولياء: ٢/٣٧١.

(٢) وهذا بيان قوله (صلى الله عليه وسلم) ١٠٨٤ – لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به. الحكيم وأبو نصر السجزي في الإبانة وقال حسن غريب والخطيب عن ابن عمرو.

وإنابة، ومتابعة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن يجرد نفسه عند العبادات عـــن الصفات الرذيلة والأغراض الفاسدة، وأن يكون خاضعا، خاشعا، مراقبا، حاضرا، محسنا، على مضمون الحديث قال (صلى الله عليه وسلم): **(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** (١).

تنبيـــه وإيضـــاح

اعلـــم يا أخي أن العاقل من يعادي نفسه وهواه وشيطانه فقط، لأنه لا يوقع الإنسان فى النيران إلا النفس والهوى والشيطان. وما سوى هؤلاء ؟ ليسوا

انظر: المتقي الهندي: كنز العمال ٣٣٧/١ الحديث رقم (١٠٨٤).

(١) حديث: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.....) وعن ابن عمر قال: أتى ابن عمر رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إنا نسافر فنلقى أقواما يقولون: لا قدر قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل حسن الوجه طيب الريح نقي الثوب فقال: السلام عليك يا رسول الله أدنو منك؟ قال: " ادنه " فدنا دنوة قال ذلك مرارا حتى اصطكتا ركبتاه بركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال: " شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وحج البيت وصيام رمضان والغسل من الجنابة " قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال: " نعم " قال: صدقت فما الإيمان ؟ قال: " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله " قال: " فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال: " نعم " قال: صدقت فما الإحسان ؟ قال: تعبد الله كأنك تراه فإن تكن لا تراه فإنه يراك ". قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال: " نعم " قال: صدقت قلنا: ما رأينا رجلا أطيب ريحا ولا أشد توقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم صدقت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " علي بالرجل " فقمنا وقمت أنا إلى طريق من طرق المدينة فلم نر شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل تدرون من هذا ؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم قال: " هذا جبريل يعلمكم مناسك دينكم ما جاءني في صورة قط إلا عرفته إلا في هذه الصورة" ..رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.وله روايات أخرى كثيرة انظرها في مجمع الزوائد المجلد الأول. انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٩٤/١ الحديث رقم (١١٥).

بأعداء لأنه لا ينالك من عداوتهم، إن صبرت على أذاهم، إلاّ رفعة وشرفا وقربة ووصلة وثوابا وحسن مآب. فعلى هذا هؤلاء ليسوا بأعداء بل أحبّاء، لكونهم كانوا سببا لإيصالك هذا الخير العظيم فحينئذ ينبغي لك الصفح والعفو عنهم والتجاوز عن ذنوبهم بالمسامحة لهم، والاستغفار لهم في الليل والنهار ووقت الأسحار، لكي تنجو من العقوبات العظيمة والأحوال الجسيمة ولئلا تكون أنت السبب فى عقوبة إخوانك المسلمين لكونهم ما فعلوا معك إلا الطيب. لقد أهدوا إليك نفيس ما عندهم وهى الحسنات وأخذوا منك أبخس ما عندك وهى السيئات، فقابل نظير صنيعهم هذا بالغفران ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الرحمن/٦٠) ومع ذلك فلا يفوتك شيء مما عده الله لك نظير ذلك من الثواب والدرجات العلى فى الجنة وحسن المآب قال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾ (البقرة/٢٣٧).

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾ (النور/٢٢) ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ (الشورى /٤٠) ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فصلت /٣٤، ٣٥) إلى غير ذلك من الآيات وقال (صلى الله عليه وسلم): (**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء**)[1] وأي رحمة أكبر من العفو والمسامحة عمن ظلمك من إخوانك المسلمين خشية أن يعذبهم الله بسببك فهذا مشهد الأنبياء

---

(١) حديث: (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، والرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله) أورده صاحب كنز العمال وقال: رواه أحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود، والترمذي، والحاكم في المستدرك،كلهم عن ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه أيضا أحمد بن حنبل، والترمذي، والحاكم. انظر: ابن المتقي الهندي: كنــز العمال: ٣٠٣/٣ الحديث رقــم (٥٩٦٩).

والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والأولياء، والأصفياء الكرام بطريق الوراثة عنهم لهذا المقام فينبغي لمن يسلك مسلكهم ويقتفى أثرهم أن يشهد مشهدهم ويتخلق بأخلاقهم لكي يكون منهم ؛ لأن من سلك مسلكهم، واقتفى أثرهم وشهد مشهدهم وتخلق بأخلاقهم فهو منهم من غير شك ولا ريب، ومن لم يكن فيه هذه الأوصاف فهو بعيد عنهم بلا خلاف ومن كان بعيدا عنهم فهو بعيد عن الله ولو أحيا الموتى، وأمات الأحياء، وطار في الهواء، ومشى على الماء[1]، ولا سبيل إلى الوصول إلى هذا المقام إلا بمعاداة النفس والهوى وذبح الغلام ولا تقدر على ذلك إلا بالذكر المدام بالأسماء التي تلقنتها من الشيخ الهمام بالشروط السابقة والأركان والآداب والأحكام.

خـــــاتمة

نسأل الله حسنها

في

تعريف الإرادة والمريد والمراد

وبيان الاحتياج في الوصول إلى الله تعالى.

اعــــلم أن الإرادة لوعة في القلب تحصل من تصور الكمال الذاتي، وينشأ مـــن تلـــك اللـــوعة طلب الحق تعالى. والإرادة أول مرتبة للسلوك وسببه، لأن السلوك لا يوجد إلا بالإرادة.

وقـــيل: الإرادة تـــرك المريد إرادته في إرادة شيخه، والانقياد إليه في كل زمان، وعلى أي حال كان[2]. ونهاية الإرادة الوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) المقصود هنا بكلام المؤلف أن الطريق إلى الله تعالى ليس بدعا، ولا فعل خوارق مما ذكر، ولا كلاما طيبا وإنما أصل الطريق تحمل الأذى و المشاق عن الخلق سواء كان هذا الأمر معك أو مع غيرك فتحملهم لله واجب طبيعي، يعلى من شأن الأخلاق عند طالب القرب من الله تعالى، والدليل على الاستقامة. بالإضافة إلى ما يقوم به من أعمال الخير.

(٢) يقول ابن عربي عن الإرادة: الإرادة عند القوم لوعة يجدها المريد من أهل هذه =

=

الطريقة تحول بينه وبين ما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده.والإرادة عند أبي يزيد البسطامي ترك الإرادة وذلك قوله أريد. فأراد محو الإرادة من نفسه.وقال هذا القول في حال قيام الإرادة به ثم نم، وقال: لأني أنا المراد وأنت المريد.يخاطب الحق. وذلك أنه لما علم أن الإرادة متعلقها العدم. والمراد لا بد أن يكون معدوما لا وجود له، ورأى أن الممكن عدم وإن اتصف بالوجود. لذلك قال: أنا المراد. أي أنا المعدوم، وأنت المريد. فإن المريد لا يكون إلا موجوداً. وأما الإرادة عندنا فهي قصد خاص في المعرفة بالله، وهي أن تقوم به إرادة العلم بالله من فتوح المكاشفة لا من طريق الدلالة بالبراهين العقلية فتحصل له المعرفة بالله ذوقاً، تعليماً إلهياً فيما لا يمكن ذوقه وهو قوله "واتقوا الله ويعلمكم الله" وقالت المشايخ في الإرادة: إنها ترك ما عليه العادة، وقد تكون عادة زيد ما هي عادة عمرو فيترك عمرو عادته بعادة زيد لأنها ليست عادة. ثم أعلم في مذهبنا أنك إذا علمت أن الإرادة متعلقها العدم وعلمت أن العلم بالله مراد للعبد، وعلمت أنه لا يحصل العلم به على ما يعلم الله به نفسه لأحد من المخلوقين مع كون الإرادة من المخلوقين لذلك موجود فالإرادة فيه أتم من كونها فيمن يدرك ما يريد فليست الإرادة الحقيقية إلا ما يدرك متعلقها فلا يزال عينها متصفاً بالوجود ما دام متعلقها متصفاً بالعدم. فإن الإرادة إذا وجد مرادها أو ثبت زال حكمها، وإذا زال حكمها زال عينها. وينبغي للإرادة فينا أن تزول فإن مرادها لا يكون. وأما من يتكون عن ارادته ما يريد فلا تصحبه الإرادة وجوداً، وإنما بقيت الإرادة هناك لأن متعلقها آحاد الممكنات وآحادها لا تتناهى فوجودها هناك لا يتناهى ولكن يختلف تعلقها باختلاف المرادات والذي يشير إلي أهل الله في تحقيق الإرادة أنها معنى يقوم بالإنسان يوجب له نهوض القلب في طلب الحق المشروع ليتصف به العمل ليرضى الله بذلك فيكون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه فصاحب الإرادة يسعى في أن يكون بهذه المثابة. ثم ما زاد على هذا مما يناله أهل الله من الفتوح والكشف والشهود وأمثال هذه الأحوال فذلك من الله ليست مطلوبة لصاحب الإرادة التي يقتضيها طريق الله إنما جل إرادتهم أن يكونوا على حال مع الله يرضى الله بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم إيثار الجناب الحق لا رغبة في نعيم ينالونه بذلك ولا فراراً من ضده دنيا ولا آخرة بل هم على ما شرع لهم ولله الأمر فيهم بما يشاء لا تخطر لهم حظوظ نفوسهم بخاطر هذا أتم ما توجبه الإرادة في المريد، وإن خطر لهم حظ في ذلك فما خرجوا عن حكم الإرادة. ولكن يكون صاحب الحظ النفسي ناقص المقام بالنظر إلى الأول مع كونه صاحب إرادة كما قال تعالى "ولقد فضلنا بعض النبين على بعض" من أن النبوة موجودة فما

=

قـــال الشيخ أبو على الدقاق[1] (قدس الله سره) نهاية الإرادة أن تشير على الله فتجده مع الإشارة. فالإرادة ثلاث درجات:

- ففـــي الدرجـــة الأولى: يخرج المريد من العادات إلى العبادات و من الواحات إلى المجاهدات.

- وفى الدرجة الثانية: يخرج من مقام التلوين إلى مقام التمكين، ومن مقام الفناء إلى مقام البقاء.

- وفي الدرجة الثالثة: يخرج من الصحو إلى مقام الحيرة، ومن مقام البقاء إلى مقام القدرة.

وأمـــا المـــريد فهـــو مـــن خالف نفسه وهواه وشيطانه، وترك شهواته ومألوفاته، وأقبل على طاعة ربه. فمن كان هذا لربه في سربه فيذوق حلاوة قربه،

زالوا من النبوة مع فضل بعضهم على بعض. وأما معنى قول الطائفة في الإرادة أنها لوعة يجدها المريد تحول بينه وبينها كان عليه مما يحجبه عن مقصوده فصحيح غير أنه ثم أمر تعطيه المعرفة بالله إذا حصل له العلم بالله من طريق الكشف والتعليم الإلهي فلا يبقى شيء يتصف به العبد يحجبه عن مقصوده إذا كان مقصوده الحق فهو يشهده في كل عين وفي كل حال ولا ينال هذا المقام إلا من رضى الله عنه ومن علامات صاحب هذا المقام معانقة الأدب.

انظر ابن عربي في الفتوحات المكية ٥٢١/٢ وانظر أيضا مقام ترك الإرادة بعده.

(١) الشيخ أبو علي الدقاق: هو الحسن بن علي النيسابوري الشافعي، أبو علي الدقاق الأستاذ. هكذا يطلقون عليه لأنه كان مربيا للمريدين، لسان وقته وإمام عصره محمود السيرة والسريرة، له كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة. كان شيخ الإمام القشيري اورد كثيرا من أقواله في الرسالة. من كلامه النفيس:صاحب الحزن يقطع الطريق في شهر ما لا يقطعه غيره في عام. وقال: ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء بل الرضا ان لا تعترض على الحكم والقضاء. وقال: الذكر أتم من الفكر لأن الحق تعالى يوصف بالذكر لا به. مات رحمه الله تعالى سنة ٤٠٦هـــ.

انظر ترجمته في: المناوي: الكواكب الدرية: ٦٢٣/١، شذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ١٨٠، كحالة: معجم المؤلفين: ٢٦١/٣. الهجويري: كشف المحجوب ١٩٣.

ويحظى بوصل حبه، ويرويه من صرف شربه، ويكون محبوب ربه. ومن لم يكن هذا حاله فلا يرجى وصاله ولا تخلص من الدسائس أعماله.

وأما المراد: فهو على قسمين:

- قسم درج على طريق السلوك إلى ملك الملوك حتى أطلق الحر، وقـــيد المملوك ووصل إلى غاية الكمال وعرف الطريق وما احتوى عليه بالتفصيل والإجمال.
- وقسم جذبه الله وقرّبه لديه من غير استعداد يدنيه.

وهذا على قسمين:

۞ فالقسم الأول: يدرك ما فاته من أداء العبودية بمجاهدة ومكابدة قوية لأجل أن يعرف أحوال أهل الكمال، ويعرف أحوال الطريق بالتفصيل والإجمال، لأجـــل أن يرشد الخلق إلى الخالق، ويعرفهم كيفية قطع العلائق، ويعرفهم طريق الهـــدى ويدرأ عنهم كل من ضل واعتدى. فهذا القسم هو الكامل على التحقيق المكمـــل لغـــيره بالذوق والتفتيق ؛ فيمزق الحجب عن عين قلب المريد أكمل تمزيق.

۞ وأمـــا القـــسم الثاني: فهو الذي لا يدارك نفسه بالسلوك على طريق المجاهـــدة فـــلا يؤخذ عنهم إلا للتبرك فقط لكونهم لا يعرفون الطريق ولا كيف أحـــوال أهل الفريق لكونهم سلكوا الطريق على سبيل الإجمال وما عرفوا الطريق ومـــا حواه من الأهوال فما مثلهم إلا كمن كان فى مصر فما رأى نفسه إلا وهو فى دمشق الشام. فإذا سئل عن الطريق فيقول لا أعرفه علمي بنفسي إني في مصر فمـــا رأيـــت نفسي إلا في دمشق الشام، أو كأعمى سلك بادية فإذا سألوه عن أحوالها وكيفيتها فهل عنده من ذلك خبر ؟

وهكذا أهل الجذب بل يخشى على هذا القسم من رؤية الكرامات وإقبال المخلـــوقات وبوس الأيادي وكثرة الجماعات أن يرجعوا إلى أسفل سافلين أعني للـــنفس الأمـــارة فـــيهلكون مع الهالكين. وكلامُنا هذا في حق من رجع منهم للصحو.

وأما من دام على سكره تكفينا محبته والفرار منه.وأما القسم الثاني من قسم

أهل الجذب الذى نحن بصدده فلا يسلُكون مريدا أصلاً وإذا سلك على أيديهم مـــريد فـــبحكم النادر ويكون أيضا بطريق الجذب والانسلاخ لا بطريق السير والـــسلوك. وطـــريق الجـــذب والانسلاخ لا يُعوَّل عليه عند القوم للسلوك لأن الـــسالك فى الجذب لا يقدر يسلك مريداً ويعرفه عقبات الطريق وهفواته لأنه لا يعرف شيئا من ذلك.

فعلى هذا يا أخي إذا وجدت شيخ الجذب وشيخ السلوك فلا تأخذ إن أردت السلوك إلا من شيخ السلوك. وأما شيخ الجذب فلا تأخذ عنه إلا للتبرك ولكن بعدما تكمل تربيتك ويتم تتاجك وإلا فلا ولو فاق الأولين والآخرين فى الكرامات، وخرق العادات. وشيخ السلوك بضد ذلك، أعنى ما رأيت وسمعت عنه ولا كرامة واحدة فيكفيك منه معرفته بالطريق وأهواله وتسلك فيها على بصيرة قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (يوسف١٠٨) - أي قل يا محمد- فهم الخلق الراشدون، والأولياء الكاملون، العارفون بالطريق، وأهواله، وهفواته، وعقباته المميزون بين التجليات، المتحققون بتلك الحضرات، المشاهدون في كل الحالات الذين لا يحجبهم الخلق عن الحق، ولا الحق عن الخلق، ويكفيك من هؤلاء الاستقامة. فذرة من استقامة خير من ألف كرامة ؛ لأن الاستقامة لا يعطيها الله إلا لمن يحب، وأما الكرامة فيعطيها الله لمن يحب ولمن لا يحب.

وأما شروط الشيخ على المريد: لا تحصى كثرة فأشرح لك البعض منها.

- فمـــن شروط الشيخ على المريد أن يكون متأدبا معه، منقاداً له، مُسلِّما له جميع أقواله وأفعاله، حتى لو صدر منه ما يخالف ظاهر الشريعة، فلا ينكر عليه لا ظاهـــرا ولا باطنا، ولا يسأله عن ذلك. بل يجب عليه أن يقول الشيخ ما فعل هذا إلا لأمر يريده الله، وهو أدرى بذلك منِّى ؛ لأنه لو قال له:لم فعلت كذا حرم فـــضله. ولا يفلح أبدا، وأن يصدق في خدمته ظاهرا وباطنا، ولو أظهر له شيخه الكراهة، ولا يدخل عليه إلا بأذن منه فى الدخول، وإذا دخل عليه فلا يجلس إلا مـــن بعـــد أن يأذن له، وأن يكون جلوسه فى حضرته كما فى الصلاة، ومغمضا

عينيه، مطرقا رأسه، خاشعا، خاضعا، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، ولا ينظر لوجه الشيخ أبدا، ولا يكلم لصيقه ولا يجب من سأله ولا من دعاه ولو أمه وأباه، لأن من يقصد وجه الحق تسقط عنه حقوق الخلق، ولا ينم له على وسادة، ولا يدس لــه علــى سجادة، ولا يلبس له قميصا، ولا يؤاكله على مائدة ما لم يأذن له فى جمــيع ذلــك، ولا يطلب منه تفسير رؤياه ؛ لئلا يكون الشيخ محكوما عليه ولا يمــشى أمامــه، ولا يوليه ظهره أبداً إلا أن يكون فى ليل، وبعد الإذن منه، ولا يــساويه في الصلاة إلا فى الفرض، ولا يتزوج له امرأة، ولا يطلب منه تفسير أية أو حــديث، ولا يعاشره ويتباسط معه، ويلزم الأدب معه. لأن من لم يتأدب فى حضرة الأشياخ يخشى عليه أن ينــزع الله من قلبه نور الإيمان وحلاوته، ويكون ممقــوتا عند الله مطروداً أولا يخالف قولا ولا يحتقر له عملا ؛ لأن نوم الشيخ خيــــرٌ من قيام المريد، ولا يتكلم فى مجلسه إلا همسا، إذا كان له حاجة لا بُدَّ مــنها، وإذا كلَّمــه شيخه يجيبه بخفض صوته، ولا يرمى عليه سلاما، ولو أن الــسلام ســنة كيلا يكون الشيخ محكوما عليه برد السلام، ولكونه مشغولا في ورده، ولا يطلب منه الدعاء بلسانه بل بقلبه، ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل، وأن لا يذكر إلا بالاسم الذى تلقنه منه، ولا يهمل ما يقوله له، بل يجعله من قبيل المفروض عليه، ويحفظ قلبه من الخواطر السوء في حضرته، لأن ذلك يسوأه ويقطع المدد عنه، ويربط قلبه بقلبه لكي يحفظ منه تسويل النفس والهوى ونزيغ الشيطان، ويصونه من الخواطر السوء وكل ما يؤدى إلى الهوان، ولا يقل قد وصلت لمقام شيخي وسأزيد عليه ؛ فمن قال ذلك استولى عليه جهله ورجع إلى أسفل سافلين، فأين مقام الشيخ من مقامك يا مسكين لأن الشيخ مقامه لا يدركه المريد أبدا إلا إذا كان من طريق أخر على يد شيخ أخر بعد كماله على يد شيخه الأول فهذا ممن وافا على يد الشيخ الأول فلا يمكن لحوقه أبدا، فضلا عن كونه يــزيد عليه. لأن الشيخ كلَّما رقى مريده مقاما يرقيه الله مقاما نظير مقام مريده،

وهكذا على ممر الأيام والشهور والأعوام [١].

فانظـــر يا مسكين كم للشيخ من مريد مثلك، وكم يرتقى مقامات، فمن قـــرب يقرب ومن قدم يقدم، ولا يجتمع المريد بشيخ آخر، مع وجود شيخه، وهـــذا في حـــق المبتدى. وأما المنتهى والمتوسط فلا يمنع من ذلك، ولا يجتمع بغـــير إخـــوانه، ويكـــون محبا لهم جميعا وأن يعفو عمن ظلمه منهم، وأن يقدم حاجـــاتهم على حاجاته، وأن يذب عنهم، ولا يوافق من يتكلم بما يشينهم، ولو كـــان وصَفَهم بما فيهم، ولا يعيـــِّر أحدا منهم بذنب سلف منه ؛ إلا أن يكون مجاهرا به، ويقصد بذلك تخجليه وترجيعه عن ارتكابه ولا يعود لمثله، فمن كان هذا قصده فلا يضره التعيير والتوبيخ، بل هو مُثابٌ على ذلك، ومن لم يكن هذا قـــصده فهو مغتر به. فعدم التعيير والتوبيخ خير له، ومثله من يأمر بمعروف أو ينهـــى عن منكر إذا لم يقصد بذلك رجوع أخيه المسلم عن ارتكاب المعاصي لأجل أن يغفر الله له ويتوب عليه ويدخله الجنة. فلا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكـــر لأن أمـــره ونهيه لا يحصل لهما ثمرة لأنه ما قصد بذلك وجه الله تعالى وامتـــثال أوامره، بل قصد بذلك إظهار فضله وشرفه على أخيه المسلم، وتزكية نفـــسه وتحقـــير أخـــيه وازدرائه، ومن كان هذا قصده فلا يحصل له شيء من الـــثواب، بل يستدعى ذلك له الإثم والعذاب لأنه لا يزيد من نصحه إلا طغياناً كـــبيرا. فعلى هذا كل قول أو فعل، ولو كان ظاهرهما طاعته، إذا لم يقصد بهما وجـــه الله فـــلا ينتجان شيئا من الثواب بل ينتجان الإثم والعذاب وأن يساوى إخـــوانه في مالـــه إذا كان له مال، وإن شاطره أخوه فى جميع ما يملكه من الدنيا فلينشرح صدره.

حكى أن بعض الصحابة (رضي الله عنه) وكذلك بعض الصالحين (قدس الله أسرارهم) كانوا يخيرون أخاهم بين نسائهم فيقولون له إختر لنفسك واحدة

---

(١) وما ذكره المؤلف هنا قليل من كثير بالنسبة إلى فضل الشيخ على مريده، فهو نافعةُ لا محالة بفضل الله. فكم من اناس يأتيهم فضل الله تعالى ليل نهار ليس لهم شيخ فلم يستطيعوا الاقتراب منهم لجهلهم بالمعرفة بالله تعالى.

منهن حتى نخرج لك عنها، ونزوجك بها [1] فهكذا حالة المتحابين في الله تعالى الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ ﴾ (الزخرف ٦٧، ٦٨) فكونوا على مشربهم تكتبوا في جريدتهم وتكونوا من أهل السعادة فى الدارين وتطيب أنفسكم بما تشاهدون من جمال جلاله وجمال كماله وتقر منكم العين وإن لم تقدروا على ذلك فجاهدوا لأنفسكم لكمال المجاهدة لكي تنقاد إليكم وتألف المكابدة فتبلغوا هذا المقام الرفيع ويصير لكم حالا لا ينفك عنكم وترتقون عن المقام الوضيع فتصيرون من أهل الإرادة والمريدين والواصلين إلى مقام الشهود بحقيقة حق اليقين ولا بُدَّ أن تروا أنفسكم دون كل جليس كيلا تطردوا عن حضرة الله تعالى كما طرد إبليس لأن من لم ير نفسه دون كل جليس فهو دون كل جليس فيمتد من العارفين كمال الآداب ومن الجاهلين الذل والوقوف على الباب ومن أهل الزهد زهدهم ومن أهل الورع

---

(١) ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ (الحشر/ ٩).

وقوله: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ يقل جل ثناؤه: ولا يجد الذين تبوءوا الدار من قبلهم وهم الأنصار في صدورهم حاجة يعني حسدا مما أوتوا يعني مما أوتي المهاجرون من الفيء وذلك لما ذكر لنا من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا رجلين من الأنصار أعطاهما لفقرهما وإنما فعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة .

عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليضيفه فلم يكن عنده ما يضيفه فقال: ألا رجل يضيف هذا رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم نومي الصبية وأطفئي المصباح وأري بأنك تأكلين معه واتركيه لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت فنزلت ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . انظر: تفسير الطبري: تفسير الآية ٩ من سورة الحشر، وانظر كذلك مفاتيح الغيب للرازي، وتفسير ابن كثير.

ورعهم ومن أهل الصلاح صلاحهم ومن أهل الخشوع خشوعهم ومن أهل الخضوع خضوعهم ومن أهل الدموع دموعهم ومن أهل حسن الأخلاق حسن أخلاقهم ومن أهل الفساد اجتناب فسادهم ومن أهل العناد ترك عنادهم ومن أهل التكبر ترك تكبرهم ومن أهل العجب اجتناب عجبهم ومن أهل الذنوب اجتناب ذنوبهم ويمتد ذلهم وانكسارهم وخوفهم من ربهم الى غير ذلك من قبيل ما هنالك بل يمتد من جميع عالم الإسكان من كل ذرة من سائر الأكوان فتكون له فى مرتبة الشيخ الكامل فهذا ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق/٣٧) لا لمن كان فى القلب غافلا.

فانظر يا أخي - رحمك الله - إلى الأرض المرتفعة كيف يسيل الماء عنها يمينا وشمالا ولا ينالها منه إلا شيء قليل، والأرض المستوية تتشرب ماءها فقط، والأرض المنخفـــضة تشرب من مائها وماء غيرها، لأن الماء لا يثبت أيضا ولا يجرى إلا فى الأماكن المنخفضة.

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء /٣٠) وانظر إلى الدخان حيث كان لا يطلب إلا العلو فهل له من فائدة غير الأذى والسواد، أو يمتد من الكلب إصراره على الجوع وأكله من الفريسة وشربه من الخرارة مع انشراح صدره وعدم ادخاره وتحمل الأذى من أصحابه فيضربونه بالعصى والأحجار ومتى دعوه جاءهم يجرى ومحافظة على بيت صاحبه وغنمه ودوابه في دياجي الليالي وإن أطعمه فلا يبالى، وإن لم يطعمه فلا يبالى، ونومه على الوحل والذبل، وهو راض بذلك عن مالكه، وعن خالقه إلى غير ذلك، ويمتد من الديك عدم الغفلة عن ربه، وغيرته على عياله، وسخاوة نفسه، لو لم يجد إلا حبة واحدة يأخذها بمنقاره وينادى لهم ويطرحها بينهم، ويمتد من العاصي أيضا الندم مع الذل والانكسار، وصبره على مصائب الذنوب، وبتحقق إنه مخلوق مثله، وأن الذي ابتلاه بمثل ذلك قادر أن يبتليه كما ابتلاه ؛ فيحمد الله الذي عافاه[1] مما

---

(١) لقوله (صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى أحدكم أحدا في بلاء فليقل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا، فإنه إذا قال ذلك كان شاكرا لتلك =

ابتلى به أخوه ويرحمه بقلبه ويدعو له بظهر الغيب بالمغفرة والتوبة والإنابة وهكذا سائر الأكوان والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والحمد لله وحده.

نهاية الكتاب

هذا وقد وجد فى آخر نسخة المؤلف، عفا الله عنه: قاله بفمه ورقمه بقلمه خويدم الفقراء، وأضعف الضعفاء، وأعجز العاجزين، المعترف بتقصيره في
كل وقت وحين
المرتجى من مولاه أن يسامحه، ويغفر له، ولإخوانه، وأحبائه
والمسلمين: محمد بن علي الشافعي الخلوتي النقشبندي
الجلوتي، أمده الله بمدد الأنبياء، والأولياء، والأصفياء
والصديقين، والمقربين، والشهداء، والصالحين
وجعله من جملة خدامهم، وممن يحبهم
ليكون بذلك من الفائزين.واغفر لمن طالع بها
وأصلح ما يبدو له من فسادها، ودعا له
بالمغفرة وحسن الخاتمة ولإخوانه والمسلمين
وقد وافق الفراغ منها فى خمسة عشر
خلت من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائة وألف
من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
وأتم التسليم أمين أمين
اللهم أمين
آمين.

النعمة) قلت: رواه الترمذي باختصار، رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط بنحوه وإسناده حسن.

انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٠ / ١٩٩ الحديث رقم (١٧١٣٨).

تفسير فاتحة الكتاب

وأسرار بسم الله الرحمن الرحيم

تأليف

الشيخ الأكبر

سيدي محيي الدين ابن عربي

المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

المؤلف

هـــو: محمـــد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبـــد الله، الطائي، الحاتمي، المرسى، المعروف بابن عـــربي (محيي الدين، الشيخ الأكبر، الصوفي الشهير)[1]. المولـــود في بـــلاد الأندلس سنة ٥٦٠هـــ، لينظر القارىء الكريم إلى شيوخه، وتعلـــيمه على أيديهم، ولينظر أيضا إلى رحلاته العلمية، التي يقول عنها الدكتور عـــثمان يحيي: " ولئن كانت دهشتنا بالغة فيما يتعلق بضخامة أعمال ابن عربي، فإنها لدهشة بالغة كذلك أن نعرف أن هذه الأعمال لم تكن ثمرة لحياة هادئة نَعِمَ فيها ابن عربي بالوحدة، ووجه كل اهتماماته فيها نحو الدرس والبحث، بل كان ثمـــرة لحـــياة خـــصص فيهـــا الـــجانب الأكبر للحيـــاة الروحية: الخلـــوة، والرياضـــة، والتأمل، والرحلات، والأسفار. وها نحن نرى الشيخ يجوب أقطار المغـــرب والمشرق متعرفا على الأشياء، وعلى الأشخاص، وكأنه فراشة تتحرق شـــوقا إلى نور يهيم في سناه بيد أنها لا تحترق به أبداً"[2]. وربما يظهر من هذا الكـــلام التنبـــيه على أهمية هذه الرحلات، والأسفار، والتأمل في حياة الصوفي باعتـــبارها جـــزءا من ثقافته وخصوصياته التي لا بُدَّ لكل صوفي أن يفعل مثله. فالأمـــر عندنا ليس كذلك، بل إن الجانب الروحي هو الشعلة والمدد، للرحلات ولهذه الأعمال، بل هو أساس هذه الأعمال، ونستطيع أن نقول إن الجانب الروحي عـــند ابن عربي هو الذي يحركه، لا يتحرك ليجمع الثقافة وغيرها، وإنما يتحرك لأن الصوفي يعرف قيمة الوقت عملا بالقول المعروف عندهم: الصوفي ابن وقته.

---

(١) انظر: مصادر ترجمته في هذا الكتاب.

(٢) انظر: دكتور عثمان يحيي: مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها، ترجمه عن الفرنسية دكتور: أحمد محمد الطيب – سلسلة التراث – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ ص (١٧ – ١٨) ط٢.

وانظر: المجلد الأول من رسائل ابن عربي بتحقيقنا. مؤسسة الانتشار العربي ص١٣.

أي فيما أقامه الله فيه.

ولـــو تأملـــنا حياته الحقيقية فهي رحلات روحية قبل أن تكون رحلات جـــسدية مقصورة على ثقافة العقل وحدها، وبالرغم من أننا لا نستطيع أن نهمل دور العقل في حياة الصوفي إلاّ أن الإفراط في الكلام عن العقل في حياته يضر به أكثر مما يفيد. وذلك لأن الذوق الصوفي يُخشى أن يهمله الناس في حياتهم، فإن في إهمالـــه ضـــررا بالغا على حياة الأفراد والمجتمع معا، إذ هو حياة القلوب التي بـــدونها تصاب حياة الناس بالجفاف، فيسقطون مثل الأشجار ذابلة دون رِيٍ أو ارتواء، فتغيب ملامح الأرواح، وتبقى كثافة الأشباح كما هو اليوم.

في كـــثير مـــن الأقطار، وعند كثير من الناس، يلاحظ ذلك وترى الكثير مـــنهم أيضا يبكون ويتباكون بعد ذلك أين إنسانية الإنسان ؟ التي ساهموا هم في إفـــسادها وتضييع معالمها ! فالحُجُب أصبحت كثيفة جدا، وهي لم تعد تسمح بمرور شعاع النور من جديد، وما بقي إلاّ أن يأتي طارق شديد يهز بعمق النفوس لتتحرك هذه الكثافة فيفيقوا لإزاحتها وربما يستطيعون.

فـــابن عـــربي نموذج طيب جدا، ومهم جدا أن ننظر إلى حياته الروحية، ونوليها أهمية كبيرة، وأظن أن الناس ربما يقتربون من ذلك.

كـــان نهايـــة مطاف ابن عربي (رضي الله عنه) بدمشق وتوفّي بها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ٦٣٨هـــ، ودُفِن بسفح قاسيون، وله قبر يُزار هناك إلى اليوم.

مصادر ترجمة المؤلف

لا بُـــدَّ وأن يدهشك كما أدهشني ذلك التراث الجم الوفير الذي يتوفر عليه طائفة كبيرة من العلماء تشرح، وترصد، وتنقب في، وعن تراث سيدي محيـــي الدين ابن عربي ذلك التراث الذي يحتاج ما يزال إلى كثير من أيدي وقلـــوب المخلصين من أبناء هذه الأمة، وسوف أعرض لكم نماذج مما كان من المصادر التي عُنيت بالحديث عن الشيخ الأكبر وعن مؤلفاته، سواء منهم من كان معه أو ضده، وهذه المصادر منها:

١- معجم المؤلفين	عمر رضا كحّالة: ١١/ ٤٠
٢-الأعـــلام	خير الدين الزر كلي: ١٧٠
٣-الذيل على الروضتين	المقري: ٧/ ٩٠-١٦١
٤-نفح الطيب	الصفدي: ٤/ ١٧٣-١٧٨
٥- الوافي بالوفيات	ابن كثير: ١٣/ ١٥٦
٦- البداية والنهاية	ابن شاكر الكتبي: ١٢/ ٢٤١-٢٤٣
٧- فوات الوفيات	ابن حجر العسقلاني:
٨-لسان الميزان	ابن تغري بردي: ٦/ ٣٣٩-٣٤٠
٩-النجوم الزاهرة	اليافعي: ٤/ ١٠٠-١٠١
١٠-مرآة الجنان	الذهبي: ٣/ ١٠٨-١٠٩
١١-ميزان الاعتدال	السيوطي: ٣٨
١٢-طبقات المفسرين	الـــداوودي محمد بن علي بن أحمد: ٢/ ٢٤٠
١٣-طبقات المفسرين	ابن الجزري: ٢/ ٢٠٨
١٤-طبقات القراء	ابن عربي كتبها بنفسه أنظرها داخل المجلد الأول بتحقيقنا طبعة مؤسسة الانتشار العربي.
١٥ -الإجازة بمؤلفاته للملك الغازي	ابن العماد: ٥/ ١٩٠-٢٠٢
١٦-شذرات الذهب	حاجي خليفة: مواضع كثيرة

١٧-كشف الظنون	طاش كبري زاده: ١-١٨٧
١٨-مفتاح السعادة	الخوانساري: ١٩٢
١٩-روضات الجنات	الكتاني: ١/٢٣٣
٢٠-فهرس الفهارس والإثبات	
٢١-كتاب المعرفة	لابن عربي بتحقيقنا
٢٢-كتاب الفتوحات المكية	لابن عربي أيضا، خاتمة الكتاب
٢٣-فصوص الحكم	شرح أبو العلا عفيفي
٢٤-فصوص الحكم	شرح عبد الرزاق القاشاني
٢٥- كتاب اليقين	ابن عربي بتحقيقنا
٢٦-في صحبة الشيخ الأكبر	الشيخ عبد الرحمن حسن محمود
٢٧-التنزلات الموصلية	ابن عربي بتحقيق الشيخ عبد الرحمن
٢٨-هدية العارفين	
٢٩-الكبريت الأحمر	البغدادي: ٢/١١٤-١٢١
٣٠-اليواقيت والجواهر	الشيخ عبد الوهاب الشعراني
٣١-رسائل ابن عربي	الشيخ عبد الوهاب الشعراني
٣٢-فهرس المخطوطات المصورة	بتحقيق: قاسم محمد عباس،
٣٣- فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية.	حسين محمد عجيل ولطفي عبد البديع مواضع كثيرة
٣٤- سير أعلام النبلاء	المجلد الأول
٣٥-مؤلفات ابن عربي	الذهبي: مؤسسة الرسالة
٣٦-محيي الدين ابن عربي	دكتور عثمان يحيي: هيئة الكتاب مصر
٣٧- الطبقات الكبرى	
٣٨-ديوان ابن عربي	دكتور: محمود قاسم
٣٩-جامع كرامات الأولياء	عبد الوهاب الشعراني: ١/١٦٣
٤٠-الكواكب الدرية في تراجم	قدم له محمد ركابي

السادة الصوفية	يوسف بن إسماعيل النبهاني
٤١- ترجمان الأشواق	عبد الرءوف المناوي: ١٥٩/٢
٤٢- المجددون في الإسلام	طبعة دار صادر
٤٣-تاريخ فلاسفة الإسلام	الصعيدي
٤٤- عقود الجوهر	لطفي جمعة
٤٥- البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر	جميل العظم
	أحمد حمدي القادري
٤٦- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي	برهان الدين ألبقاعي
	السيوطي
٤٧- تنبيه الغبي إلي تبرئة ابن عربي	إسماعيل البغدادي مواضع كثيرة
٤٨-إيضاح المكنون	بروكلمان الطبعة العربية.
٤٩- تاريخ الأدب العربي	ترجمة بإشراف أ.د. محمود فهمي حجازي.

والحديث عن المصادر هام جدا، إذ بها مجمل تفاصيل الكلام قربا وبعدا عن ابن عربي ومؤلفاته التي ملأ بها الدنيا كلها بحثا وتنقيبا عن مراداته من هذه المؤلفات، والحقيقة أنه لم يكن هناك مرادات للصوفي الكبير غير مراد الله، لأنه تلقى هذه الكتب ذوقا وكشفا لا تأليفا. لكي تظل فكرة البحث حول أعماله فكرا وبحثا اختلافا واتفاقا تدل على أهمية هذه الأعمال.

مؤلفاته

الحديث عن مؤلفات ابن عربي حديث ذو شجون كما يقول القائل، وقد تحدثت عنها كثيرا جدا تقريبا في كل كتاب قمت بتحقيقه ونشرته لابن عربي، وأود هنا أن أحيل القارىء إلى المجلد الأول من رسائل ابن عربي طبعة مؤسسة الانتشار العربي ففيه رسالة محققة داخل الكتاب بخط ابن عربي نفسه بمؤلفاته، وشيوخه، وأعتقد أنها تغني عن كثير ممن يتحدث عن المؤلفات.

نسخة الفـــاتحة

المخطوطة

هـــذه النـــسخة ضمن مجموع مبارك به عدد من الرسائل كلها من تأليف سـيدي محيـي الـدين ابن عربي، موجودة بمكتبة طلعت باشا ؛ التي هي من محفوظات دار الكتب المصرية. والمخطوط في: (مجاميع طلعت تحت رقم(٦٣٣) ميكــروفيلم (١٠٥٢٣) وبه ما يزيد عن ٣٠ رسالة كلهم لابن عربي يقع تفسير الفاتحة أول الرسائل ويستغرق الأوراق من ورقة١ إلى ص١٧، وهذا المجموع يقع في أكثــر مــن ٣٦٠ ورقة مخطوطة تبدأ الرسائل برسالة في تفسير سورة الفاتحة وتنتهــي برســالة مــا لا يعــول علــيه الــتي تبدأ من ورقة ٣٤٩ إلى نهاية الكــتاب.وســأذكر هذه الرسائل ربما يستفيد احد بما فيها، وقد افتتح الناسخ المجموع بافتتاحية قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده إلى الدخول في سلك سلسلة لآلئ أهل وداده، وأحمده على ما أولى من جــزيل نعمــه، وفــتح من خزائن كرمه. والصلاة والسلام على من شيد شمل المؤمــنين، وعلى الهدى جمعهم، القائل: من أحب قوما حشر معهم، وعلى آله أعيان الملة الأطهار، وأصحابه أركان الدولة الأخيار، وتابعيهم بإحسان من كل محسان إلى يوم الدين آمين. أمَّا بعــد: فهذا مجموع لطيف مبارك شريف يشتمل علــى ثلاثة عشر مؤلفا من مختصرات تأليف بحر علم الله، ونائب سيدنا رسول الله(صــلى الله علــيه وسلم) سيدنا سلطان العارفين محيي المــلة والدين الشيخ الأكــبر، والكــبريت الأحمــر، محمد بن علي بن محمد العربي قدس الله تعالى أسراره، وضاعف أنواره، وأعاد علينا وعلى جميع المسلمين من بركاته، وبركات علومه آمين.

فهرســـت ما اشتمل عليه هذا المجموع الشريف من مؤلفات الشيخ الأكبر، وهي:

١- تفسير سورة الفـــاتحة، وتقع في المخطوط من ورقة ١ إلى ورقة ١٧ وهي التي بين يديك الآن.

٢- الأحاديث القدسية.

٣- الأخبار القدسية.

٤- الأحاديث المسندة للحضرة الإلهية.أي التي رواها هو نفسه عن ربه تعالى.

٥- كتاب اليقين، وقد قمنا بتحقيقه ونشره منذ مدة طويلة.

٦- تاج الرسائل، ومنهاج الوسائل، وقد قمنا بتحقيقه أيضا ونشر ضمن رسائل ابن عربي المجلد الثاني مؤسسة الانتشار العربي كلها بتحقيقنا.

٧- كتاب الحجب، وقد حققناه والحمد لله تعالى وطبع بمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

٨-كتاب التجليات، وقد طبع هذا الكتاب كثيرا، ولنا منه تحقيق سيصدر إن شاء الله تعالى قريبا.

٩- رسالة الاتحادية.

١٠- رسالة السريانية

١١- رسالة الشواهد.

١٢- رسالة شعب الإيمان. (تحرير البيان في تفسير شعب الإيمان)

١٣- كتاب الغوثية.

١٤-رسالة الفردية.

١٥-رسالة الوجودية.

١٦- كتاب الموعظة.

١٧- كتاب تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان.

١٨- كتاب مشاهد الأسرار القدسية.

١٩- كتاب التنزلات الموصلية.

٢٠- كتاب السهل الممتنع.

٢١-رسالة الخرقة.

٢٢- كتاب المعرفة.

٢٣- كتاب نسخة الحق.

٢٤- كتاب معرفة سر نشأة العالم أو: مرآة المعاني في معرفة العالم

الإنساني.

٢٥- كتاب الجـــلالة.

٢٦- كتاب المقصد الأسمى في الإشارات لما وقع بلسان الشريعة والحقيقة من الأسماء.

٢٧- كتاب الفناء في المشاهدة.

٢٨- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام.

٢٩- كتاب أيام الشأن.

٣٠- كتاب ما لا يعول عليه.

وربما في هذا الموضع بعض الرسائل لم أتنبه إلى أسمائها لا نشغالي وقتها بما في يدي وهو الأهم تفسير سورة الفاتحة.

الكلام عن نسخة تفسير سورة الفاتحة:

* يقـــع المخطـــوط الخاص بالرسالة في سبعة عشر ورقـــة ب٣٤صفحة فالورقة الأخيرة بالصفحة عدد الأسطر أقل كما هي عادة أصحاب ختم الرسائل يكتبون الكلام بطريقة الهرم المقلوب.

* الصفحة في ٣١ سطرا.

* السطر من ١٠-١٣ كلمة.

* الخط أسود كله نسخي معتاد ليس به عناوين جانبية.

* انظر المرفقات من المخطوط.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده [illegible]

[illegible]

أما بعد فهذا مجموع لطيف مبارك شريف يشتمل على [illegible]

[illegible] سلطان

العارفين محيي الملة والدين الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محمد بن علي بن

محمد ابن العربي قدس الله تعالى سره [illegible]

جميع المسلمين من بركاته وبركات علومه آمين فهرست ما اشتمل عليه هذا

المجموع الشريف من مؤلفات الشيخ الأكبر قدس سره

[illegible]

الصفحة الأولى من مخطوط الفاتحة

جاء عليه من العدم الى الوجود حتى يرجع عليه من الوجود الى
العدم فتمنيه هذا اغلب اسباب الرجوع وهو في صورة النبي
في الشرع وفي الحقيقة جذبه اخو فهديه بها الى العدم وفناء
الوجود كما هداه بالنعمة الى الوجود ليهديه الى واجب الوجود
وهذا معنى احزمن معاني ووجدك ضالا فهدى فكانه [illegible]
لواجب الوجود فكذلك لا نهاية فهدى الله الى معرفة الى الابد
فان الله تعالى جعل صلوة العبد معراجا ليرجع بها الى العدم انانية
وفقدان الوجود وليس هذا العروج الى العدم من شأن الانسان
الا بالذى اوجده وانزله الى اسفل الوجود كما قال تعالى ثم رددناه
اسفل سافلين ليرجع بها الى اعلا عليين العدم فعلى الله
التفريج وعلى العبد التسليم وتسليم العبد بالايمان والعمل
الصالح لقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وخير
الاعمال الصلوة ولهذا قال الله تعالى قسمت الصلاة الحديث
فالعبد يتقرب الى الله تعالى بصدق نيته وعجزنا ويشكره
على ما اولاه من نعمه ويستهديه اليه فالحق تعالى يأخذه
منه اليه ويفنيه عنه ويبقيه به بل هو هو ويفتح رسوم انانيته
بسطوة تجلى هويته فينقذ بوجوده فعند ذا لا يجد ابدا ويجد
المقصود وعندنا لا ينقطع ابدا لانه صار مكلله لقوله تعالى
ولعبدي ما سأل اذكره فختم الله تعالى فقد وفقه بخاتم آمين
فهذا هو الانسان الى مقام عباده المخلصين بان ليس لاحد
من العالمين ان يتصرف فيهم ونقل عنهم ما تم رب العالمين
آيس ابليس عن التصرف فيهم وقال الا عبادك منهم المخلصين
تم الكتاب بعون الملك الوهاب والله
اعلم بالحقيقة والصواب

الصفحة الأخيرة من مخطوط الفاتحة

رسالة في تفسير فاتحة الكتاب

و

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله الأكرمين.

أما بعـــد.

قال الشيخ (رضي الله تعالى عنه): سورة الفاتحة سُمِّيت الفاتحة لمعنيين:

أحدهما: أن الله تعالى فتح بها أبواب خزائن الحقائق، التي ما فتح قبلها لأحد من العالمين إلاّ على حبيبه، ونبيه، ورسوله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن أودع فيه حقائق جوامع الكلم ؛ التي أنزلها على جميع أنبيائه ورسله (عليهم السلام). يدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

والـــثاني: أنها فاتحة فتوحات هذا الكتاب بأن الله تعالى ضمن فيها حقائق مـــراتب الـــربوبية، ومراتب العبودية، ومراتب الأمور الدنيوية، ومراتب الأمور الأخـــروية، التي هذا الكتاب مشتمل عليها، ومستجمع دقائق معانيها، وحقائق مبانيها.

۞ فمراتب الربوبية عشرة:

أولهـــا: مراتب الاسم، بأن له تعالى اسماً.

الثـــاني: الذات.

والثالث: الصفات.

فعدة المراتب الثلاثة حاصلة في ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾[2].

---

(١) الآية رقم (٥٩) من سورة الأنعام، ونصها: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ ﴾.

(٢) إذا عددنا البسملة من الفاتحة فهي الآية الأولى، ولكن هناك كثير من الأئمة لا يعتبرونها =

والرابع: الثناء[١].

والخامس: الشكر.

فهما حاصلان في الحمد.

والسادس: الألوهية.

والسابع:الخالقية ؛ وهي حاصلة في ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢].

والثامن: الملكية بالملكية، وهي حاصلة في ﴿ مَٰلِكِ ﴾[٣].

والتاسع: العبودية بالألوهية والوحدانية، وهي حاصلة في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[٤].

والعاشر: الهداية بالحق والإنعام من الأزل إلى الأبد.

وهي حاصلة في: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾[٥].

جزءا من الفاتحة، وكثيرون أيضا يعتبرونها كذلك. انظر مناقشة هذا الأمر فيما بعد. أمّا المراتب المقصودة فهي: مرتبة الاسم: الذي هو المتعين فيطلقونه، ويعنون به كل حقيقة مفردة من حقائق العالم إذا اعتبرت من حيث قابليتها الأصلية لإفاضة الوجود. ومرتبة الذات: ويعني بها في قواعد أهل الكشف باطن اسمه المتكلم، والسميع، والعليم، والبصير، والقدير وهذه الرابعة تسمى مفاتيح الغيب.

وأما مرتبة الصفات: فبحسب الانضياف إلى المظهر أو الظاهر أو إليهما يعني بذلك أن الصفات المنسوبة إلى الموصوف بها تارة تنسب إليه باعتبار أنها صفات الحق الظاهر في المظاهر، وتارة باعتبار كونها صفات للمظهر وسوف تقف على شروح لهذه المراتب فيما بعد. انظر القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية: ١/ ١٩٤، ٢ / ٢٩٦.

(١) الثناء هو الشكر عند بعض الأئمة، لكن في الحقيقة لكل منهم خصوصية ومع ذلك الشكر أوسع لأنه يتضمن الثناء، والحمد يتضمن الشكر والثناء.

(٢) الآية رقم (٢) من سورة الفاتحة.

(٣) الآية رقم (٣) من سورة الفاتحة.

(٤) الآية رقم (٥) من سورة الفاتحة.

(٥) الآية رقم (٦) من سورة الفاتحة.

وكذلك مراتب العبودية[1] عشرة:

أولها: معرفة الله تعالى بهذه المراتب.

والثاني: الإقرار بالربوبية له تعالى، وبعبودية نفسه له.

والثالث: معرفة النفس، وخلوها من مراتب الربوبية.

والرابع: العلم باحتياجه إلى الله تعالى، واستغناء الله تعالى عنه.

والخامس: عبادة الله تعالى على ما هو أهله بأسره.

والسادس: الاستعانة بالله في عبوديته بالتوفيق في القدرة، والتعلم، والإخلاص.

والسابع: الدعاء، والخضوع، والخشوع، والشوق، والمحبة، فإنه خلق هذا، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[3].

والثامن: الطلب لوجدان الله تعالى، وصفاته، ونعمه، وهو المقصد الأعلى، والمنية القصوى.

والتاسع: الاستهداء منه ليهتدي به إليه، وينعم عليه بإرشاده طريق الهداية.

والعاشر: الاستدعاء معه بأن ينعم عليه، ويديم نعمه، ولا يغضب عليه فيرده إلى الضلالة والغواية.

---

(1) (العبودية): صفة من شاهد نفسه لربه، وقيل: إن العبودية هي القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى مأمنك بعين التقصير. وقيل: العبودية هي التبري من الحول والقوة، والإقرار بما يعطيك ويوليك. انظر: القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية ٢ / ١٠٤.

(2) الآية رقم (٧٧) من سورة الفرقان.

(3) الآية رقم (٥٤) من سورة المائدة ونصها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

وهذه المراتب كلها حاصلة في: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[١] إلى آخر السورة فافهم هذا.

ومراتب الأمور الدنيوية أربعة:

الملك، والملك، والتصرف فيهما بالمالكية والملكية.

وفاتحة الكتاب مشتملة على هذه المراتب كلها[٢]، كما أشرنا إلى طرف منها. ولهذه المعنى سُمِّيت: (أُمُّ الكتاب)[٣]. لأن أم الكتاب في الحقيقة هي مصدر حقائق كل دين وكتاب ومنشأ دقائق كل حكم وخطاب، لـقوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (سورة الرعد/٣٩).

وأمَّا الحكمة في أن الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف "الباء"، واختارها على سائر الحروف[٤] لاسيما على " **الألف** "؛ بأنه أسقط الألف من الاسم، وأثبت مكانه الباء، وقال: " بسم ". فعشرة معان:

أحدها: أن للألف ترفعاً، وتكبراً، وتساؤلاً. وفي الباء انكساراً،

---

(١) الآية رقم (٥) من سورة الفاتحة.

(٢) كيف لا وهي مشتملة على كل القرآن، والقرآن مشتمل على كل الكتب المنزلة.

(٣) وسميت بذلك لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظا، وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطا، وتفتتح بها الصلوات. و أم الكتاب في هذا الاسم خلاف جوزه الجمهور وكرهه أنس، والحسن، وابن سيرين قال الحسن: أم الكتاب الحلال والحرام قال الله تعالى آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وقال أنس وابن سيرين: أم الكتاب اسم اللوح المحفوظ قال الله تعالى: وإنه في أم الكتاب وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله أم القرآن، وأم الكتاب،والسبع المثاني) قال هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري قال وسميت أم الكتاب لأنه يبتدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها بالصلاة. انظر القرطبي: تفسير القرآن ١/١١١ ، ١١٢.

(٤) لا ينبغي للعبد أن ينتظر الحكمة ليؤمن، ولا يعلق إيمانه بشيء مهما كان، ولكن الحكمة للمعرفة لتزيد الذين آمنوا إيمانا بزيادة أنوار الاعتقاد المضمن في هذا الاعتقاد، فكل اعتقاد يصل للعبد،يصله نوره قبل أن يعمل به ويقبل هذا العمل بناء على هذا الاعتقاد أما إذا قال العبد بلا اعتقاد فإنها دعوى لا يأمن صاحبها. (المحقق)

وتواضعاً، وتساقطاً.

فالألف: لمَّا تكبَّرت وضعها الله. و **الباء**: لمَّا تواضعت رفعها الله.

لما ورد في الحديث: (**من تواضع لله رفعه، ومن تكبَّر وضعه الله**)[1]

وقد ورد: (إن الله تعالى أوحى الى موسى (عليه السلام) أن يأتي الجبل ليسمع كلامه فتطاول كل جبل طمعاً أن يكون محلاً لموسى (عليه السلام) فتصلف طور سيناء[2] في نفسه، وقال: متى أستحق أن أكون محلا لقدم موسى (عليه السلام) في وقت المناجاة ؟ فأوحى الله تعالى الى موسى (عليه السلام) أن

---

(١) حديث: (**من تواضع لله رفعه، ومن تكبَّر وضعه الله**).
رواه أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري بزيادة به درجة ومن تكبر وضعه الله – الحديث، وأخرجه أبو يعلى وأحمد بلفظ ومن قنع أغناه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله، وأسنده الديلمي عن عمر بلفظ فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم، ورواه أبو الشيخ عن معاذ بلفظ من تواضع تخشعا لله رفعه الله ومن تطاول تعظما وضعه الله وفي تاريخ ابن عساكر عن طلحة بن عبيد الله أن التواضع لله تبارك وتعالى الرضا بالدون من المجالس انتهى.
انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ٢ / ٢٧٩.

(٢) (سيناء) بكسر أوله ويفتح اسم موضع بالشام ومصر يضاف إليه الطور فيقال:طور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ونودي فيه وهو كثير الشجر قال شيخنا أبو البقاء هو اسم جبل معروف فإذا حسنة السين كانت همزته للتأنيث البتة لبطلان كونها للإلحاق والتكثير لأن فعلا لا لم يات المضاعف كالزلزال والقلاقل ويجوز كسر السين فعلى هذا تكون الياء فيه زائدة ويكون على فيعال مثل ديباج ود يماس وقد تكون الياء أصلية ويكون كعلياء ونصب حينئذ كعلياء في كون الهمزة للإلحاق فإن قلت فلم لم ينصرف قلت لاجتماع التعريف والتأنيث لأنها اسم بقعة وهو مثل دمشق في أن تأنيثها بغير علامة وقد جاء في اسم هذا الموضع سينين قال الله تعالى وطور سينين وليس في الكلام العربي اسم مركب من س ي ن إلا في قولك في الحرف سين.
أما كلمة **تصلف**: أي: تصاغر في نفسه.
انظر: معجم البلدان٣/٣٠٠.

ائت ذلك الجبل المتواضع، الذي ليس يدري لنفسه استحقاقا) [١]. فكذلك حال الباء مع الألف.

وثانيـــها: أن الباء مخصوصة بالإلصاق، وتصل إلى كل حرف بخلاف أكثر الحـــروف خـــصوصا الألف، لأن الألف مخصوصة بالقطع، وتكون منقطعة عن الحـــروف كلها.فلما كانت الباء واصلة لرحم الحروف وضعها الله. ولمّا كانت الألـــف قاطعة الرحم غير الحروف قطع الله عنها. روى عبد الرحمن بن عوف[٢]

---

(١) حديث: أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام)..........) محمد بن أبي بكر المقدمي نا عن أبيه عن أبي عمران الجوني عن نوف قال أوحى الله عز وجل إلى الجبال أني نازل على جبل منك قال فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء وقال أن قدر لي شيء فسيأتيني فأوحى الله عز وجل إليه أني نازل عليك لتواضعك ورضاك إدبارهن إسناده صحيح. انظر: السنة لعبد الله بن احمد بن حنبل ٢ / ٤٦٩ الحديث رقم (١٠٦٦).

(٢) في نسخة الأصل المخطوط: (عبد الله بن عوف) والحديث معروف كما ذكره الترمذي.

و هو (عبد الرحمن بن عوف) بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي أبو محمد الزهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ويقال صفية بنت عبد مناف بن زهرة ولد بعد الفيل بعشر سنين وهاجر الهجرتين وشهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له من الأخوة عبد الله والأسود وحمنن بنو عوف وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة ويقال عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن عمر بن الخطاب، وروى عنه ابنه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وأنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم، وجابر بن عبد الله. وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ومناقبه وفضائله كثيرة جدا. مات سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن خمس وسبعين سنة. ويقال توفي سنة ثلاث وثلاثين وصلى عليه عثمان بن عفان ويقال صلى عليه الزبير بن العوام ويقال ابنه وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني مات سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين وله خمس وسبعون سنة وقيل اثنتان =

(رضي الله عنه)، قال:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)يقول فيما يحكي عن الله عز وجل: (أنا الله، وأنا الرحمن، وهي الرحم، اسمها من اسمي. فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتَته) [١] حديث صحيح.

وثالثها: أن الباء مكسورة أبداً. فلما كانت فيها كسرة وانكسار في الصورة والمعنى وجدت شرف العندية من الله تعالى. واسمه دون الألف، كما قال تعالى: (**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي**) [٢].

وسبعون سنة وقال غيره مات وهو ابن ثمان وسبعين سنة. انظر: المزي: تهذيب الكمال: الترجمة رقم (٣٩٢٩).

(١) حديث: (أنا الله وأنا الرحمن، وهي الرحم.....) حدثنا بن أبي عمر وسعيد بن عبد الرحمن قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي سلمة قال ثم اشتكى أبو الرداد الليثي فعاده عبد الرحمن بن عوف فقال خيرهم وأوصلهم ما علمت أبا محمد فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله: (أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته) وفي الباب عن أبي سعيد وابن أبي أوفى وعامر بن ربيعة وأبي هريرة وجبير بن مطعم قال أبو عيسى حديث سفيان عن الزهري حديث صحيح وروى معمر هذا الحديث عن الزهري عن أبي سلمة عن رداد الليثي عن عبد الرحمن بن عوف ومعمر كذا يقول قال محمد وحديث معمر خطأ. انظر: الترمذي في السنن: ٤ / ٣١٥ الحديث رقم (١٩٠٧).

(٢) حديث: (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي) قال في المقاصد ذكره في البداية للغزالي، وقال القاري عقبه: ولا يخفي أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية. قلت وتمامه: (وأنا عند المندرسة قلوبهم لأجلي)، ولا أصل لهما في المرفوع. انتهى. أنظر العجلوني كشف الخفاء: الحديث١/٢٣٤ رقم (٦١٤) وعند ابن أبي عاصم:و قال موسى بن عمران: (أي رب أين أبغيك قال: (أبغني عند المنكسرة قلوبهم، إني أدنو منهم كل يوم باعا، ولولا ذلك لا نهدموا) انظر: الزهد لابن أبي عاصم ١ /٧٥، وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو ثنا طاهر بن عمرو بن الربيع ثنا أبي أخبرني السري عن =

ورابعـــها: أن في الباء، وإن كان تساقطاً، وتكسّراً فذلك في الحقيقة رفعة درجـــة، وعلـــو همة. وهي في مقام الصديقين.أمَّا علو الهمـــة: فإنه لما عرضت عليها النقطة ما قبلت إلاً واحدة ليكون حالها كحال موحّد، لا يقبل إلاً واحداً، وعابد لا يعبد إلاً معبوداً واحدا، وقاصد لا يقصد إلاً مقصوداً واحداً، ومحب لا يحب إلاً محبوبا واحداً.

وخامـــســـها: أن الباء تصدقا في طلب قربة الحق تعالى، ولعل المقصود الحقيقي لا يوجد في غيرها من الحروف. وذلك لأنها لما وجدت درجة حصول الـــنقطة، وبلغـــت هذه المدينة ومنعت لمحب قدمها لصدقها في طلب المقصود الحقيقـــي، والمطلـــوب الأصـــلي، وما خاطرت بل أعرضت عنها حتى بلغت مقصدها الأقصى، ومقصودها الأعلى.

فالباء مخصوصة من سائر الحروف بوضع النقطة تحتها، ولا يناقضها جسم. وإن كانت تحتها نقطة واحدة. لأن نقطة الجسم في وضع الحروف ليست تحتها بـــل هـــي ونقطتها وكذلك الياء.وإنما توضع النقطة تحتها عند اتصالها بحرف واحـــد(-)(١) الباء فإن نقطتها موضوعة تحتها، وإن كانت معدودة غير متصلة بحرف آخر.

وسادســـها: أن الألف حـــرف عـــلة، وهو معلول لا يحتمل الحركة. والباء حرف صحيح غير معلول يحتمل الحركة وحالهما، كما أن الله تعالى عرض الأمانة على أهل السموات والأرض من الملائكة وغيرهم ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ (٢) فأمر الملائكة بالسجود فأبى إبليس واستكبر

-

عبد الكريم بن رشيد أن داود عليه السلام قال: (أي رب أين ألقاك ؟ قال: تلقاني عند المنكسرة قلوبهم) انظر البيهقي: كتاب الزهد الكبير: الحديث رقم (٣٦٧).

(١) كلمة غير واضحة في المخطوط.

(٢) هي الآية رقم (٧٢) من سورة الأحزاب ونصها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

فلعنه الله. وأسقط عن قربته، وطرده من جواره وحضرته، واصطفى آدم من بريته، واجتباه لقربته، وزاد في علو درجته، وهداه إلى محبته ومعرفته [(١)].

وسابعـــها: أن الباء حرف تام متبوع في المعنى، وإن كان ناقصا منكسراً تابعا للصورة.

والألف حرف ناقص تابع في المعنى، وإن كان تاماً متبوعاً في الصورة.ألا تـــرى انك إذا نظرت إلى صورة وضع الحروف وجدت الألف مقدما على الباء متـــبوعا لـــه. وإذا قلت الباء وجدت الألف تابعا. وإذا قلت الألف لم تجد الباء بتبعية.فالابتداء بالمتبوع التام في المعنى، والناقص المنكسر التابع في الصورة أولى من الابتداء بمن هو على ضد هذا.

وثامنـــها: أن الباء حرف عامل، يعمل وينصرف في غيره. فظهر الهاء من هـــذا الـــوجه قدر وقدرة فصحت للابتداء.والألف ليس بعامل، ولا ينصرف في غيره فليس له هذا القدر والقدرة مما صلح للابتداء والإقتداء.

وتاســـعـــها: أن الباء حرف كامل في صفاته مكمل في غيره، فكماله في صـــفات نفسه بأنه للإلصاق، والاستعانة، والإضافة، وفيه تواضع إذ لم يقبل من الحركات إلاّ الكسرة، وهي علو قدر في تكميل الغير بان تخفض الاسم التابع له وتجعلـــه مكسوراً متصفا بصفات نفسه، بحيث أن كل اسم يجيء خلف الاسم التابع له يكون مكسوراً بالصفة إلى غير إلهامه، كما دخل على الاسم وجعل ميم

---

(١) هذه الآيات تبين ماهية هذا المعنى وتصفه إذ هذا المعنى مستخلص منها والآيات من سورة البقرة من الآية رقم (٣٤) إلى الآية رقم (٣٩) ونصها: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

" بسم " مكسورة، وجعل الهاء من " الله" مكسورة (--) وهلم جراً. فالكامل المكمـــل أولى (بالأ—) والقدم أولى من الألف الذي هو ناقص معلول في نفسه بنقص معلل لغيره.فإنه لو دخل في الفعل الماضي يجعله مهموز الفاء، معتل العين، ناقص اللام.

وعاشـــرها: أن الباء حرف شفوي ينفتح الشفة ما لم نفتح لغيره من الحروف. لأن الميم وإن كان شفويا لا تنفتح الشفة به كما تنفتح بالباء حساً، وكأول انفتاح فم الذرة الإنسانية في تجهد: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [1] في جواب " بلى ". فلما كان الباء أول حرف نطق به الإنسان، وفتح به فمه وكان مخصوصا بهذه المعاني اقتضت الحكمة الإلهية اختيارها من سائر الحروف، فاختارها ورفع قدرها وأعلا شأنها، وأظهر برهانها، واعز سلطانها، وجعلها مفتتح كتابه، ومبتدأ كلامه، وخطابه وأعطاها رفعة الألف في " بسم الله " وطول بائه لإظهار تعظيمها، وتعيمها، ولقحها إذ منحها مرتبة الألف وأثبتها مكانه، وقدمها باسم ذاته وصفاته، وجعلها معدن إشاراته، ومنبع كراماته مع مراتبه.

كما روى عن " ابـــن عباس "[2] (رضي الله عنهما) أنه قال:

البـــاء: بره بأوليائه.

---

(١) الآية رقم (١٧٢) من سورة الأعراف، ونصها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾.

(٢) (ابن عباس): هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي. عالم، فقيه، صحابي، ولد بمكة ونشأ بها، ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه الأحاديث، وسكن الطائف، وتوفي بها. ينسب إليه تفسير القرآن، ومسند في الحديث، وفتاوى جمعها أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون في عشرين مجلدا. (خ) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٩: ٢٣٨ / ٢ - ٢٤٤ / ٢، فهرس المؤلفين بالظاهرية، الصفدي: الوافي ١٥: ٤٧ (ط) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١: ١٧٥، حاجي خليفة، كشف الظنون ٤٣٨، ١٢٢٦، نور عثمانية كتبخانه ١٢، ١٣. وانظر معجم المؤلفين ٦/ ٤٦.

والسين: سره مع أصفيائه.

والميـــم: مننه على أهل ولائه(١).

وأخـــبرنا المولد (لعله المؤيد)بن محمد الطوسي، أخبرنا العباس بن محمد، أخـــبرنا محمد بن سعيد، اخبرنا أبو إسحاق التغلبي، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين. حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن حمدان المذكري. حدثنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد ابن مزيد، حدثنا أحمد بن هشام الأنطاكي، حدثنا الحكـــم بن نافع،عن إسماعيل بن عيا ش عن الطفيل بن يحيي بن أبي مليكة، عن مـــسعر، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله علـــيه وســـلم): (إن عيسى بن مريم (عليهما السلام) أرسلته أمه إلى الكتاب ليتعلم. قال له المعلم: قل بسم الله.

فقال عيسى (عليه السلام): وما بسم الله ؟

فقال: لا أدري !

فقال (عليه السلام): الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم ملكه) (٢).

وبـــه أخـــبرنا التغلبي، حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا إسحق إبراهيم ابن محمد بن بريد النسفي يحدد يقول: سمعت أبا عبد الله ختن أبي بكـــر الوراق يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول في " بسم الله ": أنها روضة من رياض الجنة. لكل حرف منه تفسير على حدة.

والباء على خمسة أوجه:

- باريء: خلقه من العرش إلى الثرى.

بيانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ (الحشر/٢٤).

---

(١) حديث: (الباء بره.........) لم أقف عليه.

(٢) حديث: (إن عيسى ابن مريم أرسلته أمه إلى الكتاب...).

انظر الحديث في: الطبري: التفسير: ١ /٥٣، وابن كثير: التفسير أيضا: ١ / ١٨.

الديلمي: مسند الفردوس: ١ / ٢٢٩، ابن حبان البستي: المجروحين: ١ / ١٢٦.

السيوطي: تدريب الراوي: ١ / ٥٦.

- **بصير:** باسط خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ (القصص/٨٢).

- **فناء خلقه من العرش إلى الثرى.**

بيانه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ (الرحمن/٢٧).

- **باعث:** الخلق بعد الموت للثواب والعقاب من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾ (الحج/٧).

- **بار:** بالمؤمنين من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الطور/٢٨).

والسين على خمسة أوجه:

- **سميع الأصوات:** لخلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ ﴾ (الزخرف/٨٠).

- **سيد:** قد انتهى سؤدده من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ (الإخلاص /٢).

- **سريع الحساب مع خلقه من العرش الى الثرى.**

بيانه: ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (البقرة/٢٠٢) .

- **سلام على خلقه:** من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ (الحشر/٢٣).

- **ساتر ذنوب عباده من العرش الى الثرى.**

بيانه: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ (غافر/٣).

والميم على أحد عشر وجها:

- **ملك:** الخلق من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ (الحشر/٢٣).

- **مالك:** خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ (آل عمران/٢٦).

- **منّان:** على خلقه من العرش إلى الثرى.

بيانه: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (الحجرات /١٧).

- **مجيد:** على خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴾ (البروج/ ١٥).

- **مؤمن:** آمن خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾ (الحشر/٢٣).

- **مقتدر:** على خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ (الكهف/٤٥).

- **مُقيت:** على خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴾ (النساء/٨٥).

- **مكرم:** أولياءه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء/٧٠).

- **منعم:** على خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ ﴾ (لقمان /٢٠).

- **مفضل:** على خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة / ٢٤٣).

- **مصور:** خلقه من العرش الى الثرى.

بيانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ ﴾ (الحشر/٢٤).

قال الشيخ الإمام مصنف الكتاب:

- **مع الباء:** بلاؤه لأنبيائه وأحبائه.
- **والسين:** سلامه لأنبيائه وأصفيائه.
- **والميم:** معرفة مع أهل ولائه في ابتلائه. ومعرفة مبتلاه بابتلاء أهل ولائه

وأصفيائه، ومنته على أهل سلامته، بآلائه ونعمائه وسلامة القلب وصفائه.

قال (رحمه الله): فإن قيل: ما المناسبة في حمل هذه الحروف على هذه المعاني ؟

قلنا: ما مناسبة حمل الباء على البلاء في ابتداء كتابه وافتتاح خطابه إن الإنسان في أصل الجبلة وبدء الخلقة مجبولا على الابتلاء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (الإنسان/ ٢). وإنما بنى أمر خلقته على الابتلاء، لأنه خلق للمحبة والولاء كما قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة /٥٤). والمحبة مظنة الابتلاء كما أخبر النبي (عليه السلام): (إذا أحب الله عبداً ابتلاه)[1]. وإذا أحبه حبا شديداً اقتناه قال: لا يبقي له مالاً ولا ولداً.

وأمّا مناسبة حمل السين على السلامة في المدنية الثابتة من افتتاح الكتاب فلمعنيين:

أحدهما: أن السلامة مرتبة ثابتة لأهل البلاء لأن البلاء على نوعين:

بلاء المحبة، وبلاء النقمة.

---

(١) حديث: (إذا أحب الله عبدا ابتلاه) ١٨٥ - إذا أحب الله قوما ابتلاهم

رواه الطبراني وابن ماجه والضياء في المختارة عن أنس ورواه أحمد عن محمود بن لبيد بزيادة: فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع وأقول الجاري على الألسنة فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط، ورواه أحمد والديلمي عن أبي هريرة بلفظ إذا أحب الله أحدا ابتلاه ليسمع تضرعه. ورواه الطبراني عن أبي عنبسة الخولاني بلفظ إذا أحب الله عبدا ابتلاه وإذا أحبه الحب البالغ اقتناه: لا يترك له مالا ولا ولدا، وللطبراني أيضا عن أنس إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا وثجه ثجا.ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا: إذا أحب الله عبدا ألصق به البلاء ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي سعيد أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسدي فقال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه. وإذا ابتلاه صبره وفيه غير ذلك انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١/٧٨/١٨٤.

فأما بلاء المحبة: فعلى نوعين: بلاء المحنة، وبلاء المنحة.

وبلاء النقمة: على نوعين: بلاء الرحمة، وبلاء النعمة.

فأما المحبة فمخصوصة بالأنبياء والأولياء، ثم بالأمثل فالأمثل.

فمنهم: من يختص ببلاء محنة كما كان حال أيوب (عليه السلام).

ومنهم: من يختص ببلاء المنحة كما كان حال سليمان (عليه السلام).

واعلـــم أن الطريق الى الله تعالى على جادة المحنة أقرب من جادة المنحة ؛ لأن بلاء المحنة أخلص للأنبياء والأحباب أبدية. ونزّه النبوة، والمحبة عن دنس عين معدن الإنسانية وتلون الخسة الحيوانية كما جاء البلاء للولاء كاللهب للذهب.فأهل المحبة مجذوبون بجذبة البلاء واصلون إلى البلى غير منقطعين في تيه البلاء بالغون إلى الكعبة. وحال المحبوب ألا يرى أن أيوب (عليه السلام) كيف وصل بجذبة: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ (الأنبياء /٨٣) إلى مشاهدة جمال ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (تكملة الآية) وذلك لأنه تمسك بيد الصبر على جذبة الضر فمسه الضر إلى الضار فأنسته لذة مشاهدة الضار عن شهود ألم الضر فأري أن الضر كان جذبة توصله إلى الضار فعرفهما. أنها رحمة في صورة المحنة من بلاء المحبة، رحمه بها محبوبه، وخلص من حبس وجوده فقال مسني الضر.

أي: أفنيتني عني بطهارتيك وأنت أرحم الراحمين.الواو فيه واو الحال. أي: في هذا الحال. رحمة من جميع الراحمين. لأن رحمة الرحماء على المرحومين بالنعمة والصحة في الظاهر لدفع الفقر والمرض. وذلك أيضا بلاء. وبلاء النعمة لبعضهم رحمة، وهم أهل الوفاء. ولبعضهم نعمة وهم أهل الجفاء. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ (الكهف / ٧).

فأهــــل الوفاء: أوفوا بما عاهدوا الله على ترك الشهوات النفسانية، والزينة

الدنيوية حين اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة [(١)].

وأهــل الجفاء: ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصــل، وأفسدوا استعدادهم بالركون إلى زينة الدنيا وإتباعهم الهوى أولئك هم الخاســرون فــصار علــيهم النعمة في الظاهر نقمة في الحقيقة ؛ فالنعمة توجب الإعراض كما قال تعالى:

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ (فصلت/ ٥١) ومس الضر موجب الإقبال إلى الله تعالى كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ (تكملة الآية السابقة). فأتت رحمة على دفع النقمة والصحة عني لأنها مظنة الإعراض (وأفنيتني بك عني) فلما زال الضرر رده إلى ضده فما أبقى الضر مني شيئا، وما بقي الضر كالنار إذا لم تبق من الحطب شيئا لا تبقي النار ما إذا لم تبق الضر، ولا صاحب الضر (فإنها له رحمة) فينظر الرحمة بطرق إليك، وإليك رحمة أرحم الراحمين.فإذا تحققت هذا فاعلم أن المرتبة الثابتة من بلاء المحبة لأهل السلامة.

وأمـــا المعنى الثاني في عمل السين على السلامة في المرتبة كما كان حال أيوب، وإبراهيم، ويوسف (عليهم السلام) وغيرهم في المرتبة الثانية السلامة في الأمـــر. لأن الــبلاء في افتتاح الكتاب إشارة إلى البلاء لأهل الولاء. وقدره أن الإنسان لا يخلو من البلاء بحال.

وأثبتنا أن البلاء على نوعين: بلاء المحبة وبلاء النعمة.

فــبلاء الــنعمة ما يكون مع سلامة الدين والدنيا لأهلها ؛ فالسين بعد باء

---

(١) انظر الآية رقم (١١١) من سورة التوبة ونصها: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة/ ١١١).

البلاء إشارة إلى سلامة أهل الصفا كما مر ذكره.

فإن قيل: ما الفرق بين بلاء المحنة، وبلاء النعمة، التي هي الرحمة وكلاهما السلامة في الدنيا والآخرة ؟ قلنا: الفرق بينهما من وجهين:

أحدهما: بلاء المنحة، وإن كان للسلامة، ولكن لا يخلو صاحبه من المحنة.

- إمَّا في ابتداء أمره، كما كان حال إسماعيل، ويوسف (عليهما السلام) إبتلاهما الله تعالى بالمحنة في حال صباهما فخلصهما منها بعد ذلك، وأعطاهما النبوة والملك. كما حكى الله سبحانه وتعالى عن يوسف (عليه السلام): (رب قد آتيتني من الملك).

- وأمَّا في أثناء أحواله كما كان لإبراهيم (عليه السلام) ابتلاه الله تعالى بذبح ولده، ورميه بالمنجنيق إلى نار عدوه ؛ حتى خلصه الله تعالى من ذبح الولد بعد التسليم عند الامتحان، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الصافات/١٠٣). وكقوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الصافات/١٠٧) وخلصه من النار بقوله: ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء/٦٩) - وأماً في آخر عهده كما كان حال زكريا، وحال عيسى، ويحيي (عليهم السلام) اللهم كانت محبتهم في آخر عمرهم، ولهذا كان بلاء المحنة، وبلاء المنحة مخصوصين بالأنبياء، والأحباء لأنهما فرع بلاء المحبة، وهم مخصوصين بالمحنة.

وأهل المحبة لا ينفك عن المنحة أو المحنة، ولا يخلو أهل المنحة في بعض الأحوال من المحنة، ولا أهل المحنة من المحبة، وإن كان الغالب على أحوالهم المنحة أو المحنة.

بخلاف أهل النعمة فإنه يمكن لأهل بلاء الرحمة منهم أن يستديم نعمته في سلامة الدين، ولهذا أثبتناهم في المرتبة الثانية بإشارة السين للسلامة لهم، وهم الأولياء والأصفياء مع انه يمكن أن يصب بعضهم من المصاب والمحن نادراً.

والفرق الثاني: أن سلامة أهل بلاء المنحة غير سلامة أهل بلاء النعمة، وإن كانت سلامة بلاء النعمة داخلة في سلامة بلاء أهل المنحة. وهما شريكان في اسم السلامة إلا في المعنى.

۞لأن سلامة أهل بلاء النعمة: راجعة إلى البدن، والمال، والأولاد،

والأقرباء، والأصحاب في الدنيا والآخرة راجعة إلى عبور الصراط، والنجاة من النار، والدخول في دار السلام ؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر/٤٦).

۞ **وسلامة أهل بلاء المنحة:** وهم أهل المحبة من الأنبياء، والأولياء في العبور من النعمة إلى المنعم، ومن البلاء إلى المُبلي، ومن دار السلام.كما قال في شرح عبورهم من الجنة إلى مليك الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر/٥٤- ٥٥) أي: عبورهم من جنات ونهر إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والإشارة: في قوله تعالى: ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء/ ٦٩) بهذه السلامة. لأن هذه السلامة مودعة في يدك سلامة أهل بلاء النعم.

وأمَّا قوله للنار: ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء / ٦٩). كان بعد أن ألقي ابراهيم في النار، ولتخليص إبريز الخلة من دنس الإلتفات إلى غير الجليل، وإن كان ابراهيم (عليه السلام) في بدء مقام الخلة نظر إلى غير خليله بنظر العداوة، وقال: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء/٧٧) وأعرض عن الأغيار، وقال: ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام/٧٩) وسعى على قدم العبودية، إلى حضرة الربوبية، وقال: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (الصافات/٩٩). فاعلم: أن الطريق إليه بغير هدى الله مفسد فأحال بعد إقامته بشرط العبودية هداية الربوبية عليه وقال: (سيهدين) لهداية الله إليه بقدم الوصال كما هداه بنظر التوحيد حين ﴿ رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ (الأنعام/٧٧) إلى أن قال ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ (الأنعام/٧٦)، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ ﴾ (الأنعام/ ٧٩) لأن الهداية بالنظر إلى التوحيد هداية أهل النهاية. وبين النظر والقدم مسالك

ومهالك كثيرة وقد انقطع منها خلق عظيم من العلماء المتقين، وأعزة السالكين وهلك منها جمهور الحكماء المتفلسفين اللهم إلاّ عبادك منهم المخلصين المجذوبين بجذبات المحبة من الأنبياء والمرسلين وأوليائك المحفوظين على صراطك المستقيم والدين القويم كما خلصت بفضلك ورحمتك خليلك (عليه السلام) حين ابتليته بالإلقاء في النار ليتخلص بالكلية من آفة إلتفاته إلى نفسه كما يخلص من آفة الإلتفات إلى المال والولد. فلما ألقي في النار أدركته العناية الأزلية وخلصت إبريز خلته من آفة الإلتفات إلى غير خليله من نفسه ومن الوسائط كلها حتى جبريل (عليه السلام) تلقاه في الهواء ليمتحن إبريز خلته بمحك: هل لك من حاجة[1]؟

فــيرى هل هو صاف خالص أم فيه بقية من روحانية بعد الجسم والروح تتعلق بالمناسبة الروحانية بجبريل (عليه السلام) فأشعلت منها شعلة: (أمَّا إليك فـــلا) فرجع جبريل منه بخفي حنين. فصبر عن مقاطع الوسائط بدلالة نور الخلة في حيازة العناية ووصل الخليل إلى الجليل بالسلامة.

فالـــنار كانت واسطة تخليصه وتلخيصه بترك سلامة أهل بلاء النعمة لنيل سلامة أهل بلاء المحبة، وهي الوصول إلى الملك السلام.

وكذلك الفرق بين بلاء أهل المحنة، وبين بلاء أهل النعمة.

لأن بلاء المحنة يكون لامتحان الأحباء في الدنيا كما كان محنة أيوب (عليه السلام) فلا يدوم:

- فإما أن يقتضي الأحباء في الدنيا صورة ومعنى.
- وإما أن ينقضي في الدنيا بالمعنى وبالموت صورة.

بخلاف بلاء النعمة:

- فإنه إما أن يدوم في الدنيا والآخرة صورة ومعنى.
- وإما أن يكون في الدنيا لا بالصورة بأن يكون في التنعم، ويكون في الآخرة بالصورة والمعنى.

---

(١) انظر: القرطبي التفسير: ١١/٢٦٥، والبغوي في التفسير:١/٣٢٦، والبضـــاوي: ١/ ١٠٠، وأبي السعود ٦/٧٦ والنسفي: ٣/٨٦، وروح المعاني ١١/ ١٧٠.

- وإما حمل مناسبة الميم في المدينة الثابتة من حروف " بسم الله " علـــى معروفه مع أهل بلائه وولائه، في أثناء ابتلائه، وعلى منته، وعلى أهل سلامته في الابتلاء بآلائه ونعمائه فظاهر.

فإنه لو لم يكن معروفه مع أهل بلائه بنعمة الصبر لزل قدمهم من جادة العبودية ورؤية رحمة الربوبية في عين البلاء وانقطع نظرهم بحجاب البلاء عن المبلي كما كان في حق الأكثرين من المخذولين. وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ (الفجر/١٦) الإهانة في البلاء من الخذلان وعدم الصبر. والصبر ليس من شأن الإنسان. لأن الإنسان خلق من عجل. والصبر نعمة من نعم الله تعالى، كما قـــال للنبي (صلى الله عليه وسلم): ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ (النحل/١٢٧).

فالبلاء لأهل بلاء المنحة نعمة الصبر كقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة/١٥٥). أي: بشر الصابرين بأن هذا البلاء ليس للإهانة كما كان في حق أهل الخذلان بل للإعانة على نيل درجة الصبر ليستحقوا به الصلوات والرحمة والهداية من الله تعالى. وإن أيوب (عليه السلام) وجد مرتبة نعمة العندية بمعروفه الصبر من الله تعالى كمـــا قال تعـــالى: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ (ص/٤٤). وكذلك لولم يكن منته على أهل السلامة في بلاء النعمة بمنحة الشكر ورؤية النعمة من المنعم قدمهم عن جادة العبودية كما كان حال قارون.وقد يكون انقطاع نظرهم بحجاب البلاء في النعمة عن المنعم قال قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ (القصص/ ٧٨) وقال فرعون: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النازعات/٢٤) وهذه الآفة مذكورة في جبلة كل إنسان كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ (العلق/٦ — ٧) وإنما خلص من هذه الورطة من تخلص منته عليه في عطية نعمة الصبر والشكر.

- فبقوة نعمة الصبر لا ينفق نعمة الله تعالى في معصية.

- وبقوة الشكر ينفقها في سبيل الله، ويستعين بها على طاعته ؛ ليصفو ويسلم قلبه من كدورة الطغيان المنشأ من الاستغناء، ويتنور بنور الصبر والشكر فيرى بصر بصيرته بذلك النور نعمة الشكر من الشكور ونعمة الصبر من الصبور وهو الله تعالى.

فبقدمي الصبر والشكر يصل السالك إلى الصبور والشكور كما قيل: خطوتان وقد وصلت. وإن سليمان (عليه السلام) نال مرتبة نعم العبدية بامتنان نعمة الشكر، ودعوة: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ ﴾ (ص/٣٥) أي حكما كانت لأمسكتما نعمة الشكر. وإنما أيوب وسليمان (عليهما السلام) اشتركا في نيل مقام نعم العبدية لأن كل واحد منهما مخصوصا لاتصاف بصفة من صفات الله اشتركا في مثل مقام نعم الغبدية.

ثم اعلم

أن في " **بسم الله الرحمن الرحيم** " أربع مراتب:

الاسم الدال، وصفة الجلال، وصفة الجمال. وهذه مراتب الموجودات كلها فإنها أربعة أقسام: الألوهية، والروحانية، والجسمانية، والحيوانية وهي كل ذي روح.

فمعنى الباء في أول هذه المراتب الأربع إشارة إلى أن وجود هذه العوالم بي وليس لغيري وجود حقيقي لا بالاسم.

فالعالم: أعني ما سوى الله بالاسم والمجاز وجود لا بالمعنى والحقيقة. ولهذا أشار بعضهم بقوله: ما نظرت في شيء إلا رأيت الله فيه.

وأوضح من هذا قول بعضهم: ما نظرت في شيء إلاّ رأيت الله قبله.

وصرح النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (**لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله**) [1] حديث متفق على صحته.

---

(١) حديث: (لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله).
أورده العجلوني في كشف الخفاء الحديث رقم (٣٠٢٠)

فتحقيق بسم الله الرحمن الرحيم: إن وجودي بذاتي وهو الله. وصفاتي كلها التي من قبيل الجلال ومن قبيل الجمال فبذات قائمة. وما سواي وهو العالم اسم موجود باتحادي وقائم بقيوميتي. ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (يس/٨٣).

وفيه إشارة أخرى: وهي أن الخلائق محجوبون بحجاب أسماء أنفسهم وحجاب أسماء ما سواهم من العالم وقد تصوروا لكل اسم مسمى فوقعوا في تيه الشرك والتفرقة، وتاهوا في بيداء الضلالة وزال قدمهم عن الصراط المستقيم وجادة التوحيد والوحدانية. فلما عبروا بقدم الصدق في المتابعة عن حجب (--)[1] وقطعت مفاوزها بتعليم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة /٣١) الذي كان آدم مخصوصا به علموا أن لا طائل تحتها وعرفوا إن هذه الأسماء على الأشياء: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ (النجم/٢٣) ولكشف هذا القناع كان دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم): (اللهم أرنا الأشياء كما هي)[2] لأن لكل شيء بحسب الظاهر أسماء بأداء معنى يلائمه كما سمي آدم أدما لأنه من أديم الأرض. وهذا الاسم ملائم لكونه في الظاهر وله في الحقيقة اسم آخر بأداء معنى حقيقي قد

= رواه مسلم عن أبي هريرة ورواه البخاري ومسلم عنه بلفظ يقول الله تعالى يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار وفي رواية أقلب ليله ونهاره وإذا شئت قبضتهما. وعند مسلم وأبي داود والحاكم عنه قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره.. وفي رواية عند الحاكم يقول الله استقرضت عبدي فلم يقرضني وشتمني عبدي وهو لا يدري يقول وادهراه وأنا الدهر.. وأخرجه البيهقي بلفظ لا تسبوا الدهر قال الله تعالى أنا الدهر الأيام والليالي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك.. ورواه الشيخان وأحمد عنه بلفظ يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار.

(١) غير واضحة في المخطوط.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما المشهور: (اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه) كما ورد في ابن كثير: ١/٣٣٧.

أودع فيه ملائم لتلك الحقيقة وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة /٣٠) فسماه بمناسبة المعنى الحقيقي المودع: ﴿ خَلِيفَةً ﴾ فكذلك لكل شيء في الظاهر وفي الحقيقة اسم آخر. والآدمي مخصوص بتعلم الأسماء كلها دون الملك وغيره فلما خلصوا من حبس جهل الأسماء ورفعوا حجبها وصلوا الى الله، وإذا وصلوا إلى الله تعالى انتفعوا من جلاله وهو الرحمن وتمتعوا بجماله، وهو الرحيم.

۞والإشارة في تقدم الاسم:

وأما تقدم الاسم في " بسم الله " فلوجده منها ما قيل للتبرك.

والسين:

- منها: ما قيل للفرق بين التيمن واليمن.

- ومنها: ما قلت أن له الأسماء الحسنى، وبحسب كل اسم له صفة فإطلاق الاسم المطلق شامل لكل اسم من الأسماء.والأسماء أصلها من الصفات، وليس لله صفة إلا ويدل عليها اسم. فعلى هذا وقع الابتداء بالله على كل اسم وصفة. والباء للتضمين أي: ابتدئي بأسمائي وصفاتي كلها. وأنا الله الرحمن الرحيم، الذي كوّنت الكائنات، وظهرت الموجودات أرتب سائر معايش أنواع المخلوقات عامة بالرحمانية. وأرتب درجات معاد أهل الكرامات والعزمات خاصة بالرحيمية.

- ومنها: أن تقدم الاسم لتزكية النفوس، وتصفية القلوب من كل اسم ورسم لتحلية الأسرار بأنوار الله تعالى. لأن التحلية لا تكون إلاّ بعد التزكية لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأعلى/١٤ - ١٥) أي تزكى نفسه بذكر اسم ربه، وتحلى روحه بحلية الصلاة والمناجاة مع ربه.

- ومنها: أن المحب لما تعلم اسم المحبوب تسمى اسم نفسه كما كان حال مجنون ليلى. قيل: ما ا سمك ؟

قال: ليلى.

وكذا كان عصيان آدم لنسيانه، فلما علمه الرب أسماءه كلها لقوله تعـــالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة/٣١) نسي اسم نفسه بأنه خليفة الله، واسم إبليس بأنه عدو له، واسم الشجرة بأنه منهي عنها. فاعتذر الله له وقال: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (طه/١١٥) وكذلك حال منصور لما تحقق في نظره: أن كل شيء ما خلا الله باطل.فعلم أن الله هو الحق. فنسي عند ذلك بنظره، وتحقق اسم الحق اسم نفسه. فلما جاء الحق وزهق الباطل فسئل: من أنت ؟

قال: الحق. فقدم الاسم هاهنا لنسي العبد عند تحقق اسمه اسم ما سواه فيتجلى له الله حقيقة لا ا سما ولا رسما كما قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (الكهف/٢٤).

أي: إذا نسيت غير الرب.

۞ وأمَّا الإشارة إلى تحقيق نفس كلمة " الله ":

قلنا: كلمة " الله " بنته على أربعة أحرف: ألف، ولامين، وهاء.

- حرفان منها متفقان في الجنسية متصلان.
- وحرفان منها مختلفان مفترقان.
- والمتفــــقان:

أحدهما: متحــــرك.

والثاني: ساكــــن.

- والمختلفان كذلك:

أولهما: متحــــرك.

والثاني: ساكــــن.

فمجموعها في الصورة والمعنى دال على الإشارة إلى صفتيه، ونعمتيه.

أما نعمتـــاه: فنعمة ظاهرة، ونعمة باطنة.

وأما صفتاه: فهما الظاهر، والباطن.

وهما مختلفان فيدل عليهما حرفان مختلفان: الألف، والهاء.

لأن الألـــف للإظهار والهاء للإضمار. كقولك لست يدل على النفي فإذا أدخلت الألف فيه، وتقول: ألست تدل على الإظـــهار، والإثبات. وإذا أدخلت

الهاء في آخر الكلمة للإضمار كقولك داره فصاحب الدار مضمر وليس بظاهر.

فالألف إشارة إلى صفة الظاهر، والهاء إشارة إلى صفة الباطن.

والحرفان المتفقان، وهما اللامان تدلان على نعمتيه.فإنهما متفقان في الجنسية كما قال تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان / ٢٠) هذا في الصورة.

وأما في المعنى: إلا أي نعمة واحدة. إلا أي نعمتان. إلا أي نعمتاه.

فالتشديد فيه للتفخيم. فالإشارة في هذه اللفظة إلى أن لله مع عباده نعمتين: نعمة الظاهر، ونعمة الباطن.

❁ فللنعمة الظاهرة معنيان:

أحدهما: نعمة إظهارك بالإيجاد بعد ما كنت مخفيا في عالم الأرواح، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ (الأعراف/١١) أي: خلقناكم في عالم الأرواح.

الثـــاني: ثم صورناكم في عالم الأجساد.

❁وكذلك للنعمة الباطنة معنيـــان:

أحدهما: إتيانك في الوجود.

والثاني: نعمة إعطائك الروح الشريف.

فإن عظمة الألوهية، وعزة الوحدانية كانت مقتضية للتفرد بالوجود، ونفي الشرك مطلقا إلا أن الرحمة الواسعة مقتضية للإيجاد، فسبقت رحمته غضبه[1].

---

(١) لقول الحق سبحانه وتعالى: (رحمتي تغلب غضبي) أو: (إن رحمتي تغلب غضبي) متفق عليه عن أبى هريرة رفعه أنه قال لما قضى الله – وفى لفظ لمسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت – وفى لفظ تغلب غضبي ورواه البخاري فقط من حديث مالك عن أبى هريرة أيضا بلفظ: إن رحمتي سبقت غضبي. ورواه مسلم من حديث أبي هريرة أيضا بلفظ قال الله سبقت رحمتي غضبي وفى لفظ لمسلم عن أبي هريرة أن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي. انظر: العجلوني: كشف الخفاء الحديث رقم (٦٩٧) ١/٢٦٢.

بإيجاد الخلق بالصفة الرحمانية التي هي عامة في حق جميع الموجودات بالإيجاد، وبإبقائها بالصفة الرحيمية.فالإشارة في تحقيق كلمة "الله"له أربعة أحرف، وبحيث كل حرف له نعمة فلو لم يكن النعمة للأربعة المناسبة للحروف ما كان للموجودات وجود أصلاً.

أما مناسبة النعم الأربع مع الحروف الأربعة فهي ما بينًا أن النعمة نعمتان: نعمة ظاهرة، ونعمة باطنة.

وللنعمة الظاهرة معنيان كما مر ذكرها، وبينًا أن الحروف على نوعين متفقان ومختلفان فاحد حروفهما متحرك والثاني ساكن. فالمتحرك من أحد حروفهما مناسب لنعمته الظاهرة. والثاني مناسب لنعمته الباطنة. والمتحرك من ثاني حروفهما مناسب لنعمته الظاهرة من المعنيين المذكورين والساكن مناسب لنعمته الباطنة من المعنيين ولو لم يكن بين ذاته تعالى وبين ذوات المكاشفين بصفات جماله وجلاله حجب الأنوار الرحمانية والرحيمية واسطة لأفنى فيه ذواتهم، وتلاشت أجسادهم. كما قال (عليه السلام):

(حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) [١].

وهذا كما أن الله تعالى لما أراد بحكمته البالغة أن ينتفع أهل الأرض بنور الشمس وحرارتها وخواصها جعل بين الشمس، وبين الأرض فلك الزمهرير. وهذا الهواء البارد يم البحر المحيط من الماء البارد واسطة حتى تندفع قوة الحرارة ببرودتها ولو لم يكن ذلك لاحترقت الأرض ومن عليها فلإفشاء هذا السر وكشف هذه الحقيقة على أسرار شاكري نعمائه جعل توقيع بسم الله الرحمن

---

(١) حديث: (حجابه النور لو كشفه.....) (إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) رواه (مسلم والبيهقي عن أبي موسى).
انظر: كنز العمال:١/٣٩٦ الحديث رقم (١١٣٩).

الرحيم في صدر كتابه الكريم ليتحقق لهم أن الخلق بحجاب الاسم محجوبون عن الله. فلما عبروا بجذبات ألطافه عن حجاب الاسم ووصلوا إلى المسمى وهو " الله " تجلى لهم بالألوهية. وإذا أرادت سطوة التجلي أن تمحقهم بالكلية أدركتهم الصفة الرحمانية والرحيمية فتقيهم بلاؤه. والمحاء. فقد بان أن كلمة " الله " أعظم الأسماء من وجوه:

الأول: أن الأخبار تدل على هذا ولقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه دخل المسجد فإذا رجل يصلي ويقول: (**اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**) قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب)[1] الحديث.

وما روى أبي بن كعب (رضي الله تعالى عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال هو في[2] قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (البقرة/ ٢٥٥) وفي قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ (آل عمران/١، ٢) فالأخبار دالة على أن الاسم الأعظم مودع في الدعاء. فلما نظرنا ما وجدنا بالاسم المكرر في الآيتين. والدعاء الاسم " الله " فتحقق لنا أن الاسم الأعظم هو الله.

وأما الجواب عن قول من احتج بالآيتين على أن الاسم الأعظم قولنا هو الحي القيوم. وقال: لما حصر الرسول الأعظم في هاتين الآيتين علمنا أن ذلك هو الحي القيوم.

أما الحصر فلا نسلم لأنه أثبت وجود الاسم العظم في إحدى الآيتين ووحد فيها فلو كان هاهنا الحصر لكان أو للشك هاهنا ولو كان للشك لما وجد

---

(١) حديث: انظر: المتقي الهندي في كنز العمال الحديث رقم (١٩٤٩) ١/٦٨٠.

(٢) أي: الاسم الأعظم في هاتين الآيتين. أي الآية التي ذكرت في سورة البقرة رقم (٢٥٥) وآية سورة آل عمران (١، ٢).

إلا في آيـــة مـــنها دون الأخرى كقولنا زيد في هذه الدار. وفي هذه فلا بُدَّ وأن يكون في دار واحدة. فلما وجد في الآيتين وما بقي عما سواهما علمنا انه يحتمل أن يوجد في موضع آخر كما وجدنا في الدعاء المروي والحديث.

والثاني: أن الاسم على نوعين: اسم ذات، واسم صفة.

فكما أن الذات أشرف من الصفة. فكذلك اسم الذات أشرف وأعظم من اسم الصفة.

وقـــد بينا أن هذا الاسم أعني الاسم " الله " اسم الذات وغيره من الأسماء أسماء الصفات فتعين أن يكون هو الاسم الأعظم.

والـــثالث: أن الصفات داخلة في الذات. والذات ليس بداخل في الصفات فأسمـــاء الـــصفات تكون داخلة في اسم الذات، ولا يكون اسم الذات داخلا في أسماء الصفات. فعلمنا أن الاسم الأعظم هو اسم الذات لا أسماء الصفات. وهذا الاسم متعين لذات.

والـــرابع: أن من عزة هذا الاسم وعظمته لا يجمع، ولا يثنى، ولا يسقط مـــنه الألف واللام عند النداء حتى لا تنفى حروف لفظه بخلاف جميع الأسماء، وهذا دليل واضح على أنه الاسم الأعظم.

والخامس: أنه لو أسقط حرف كان الثاني اسماً لله فإنك إذا أسقطت الهمزة بقي: " لله " وهو من صفات الله. قال الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ (آل عمران/١٨٩). وإن أسقطت اللام الأولى بقي: " له ". وهو أيضا من صفات الله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ (البقرة/١٠٧).

وإن أسقطت اللام الثانية بقي: " هو ". وهو أيضا من صفات الله ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ﴾ (الحشر /٢٤) فلما لم توجد هذه الخاصية في الأسماء غيره علمنا أنه الاسم الأعظم.

السادس: أن الله تعالى لما علم حبيبه (عليه الصلاة والسلام)اسمه عند ثبات

وحدانيته، ونفي الألوهية عن غير ذاته قال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد/ ١٩) ولو كان الاسم الأعظم.....لعلم حبيبه مكان هذا خصوصاً عند نفي الشركة عن ذاته جل جلاله.

السابع: أن لهذا الاسم خصوصية في الإيمان. فإن الإيمان بدونه لا يصح، كقـــولك: " لا إلـــه إلا الله ". ولو قلت بدل " الله " ههنا من أسماء الصفات لم يصح إسلامه. فظهر أنه أعظم الأسماء.

الـــثامن: أن الـــنبي (عليه السلام) أُمر القتال على قول هذا الاسم وقال: (**أمـــرت أن أقاتـــل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله**)[(١)].

فكانـــت الـــنجاة عن الدركات موقوفة عن هذا الاسم والفوز بالدرجات موقـــوفا على هذا الاسم. وصون النفس عن القتل والمال عن القريب والولد عن الأسر موقوفا على هذا الاسم فوجب أن يكون هذا الاسم الأعظم.

التاسع: أمر حبيبه (عليه الصلاة والسلام) عند الإعراض عن كل ما سوى الله والإقبال بالكلية إليه بملازمة ذكر هذا الاسم وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ

(١) حديث: (أمرت ان أقاتل الناس..) ١٦٨٤٦ – عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (أحمد بن حنبل والبخاري (أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة (٢ / ١٣١) ص) مسلم وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والبخاري في الأدب والبيهقي في السنن). ورواه عبد الرزاق عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مثله.

انظر: المتقي الهندي: كنز العمال: ٨٢٨/٦ الحديث رقم: (١٦٨٤٦).

فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام/٩١) فدل على أن هذا الاسم أعظم الأسماء.

العاشر: إن الله العظيم لعظم هذا الاسم صانه عن تسمية غيره بهذا الاسم. ومن عظم هذا الاسم أنه لم يتجاسر احد من المنكرين. أي من أعداء الدين أن يتعلقوا بهذا الاسم المتهم به أي غيرها كما قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ (مريم/٦٥) أي هل تعلم شيئا له اسم الله سوى الله فلعزة هذا الاسم عند الله وكذا الله عليه ما انعم على احد بتسميته كما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لعزة كنيته عنده هي عن التكني بكنيته قال (عليه السلام): **(سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)** [1] فهذا علمنا أنه أعظم الأسماء.

والحادي عشر: روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: **(أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن)** [2]. فاختصاص هذين الاسمين بالمحبة فلاشك أنه لاختصاص تسمية الله والرحمن كاختصاص هذين الاسمين بالذكر بالدعاء عن الأسماء كلها لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ (الإسراء /١١٠) وذلك يدل على أنهما أشرف وأعظم من غيرهما ثم إن اسم الله أشرف من اسم الرحمن لأنه قدمه في الذكر أولا وثانيا فلأن اسم الرحمن يدل على كمال الرحمة واسم الله يدل على الألوهية والقهر والعظمة والعزة وغيرها من الصفات فيثبت بهذا أن اسم الله أعظم الأسماء وأحبها إلى الله تعالى.

---

(١) حديث: (سموا باسمي ولا تكنوا.....).
ذكر هذا الحديث في كنـــز العمال وقال:
رواه أحمد بن حنبل في مسنده، ومتفق عليه، ورواه الترمذي، وابن ماجه كلهم عن أنس وكذلك رواه أحمد بن حنبل، ومتفق عليه، ورواه ابن ماجه - عن أنس عن جابر انظر: المتقي الهندي: كنـــز العمال:٥٤٩/١٦ الحديث رقم (٤٥٢٠٧).

(٢) حديث: (أحب الأسماء إلى الله...) ٤٥٢١٠ - تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة، البخاري في الأدب، أخرجه أبو داود كتاب الأدب رقم ٤٠٥٠. والنسائي - عن أبي وهب الجسمي).
انظر: المتقي الهندي: كنز العمال: الحديث رقم (٤٥٢١٠).

والثاني عشر: أن الله تعالى أمر عباده بما (ألزمه) ذكر هذا الاسم وجعله سبب الفلاح كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران/١٩١).

وجعله مفتاح الجنة، وثمنها كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (مفتاح الجنة: لا إله إلا الله) [١] وقال: (ثمن الجنة لا إله إلا الله) [٢]

بل جعله حقيقة مفتاح قلوب عباده المخلصين بأنوار الكمال وبه أزاح عن أسرار المحققين أستار الصفات الوجودية بتجلي صفات الجلال ليهتدي إلى شاطئ وادي أيمن الوصال كما أخبر النبي (عليه السلام) بقوله:

(والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا) [٣]

---

(١) حديث: (مفتاح الجنة: لا إله إلا الله..) في كشف الخفاء: (مفتاح الجنة لا إله إلا الله) رواه أحمد عن معاذ رفعه. قال النجم وفي لفظ مفاتيح الجنة. وضعفوه لكن عند البخاري عن وهب ما يشهد له.. انظر: العجلوني: كشف الخفاء:١٣٢١/٢ الحديث رقم (٢٣٢٤).

(٢) حديث: (ثمن الجنة.....) (ثمن الجنة لا إله إلا الله) رواه: ابن عدي، وغيره انظر: المتقي الهندي: ٥٩/١ الحديث رقم (١٥٧) و١١٠/١ الحديث (٣٠٧) و١/ ٦٢٦ -١٣٦٦/١٥.

وتخريج أحاديث الإحياء:٢٤٣/١، والعجلوني في كشف الخفاء: ٣٠/٢ الحديث رقم (١٠٤٨).

(٣) {في مسند البراء بن عازب} عن البراء قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة يقول:

اللـــهم لـــولا أنت ما اهتدينا   ولا تـــــصدقنا ولا صـــــلينا
فأنـــــزلن ســـــكينة علينـــــا   وثـــبت الأقـــدام إن لاقيـــنا
إن الأولى قـــد بغـــوا علينـــا   وإن أرادوا فتـــــنة أبيـــــنا

(الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة الخندق (٥ / ١٤٠). وهذا الحديث له روايات عن أنس بن مالك وغيره. كلهم عن يوم الخندق. انظر: كنز العمال: ٧٢٩/١٠ الحديث (٣٠٠٧٩).

وقد تحقق للمتمسكين بالعروة الوثقى أنهم به نالوا ما أرادوا، ووجدوا ما طلبوا، وأُعطوا ما سألوا، وأجابوا إذا دُعوا فعرِفوا أنه الاسم الأعظم.

والثالث عشر: أنه صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه صرح فضيلة ذكـــر هـــذا الاسم على ذكر الأسماء كلها بقوله: (**أفضل الذكر لا إله إلاّ الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**)[1] قلنا: لو كان اسم أعظم من الله لكان هذا الأفضل.

والرابع عشر: ما روي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن رسول الله (صـــلى الله علـــيه وسلم) قال: قال موسى (عليه السلام): (**يا رب علمني شيئا أذكرك به ؟**

قال:يا موسى قل: لا إله إلا الله.

قال: لا إله إلا أنت أنا أريد شيئا تخصني به ؟

قـــال: يـــا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع وضعن في كفة، ولا إله إلاّ الله في كفة لما وزنت بهن لا إله إلاّ الله)[2]. حديث صحيح.

فهذا تصريح بأنه ليس بشيء غير الله أعز وأعظم من كلمة (الله).

والخامس عشر: أن هذا الاسم عند أكثر العلماء، وكبار الفقهاء لا يستقبل العقل إلى كيفية اشتقاقه، وثبت أيضا أن الحق لا سبيل للعقول إلى معرفته. وكان لهذا الاسم زيادة مناسبة مع كنية الحق من هذا الوجه، وسائر الأسماء ليس كذلك.

---

(١) حديث: (أفضل الذكر.....).

(الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان والحاكم، كلهم عن جابر) انظر: كنـــز العمال:١/٦١٢ الحديث رقم (١٧٤٨).

(٢) حديث: (قال موسى (عليه السلام): يارب علمني شيئا أذكرك به.) رواه النسائي، وابن حبان والحاكم، وأبو نعيم.. انظر: مجمع الزوائد:١٠/٨٨ الحديث رقم (١٦٨٠٢) وكنز العمال: ١/ ٦٦٥الحديث(١٩٠٧) المناوي: الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية:

١/ ١٠٨ الحديث(٢٥٠).

فوجب أن يكون هذا الاسم أعظم الأسماء. ولهذا افتتح كتابه الكريم والقرآن العظيم بهذا الاسم وجعله مبتدأ خطابه. وأثبت في صدر كتابه ليعلم أن ما أنزل في هذا الكتاب من أسماء الصفات والحمد والثناء وإظهار الآيات، وإثبات الحجج، وذكر الآلاء والأسماء، والأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، والأخبار والآثار، والقصص والمواعظ، والعلم والحكم والإشارات، والألغاز، والألفاظ، والمعاني، والنكت، واللطائف، والأسرار، والدقائق والحقائق، والقرآن، والمتشابهات، والآيات الناسخات والمنسوخات، وغير ذلك من موجبات الرحمة والعقوبة، والهداية والضلالة. كله صادر عنه. كما أن سلطانا يبعث منشوراً إلى ممالكه ومماليكه يكتب بأحب أسمائه إليه وأعظم إنعامه لديه في طغراء[1] منشورة ليعلم أن جميع الأحكام الواردة في المنشورة صادرة عنه. فلما كان توقيع المنشور الإلهي باسم الله علمنا أنه أحب أسمائه إليه، وأعظمها قدرا. واكتفينا بهذا المقدار مع شرح فضائل هذا الاسم وإقامة البينات على شرفه وعظمته، أو هو تحرز قولا أقوله يتفرق فيه العقول والأوهام ولا تضبطه العلوم والأفهام كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (الأنعام /٩١).

أي: لم يعرفوا كنه ذات الله تعالى حق معرفته. فكذلك لم يعرفوا الله. اسم (الله) حق معرفته. فأما لو سأل سائل فيما أخبرنا بأن الاسم الأعظم أنه من دعا الله بـه أجاب، وإذا سئل به أعطى.فنحن ندعو به ونسأل فلم نر أثر الإجابة في أكثر الأوقات ؟

قلنا: الجواب عنه من وجهين:

---

(١) (طـغر) الطُغرُ لغة في الدُغر طَغَرَه ودَغَرَه دَفَعَه وطَغَرَ عليهم ودَغَرَ بمعنى واحد وقال غيره هو الطُغَرُ وجمعُه طِغرانٌ لطائر معروف.. طُغْرَى بالضمّ مقصوراً: كلمة أعجميّةٌ استعملتها العربُ ويَعْنُونَ بها العَلامَةَ التي تُكتَب بالقلمِ الغَليظِ في طُرَّةِ الأوامِرِ السُّلطانية. عن الصّلاحِ الصَّفَديِّ وأطالَ بَسْطَه في شرح لاميّة العَجَم لمّا ترجم ناظِمَها الطُّغْرَائيّ. قلت: وأصلها طُورْغاي وهي كلمة تَتَرِيَّةٌ استعملها الرومُ والفرسُ. انظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: طغر) وانظر: الزبيدي: تاج العروس١/٣١٠٩.

أحدهما: أن للدعاء آداباً وشرائط لا يستجاب الدعاء إلاّ بها، كما أن للصلاة أركانا لا يقبل إلاّ بها.

وأول شرائطه: أن يصلح باطنه باللقمة الحلال فإن النبي (عليه السلام) ذكر:

(الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام، ومشربه حرام ثم يمد يده إلى السماء يا رب، يا رب فأنى يستجاب له) [1] حديث صحيح.

وقد قيل: الدعاء مفتاح السماء وأسنانه لقمة الحلال.

وآخر شرائطه: أن يدعو بالإخلاص، وحضور القلب قال الله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١٤ ﴾ (غافر/١٤) فإن حركة الإنسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب كولولة على الباب، وصوت الحارس على السطح. أمّا إذا كان القلب حاضراً في الحضرة كان له كالشفيع. ولا نطول الكلام في هذا فإنه ليس مكانه.

والوجه الثاني: أن الاسم وإن كان في نفسه معظما ولكن يؤول فائدة عظيمة إليك إذا قلت بالتعظيم. وتعظيمه يكون بقدر صفاء نيتك، وعلو همتك في الذكر عن تطهير قلبك من الحظوظ الدنياوية والأخروية فإنك لو ذكرته النفسانية والروحانية يقع الذكر تبعا لحظك. فالعظمة تكون للحظ لا الاسم فيهما تخلصت سريرتك عن لوث الحظوظ يصعد إلى المذكور كقوله تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ (فاطر/١٠).

والعمل الصالح أن تطهر ذكرك عن الحظوظ وتراقبه بالحقوق ليكون حظك من الذكر المذكور، ومن الاسم المسمى. وهو أعظم الحظوظ فيكون ذكرك

---

(١) حديث: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام..).

أورده المتقي الهندي في كنز العمال، ١٢٤/٢ الحديث رقم (٣٢٣٦) وقال: رواه أحمد بن حنبل، ومسلم، والترمذي.كلهم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء:٩٣/٢.

أعظم الأذكار، والاسم المذكور لك أعظم الأسماء ففي هذه الحالة كل اسم دعوت الله به يكون الاسم الأعظم. والدعاء يكون مستجابا لأنه دعوته له وما طلبت منه إلا هو فوجدته، لأنه قال: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ (غافر/٦٠) أي اطلبوني تجدوني. كما قال: (ألا من طلبني وجدني) فافهم الإشارة.

في الرحمن الرحيم قال أبو عبيدة هما صفتان له تعالى معناهما: ذو الرحمة. ورحمة الله إرادته الخير والنعمة والإحسان.

قلت: اختلف العلماء في معنى الرحمة.فقال بعض المحققين:

الـــرحمة من صفات الذات، وهو إرادة إيصال الخير ودفع الشر. والإرادة صفة الذات وهو المختار عندي لأنه تعالى لم يكن موصوفا بهذه الصفة لما خلق الموجـــودات. فلما خلق الخلق علمنا أن رحمته صفة ذاته. لأن خلق الخلق إيصال خـــير الوجود إلى المخلوق، ودفع شر العدم عنه. فإن الوجود خير كله. والعدم شر كله.

وقـــال آخـــرون: صفات الفعل وهو نفس إيصال الخير ودفع الشر بدون إيصال الخير.

قلـــنا: وإيصال الخير بدون الإرادة المتقدمة في حق الباري سبحانه وتعالى محـــال. لأن إيصال الخير فعل والفعل مسبوق بالإرادة من الفاعل المختار ويثبت بهذا أن الله تعالى كان في الأزل هو الرحمن الرحيم.

وذكر أبو حامد الغزالي[1] أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال:

---

(١) (أبو حامد الغزالي) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد) حكيم، متكلم فقيه، أصولي، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان، وطلب الفقه لتحصيل القوت، ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان، ثم إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور، فاشتغل عليه ولازمه. وحضر مجلس نظام الملك، فأقبل عليه نظام الملك، فعظمت منزلة الغزالي، وندب للتدريس بنظامية بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة، فخرج إلى الحجاز فحج، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين، ثم سار =

(تخلقوا بأخلاق الله)[1].

وهذا يقتضي أن يكون للعبد من كل اسم من أسماء الله تعالى حظ يليق بها فأقوى حظ العبد من اسم الرحمن الرحيم أن يكون كثير الرحمة.

واعـــــلم أن كل من كان من العبد أقرب كان بإيصال الرحمة والخير إليه أولى وأقرب الناس إليه نفسه. فوجب أن يرحم نفسه ثم يرحم غيره.

قال (عليه الصلاة والسلام): (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)[2].

إلى القدس والإسكندرية، ثم عاد إلى وطنه بطوس، ثم ان الوزير فخر الدين ابن نظام الملك طلبه إلى نظامية بنيسابور فأجاب إلى ذلك، ثم عاد إلى وطنه، وابتنى إلى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة. توفي رحمه الله سنة ٥٠٥هـ.انظر:ابن الأثير: اللباب ٢: ١٧٠، ابن العماد شذرات الذهب ٤: ١٠ - ١٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥: ٢٠٣، اليافعي: مرآة الجنان ٣: ١٧٧ - ١٩٢، مختصر دول الإسلام ٢: ٢٣، ٢٤، ابن هداية: طبقات الشافعية ٦٩ - ٧١، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ٢: ٢٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢: ١٧٣، ١٧٤، مجير الدين الحنبلي: الانس الجليل ١: ٢٦٥، طاش كبري: مفتاح السعادة ٢: ٥١، ١٩١ - ٢١٠، حاجي خليفة: كشف الظنون ١٢، ٢٣، ٢٤، ٣٦،وكثير غيرها. و انظر هدية العارفين ٢/٧٩-٨١ وانظر ترجمة وافية له في الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٢٢.

(١) حديث: (تخلقوا بأخلاق الله) فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالإقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات.انظر: الغزالي: كتاب إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٠٦ وهناك تفاصيل أخرى انظرها.

(٢) حديث: (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) ذكر العجلوني في كشف الخفاء الحديث هكذا فقال: (ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك فإن فضل شيء عن ذي قرابتك فهكذا وهكذا).وقال: رواه مسلم والنسائي وآخرون عن جابر قال أعتق رجل من بني عذرة عبدا له عن دبر، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألك مال غيره ؟ فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه =

فأمّـــا رحمـــته مع نفسه: فإما أن يكون في الأمور الروحانية، أو في الأمور الجسمانية.

أما في الأمور الروحانية: فاعلـــم أن للنفس قوتين نظرية، وعملية.

أمّا القوة النظرية: فإيصال الرحمة إليها بتزكيتها عن الجهل وتحليتها بالعلم الحقيقـــي، وهـــو معرفة الله كشفا وشهوداً. معرفة عيانية لا برهانية (......)[1] فافهم جدا.

وأمـــا القـــوة العملية: فصونها عن طرفي الإفراط والتفريط في الأخلاق، وإلـــزامها المواظبة على التوسط بين الطرفين بأوامر الشريعة ونواهيها على قانون الطريقة.

وأما في الأمور الجسمانية فقسمان:

الأمور المطلوبة بالذات، والمطلوبة بالعرض.

أما المطلوبة بالذات: فهي للذات الجسمانية وهي محصورة في المطعوم والمنكوح قد قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (الأعراف /٣١)

=

وسلم من يشتريه مني ؟ فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم فجاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعها إليه ثم قال أبدأ بنفسك الحديث ورواه في الدرر بلفظ ابدأ بنفسك ثم بمن يليك وقال فيها وفي الطبراني من حديث جابر بن سمرة إذا أنعم الله على عبد نعمة فليبدأ بنفسه وأهل بيته انتهى ورواه مسلم عن جابر بن سمرة بلفظ إذا أعطى الله أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه وأهل بيته ورواه الطبراني عنّ معاذ كما في الجامع الكبير وفي ذيل الصغير بلفظ ابدأ بأمك وأبيك وأختك وأخيك والأدنى فالأدنى ولا تنسوا الجيران وذا الحاجة انتهى وقال في الجامع الكبير أيضا رواه ابن حبان عن جابر بلفظ ابدأ بنفسك فتصدق عليها ثم على أبويك ثم على قرابتك ثم هكذا ثم هكذا وقال النجم في ابدأ بنفسك رواه الطيالسي عن ابن عمر وأنه صلى الله عليه وسلم قال له يا عبد الله ابدأ بنفسك فاغذها، وجاهدها الحديث ثم قال ولابن أبي شيبة عن سعيد بن سيار قال جلست إلى ابن عمر فذكرت رجلا فترحمت عليه فضرب صدري وقال ابدأ بنفسك. انظر العجلوني: كشف الخفاء: ١/٢٢ الحديث(٣٣).

(١) غير واضحة في المخطوط.

فالرحمة على البدن هو الامتناع من الإسراف.

وأما **المطلوبة بالعرض**: فهو المال والرحمة فيه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الفرقان/٦٧) فهذا معاقد كل أحد من الرحمة على نفسه.وأمّا رحمته على غيره: فاعـلم أن كمال الإنسان في كمال العبودية، وكمال العبودية في رعاية حقوق الربوبية وإيصال الحظوظ إلى البرية ورفع الذرية كما قال (عليه السلام): (**التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله**)[1].

وكـان آخر وصيته (صلى الله عليه وسلم) في حياته: (**الصلاة وما ملكت أيمانكم**)[2].

قال بعض المشايخ: مجامع الخيرات محصورة في أمرين: الصدق مع الحق، والخُلُق مع الخلق. ومما يؤكد أن هذه المرتبة أعظم المراتب أنه وصف رسوله (عليه السلام) بالرحمة فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء/١٠٧). وقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة/١٢٨) وقال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران/١٥٩).

ومـدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) أصحابه فبدأ بالذكر بوصف أبي

---

(١) حديث: (التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله) ذكر العجلوني: (الشفقة على خلق الله تعظيم لأمر الله – وفي لفظ لوجه الله..) قال في المقاصد لا أعرفه بهذا اللفظ ولكن معناه صحيح وقال القاري هو من كلام بعض المشايخ حيث قال مدار الأمر على شيئين: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله انتهى وقال النجم ليس بحديث انتهى.انظر العجلوني: كشف الخفاء:٢/٥٤٤ الحديث رقم (١٥٥٨).

(٢) حديث: (الصلاة وما ملكت أيمانكم) وعن ابن عمر قال: كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم:(الصلاة وما ملكت أيمانكم)حتى جعل يغرغر بها صدره وما يقبض بها لسانه.

رواه الطبراني وفيه عبيد الله أبو الوليد الوصافي وهو متروك.

انظر: مجمع الزوائد ٧٢١٨/٤٣٢/٤ .

بكر (رضي الله عنه) بالرحمة فقال: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر)[١].

---

(١) حديث: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر) أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

رواه الترمذي بسند فيه ضعيف عن أنس مرفوعا وقال غريب لكن قال الدارقطني والترمذي عن أنس أيضا مرفوعا وقال حسن صحيح انتهى..وهذا الاختلاف مبني على اختلاف السند كما في النجم.

ورواه أبو يعلى وابن عدي عن ابن عمر بلفظ: أراف أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأفرضهم زيد ابن ثابت وأقرؤهم أبي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

ورواه الطبراني عن جابر بلفظ: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأرفق أمتي لأمتي عمر وأصدق أمتي حياء عثمان وأقضى أمتي علي بن أبي طالب وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل يجيء يوم القيامة أمام العلماء وأقرأ أمتي أبي بن كعب وأفرضها زيد بن ثابت وقد أوتي عويمر عبادة – يعني أبا الدرداء.

ورواه العقيلي عن أبي سعيد بلفظ: أرحم هذه الأمة بها أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأفرضهم زيد بن ثابت وأقضاهم علي بن أبي طالب وأصدقهم حياء عثمان بن عفان وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأبو هريرة وعاء من العلم وسلمان عالم لا يدرك ومعاذ ابن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر.. وعزاه في المقاصد للترمذي عن أنس بلفظ: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة و قال في الدرر رواه أحمد عن أنس بلفظ: أرحم أمتي أبو بكر وأشدهم عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأفرضهم زيد وأقرؤهم أبي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ.. ورواه عبد الرزاق عن قتادة مرسلا.

ومن الوجه الثاني أخرجه أحمد والطيالسي والنسائي وابن ماجه والضياء وابن حبان وصححه والحاكم وفي لفظ له " وأفرض أمتي زيد " والحديث أعل بالإرسال وسماع أبي

-

والقول في خصوصية الرحمن دون سائر أسماء الصفات من وجوه:

أولها: أنه أخص أسماء الصفات إلى الذات. لأن الأسماء على نوعين:

أسماء صفات اللطف، وأسماء صفات القهر.

وللرحمن خصوصية بالصفتين بأن يوجد منه اللطف والقهر كما يوجد من الذات.

ويـــوجد منه الإيجاد والإفناء كما يجيء. وهذا من خصائص الذات الإلهي دون سائر الصفات فثبت أنه أخص الأسماء.

وثانيها: أن له مناسبة مع الذات دون سائر الصفات، وهي أن اسم الذات، وهو كما لا يجوز على غيره فكذلك اسم الرحمن لا يجوز على غيره. ولهذه المناسبة صار مخصوصا بالذكر في الدعاء مع ذكر الله، لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ (الإسراء/ ١١٠)

وثالثها:أن الرحمن أقرب إلى اسم الله من سائر الأسماء.

يدل على هذا القرآن والحديث.

*أمَّا القرآن: فقوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم) ذكر بعد اسم الله اسمه الرحمن وقدَّمه على سائر أسماء الصفات. فعلمنا أنه أقرب الأسماء.

وأمَّا الفرق بين الرحمن والرحيم، وإن كانا اسمين مشتقين من الرحمة.

أن الـــرحمن: من صفة جلاله، والرحيم من صفة جماله.والفرق بينهما أن الجـــلال متوســـط بين الذات الإلهي من شأنه القهر والعزة التي اقتضت الوحدة، ونفـــي شـــركة الوجـــود، وبين صفة الجمال التي من شأنها اللطف والرحمة التي

=

قلابة من أنس صحيح لكنه قيل لم يسمع منه هذا وذكر الدارقطني في العلل الاختلاف فيه على أبي قلابة ورجح هو والبيهقي والخطيب أن الموصول منه ذكر أبي عبيدة والباقي مرسل ورجح ابن المواق وغيره رواية الموصول وليس عند واحد منهم " وأقضاهم علي " وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب عن محجن أو أبي محجن.انظر العجلوني: كشف الخفاء: ١٦١/١ الحديث رقم (٣١٣).

اقتضت الإيجاد والإبقاء. فنسبة أحد طرفي الجلال إلى قهارته الذات فيه طرف من القهـــر وبنسبة أحد طرفيه إلى رحيمية الجمال فيه رحمة. فالرحمة فيه تقوت بقوة القهارية فصارت أقوى من رحيمية الجمال.

فاعلم أن المبالغة في الرحمة والقهر فيه صار مسبوقا ومغلوبا بلطف الرحمة. فقوله تعالى: (**سبقت رحمتي غضبي**) وفي رواية: (**غلبت رحمتي غضبي**)[1].

فالقهر المسبوق بالرحمة، والرحمة المتقوية بالقهر هو الرحمن المبالغ في الرحمة. فثبت أن الرحمن من صفة الجلال، والرحيم من صفة الجمال. ولهذا جاء الرحمن متوسطا بين الله والرحيم في (بسم الله الرحمن الرحيم) وإذا كان الرحمن متوسطا بين القهر الصرف وبين اللطف المحض فتارة بالقهر يقتضي الإفناء، وتارة باللطف يقتضي الإثبات كما أخبر الله تعالى عن صفة إفنائه بقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ۝ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝ ﴾ (الفرقان/٢٥، ٢٦) وأخبر عن صفة إيجاده وإثباته بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (الأعراف/٥٤) وفيه طرف من هيبة الألوهية وهو مخصوص دون الرحيم.

الحمد لله: شامل للثناء، والشكر، والمدح.

أمَّـــا الثناء: بذكر بعض الصفات الحميدة. إذا قلت هذا الرجل كريم فقد أثبت عليه.

والشكر: يكون علي النعمة من المنعم بأي معروف أولاك به قال تعـــالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (ابراهيم /٧) أي في النعمة.

والمـــدح: أن يذكر الرجل بجميع ما فيه من الخصال الحميدة، وينفى عنه جميع الصفات النقيضة التي لم تكن فيه، وليس من شأن المخلوقين أن يحمدوا الله

---

(١) تقدم تخريجه.

تعالى بهذه المعاني الثلاثة حقيقة إلاّ تقليدا، أو إعجازا.

أمّا الثناء: فلأن النبي (صلى الله عليه وسلم) لمّا خوطب ليلة المعراج بأن أثنى على علم أن هذا ليس من شأن المخلوق فقال: (**لا أحصي ثناء عليك**) (١).

واعلم أنه لا بد من امتثال الأمر وإظهار العبودية فقال: (أنت) فهذا ثناء بالتقليد لأنه ما أثنى عليه بثنائه الذي أثنى عليه الله به على نفسه في الأزل، ثناء يليق بذاته وصفاته الأزلية على التحقيق، ولم يبلغ علم مخلوق حادث كنه صفة من صفات الله تعالى الأزلية كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ (البقرة /٢٥٥).

يعني عني عليه لمعرفة كنه صفة من صفاته لأن الثناء فرع المعرفة. فما أثنى أحد على الله تعالى تحقيقاً إلا تقليداً. فافهم جيدا.

وأمّا الشكر: أيضا فلا يتحقق للإنسان شكر نعمة الله إلاّ برؤية العجز عن القيام بأدلة كما يحكي عن داود (عليه السلام) أنه قال: (إلهي كيف أشكرك على نعمتك ؟ فأوحى الله تعالى إليه الآن شكرتني) (٢).

---

(١) حديث: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه مسلم والأربعة عن عائشة (رضي الله عنها).
انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١/٢١٨/٥٧٥.

(٢) حديث: (إلهي كيف أشكرك ؟...) انظر السيوطي في الدر المنثور وقال: أخرجه ابن أبي حاتم عن الفضيل (رضي الله تعالى عنه) ٦/٦٨٠ وقد ورد في حلية الأولياء على لسان نبي الله موسى عليه السلام في قوله: (حدثنا أبو بكر ثنا عبد الله حدثني أبي ثنا هاشم ثنا صالح عن أبي عمران عن أبي الجلد قال قال موسى عليه السلام إلهي كيف أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازى بها عملي كله قال فأوحى الله تعالى إليه يا موسى الآن شكرتني) انظر: أبو نعيم: حلية الأولياء: ٦/٥٦ وقد ورد هكذا في عدد من المصادر منها: تفسير القرطبي ١/٤٣٨، والدر المنثور ١/٣٦٩، ٣٧٤، وشعب الإيمان ٤/ ١٠١.

وذلك لن يوفق الشكر نعمة موجبة للشكر، فلا نهاية لنعمه كيف يدرك الشكر لحادث النعمة هي غير متناهية لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (النحل/ ١٨).

وأمّا المـــدح: فلا يمكن للإنسان أن يمدح الحق حقيقة أيضا لأن المدح يدل على معرفة كمال الذات والصفات حتى تذكره على ما هو به وذلك محال لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ (الزمر/٦٧). فلهذا حمد نفسه بالثناء والشكر والمـــدح، وقال:

الحمـــد لله:أي الإله أن يحمد ذاته الأزلي الأبدي فالحمد لا يصلح إلاّ له. فهو محمود بحمده أزلا وأبداً. والحمد له إلى الحمد له إشارة إلى ثناء ذاته بالإلهية.

رب العالمين: إشارة إلى شكر إنعام الربوبية على مرتبة الرحمن الرحيم.

مالـــك يـــوم الـــدين: إشارة إلى مدح ذاته بجميع صفات لطفه وقهره، وجماله، وجلاله في ملكه وملكه بمالكيته في الدنيا والآخرة قبل خلقهما.

وفيه دلالة على انه ما أثنى وما شكر، وما مـــدح الله إلا الله. كما قال بعض المشايخ ما قال الله أحدا إلا الله فلما عجز الخلق عن الثناء والشكر والمدح لله تعالى على ما هو به من صفات الكمال أمرهم أن يحمدوه على نفي صفات النقيصة عن ذات الألوهية فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ (الإسراء/ ١١١).

ولما أُمرنا بقول الحمد لله فلا بُدَّ لنا أن نحمده بقدر استطاعتنا، وإن لم نقدر أن نحمده على ما هو به كما قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن / ١٦).

وقال النبي (عليه الصلاة والسلام): (استقيموا ولن تحصوا)[1] وكل

---

(١) حديث: (استقيموا ولن تحصوا) وعن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله صلى الله =

يحمده على قدر معرفته له وشكره على ما أولاه من نعمه ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ (الإسراء /٨٤).

فيقول: الحمد شامل للثناء، والشكر، والمــدح.

فالثناء للسان والشكر للأركان لقوله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ (سبأ/١٣).

والمــدح للجنان. فثناء اللسان يعصمك من سفه السلطان، ويسلمك من آفة الكفران، وشكر الأركان ينجيك من دركات النيران ويبلغك إلى درجات الجنان.

ومدح الجنان يقربك إلى الرحمن، ويشرفك بخِلَعِ العرفان.

فالحمد بمعنى الثناء على نوعين:

- ثناء الذات بالوحدانية والفردانية الأزلية الأبدية في الألوهية.
- وثــناء الــصفات بأنها موصوفة بصفات الكمال منزهة عن النقصان والزوال.

والحمد بمعنى الشكر على نوعين: شكر الذات وشكر الصفات.

- فشكر الذات على نعمه وجوده.
- وشكر الصفات على بذل الوجود بجوده.

والحمد عقبى المدح على نوعين:

- مــدح الذات بنفي الذوات في الوجود إلا ذاته.
- ومــدح الصفات ببذل الأوصاف وإفنائها في صفاته لتكون باقيا بهويته لا بأنانيتك.

رب العالمين: فربوبيته بمعنى الخالقية، والمالكية، والسيدية عامة. وبمعنى

عليه وسلم: (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن أفضل أعمالكم الصلاة ولن يحافظ على الصلاة إلا مؤمن).

رواه الطبراني في الكبير وفيه الواقدي وهو ضعيف.انظر: مجمع الزوائد ٥١٨/٢ الحديث رقم (٣٥١٣).

التربية خاصة بحسب أنواع الموجودات متفاوتة.

- ومربي الأشباح: بأنواع نعمه.
- ومربي الأرواح: بأصناف كرمه.
- ومربي نفوس العباد: بأحكام الشريعة.
- ومربي قلوب المشتاقين: بآداب الطريقة.
- ومربي أسرار المحبين: بأنوار الحقيقة.

وهو مدبر كل أمر حكيم من الأزل إلى الأبد، وهو متمم نعمته الظاهرة والباطنة في الدنيا والعقبى على عباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (المائدة/٣).

ومتم أنواره لأسراره الطالبين،كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ (الصف/ ٨) وهو المنعم على الموجودات بإنعام الإيجاد عامة ونعمة الهداية خاصة، وللرب اختصاص بإجابة الدعاء لأن الله تعالى أمر عباده بالدعاء ووعد عليه بالاستجابة بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ (غافر/٦٠).

ثم علمهم كيف يدعونه وبأي اسم يدعونه بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ ﴾ (الأعراف /٥٥) وذكر في مواضع كثيرة من القرآن بصيغة الدعاء كقوله: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (البقـــرة/٢٠١) ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ (آل عمران/٨) وأمثاله كثيرة. وألهم أنبياءه ورسله (عليهم السلام)عند طلب الحاجة وإجابة الدعاء أن يدعوه بهذا الاسم. وألهم آدم (عليه السلام) كما قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ ﴾ (البقرة/٣٧) قيل كانت هي قولـــه تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ (الأعـــراف/٢٣) الآية، فأجـــابه: ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (طه/١٢٢).

- ثم دعاه نـــوح (عليه السلام) وقال ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح/٢٦).

- ثم دعاه إبراهيم (عليه السلام وقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (البقرة/٢٦٠).

- ثم دعاه موسى (عليه السلام) وقال: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (يونس/٨٨).

- ثم دعاه يوسف (عليه السلام) وقال: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ (يوسف/١٠١).

- ثم دعاه سليمان (عليه السلام) وقال: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ (ص/٣٥).

- ثم دعاه زكريا (عليه السلام) وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ ﴾ (مريم/٤).

- ثم دعاه يحيي (عليه السلام) وقال: ﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم/٦).

- ثم دعاه عيسى (عليه السلام) وقال: ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (المائدة/١١٤).

- ثم أمر الله تعالى حبيبه نبينا (عليه الصلاة والسلام) وعلّمه أن يدعوه به وقال تعالى له: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه/١١٤).

- ثم نـدب المؤمنين في مواضع من القرآن إلى قوله: (ربنا) وغير هذا من الأولـياء، والأنبياء (عليهم السلام) دعوه بهذا الاسم فأجابهم بفضله وكرمه لعزة هذا الاسم وعظمته. فالله تعالى لما أكرم هذه الأمة، وأقامهم مقام المناجاة معه، وأمـرهم بالـدعاء و أوعدهم عليه بالإجابة منٌّ على حبيبه (عليه السلام) وأمته بالسبع المثاني بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الحجر/٨٧) وفيه إشارة شريفه، وفيه لطيفة: وهي أن الله تعالى منٌّ بفاتحة الكتاب كما منٌّ عليه بجميع القرآن. والسر فيه أن جميع حقائق القرآن وأصول معانيه مدرجة في الفاتحة كما ذكرنا. فجعل فاتحة الكتاب ديباجة مناجاة العبد مع الرب في الصلاة، وبدأ في افتتاحها بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وقال: (بسم الله الرحمن

الرحيم) ثم ثنى بحمد ذات الألوهية، وثلّث بنعت صفة الربوبية التي هي من خصوصية الإجابة حتى قدمت على الدعاء كما مر ذكره فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة/ ٢) ثم أخذ بعد التحميد لله تعالى بالثناء وقال:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة/٣، ٤، ٥).

ثم أعقبها بسؤال جاء به العبد فقال: ولعبدي ما سأل.

ومن غاية اختصاص اسم الرب بإجابة الدعاء حتى أن إبليس بعدما لعن وطرد دعا الله تعالى بهذا الاسم وقال: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٤) فأجابه ربه لعظم هذا الاسم وقال: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ (الأعراف / ١٥) ولكنه ما وفق لصرفه في تحصيل نعمه وكرمه بل كان في حقه استدراجا وكيداً كما قال تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ (الأعراف/١٨٢، ١٨٣) فالمسكين إبليس لو كان من أهل الكرامة وفّقَ لقوله: رب أنظر لي بدل (أنظرني) ولإجابة الله تعالى: إنك من المنظورين. بدل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ (الأعراف/١٥).

ومن خصوصية هذا الاسم شمول صفات لأسمائها غيره من الأسماء بمقتضى اللغة منها ما يدل على المدح لذاته وهو السيد لقوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ (يوسف/٤٢) أي عند سيدك. وكذلك المالك. قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لرجل:

(أربُّ إبل أنت أم رب غنم ؟
فقال: من كلٍّ آتاني الله، فأكثر وأطنب)[1].

(١) روى عوف بن مالك الجشمي رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد في البصر وصوبه وقال: (أرب إبل أنت أم رب غنم قلت من كل المال قد آتاني الله تعالى فأكثر وأطيب قال أفلست تنتجها وافية أعينها وآذانها قلت بلى قال فتجدع =

ومنها: ما يدل على الخالقية لقوله تعالى إخبارا عن موسى (عليه السلام) في جواب فرعون حين سأل: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الشعراء/٢٣، ٢٤) أي: خالق السموات والأرض. وفيه دلالة على أن العالمين هو السموات والأرض وما بينهما.

ومنها: ما يدل على كمال رحمته، ولطفه في حق العالمين جميعا عاما، وفي حق الإنسان خاصا، وفي حق الخواص خصوصا.

أمَّا في حق العالمين: فيربيهم بأغذيتهم، وهو أنه رب ذرأت وجودهم بألبان ألطاف الربوبية، عند الميثاق، وقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ (الأعراف/١٧٢).

وبرحمة ربوبيته خلقهم، وبلطف ربوبيته خالقهم، وبفضل ربوبيته أعلمهم، وبعناية ربوبيته أشهدهم حتى قالوا بلى. وجعل بحكمة تدبير ربوبيته إقرارهم بذر التوحيد.

وفي حق الخواص من الأنبياء والأولياء فبان شرف بذر توحيدهم في أرض قلوبهم بماء الشريعة، والأديان، ورياح الإيمان والإيقان، وأنوار شموس الإحسان والعرفان. وبمحمية الربوبية يتم نعمه عليهم نعمة مشاهدة جماله، ومكاشفة جلاله كما قال في حق نبينا (صلى الله عليه وسلم): ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (الفتح/٢) ثم شرَّف أمته ببركة متابعته بهذه التشريفات، وأنعم عليهم بهذه الكرامات والدرجات عند طلب الهداية إلى الصراط المستقيم في تقديم

آذانها فتقول صرماء وتشق من هذه فتقول بحيرة فساعد الله أشد من ساعدك وموساه أحد لو شاء الله أن يأتيك بها صرماء فعل.

انظر: الحكيم الترمذي نوادر الأصول: ٣٠٩/١ الأصل الرابع والستون في معنى الفطرة.

ذكره وثنائه برب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين. فائدة التكرار فيها من وجهين:

أحدهما: أن ذكرها في بسم الله هو مبتدأ الكتاب، ومفتتح الخطاب لتلك العباد بأنه هو الرحمن الرحيم بان دعاكم بالإلهية. أي: الطاعة والعبادة، وإنما دعاكم ليغفر لكم بالرحمانية والرحيمية لقوله تعالى: ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (إبراهيم/١٠).

وأما ذكرهما في الفاتحة عقب الحمد لله رب العالمين الذي هو المدح لذاته.فالثناء عام الرحمن الرحيم. كما قال (عليه السلام)فيما رويناه: (**يقول العبد: الحمد لله ، يقول الله: حمدني عبدي، ويقول العبد الرحمن الرحيم، يقول الله تعالى أثنى علي عبدي**) الحديث[1]. فثبت أنهما في الفاتحة للثناء، وذكرهما في البسملة من الله لاستمالة قلوب العباد على العبودية بالرحمة والغفران، وفي الفاتحة من العباد للثناء على الله تعالى بالجمال والجلال لديه والرضوان.

والثاني: ذكرهما في البسملة لتسكين الهيبة ورفع الدهشة من عظمة اسم الله تعالى على عباده كما كان حال موسى (عليه السلام) حين خاطبه بأني أنا الله كادت تزهق نفس موسى (عليه السلام) من هيبة استماع اسم الله فانبسط معه

(١) حديث: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..) قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ قال الله تعالى: مجدني عبدي فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل). رواه: أحمد بن حنبل في مسنده، و أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة رقم (٣٩٥) وللحديث بقية من أوله فقرات وفي آخره كذلك. وانظر النسائي وابن عدي في الكامل. كلهم عن أبي هريرة (رضي الله تعالى عنه).

انظر: المتقي الهندي: كنـز العمال: ٤٥٢/٧ الحديث رقم (١٨٩٢٠).

على بساط الرب لإزاحة الدهشة بقوله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (طه/١٧) ولأنه يستأنس برحمانيته ورحيميته نفوس العباد إلى عبادة الله، وتطمئن قلوبهم بذكر الله تعالى كما قال تعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد/٢٨) لتسعدوا بذلك بمناجاته ويستحقوا الحمد والثناء على ذاته وصفاته في الصلوات ويذكرونه بالدعوات ويرفعون إلى الله الحاجات ليهديهم إلى نيل الدرجات ورتب القربات مالك يوم الدين للإشارة فيه إن الدين في الحقيقة هو الإسلام يدل عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران/١٩) والإسلام على نوعين: إسلام بالظاهر، وإسلام بالباطن.

❁ فإسلام الظاهر: بإقرار اللسان، وعمل بالأركان لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات/١٤) وقال (عليه السلام) في سؤال جبريل (عليه السلام): (ما الإسلام ؟ قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) [1] فهذا الإسلام جسداني.

(١) حديث: (ما الإسلام ؟ قال: الإسلام) عن محارب بن دثار عن عمر قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه رجل أبيض الثياب طيب الريح فوضع يده على ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والجنة والنار وبالقدر خيره وشره قال فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال نعم قال صدقت فتعجبنا من قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت قال: فما الإسلام قال تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وتغتسل من الجنابة قال فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم قال نعم قال: صدقت فتعجبنا من قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت قال: فما الإحسان قال تعمل لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: صدقت قال: فمتى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال صدقت ثم أدبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بالرجل فالتمسوه فلم يقدروا عليه فقال هذا جبريل جاءكم ليريكم دينكم -

فالجسداني ظلماني، ويعبر بالظلمة الليل.

وأما إسلام الباطن. فبانشراح القلب والصدر بنور الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ (الزمر/٢٢) فهذا الإسلام الروحاني نوراني يعبر عن اليوم بالنور.

فالإسلام الجسداني يقتضي سلام الجسد لأوامر الله ونواهيه. والإسلام الروحاني يقتضي استسلام القلب والروح لأحكامه الأزلي وصفاته وقدره فمن كان موقوفا عند الإسلام الجسداني ولم يبلغ مرتبة الإسلام الروحاني فهو بعد في سير ليلة الدين متردد متحير فسرى ملوكا وملاكا كما كان حال الخليل (عليه السلام) في الليل ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ (الأنعام/٧٦)

ومـــن تنفس صبح عبادته، وطلعت شمس الإسلام الروحاني من وراء جبل نفـــسه عـــن مـــشوق القلب ؛ حتى يبلغ وسط سماء روحه، فتنور ظاهره بنور الـــشريعة، وباطـــنه بنور الحقيقة فهو على نور من ربه، وأصبح في كنف الدين فيكون ورد وقته: أصبحنا وأصبح الملك لله فيشاهد بعين اليقين بان كاشف بحق الـــيقين أن الملك لله، ولا مالك إلا مالك يوم الدين فإذا تجلى له النهار وكشف سأل مالك جهارا يخاطبه وجاها ويناجيه شفاها إياك نعبد وإياك نستعين.

(إياك نعبد): الكلام فيه على ثلاثة أوجه:

أولهـــا علـــى الخطاب لأنه ما رجع من الغيبة إلى الخطاب، وإنما رجع إلى الخطـــاب مـــن الغيـــبة، لأنه ليس بين المملوك ومالكه إلا حجاب ملك النفس

-

وما أتاني في صورة قط إلا عرفته قبل مرتي هذه.

انظر: المتقي الهندي: كنـــز العمال: ٤٧٤/١ الحديث رقم (١٣٥٧) والحديث رقـــم (١٣٥٨) أورده اللالكائي، وقال: متفق عليه، في البعث. وهو عن عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) ورواه ابن جرير أيضا. انظر الكنـــز: ٤٧٥/١ الحديث (١٣٥٩) عن عمر أيضا، وهناك رواية في مسند الفردوس عن أبي موسى الأشعري الحديث (١٣٦٤) ٤٧٦/١من كنز العمال.

المملـــوك فإذا عبر عن حجاب ملك النفس وصل إلى مشاهدة مالك النفس كما نقـــل عن أبي يزيد (رضي الله عنه) أنه في بعض مكاشفاته قال: إلهي كيف أجد السبيل إليك ؟

قال له ربه: دع نفسك وتعالى.

فللـــنفس أربع صفات حجاب أخر ؛ وهي: الأمَّارة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة.

فأمر العبد المملوك بأن يذكر مالك أمره بأربع صفات:

بالصفة الإلهية، والربوبية، والرحمانية، والرحيمية.

فيعبر عن تقدم مدح الإلهية وشكر الربوبية، وثناء الرحمانية. وتجيد الرحيمية وقوة جذبات هذه الصفات الأربع عن حجب مالك الصفات الأربع للنفس فيخلص عن ظلمات ليلة نفسه بطلوع صبح صادق يوم الدين ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الانفطار/١٩) فيبقى العبد عبدا مملوكا، ﴿ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ (النحل /٧٦) فيرحمه مالكه ويذكره لسبب كرمه على قضية وعدة ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة/١٥٢) ويناديه ويخاطب نفسه ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الفجر/٢٧) ثم يجذبه عن غيبة نفسه إلى شهود مالكية ربه بجذبة: ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ (الفجر/٢٨) فيشاهد جمال مالكه ويناديه نداء عبد خاضع خاشع ذليل عاجز كما قرأ بعضهم: (**مالك يوم الدين**) نصبا على النداء. (**إياك نعبد**) : وبأنها في معنى نعبد وتحقيقه أي نوحد ونخلص ونطيع ونخضع وقيل العبادة سياسة للنفس على حمل المشاق في الطاعة وأصلها الخضوع والانقياد والطاعة والذل.يقال: طريق معبد إذا كان مطليا بالقطران، وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه.قلت: هذه العبادة على ما قال ليس بحد تام لأن لِلملائكة عبادة وليس عبادتهم سياسة للنفس.على حمل المشاق في الطاعة والعبادة الحقيقية خلوص النفس عن رق كل حظ من الحظوظ الدنياوية والأخروية ليعبدوا الله بالحق لا للحظ لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة/٥) وثالثها: في خصوصية قوله تعالى: (نعبد) . ذكر بذلك الجمع وذلك لأن للإنسان نفس، وقلب، وروح، وسر.

فالنفس: دنياوية تعبد هواها الدنياوية لقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (الجاثية/٢٣).

والقلب: أخروي تعبد الجنة لقوله تعالى: ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ (النازعات/٤٠،٤١).

والروح: قربى تعبد القربة والعندية لقوله تعالى: ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝ ﴾ (القمر/٥٥).

والسر: حضرتي تعبد الحق لقوله تعالى على لسان نبيه (عليه الصلاة والسلام) :

(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل) [1] فيقرب العبد بنصفه إلى حضرة كماله بالحمد والثناء والشكر على صفات جماله وجلاله ويقرب الرب بمقتضى كرمه وإنعامه كما قال: **(من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعا)** [2].

بنصفه إلى خلاص عبده من رق عبودية الأغيار بإخراجه عن ظلمات بعضها فوق بعض من هوى النفس ومواد القلب وتعلق الروح بغير الحق إلى نور وحدانيته، وشهود فردانيته، وأشرقت الأرض: النفس والسموات: سموات القلب،

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٢) ١٧٥٠١ – وعن يزيد بن نعيم قال: سمعت أبا ذر الغفاري وهو على المنبر بالفسطاط يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من تقرب إلى الله عز وجل شبرا تقرب إليه ذراعا ومن تقرب إليه ذراعا تقرب إليه باعا ومن أقبل إلى الله عز وجل ماشيا أقبل الله عز وجل إليه مهرولا والله أعلى وأجل والله أعلى وأجل والله أعلى وأجل) رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن .

انظر: مجمع الزوائد /١٠/٣٢٣ الحديث رقم (١٧٥٠١) والحديث له روايات كثيرة.

وعــرش الروح، وكرسي السر بنور ربها فآمنوا كلهم أجمعون بالله الذي خلقهم وهو مالكهم وكفروا بطواغيتهم التي يعبدونها واستمسكوا بالعروة الوثقى وجعلوا كلـــهم عــبادة واحدة، وقالوا إياك نعبد وإياك نستعين،نستوقف ونطلب منك المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلها.

قال أبو بكر الصديق (رضي الله تعالى عنه) : مع **إياك نعبد وإياك نستعين**، لأنــك خلقتــنا وهديتنا. قلت: (**إياك نعبد**) ، لأنك المعبود، و (**إياك نستعين**) لأنك المقصود.

وإيصال (**إياك**) لأنك المطلوب (**نستعين**) لأنك المحبوب.

(**إياك نعبد**) يا مالك، و (**إياك نستعين**) لأن ما سواك هالك.

(**إياك نعبد**) على نعمتك، و (**إياك نستعين**) على معرفتك.

(**إيــاك نعــبد**) لأنك قلت لنا: عبادي، و (**إياك نستعين**) لأنك لنا إليك هادي.

(**اهدنا الصراط المستقيم**) . الهداية على ثلاثة أوجه:

هداية العام، وهداية الخاص، وهداية للأخص.

أمَّا هداية العام: فإنه تعالى يهدي جميع الحيوانات إلى طلب منافعها ودفع مضارها لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ (طه/٥٠) وقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾[1] (البلد/٨، ٩، ١٠).

هداية الخاص: فهو هداية المؤمنين الى الجنة قوله تعالى: ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ (يونس/٩).

وأما هداية الأخص: فهي هداية الحقيقة من الله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٩٩ ﴾ (الصافات/٩٩) وقال: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن

---

(١) هنا سقط مقدار سطر في المخطوط ويبدو انه نتيجة سوء التصوير.

يَشَآءُ ﴾ (الشورى/١٣) هذه الهداية إلى الله وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (عرفت ربي بربي ولولا فضل ربي ما عرفت ربي) [(١)] وفي قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَىٰ ۝ ﴾ (الضحى/٧) .

إشــارة إلى هــذا المعنى، أي: كنت ضالا عنى في تيه وجودك، وطلبتك لوجــودى، ووجــدتك بفــضلي، وهديتك بجذبات عنايتي ونور هدايتي اليَّ، وجعلتك نوراً، وأنزلت إليك نوراً، فأهدي لك من نشاء من عبادي ؛ ممن تبعك وطلــب رضــاك نــوَّرت فيهم من ظلمات وجوده البشرى إلى نور الروحاني ويهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (المائدة/١٥، ١٦).

واعلــم أن الصراط المستقيم هو الدين القويم وما يدل عليه القرآن العظيم وهو خلق سيد المرسلين (صلوات الله وسلامه عليه) كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ (القلم/٤) ثم قال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (الأنعام/١٥٣).

وهو على نوعين صراط مستقيم إلى الجنة لقوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ (يونس/٢٥).

---

(١) سئل الصديق: بم عرفت ربك قال: عرفت ربي بربي فقيل: هل يمكن بشر أن يدركه فقال: (العجز عن درك الإدراك إدراك) وسئل مصباح التوحيد وصباح التفريد علي كرم الله وجهه: (بم عرفت ربك ؟ قال: بما عرفني به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب في بعده بعيد في قربه).

(البــزار، في مسنده وكذا الخطيب وأبو نعيم في الحلية (عن عمران) ابن الحصين رمز لحــسنه. قــال الهيثمــي: فيه عمران القصير وهو متروك وعبد الله بن أبي القلوص). انظر: المناوي: فيض القدير: ١٨١/٦ (الحديث رقم ٨٨٦٠).

أي إلى الجنة فهذا لأصحاب اليمين لقوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ ﴾ (الواقعة/٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠).

والثاني إلى صراط مستقيم إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى/٥٢) صراط الله الذي هو للسابقين لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾ (الواقعة/١٠، ١١) وفى الآية إشارة إلى أن من هدى إلى صراط مستقيم فهو من السابقين المقربين. وإن كان ما يكون، وهو سابق على أصحاب اليمين بما يكون للمقربين من شهود الجمال وكشف الجلال وهذه المرتبة خاصة لسيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ ومتابعته لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (يوسف/١٠٨) ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة/٧) قال الراشدي: غير المغضوب عليهم بالمخالفة والعصيان ولا الضالين حل الدين والإيمان وقال التستري غير المغضوب عليهم (-)[1] مثل اليهود ولعنهم بالطرد حتى لم يهتدوا إلى الشرع والتحقيق، ووقعوا عن الصراط المستقيم، عن المرتبة الإنسانية التي خلق منها الإنسان في أحسن تقويم ومسخوا قردة وخنازير صورة ومعنى وأيضاً غير المغضوب عليهم بالخذلان ولا الضالين بالنسيان لما وقعوا عن صراط مستقيم التوحيد الذين أنعمت عليهم الإشارة فيه إلى طريق من أنعمت عليهم بنعمة كشف الحقيقة وتكرار الصراط إشارة إلى الصراط الحقيقي صراط أن من العبد إلى الرب وصراط من الرب إلى العبد فالذي من العبد إلى الرب طريق محفوف كم قطع فيه القوافل وانقطع فيه الرواحل ونادى منادي العزة لأهل العزة الطلب برد والسبيل سد قوله تعالى حكاية عن قطع هذا الطريق ومقطع هذا الفريق لأقعدن لهم صراطك المستقيم والذي من الرب إلى العبد فطريق أمين

(١) نقص يسير مقدار كلمات بالمخطوط.

وبالأمان كأين قد سلم فيه قوافله وبالنعم محفوفة منازله وسيرون فيه سيارته وتقارن بالسلاسل قارن مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين أنعم الله على أسرهم بأنوار العناية وعلى أرواحهم بأسرار الهداية وعلى قلوبهم بآثار الولاية وعلى نفوسهم في قمع الهوى وفهم الطبع وحفظ الشرع بالتوفيق والرعاية وعن مكايد الشيطان بالمراقبة والكلاءة صراط الذين أنعمت عليهم بالنعمة الظاهرة والباطنة كما قال تعالى:

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان / ٢٠).

أما النعمة الظاهرة فنعمة الأنبياء، وإرسال الكتب، وأحكام التشريع، وتوفيق قبول دعوة الرسل، وإجابة الحق، وإتباع السنة، واجتناب البدعة، وانقياد النفس لأوامر الشرع ونواهيه، والإتيان على قدم الصدق فالزم العبودية.

وأما النعمة الباطنة فإن الله تعالى أنعم على أرواحهم في بداية الفطرة بإجابة رشاش نوره لقوله (عليه السلام) : (**إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى، ومن أخطأه فقد ضل وغوى**)(١).

وكان فتح باب صراط الله إلى العبد من رشاش ذلك النور، وأول الغيث رش ثم ينسكب فالمؤمنون ينظرون بذلك النور المرشوش إلى مشاهدة الغيب، وينظرون الغيب ويستغشون ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ بجذبات ألطافك وفتحت عليهم أبواب فضلك ليهتدوا

---

(١) حديث: (إن الله خلق الخلق في ظلمة.....) وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل) كما قال تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) تفسير الآية رقم ٢٥٧ من سورة البقرة من تفسير ابن كثير ١٧٣/٢. وانظر: نوادر الأصول ١١٣/٤، ١٩٨، ١٩٩، وتحفة الأحوذي: ٧ / ١٦٦.

بك إليك فأصابوا بما أصابهم بلى منك.

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين أخطأهم ذلك النور بأن رش عليهم من نوره فضلوا في تيه هوى النفس وتاهوا في ظلمات الطبع والتقليد فغضب عليهم مثل اليهود ولعنهم بالطرد حتى لم يهتدوا إلى الشرع والتحقيق ووقعوا على الصراط المستقيم عن المرتبة الإنسانية التي خلق فيها الإنسان في أحسن تقويم ومسخوا قردة وخنازير صورة ومعنى.

وأيضا غير المغضوب عليهم بالخذلان. ولا الضالين بالنسيان لما وقفوا الصراط المستقيم في بئر البشرية نسوا الألطاف للربوبية وضلوا عن الصراط المستقيم للتوحيد فأخذهم الشيطان بشبكة الشرك النصارى فأخذوا الهوى الهاء والدنيا البقاء وقالوا بثالث ثلاثة: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة /٦٧) وأيضاً ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ بالغيبة بعد الحضور والمحنة بعد السرور والظلمة بعد النور نعوذ بالله من الحور بعد الكور والفسق والفجور.

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ ﴾: بالرجوع عن الصراط المستقيم فنودوا: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) (الصافات / ٢٣).

﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾: عـــن كـــرم الكريم ورحمة الرحيم بالإعراض عن الدين القويم المحرومين من القلب السليم، وجنات النعيم باستحقاق العذاب الأليم.

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ بالاحتباس في المنازل والانقطاع عن القوافل.

﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ بالصدود عن المقصود.

فصـــــل
في
آمـــــــين

والتأمين: نسبة بعد ولا الضالين كان في الصلاة أو في خارج الصلاة.

روى وائل بن حجر[1] (رضي الله عنه) قال: (سمعت رسول الله (صلى الله

---

(١) وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي يكنى أبا هنيدة كان قيلا من أقيال
-

عليـــه وسلم) قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين مد بها صوته)[1]

=

حضرموت وكان أبوه من ملوكهم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال: إنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل قدومه وقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعا راغبا في الله وفي رسوله وهو بقية أبناء الملوك فلما دخل عليه رحب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه فأجلسه عليه مع نفسه على مقعده وقال: اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على أقيال من حضرموت وكتب معه ثلاثة كتب منها كتاب إلى المهاجر بن أبي أمية وكتاب إلى الأقيال والعباهلة وأقطعه أرضا وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان فخرج معاوية راجلا معه ووائل بن حجر على ناقته راكبا. فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال له: انتعل ظل الناقة فقال معاوية وما يغني ذلك عني لو جعلتني ردفك. فقال له وائل: اسكت فلست من أرداف الملوك وعاش وائل بن حجر حتى ولي معاوية الخلافة فدخل عليه وائل بن حجر فعرفه معاوية وأذكره بذلك ورحب به وأجازه لوفوده عليه فأبى من قبول جائزته وحبائه وأراد أن يرزقه فأبى من ذلك وقال يأخذه من هو أولى به مني فأنا في غنى عنه. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/٤٩٥.

(١) يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس ويقال أمين بالقصر أيضا ومعناه اللهم استجب والدليل على استحباب التأمين ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فقال آمين مد بها صوته ولأبي داود رفع بها صوته وقال الترمذي هذا حديث حسن وروي عن علي وابن مسعود وغيرهم وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال [آمين] حتى يسمع من يليه من الصف الأول رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه فيرتج بها المسجد والدارقطني وقال: هذا إسناد حسن وعن بلال أنه قال: يا رسول الله لا تسبقني بآمين رواه أبو داود ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق أنهما شددا الميم من آمين مثل ﴿ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ويتأكد في حق المصلي وسواء كان منفردا أو إماما أو مأموما وفي جميع الأحوال لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه. ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قال

=

حديث حسن.

وقال أبو هريرة (رضي الله تعالى عنه) مثله.

قلت فيه إشارات:

منها: أن العبد يكتب كتابه يعلم فضله فكل حركة تصدر منه فهي حرف، وكل عمل يكتب في كتاب طاعته أو معصيته فكم من كتاب قد كتب من طاعة أو معصية وصعد به ملك اليمين أو الشمال فلما بلغ الحضرة فلم يجد فيها حرفا.

أما السيئات فقد محاها الحسنات كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ (هود/١١٤).

وأما الطاعات فقد أحبطها الدعاء والشرك قوله تعالى: ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (الزمر/٦٥) فالله تعالى من عناية كرمه مع عباده جعل آمين خاتم كتاب صلاة العباد حتى لا يمحوها شيء من الأشياء فيبقى لها مختوما ثابتا إلى يوم الجزاء فإنه ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (الرعد/٣٩) وهنا قال (عليه السلام) : **(آمين، كالختم على الكتاب)** [1].

ومـــنها: أن الله تعـــالى قال: **(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل).**

فالإشـــارة فيه أن العبد من الحمد والثناء والدعاء فبقي نصفي من الإجابة والهدايـــة والرحمة والعفو والمغفرة والرضوان والنجاة من النيران ورفعة الدرجات

=

أحدكم في الصلاة آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه) قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان وقيل في الإجابة وقيل في صفة الإخلاص وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا. إذا قال - يعني الإمام - ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله.

انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢/١ والشوكاني في فتح القدير مثله انظر: ٣٨/١ والسيوطي في الدر المنثور: ١/ ٤٠-٤٣.

(١) انظر تخريج الحديث السابق نفس الصفحات.

في الجـــنان وكرامة لقاء الرحمن فختمت على ما سأل بخاتم آمين ليوم يقوم الناس لرب العالمين فقال في قبول القول ختم عليه.

ومنها: محجوب عن الله تعالى بحجاب أنانيته ووجدان وجوده. ووجوده مركَّب من الروحاني العلوي والجسماني السفلي فالشرع إنما جاء ليخرجه من ظلمات حجابه الجسماني السفلي إلى النور الروحاني العلوي لأنه من بقي فيها فهو سفلي من النار لقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (آل عمران /١٠٣).

فمن نجا من ظلمات سفل وجوده وصل إلى نور جنة علو وجوده فهو بعد محجوب بحجاب النور العلوي لقوله (عليه السلام) : **(إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة)**[١].

فالـــروحاني بالنـــسبة إلى الجسماني نوراني ولكن بالنسبة إلى النور القديم ظلماني.

كمـــا قـــال (عليه السلام) : **(إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره)** [٢].

فالنور الحقيقي هو الله تعالى، وما سواه مخلوق ظلماني.

وكما قال: العبد في العبودية بالخروج عن ظلمات أنانيته إلى نور لاهوته وفقدان وجوده في وجود الحق والحكمة في بعثة الأنبياء والقرآن والكتب بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب في الإمداد والنواهي وجميع أحكام الشرع وآدابه مقصورة على هذا المعنى ولهذا ذكر الله تعالى في مواضع من القرآن ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (إبراهيم/٥) فالله تعالى بجوده وكرمه جمع أصول ما في الكتب المنـــزلة في سور القرآن وأودع حقائق ما في سور القران في سورة الفاتحة، و لما ذكرنا محصور في

---

(١) لهذا الحديث تخريج داخل هذا الكتاب انظر رسالة الوجود للسيوطي.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث في هذه الرسالة.

المراتب الأربعة إلى قولنا الهداية من الأزل إلى الأبد لأن العبد كان محتاجا إلى هدايته في الأزل بأن يهديه إلى الوجود. فلو لم تكن هدايته إلى الوجود لكان ضالا في تيه العدم، وهذا أحد معاني قوله: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الضحى/٧) فلما هدى العبد بهداية كن فخرج عن ضلالة العدم إلى هدى الوجود الروحاني فكان ضالا في عالم الأرواح كما قيل ضل الماء في اللبن فاحتاج إلى هدايته ليخرجه بهداية وللحرمة من الضلالة الروحانية إلى هدى عالم الجسماني إلى أن يبلغ كمال مرتبة الإنسانية بالبلوغ والعقل فيضل في تيه إنسانية الوجود فيحتاج إلى هدى الله بالرجوع إلى الصراط المستقيم الذي جاء عليه من العدم إلى الوجود حتى رجع عليه من الوجود إلى العدم فقوله:

(اهدنا) طلب أسباب الرجوع وهو في صورة النبي في الشرع وفي الحقيقة جذبة الحق لهديه بهذا إلى العدم وفناء الوجود كما هداه بالنعمة إلى الوجود ليهدي إلى واجب الوجود وهذا معنى آخر من معاني ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الضحى/٧) .فكما أنه لا نهاية لواجب الوجود فكذلك لا نهاية لهدى الله إلى معرفته إلى الأبد فالله تعالى جعل صلاة العبد معراجا ليعرج بها إلى عدم أنانية وفقدان الوجود وليس هذا العروج إلى العدم من شأن الإنسان إلا بالذي أوجده وانزله إلى أسفل الوجود كما قال تعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (التين/٥) ليعرج بها إلى أعلى عليين العدم فعلى الله تعالى التعريج وعلى العبد التسليم. وتسليم العبد بالإيمان والعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ (العصر/٣) وخير الأعمال الصلاة. ولهذا قال الله تعالى: (**قسمت الصلاة..**) [(١)] الحديث.

فالعبد يتقرب إلى الله تعالى بصدق النية، وبحمده وشكره على ما أولاه من نعمه ويستهديه إليه. فالحق تعالى يأخذه منه إليه، ويفنيه عنه، ويبقيه به، بلا هو،

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

ويدفع رسوم أنانيته بسطوة تجلي هويته، فيفقد الموهوم فقدانا لا تجده أبدا، وتجد المقصود وجدانا لا تفقده أبدا. لأنه صار ملكه لقوله تعالى: (ولعبدي ما سأل)[١]. ذكره فختم الله تعالى فقد وقته بخاتم آمين.

فهذا هو الإشارة إلى مقام عباده المخلصين بأن ليس لأحد من العالمين أن يتصرف فيهم ونقل عنهم خاتم رب العالمين.أيس إبليس عن التصرف فيهم، وقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ ﴾ (الحجر/٤٠) .

نهاية الكتاب

تم الكتاب بعـــون الملك الوهاب

والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب.

(١) جزء من الحديث السابق وتقدم تخريجه.




ملاحـــق تفســـير الفاتحة

لابن عربـــــي




الفاتحـــــــة

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾.

سورة الفاتحة سميت هذه السورة بالفاتحة؛ لأنه يفتتح بها القرآن العظيم، وتسمى المثاني؛ لأنها تقرأ في كل ركعة، ولها أسماء أخر. أبتدئ قراءة القرآن باسم الله مستعينا به، (اللهِ) علم على الرب -تبارك وتعالى- المعبود بحق دون سواه، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه. (الرَّحْمَنِ) ذي الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، (الرَّحِيمِ) بالمؤمنين، وهما اسمان من أسمائه تعالى، يتضمنان إثبات صفة الرحمة لله تعالى كما يليق بجلاله. (انظر: التفسير الميسر) من تفسير ابن عربي لأم الكتاب

تقديم ابن عربي شعرا..

بَسْمَلَةُ الأَسْمَاءِ ذو منظرين — ما بين إِبْقاءٍ وإِفْناءِ عين
إِلَّا بِمَن قَالَتْ لِمَنْ حِينَ ما — خَافَتْ عَلَى النَّمْلِ مِنَ الحطمتين
فَقَالَ مَنْ أَضْحكَهُ قَوْلُهَا — هَلْ أَثَرٌ يُطْلَبُ مِنْ بَعْدِ عَيْنْ؟
يَا نَفْسُ يَا نَفسُ استَقِيمِي فَقَدْ — عَايَنْتُ مِنْ نَمْلَتِنَا القَبْضَتَيْن
وَهكَذَا فِي الحَمْدِ فَاسْتَثْنِهَا — إِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْعَمَ بِالجَنَّتَيْنْ
إِحْدَاهُمَا مِن عَسْجَدٍ مُشْرِقٍ — جُمْلَتُهَا وأخْتُهَا مِنْ لُجَيْنْ
يَا أُمَّ قُرآنِ العُلَى هَلْ تُرَى — مِنْ جِهَةِ الفُرْقَانِ لِلْفُرْقَتَيْنْ
أَنْتِ لَنَا السَّبْعُ المَثَاني التي — خُصَّ بِهَا سَيِّدُنَا دُونَ مَيْنْ
فَأَنْتِ مِفْتَاحُ الهُدَى لِلنُّهَي — وخُصَّ مَنْ عَادَاكِ بِالفُرْقَتَيْنْ

مفتتح المؤلف

لمـــا أردنـــا أن نفتـــتح معـــرفة الوجود، وابتداء العالم ؛ الذي هو عندنا المـــصحف الكبير، الذي تلاه الحق علينا تلاوة حال، كما أن القرآن تلاوة قول عندنا. فالعالم حروف مخطوطة مرقومة، في رق الوجود المنشور، ولا تزال الكتابة فيه دائمة أبداً لا تنتهي.

ولمـــا افتتح الله تعالى كتابه العزيز بفاتحة الكتاب، وهذا كتابٌ أعنى العالم الذي تتكلم عليه، أردنا أن نفتتح بالكلام فيه على أسرار الفاتحة.

فاتحـــة الفاتحـــة*

و" بـــسم الله " فاتحـــة الفـــاتحـــة. وهي آية أولى منها، أو ملازمة لها كـــالعلاوة، علـــى الخلاف المعلوم بين العلماء. فلا بد من الكلام على البسملة. وربما يقع الكلام على بعض آيات من سورة البقرة، آيتين أو ثلاث خاصة، تبرّكاً بكلام الحق سبحانه.

ثم نسوق الأبواب، إن شاء الله تعالى، فأقول:

ظـــهور العـــالم بالباء

إنه لما قدمنا أن الأسماء الإلهية سبب وجود العالم، وأنها المسلطة عليه والمؤثرة، لذلك كان ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ عندنا، خبر ابتداء مضمر، وهو ابتداء العالم وظهوره.

كأنـــه يقول[1]: ظهور العالم بسم الله الرحمن الرحيم. أي: بـــ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ

---

* هذا العنوان وعدد آخر من عناوين الأبواب والفصول المتضمنة في هذا الملحق بشكل أخص كلها من صنع المحقق فقط لأن المؤلف قد ذكر هـــذا في الباب الخامس من الفتوحات المكية في معرفة أسرار بسم الله الرحمن الرحيم والفاتحة من وجه لا من كل الوجوه. (المحقق)

(١) أي: كأن الله سبحانه وتعالى يقول: إن ظهور بسم الله الرحمن الرحيم هي ظهور العالم. وذلك لأنه مضمن فيها ظهور كل شيء مقدر ظهوره في الوجود.فلما ظهرت بسم الله الرحمن الرحيم اعتبر ظهور العالم كامنا فيها، أو لاحقا لها.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ظهر العالم، واختص الثلاثة الأسماء[١] لأن الحقائق تعطي ذلك.

فاللهُ: هو الاسم الجامع للأسماء كلها [٢].

والرحمن: صفة عامة، فهو رحمن الدنيا والآخرة، بها[٣] رحم كل شيء من العالم في الدنيا.

ولما كانت الرحمة في الآخرة لا تختص إلا بقبضة السعادة ؛ فإنها تنفرد عن أختها، وكانت[٤] في الدنيا ممتزجة، يولد كافراً أو يموت مؤمناً [٥] أي ينشأ كافراً في عـــالم الـــشهادة وبالعكس وتارة وتارة، وبعض العالم تميز بإحدى القبضتين

---

(١) أي: واختص الله، سبحانه وتعالى، البسملة بالثلاثة الأسماء الإلهية التي هي: الله، الرحمن، الرحيم.

(٢) لأنه علم على الذات، فكمن فيه كل ما في الأسماء من الأسرار.

(٣) أي بصفة الرحمة الكامنة في الاسم الرحمن، الذي يرحم رحمة تعم بها أهل الدنيا، كما في الحديث المشهور، يتراحم بها الخلائق فيما بينهم كما ورد في صحيح البخاري باب (جعل الله الرحمة في مائة جزء) :الحديث، وفيه: (أخبرنا سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ثم جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) انظر: صحيح البخاري الباب (١٩) الحديث رقم (٥٦٥٤).

(٤) أي: الرحمة في الدنيا تمتزج بألوان أخرى من التعب، مقابل الرحمة في الآخرة فهي رحمة الرحيم الخالصة بلا تعب.

(٥) انظر إلى حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) : فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن العبد يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا وإن العبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا والعبد يعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت كافرا والعبد يعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا).

رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار وفيه عمر بن إبراهيم العبدي وقد وثقه غير واحد وقال ابن عدي: حديثه عن قتادة مضطرب قلت: وهذا منها.انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد:٤٣١/٧ الحديث رقم (١١٩٢٢).

بإخبار صادق فجاء الاسم الرحيم مختصاً بالدار الأخرة لكل من آمن، وتم العالم بهـذه الثلاثة الأسماء جملة في الاسم " الله " وتفصيلاً في الأسمين الرحمن الرحيم. فـتحقق ما ذكرناه فإني أريد أن أدخل إلى ما في طيّ البسملة والفاتحة من بعض الأسرار كما شرطناه. فلنبين ونقول:

﴿ بِسْمِ ﴾ بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميز العابد من المعبود.

قيل للشبلي[1] (رضي الله عنه) أنت الشبلي فقال أنا النقطة التي تحت الباء وهو قولنا النقطة للتميز، وهو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية.وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله يقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه مكتوبة.فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الحق في مقام الجمع والوجود. أي بي قام كل شيء وظهر، وهي من عالم الشهادة. هذه الباء بدل من همزة الوصل التي كانت في الاسم قبل دخول الباء، واحتيج إليها إذ لا ينطق بساكن فجلبت الهمزة المعبَّر عنها بالقدرة محرّكة، عبارة عن الوجود ليتوصل بها إلى النطق الذي هو الإيجاد من إبداع وخلق بالساكن الذي هو العدم، وهو أوان وجود المحدث، بعد أن لم يكن وهو السين ؛ فدخل في الملك بالميم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ (الأعراف/١٧٢)

---

(١) (الشبلي) الإمام (الشبلي) : (ابو بكر الشبلي) هو: دلف بن جحدر بن الشبلي، ويقال: اسمه جعفر بن يونس. وهو: خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد.تاب في مجلس خير النساج، وصحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ، عاش سبعا وثمانين سنة، ومات (رحمه الله) في شهر ذي الحجة سنة ٣٣٤هـ، ودفن في مقبرة الخير زان. قال عنه صاحب كشف المحجوب: سفينة المقال، وسكينة الأحوال. أمّا هو فكان يقول: أنا والحلاج كنا بمنزلة واحدة إلاّ أنه كشف وكتمت. وقال: ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق، وليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته.

انظر: السلمي: طبقات الصوفية ٣٣٧، القشيري: الرسالة القشيرية ٢٧، الشعراني: الطبقات الكبرى: ٨٩/١، الهجويري: كشف المحجوب ١٨٥، أبو نعيم: حلية الأولياء ٣٦٦/١٠، ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٥/١١.

فصارت الباء بدلاً من همزة الوصل أعني القدرة الأزلية وصارت حركة الباء لحركة الهمزة الذي هو الإيجاد، ووقع الفرق بين الباء والألف الواصلة فإن الألف تعطي الذات. والباء تعطي الصفة، ولذلك كانت لعين الإيجاد أحق من الألف بالنقطة التي تحتها، وهي الموجودات فصار في الباء الأنواع الثلاثة: شكل الباء، والنقطة، والحركة. العوالم الثلاثة فكما في العالم الوسط توهم ما، كذلك في نقطة الباء فالباء ملكوتية، والنقطة جبروتية، والحركة شهادة ملكية، والألف المحذوفة التي هي بدل منها هي حقيقة القائم بالكل تعالى واحتجب رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء وعلى هذا الحد تأخذ كل مسألة في هذا الباب مستوفاة بطريق الإيجاز فبسم، و ألم، واحد. ثم وجدنا الألف من بسم قد ظهرت في ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ (العلق/١) و﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ ﴾ (هود/٤١) بين الباء والسين، ولم تظهر بين السين والميم، فلو لم تظهر في باسم السفينة ما جرت السفينة، ولو لم تظهر في اقرأ باسم ربك ما عــلم المثل حقيقته ولا رأى صورته فتيقظ من سنة الغفلة وانتبه. فلما كثر استعمالها في أوائل السور حذفت لوجود المثل مقامه في الخطاب وهو الباء فصار المثل مرآة للسين فصار السين مثالاً وعلى هذا الترتيب نظام التركيب، وإنما لم تظهر بين السين والميم وهو محل التغيير وصفات الأفعال لأن لو ظهرت لزال السين والميم إذ ليسوا بصفة لازمة للقديم مثل الباء فكان خفاؤه عنهم رحمة بهم إذ كان سبب بقاء وجودهم ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً ﴾ (الشورى /٥١) وهو الرسول. فهذه الباء والسين والميم العالم كله. ثم عمل الباء في الميم الخفض من طريق الشبه بالحدوث إذ الميم مقام الملك وهو العبودية وخفضتها الباء عرفتها بنفسها وأوقفتها على حقيقتها فمهما وجدت الباء وجدت الميم في مقام الإسلام فإن زالت الباء يوماً ما لسبب طارئ وهو ترقي الميم إلى مقام الإيمان فتح في عالم الجبروت بسبح وأشباهه فأمر بتنــزيه المحل لتجلي المثل فقيل له ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ (الأعلى/١) الذي هو مغذيك بالمواد الإلهية فهو ربك بفتح

الميم وجاءت الألف ظاهرة وزالت الباء ؛ لأن الأمر توجه عليها بالتسبيح، ولا طاقة لها على ذلك. والباء محدثة مثلها والمحدث من باب الحقائق لا فعل له ولا بُدَّ لها من امتثال الأمر فلا بد من ظهور الألف الذي هو الفاعل القديم، فلما ظهر فعلت القدرة في الميم التسبيح فسبح كما أمر، وقيل له: " الأعلى " لأنه مع الباء في الأسفل وفي هذا المقام في الوسط ولا يسبح المسبح مثله ولا من هو دونه فلا بُدَّ أن يكون المسبح أعلى ولو كنا في تفسير سورة ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ (الأعلى/١) لأظهرنا أسرارها فلا يزال في هذا المقام حتى يتنـزَّه في نفسه فإن من ينزهه منزه فإنه منزه عن تنزيهه فلا بُدَّ من هذا التنزيه أن يعود على المنزه ويكون هو الأعلى فإن الحق من باب الحقيقة لا يصح عليه "الأعلى" فإنه من أسماء الإضافة وضرب من وجوه المناسبة، فليس بأعلى ولا أسفل ولا أوسط تنزه عن ذلك وتعالى علواً كبيراً، بل نسبة الأعلى والأوسط والأسفل إليه نسبة واحدة فإذا تنزه خرج عن حد الأمر، وخرق حجاب السمع وحصل المقام الأعلى فارتفع الميم بمشاهدة القديم فحصل له الثناء التام بـ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨ ﴾ (الرحمن/٧٨) فكما أن الاسم عين المسمى كذلك العبد عين المولى (**من تواضع لله رفعه الله**) [١] وفي الصحيح من الأخبار: أن الحق يد العبد، ورجله، ولسانه، وسمعه، وبصره [٢]، لو لم يقبل الخفض من الباء في

---

(١) حديث: (من تواضع لله رفعه الله).

رواه أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري بزيادة به درجة ومن تكبر وضعه الله – الحديث وأخرجه أبو يعلى وأحمد بلفظ ومن قنع أغناه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وأسنده الديلمي عن عمر بلفظ فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم.ورواه أبو الشيخ عن معاذ بلفظ من تواضع تخشعا لله رفعه الله ومن تطاول تعظما وضعه الله وفي تاريخ ابن عساكر عن طلحة بن عبيد الله أن التواضع لله تبارك وتعالى الرضى بالدون من المجالس انتهى انظر: كشف الخفاء: ٢/٤٤٢االحديث رقم (٢٤٤٥).

(٢) انظر في هذا الكتاب تخريج الحديث: ومنه هذا الحديث: عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:إن الله تعالى يقول: ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى =

باسم ما حصل له الرفع في النهاية في تبارك اسم.

ثم اعلم أن كل حرف من بسم مثلث على طبقات العوالم فاسم الباء باء وألف وهمزة واسم السين سين وياء ونون واسم الميم ميم وياء وميم والياء مثل الباء وهي حقيقة العبد في باب النداء فما أشرف هذا الموجود كيف انحصر في عابد ومعبود فهذا شرف مطلق لا يقابله ضد لأن ما سوى وجود الحق تعالى ووجود العبد عدم محض لا عين له ثم أنه سكن السين من بسم تحت ذل الافتقار والفاقة كسكوننا تحت طاعة الرسول لما قال ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء/٨٠) فسكنت السين من "بسم" لتتلقى من الباء الحق اليقين، فلو تحركت قبل أن تسكن لاستبدت بنفسها وخيف عليها من الدعوى وهي سين مقدسة فسكنت. فلما تلقت من الباء الحقيقة المطلوبة أعطيت الحركة فلم تتحرك في بعض المواطن إلا بعد ذهاب الياء إذ كان كلام التلميذ بحضور الشيخ في أمر مّا سوء أدب إلا أن يأمره. فامتثال الأمر هو الأدب. فقال عند مفارقة الباء يخاطب أهل الدعوى تائهاً بما حصل له في المقام الأعلى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ (الأعراف/١٤٦) ثم تحرك لمن أطاعه بالرحمة واللين فقال ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ (الزمر/٧٣) يريد حضرة الباء فإن الجنة حضرة الرسول (عليه السلام) وكثيب الرؤية حضرة الحق، فاصدق وسلم تكشف وتلحق. فهذه الحضرة هي التي تنقله إلى الألف المرادة فكما أنه ينقلك الرسول إلى الله، كذلك تنقلك حضرته التي هي الجنة إلى الكثيب الذي هو حضرة الحق.

ثم اعلـــــم أن التنوين في " بسم " لتحقيق العبودة وإشارات التبعيض فلما

=

أحبه فأكون أنا سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به فإذا دعاني أجبته وإذا سألني أعطيته وإذا استنصرني نصرته وأحب ما تعبدني عبدي به النصح لي) .

رواه الطبراني في الكبير. انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد: ٥١٤/٢ الحديث رقـــم (٣٤٩٩) .

ظهر منه التنوين اصطفاه الحق المبين بإضافة التشريف والتمكين فقال: بسم الله. فحذف التنوين العبدي لإضافته إلى المنزل الإلهي، ولما كان تنوين تخلق لهذا صح له هذا التحقق و إلا فالسكون أولى به فاعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل

قوله: "الله" من "بسم الله"

ينبغي لك أيها المسترشد أن تعرف أولاً ما تحصل في هذه الكلمة الكريمة من الحروف وحينئذ يقع الكلام عليها إن شاء الله وحروفها (ا ل ل ا) الله. فأول ما أقول كلاماً مجملاً مرموزاً ثم نأخذ في تبيينه ليسهل قبوله على عالم التركيب، وذلك أن العبد تعلق بالألف تعلق من اضطر والتجا فأظهرته اللام الأولى ظهوراً ورثَّهُ الفوز من العدم والنجا، فلما صح ظهوره، وانتشر في الوجود نوره، وصح تعلقه بالمسمي وبطل تخلقه بالأسماء أفنته اللام الثانية بشهود الألف التي بعدها فناء لم تبق منه باقية، وذلك عسى أن ينكشف له المعمّي. ثم جاءت الواو بعد الهاء لتمكن المراد، وبقيت الهاء لوجوده آخراً عند محو العباد من أجل العناد. فذلك أوان الأجل المسمى، وهذا هو المقام الذي تضمحل فيه أحوال السائرين، وتنعدم فيه مقامات السالكين ؛ حتى يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، لا غير يثبت لظهوره، ولا ظلام يبقى لنوره. فإن لم تكن تره أعرف حقيقة إن لم تكن أنت[1]، إذ كانت التاء من الحروف الزوائد في الأفعال المضارعة للذوات وهي العبودية يقول بعض السادة، وقد سمع عاطساً يقول: الحمد لله.

فقال له ذلك السيد: أتِمَّها،كما قال الله: رب العالمين.

---

(١) هنا حديث ما هو الإحسان ؟ وتعريفه أن (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وفيه لطيفة لشيخ العارفين بالله تعالى سيدنا الشيخ: صلاح الدين التجاني الحسني الحسيبي رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول: (فإن لم تكن) أي فإن فنيت عن نفسك (لم تكن) ، وحين لم تكن تراه أي تراه بعد فنائك عنك بألا تكون. لأنه يراك على كل حال، فإنه يراك. (المحقق)

فقال العاطس: يا سيدنا، ومن العالم حتى يذكر مع الله.

فقال له: الآن قله يا أخي فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر.

وهذا هو مقام الوصلة، وحال وَلَه[1] أهل الفناء عن أنفسهم.

وأما لو فني عن فنائه، لما قال: الحمد لله. لأن في قوله الحمد أثبت العبد الذي هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم، وبالثوب عند آخرين، ولو قال: رب العالمين، لكان أرفع من المقام الذي كان فيه.

فذلك مقام الوارثين ولا مقام أعلى منه ؛ لأنه مشهود لا يتحرك معه لسان ولا يضطرب معه جنان. أهل هذا المقام في أحوالهم فاغرة أفواههم استولت عليهم أنوار الذات، وبدت عليهم رسوم الصفات، هم عرائس الله المُخَبَّأُون عنده المحجوبون لديه ؛ الذين لا يعرفهم سواه كما لا يعرفون سواه، توَّجَهم بتاج البهاء وإكليل السناء، وأقعدهم على منابر الفناء عن القرب، في بساط الأنس ومناجاة الديمومية بلسان القيومية. أورثهم ذلك قوله: ﴿ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآيِمُونَ ﴾ (المعارج/ ٢٣) وبشهادتهم قائمون.

فلم تزل القوّة الإلهية تمدهم بالمشاهدة فيبرزون بالصفات في موضع القدمين فلا وَلَه إلا من حيث الإقتداء ولا ذكر إلا إقامة سنة أو فرض لا يحيدون عن سواء السبيل فهم بالحق وإن خاطبوا الخلق وعاشروهم فليسوا معهم وإن رأوهم لم يروهم إذ لا يرون منهم إلا كونهم من جملة أفعال الله فهم يشاهدون الصنعة والصانع مقاماً عمرياً كما يقعد أحدكم مع نجار يصنع تابوتاً فيشاهد الصنعة والصانع ولا تحجبه الصنعة عن الصانع إلا أن شغل قلبه حسن الصنعة فإن

---

(١) (الوله) : (وما الوقفة ؟) قلنا: الحبس بين المقامين مع العصمة من الوله، فان قلت: (وما الوله ؟) قلنا: إفراط الوجد بمشاهدة السر، فان قلت: (وما السر ؟) قلنا: سر العلم بإزاء حقيقة العالم به، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه، وسر الحقيقة بإزاء ما يقع به الإشارة من الروح.

انظر: ابن في الإجابة عن أسئلة الحكيم الترمذي السؤال الثالث والخمسون ومائة في خزائن علم الله.

الدنيا كما قال (عليه السلام) : (حلوة خضرة) [١] وهي من خضراء الدِّمَن [٢]

جارية حسناء في منبت سوء من أحسن إليها وأحبها أساءت إليه وحرمت عليه أخراه.

ولقد أحسن القائل:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت-*-له عن عدو في ثياب صديق

فهذه الطائفة الأمناء الصديقون إذا أيدهم الله بالقوة الإلهية، وأمدهم فهم معه بهذه النسبة على وجه المثال، وهذا أعلى مقام يرقى فيه وأشرف غاية ينتهي إليها هذه الغاية القصوى إذ لا غاية إلا من حيث التوحيد لا من حيث

---

(١) حديث: (الدنيا خضرة حلوة...) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه الدنيا خضرة حلوة فمن آتيناه منها شيئا بطيب نفس أو طيب طعمة ولا إشراف بورك له فيه. ومن آتيناه منها شيئا بغير طيب نفس منا وغير طيب طعمة وإشراف منه لم يبارك له فيه.. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد:٢/٢٦٦ الحديث رقم (٤٥٥٣).

(٢) حديث: (إياكم وخضراء الدمن...) ٨٥٥ - إياكم وخضراء الدمن.

رواه الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي والعسكري في الأمثال وابن عدي [صفحة ٣١٩] في الكامل والقضاعي في مسند الشهاب والخطيب في إيضاح الملبس والديلمي من حديث الواقدي عن أبي سعيد مرفوعا لكن بزيادة قيل وما ذا يا رسول الله ؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء.قال عدي: تفرد به الواقدي وذكره أبو عبيد في الغريب وقال الدارقطني لا يصح من وجه ومعناه أنه كره نكاح ذات الفساد فإن أعراق السوء تنزع أولادها وأصله أن النبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا إذ الدمن جمع دمنة وهي البعر وأنشدوا:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى... وتبقى حزازات النفوس كما هي

ومعنى البيت أن الرجلين قد يظهران الصلح أو المودة وينطويان على البغضاء والعداوة كما ينبت المرعى على الدمن وهذا أكثري أو كلي في زماننا والله المستعان. وذكره السخاوي وقال القاري لا يكون موضوعا سواء كان موقوفا أو مرفوعا. وذكره صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا بلفظ إياكم وخضراء الدمن فإنها تلد مثل أصلها وعليكم بذات الأعراق فإنها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها انتهى.

انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١/ ٣١٨ الحديث رقم (٨٥٥) .

المـــوارد والـــواردات وهو المستوى إذ لا استواء إلا الرفيق الأعلى فهنيئاً لهذه العـــصابة بمـــا نالوه من حقائق المشاهدة وهنيئاً لنا على التصديق والتسليم لهم بالموافقة والمساعدة.

مـــرّ بـــنا جواد اللسان في حلبة الكلام فلنرجع إلى ما كنا بسبيله والسلام فأقول:

هـــمزة هذا الاسم المحذوفة بالإضافة تحقيق اتصال الوحدانية وتمحيق انفصال الغيرة فالألف واللام الملصقة كما تقدم لتحقيق المتصل ومحـــق المنفصل، والألف الموجودة في اللام الثانية لمحو آثار الغير المتحصل، والواو التي بعد الهاء ليس لها في الخط أثر، ومعناها في الوجود بهاء الهوية قد انتشر، أبداها في عالم الملك بذاتها فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (الحشر/٢٢، ٢٣) فبدأ بالهوية وختم، وملكها الأمر في الوجود والعدم، وجعلها دالة على الحدوث والقدم، وهو آخر ذكر الذاكرين وأعلاه، فرجع العجز على الصدر فلاحت ليلة القدر، ووقف بوجودها أهل العناية والتأييد، على حقائق التوحيد، فالوجود في نقطة دائرة هذا الاسم ساكن، وقد اشتمل عليه بحقيقته اشتمال الأماكن، على المتمكن الساكن، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النحل /٦٠) :

والله قد ضرب الأقل لنوره--مثلاً من المشكاة والنبراس

فقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ (النساء/١٢٦) ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق/١٢) وصير الكل اسماً ومسمى وأرسله مكشوفاً ومعمى ".

(حلُّ المُقْفَـــلِ وتفصيلُ المُجْمَلِ)

يقول العبد: "الله " فَيُثْبِتُ (بالألف والهاء) أولاً وآخراً وينفي باللامين باطناً وظاهراً لزمت اللام الثانية الهاء بوساطة الألف العلمية: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (المجادلة/٧) الثلاثة اللام ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ (استكمال الآية السابقة) فالألف سادس في حق الهاء رابع في حق اللام ﴿ أَلَمْ تَرَ

إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ (الفرقان/٤٥) العرش: ظل الله. العرش: اللام الثانية وما حواه اللام الأولى بطريق الملك، واللامان: هما الظاهر والباطن من باب الأسماء ظهرتا بين ألف الأول وألف الآخر، وهو مقام الاتصال. لأن النهاية تنعطف على البداية، وتتصل بها اتصال اتحاد.

ثم خـــرجت الهاء بواوها الباطنة مخرج الانفصال والجزء المتصل بين اللام والهـــاء هـــو السر الذي به تقع المشاهدة بين العبد والسيد، وذلك مركز الألف العلمية وهو مقام الاضمحلال.

ثم جعل تعالى في الخط المتصل جزءاً بين اللامين للاتصال بين اللام الأولى؛ التي هي عالم الملك، وبين اللام الثانية التي هي عالم الملكوت. وهو مركز العالم الأوســـط عـــالم الجبروت مقام النفس ولا بُدَّ من خطوط فارغة بين كل حرفين فتلك مقامات فناء رسوم السالكين من حضرة إلى حضرة.

تـــتمـــــيم

الألـــف الأولى، الـــتي هي ألف الهمزة منقطعة، واللام الثانية ألفها متصل بها قطعت الألف في أوائل الخطوط لقوله (عليه السلام): "**كان الله ولا شيء معه**" [1].

---

(١) حديث: (كان الله ولا شيء معه) رواه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بريدة وفي رواية: ولا شيء غيره وفي رواية ولم يكن شيء قبله. قال القاري ثابت ولكن الزيادة وهي قوله وهو الآن على ما عليه كان من كلام الصوفية. قال ويشبه أن يكون من مفتريات الوجودية القائلين بالعينية.قال وقد نص ابن تيمية كالحافظ العسقلاني على وضعها [أي هذه الزيادة: " وهو الآن على ما عليه كان "] وإن صحت فتأويلها أنه تعالى ما تغير بحسب ذات الكمال وصفات الجلال عما كان عليه بعد خلق الموجودات انتهى ملخصا.لكن قال النجم ذكر ابن العربي في الفتوحات أنها مدرجة في الخبر ولفظه عن بريدة قال دخل قوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا جئنا نسلم على رسول الله ونتفقه في الدين ونسأله عن بدء هذا الأمر فقال رسول الله كان الله ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق سبع سماوات. قال ثم أتاني آت " هذه ناقتك قد ذهبت " فخرجت والسراب يتقطع دونها فلوددت أني كنت تركتها. ورواه أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم عن عمران بن حصين قال قال يا

=

فلهذا قطعت، وتنــزه من الحروف من أشبهها، في عدم الاتصال بما بعدها. والحروف التي أشبهتها على عدد الحقائق العامة العالية ؛ التي هي الأمهات. وكذلك إذا كانت آخر الحروف تقطع الاتصال من البعدية الرقمية، فكان انقطاع الألف تنبيهاً لما ذكرناه وكذلك أخوته فالألف للحق وأشباه الألف للخلق وذلك (د، ذ، ر، ز، و) في جميع الحقائق جسم، متغذ، حساس، ناطق[1]، وما عداه ممن له لغة، وانحصرت حقائق العالم الكلية فلما أراد وجود اللام الثانية وهي أول موجود في المعنى، وإن تأخرت في الخط. فإن معرفة الجسم تتقدم على معرفة الروح شاهداً، وكذلك الخط شاهداً. وهي عالم الملكوت أوجدها بقدرته وهي الهمزة التي في الاسم إذا ابتدأت به معرى من الإضافة وهي لا تفارق الألف فلما أوجدت هذه الألف اللام الثانية جعلها رئيسة فطلبت مرؤساً تكون عليه بالطبع فأوجد لها عالم الشهادة الذي هو اللام الأولى. فلما نظرت إليه أشرق وأنار، ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ ﴾ (الزمر/٦٩) وهو الجزء الذي بين اللامين أمر سبحانه اللام الثانية أن تمــد الأولى بما أمدها به تعالى من جود ذاته وأن تكون دليلها إليه فطلبت منه معنى تصرفه في جميع أمورها يكون لها كالوزير فتلقى إليه ما تريده فيلقيه على عالم اللام الأولى فأوجد لها الجزء المتصل باللامين المعبر عنه بالكتاب الأوسط وهو العالم الجبروتي وليست له ذات قائمة مثل اللامين فإنه بمنزلة عالم الخيال عندنا فألقت اللام الثانية إلى ذلك الجزء وارتقم فيه ما أريد منها ووجهت به إلى اللام الأولى فامتثلت الطاعة، حتى قالت

=

رسول الله أخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟ قال كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض فنادى مناد " ذهبت ناقتك يا ابن الحصين " فانطلقت فإذا هي تقطع دونها السراب فو الله لوددت أني كنت تركتها انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١٠٠٦/٢ الحديث رقم (٢٠١١).

(١) وهو يقصد هنا أن: د رمز جسم، و:ذ رمز متغذ، و: ر رمز حسّاس، و: ز رمز ناطق، وهكذا.

بلى فلما رأت اللام الأولى الأمر قد أتاها من قبل اللام الثانية بوساطة الجزء الذي هو الشرع صارت مشاهدة لما يرد عليها من ذلك الجزء راغبة له في أن يوصلها إلى صاحب الأمر لتشاهده فلما صرفت الهمة إلى ذلك الجزء واشتغلت بمشاهدته احتجبت عن الألف التي تقدمتها ﴿ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورًا ﴾ (الحديد/١٣) ولو لم تصرف الهمة إلى ذلك الجزء ؛ لتلقت الأمر من الألف الأولى بلا واسطة، ولكن لا يمكن لسر عظيم فإنها ألف الذات، والثانية ألف العلم.

إشـــــارة

ألا ترى أن اللام الثانية لما كانت مرادة مجتباة منـــزَّهَةً عن الوسائط كيف اتـــصلت بألف الوحدانية اتصالاً شافياً حتى صار وجودها نطقاً يدل على الألف دلالـــة صـــحيحة، وإن كانت الذات خفيت فإن لفظك باللام يحقق الاتصال ويـــدلك علـــيها. **(من عرف نفسه عرف ربه)** [1] من عرف اللام الثانية عرف

(١) حديث: **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**.

قال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع إنه لا يعرف مرفوعا وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله. وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت قال لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره. قال وذكره لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محي الدين بن عربي معدود من الحفاظ. وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محي الدين قال هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه 'القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه [وهو من الكتب الموجودة في الحاوي للفتاوى للسيوطي] وقال النجم قلت وقع في أدب الدين والدنيا للما وردي عن عائشة سئل النبي صلى الله عليه وسلم: (من أعرف الناس بربه قال أعرفهم بنفسه) . وقال المناوي في فيض القدير: فالربوبية بيان في كل رتبة بحسب ما أظهرته آية مربوبه (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ابن السمعاني الإمام أبو سعد في كتاب وضوء الإملاء أي إملاء الحديث من جهة صفوان بن مغلس الحنطي عن محمد بن عبد الله عن سفيان الثوري عن الأعمش عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أدبني فأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين». الأعراف ١٩٩

-

الألــف فجعل نفسك دليلاً عليك ثم جعل كونك دليلاً عليك دليلاً عليه في حق مــن بعد، وقدم معرفة العبد بنفسه على معرفته بربه ثم بعد ذلك يفنيه عن معرفته بنفسه لما كان المراد منه أن يعرف ربه ألا ترى تعانق اللام الألف وكيف يوجد اللام في النطق قبل الألف وفي هذا تنبيه لمن أدرك فهذه اللام الملكوتية تتلقى من ألف الوحدانية بغير واسطة ؛ فتورده على الجزء الجبروتي ليؤدّيه إلى لام الشهادة والملــك هكــذا الأمر مادام التركيب والحجاب فلما حصلت الأولية والآخرية والظاهــرية والباطنــية أراد تعالى كما قدم الألف منــزهة عن الاتصال من كل الوجوه بالحروف.

أراد أن يجعــل الانــتهاء نظير الابتداء، فلا يصح بقاء للعبد أولاً وآخراً فأوجــد الهــاء مفــردة بواو هويتها، فإن توهم متوهم أن الهاء ملصقة إلى اللام فليــست كــذلك، وإنما هي بعد الألف التي بعد اللام والألف لا يتصل بها في البعدية شيء من الحروف. فالهاء بعد اللام مقطوعة عن كل شيء فذلك الاتصال بــاللام في الخط ليس باتصال. فالهاء واحدة والألف واحدة، فاضرب الواحد في مــثله يكن واحداً. فصح انفصال الخلق عن الحق فبقي الحق وإذا صح تخلق اللام الملكــية لما توررده عليها لام الملكوت فلا تزال تضمحل عن صفاتها وتفني عن رســومها إلى أن تحصل في مقام الفناء عن نفسها فإذا فنيت عن ذاتها فني الجزء لفــنائها واتحــدت اللامان لفظاً ينطق بها اللسان مشددة للإدغام الذي حدث فصارت موجودة بين ألفين اشتملا عليها وأحاطا بها فأعطتنا الحكمة الموهوبة لما سمعــنا لفظ الناطق بلام بين ألفين علمنا علــم الضرورة أن المحدث فني بظهور

=

هذا سياق رواية السمعاني بحروفه فتصرف فيه المؤلف كما ترى قال الزركشي حديث أدبني ربي فأحسن تأديبي.قال سمعت سفيان بن عيينة يقول: (لا يغر المدح من عرف نفسه) . قال: وسمعته يقول: وأي عقوبة على أهل الجهل أشد من موت أهل العلم.انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١ / ٢١٠ .

انظر: العجلوني:كشف الخفاء ٢/ ٣٤٣ الحديث رقم (٣٦٦) وانظر المناوي: فيض القدير:١ / ٢٢٥.

القديم، فبقي ألفان أولى وأخرى، وزال الظاهر والباطن بزوال اللامين بكلمة النفي فضربنا الألف في الألف ضرب الواحد في الواحد فخرجت لك الهاء فلما ظهرت زال حكم الأول والآخر الذي جعلته الواسطة كما زال حكم الظاهر والباطن فقيل عند ذلك **(كان الله ولا شيء معه)** (١).

ثم أصل هذا الضمير الذي هو الهاء الرفع ولا بُدَّ، فإن انفتح أو انخفض فتلك صفة تعود على من فتحه أو خفضه فهي عائدة على العامل الذي قبل في اللفظ.

تكملة

الحركات والحروف في اسم الجلالة

ثم أوجد سبحانه الحركات والحروف والمخارج تنبيهاً منه سبحانه وتعالى أن الذوات تتميز بالصفات والمقامات ؛ فجعل الحركات نظير الصفات، وجعل الحروف نظير الموصوف، وجعل المخارج نظير المقامات والمعارج، فأعطى لهذا الاسم من الحروف على عموم وجوهه من وصل وقطع (ء ا ل ل ه و) همزة، وألفاً، ولاماً، وهاء، وواواً.

فالهمزة أولاً والهاء آخراً ومخرجهما واحد مما يلي القلب، ثم جعل بين الهمزة والهاء حرف اللام، ومخرجه اللسان ترجمان القلب، فوقعت النسبة بين اللامين والهمزة والهاء كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محل الكلام وبين اللسان المترجم عنه قال الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فلما كانت اللام من اللسان جعلها تنظر إليه لا إلى نفسها فأفناها عنها وهي الحنك اشتداد التمكن علوها وارتفاعها بمشاهدته وخرجت الواو من الشفتين إلى الوجود الظاهر مخبرة دالة عليه وذلك مقام باطن النبوة وهي الشعرة التي فينا من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يكون الورث فخرج من هذا

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث في الصفحات السابقة مباشرة .

الوصل أن الهمزة والألف والهاء من عالم الملكوت، واللام من عالم الجبروت، والواو من عالم الملك.

وصل

قوله تعالى: " الرحمن " من البسملة

الكلام على هذا الاسم في هذا الباب من وجهين:

من وجه الذات، ومن وجه الصفة.

فمن أعربه بدلاً جعله ذاتاً، ومن أعربه نعتاً جعله صفة.

والصفات ست ومن شرط هذه الصفات الحياة، فظهرت السبع. وجميع هذه الصفات للذات، وهي الألف الموجودة بين الميم والنون من الرحمن.

ويتركب الكلام على هذا الاسم من الخبر الثابت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) :

(**إن الله خلق آدم على صورته**)[1] من حيث إعادة الضمير على الله، ويؤيد هذا النظر الرواية الأخرى وهي قوله (عليه السلام) : (**على صورة الرحمن**)[2] وهذه الرواية، وإن لم تصح من طريق أهل النقل، فهي صحيحة من طريق الكشف.

فأقول: إن الألف، واللام، والراء، للعلم والإرادة والقدرة. والحاء، والميم، والنون مدلول الكلام والسمع والبصر. وصفة الشرط التي هي الحياة

---

(١) حديث: (خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك قال: فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن (. رواه أ حمد بن حنبل ومتفق عليه عند البخاري ومسلم، وكلهم عن أبي هريرة. انظر: كنز العمال ١٩٨/٦ الحديث رقم (١٥١٢٩).

(٢) ١١٤٩ - لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم على صورة الرحمن.

رواه الطبراني في الكبير، وابن عساكر، والحاكم، كلهم عن ابن عمر) .انظر: كنز العمال: ٤٠٠/١ وله روايات اخرى انظر ها في كنز العمال.

مستصحبة لجميع هذه الصفات. ثم الألف التي بين الميم والنون مدلول الموصوف؛ وإنما حذفت خطاً لدلالة الصفات عليها دلالة ضرورية من حيث قيام الصفة بالموصوف. فتجلت للعالم الصفات ولذلك لم يعرفوا من الإله غيرها، ولا يعرفونها.

ثم الذي يدل على وجود الألف ولا بُدَّ، ما ذكرناه وزيادة. وهي إشباع فتحة الميم. وذلك إشارة إلهية إلى بسط الرحمة على العالم، فلا يكون أبداً ما قبل الألف إلاّ مفتوحاً فتدل الفتحة على الألف في مثل هذا الموطن. وهو محل وجود الروح الذي له مقام البسط لمحل التجلي. ولهذا ذكر أهل عالم التركيب في وضع الخطوط في حروف العلة، الياء المكسور ما قبلها ؛ إذْ قد توجد الياء الصحيحة ولا كسر قبلها. وكذلك الواو المضموم ما قبلها، ولما ذكروا الألف لم يقولوا المفتوح ما قبلها إذ لا توجد إلا والفتح في الحرف الذي قبلها، بخلاف الواو والياء. فالاعتدال للألف لازم أبداً. فالجاهل إذا لم يعلم في الوجود منزها عن جميع النقائص إلا الله تعالى نسي الروح القدسي الأعلى، فقال: ما في الوجود إلا الله ! فلما سُئل في التفصيل لم يوجد لديه تحصيل.

وإنما خصصوا الواو بالمضموم ما قبلها، والياء بالمكسور ما قبلها، لما ذكرناه. فصحت المفارقة بين الألف وبين الواو والياء. فالألف للذات، والواو العلية للصفات، والياء العلية للأفعال، والألف للروح، والعقل صفته، وهو الفتحة؛ والواو النفسُ، والقبض صفتها، وهو الضمة ؛ والياء الجسم، ووجود الفعل صفته، وهو الخفض.

فإن انفتح ما قبل الواو والياء، فذلك راجع إلى حال المخاطب، ولما كانتا غيراً ولا بُدَّ اختلفت عليهما الصفات. ولما كانت الألف لا تقبل الحركات، اتحدت بمدلولها، فلم يختلف عليها شيء الْبَتَّة، وسُمِّيت حروف العلة لما نذكره. فألف الذات علة لوجود الصفة، وواو الصفة علة لوجود الفعل، وياء الفعل علة لوجود ما يصدر عنه في عالم الشهادة، من حركة وسكون، فلهذا سميت عللاً.

ثم أوجد النون من هذا الاسم - أي الرحمن - نصف دائرة في الشكل، والنصف الآخر محصور، معقول في النقطة التي تدل على النون الغيبية، الذي هو

نـــصف الدائرة. ويحسب الناس النقطة أنها دليل على النون المحسوسة. ثم أوجد مقدم الحاء، ممايلي الألف المحذوفة في الرقم إشارة إلى مشاهدتها، ولذلك سكنت ولو كان مقدمها إلى الراء لتحركت. فالألف الأولى للعلم، واللام للإرادة، والراء للقـــدرة، وهي صفة الإيجاد. فوجدنا الألف لها الحركة من كونها همزة. والراء لها الحركة واللام ساكنة، فاتحدت الإرادة بالقدرة، كما اتحد العلم والإرادة بالقدرة، إذا وصـــلت الـــرحمن بالله فأدغمت لام الإرادة في راء القدرة بعد ما قلبت راء وشدت لتحقيق الإيجاد الذي هو الحاء، وهو وجود الكلمة ساكنة. وإنما سكنت لأنها لا تنقسم، والحركة منقسمة فلما كانت الحاء ساكنة سكوناً حسياً، ورأيناها مجاورة الراء، راء القدرة. عرفنا أنها الكلمة وتثمينها.

تنـــــبيـــــه

أشار من أعربه بدلاً من قوله: "الله" إلى مقام الجمع، واتحاد الصفات.

وهـــو مقام من روى: (خلق آدم على صورته)[1] وذلك وجود العبد في مقام الحق حدُّ الخلافة. والخلافة تستدعي المُلك بالضرورة.

والملك ينقسم قسمين: قسم راجع لذاته، وقسم راجع لغيره.

والواحد من الأقسام يصلح، في هذا المقام، على حد ما رتبناه. فإن البدل في الموضـــع يحـــل محل البدل منه. مثل قولنا: جاءني أخوك زيد، فزيد بدل من أخـــيك، بدل الشيء من الشيء، وهما لعين واحدة. فإن زيداً هو أخوك، وأخاك هو زيد بلا شك، وهذا مقام، من اعتقد خلافه فما وقف على حقيقة ولا وجد قط موجده !

وأمـــا من أعربه نعتاً فإنه أشار إلى مقام التفرقة في الصفة. وهو مقام من روى: (خلـــق الله آدم على صورة الرحمن) . وهذا مقام الوراثة، ولا تقع إلا بين غيريـــن: مقـــام الحجاب بمغيب الواحد، وظهور الثاني. وهو المعبر عنه بالمثل، وفيما قررنا دليل على ما أضمرنا فافهم.

ثم أظهر من النون الشطر الأسفل، وهو الشطر الظاهر لنا من الفلك الدائر

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

من نصف الدائرة. ومركز العالم في الوسط من الخط الذي يمتد من طرف الشطر إلى الطرف الثاني والشطر الثاني المستور في النقطة هو الشطر الغائب عنا من تحت، نقيض الخط بالإضافة إلينا إذ كانت رؤيتنا من حيث الفعل في جهة فالشطر الموجود في الخط هو المشرق، والشطر المجموع في النقطة هو المغرب، وهو مطلع وجود الأسرار. فالمشرق وهو الظاهر المركب - ينقسم، والمغرب وهو الباطن البسيط لا ينقسم، وفيه أقول:

عجباً للظاهر ينقسم ولباطنه لا ينقسم
فالظاهر شمس في حمل والباطن في أسد جلم
حقق وانظر معنى سترت من تحت كثائفها الظلم
إن كان خفي هو ذاك بدا عجباً والله ! هما القسم
فافزع للشمس ودع قمراً في الوتر يلوح وينعدم
واخلع نعلي قدمي كوني علمي شفع يكن الكلم

ولذلك يتعلق العلم بالمعلومات، والإرادة الواحدة بالمرادات، والقدرة الواحدة بالمقدورات. فتقع القسمة والتعداد في المقدورات، والمعلومات، والمرادات.وهو الشطر الموجود في الرقم، ويقع الاتحاد والتنزه عن الأوصاف الباطنية من علم، وقدرة، وإرادة، وفي هذا إشارة فافهم.

ولما كانت الحاء ثمانية، وهو وجود كمال الذات. ولذلك عبرنا عنه بالكلمة والروح فكذلك النون خامسة في العشرات. إذ يتقدمها الميم الذي هو رابع. فالنون جسماني محل إيجاد مواد الروح والعقل والنفس ووجود الفعل وهذا كله مستودع في النون وهي كلية الإنسان الظاهرة ولهذا ظهرت.

تتمة

في الفصل بين الميم والنون بالألف

وإنما فصل بين الميم والنون بالألف (مآن)[1] إذ الميم ملكوتية لما جعلناها

---

(١) أي ما بين حرف الحاء والنون يوجد حرف الميم والنون وبينهما الألف (الرحـ (مـان).

للروح والنون ملكية والنقطة جبروتية لوجود سر سلب الدعوى كأنه يقول أي يا روح الذي هو الميم لم نصطفك من حيث أنت لكن عناية سبقت لك في وجود علمـــي، ولـــو شـــئت لاطلعت على نقطة العقل، ونون الإنسانية، دون واسطة وجودك، فاعرف نفسك. واعلم أن هذا اختصاص بك مني من حيث أنا لا من حـــيث أنـــت.فـــصحت الاصطفائية، فلا تجلى لغيره أبداً فالحمد لله على ما أولى.فتنـــبَّه يا مسكين في وجود الميم دائرة على صورة الجسم مع التقدم كيف أشار به إلى التنـــزه عن الانقسام، وانقسام الدائرة لا يتناهى. فانقسام روح الميم بمعلوماته لا يتناهى وهو في ذاته لا ينقسم. ثم انظر الميم إذا انفصل وحده كيف ظهـــرت منه مادة التعريق. لما نزل إلى وجود الفعل في عالم الخطاب والتكليف. فصارت المادة في حق الغير لا في حق نفسه ؛ إذْ الدائرة تدل عليه خاصة فما زاد فليس في حقه إذ قد ثبتت ذاته فلم يبق إلا أن يكون في حق غيره. فلما نظر العبد إلى المادة مد تعريقاً وهذا هو وجود التحقيق.

ثم اعلـــــم أن الجـــزء المتـــصل بين الميم والنون هو مركز ألف الذات، وخفيت الألف ليقع الاتصال بين الميم والنون بطريق المادة، وهو الجزء المتصل. ولو ظهرت الألف لما صح التعريق للميم لأن الألف حالت بينهما وفي هذا تنبيه على قوله "رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن" وجود الألف المرادة هذا علـــى من أعربه مبتدأ ولا يصح من طريق التركيب والصحيح أن يعرب بدلاً من الـــرب فتبقـــى الألف هنا عبارة عن الروح والحق قائم بالجميع والميم السموات والنون الأرض.

وإذا ظهرت الألف بين الميم والنون فإن الاتصال بالميم لا بالنون فلا تأخذ النون صفة أبداً من غير واسطة لقطعها ودل اتصالها بالميم على الأخذ بلا واسطة والعـــدم الـــذي صح به القطع فيه يفنى النون ويبقى الميم محجوباً عن سر قدمه بالـــنقطة التي في وسطه التي هي جوف دائته بالنظر إلى ذاته بعد أن لم تكن فيما ظهر له.

سؤال وجوابه

عن اختفاء سر القدم في الميم

قـــيـــل: فكـــيف عرفت سر قدمه ولم يعرفه هو، وهو أحق بمعرفة نفسه

مـــنك إن نظـــرت إلى ظاهرك ؟ أو هل العالم بسر القدم فيه هو المعنى الموجود فيك المتكلم فيه وهو ميم الروح، فقد وقف على سر قدمه ؟

الجـــــواب عن ذلك: أن الذي علم منا سر القدم هو الذي حجبناه هناك فمن الوجه الذي أثبتنا له العلم غير الوجه الذي أثبتنا له منه عدم العلم، ونقول: إنما حصل له ذلك علماً لا عيناً، وهذا موجود فليس من شرط من علم شيئاً أن يراه. والرؤية للمعلوم أتم من العلم به من وجه، وأوضح في المعرفة به. فكل عين علم. وليس كل علم عيناً.إذ ليس من شرط من علم أن ثم مكة رآها، وإذا رآها قطعنا أنه يعلمها، ولا أريد الاسم فللعين درجة على العـــلم معـــلومة كما قيل:

ولكن للعيان لطيف معنى – * -لذا سأل المعاينة الكلـــيم

بـــل أقـــول أن حقـــيقة سر القدم الذي هو حق اليقين ؛ لأنه لا يعاين لم يـــشاهده لرجوعه لذات موجده، ولو علـــم ذات موجده لكان نقصاً في حقه. فغـــاية كماله في معرفة نفسه بوجودها، بعد أن لم تكن عيناً. هذا فصل عجيب، إن تدبرته وقفت على عجائب. فافهم !

تكمـــــلة

في اتصال اللام بالراء

اتصلت اللام بالراء اتصال اتحاد نطقاً، من حيث كونهما صفتين باطنتين ؛ فـــسهل علـــيهما الاتحاد، ووجدت الحاء التي هي الكلمة المعبَّر عنها بالمقدور للـــراء، منفصلة عن الراء التي هي القدرة ليتميز المقدور من القدرة، ولئلا تتوهم الحـــاء المقـــدورة أنها صفة ذات القدرة فوقع الفرق بين القديم والمحدث، فافهم يرحمك الله.

ثم لـــتعلم أن رحمن هو الاسم وهو للذات والألف واللام ؛ اللذان للتعريف هما الصفات ولذلك يقال: رحمان. مع زوالهما، كما يقال ذات. ولا تسمى صفة معهمـــا. انظر في اسم " مسيلمة الكذاب "[1] تسمى برحمان ولم يهد إلى الألف

---

(١) قال ابن عباس ذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رايت أنه
=

واللام، لأن الذات محل الدعوى عند كل أحد، وبالصفات يفتضح المدعي.

فـــرحمان مقام الجمع، وهو مقام الجهل أشرف ما يرتقي إليه في طريق الله الجهل به تعالى ومعرفته الجهل به ؛ فإنها حقيقة العبودية قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (الحديد/٧) فجردك، ومما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء/٨٥) وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (البقرة/١٢١) فبحقيقة الاستخلاف سُلِبَ مُسَيْلَمَة، وإبليس، والدجال، وكان من حالهم ما عُـــلم. فلو استحقوه ذاتاً ما سُلبوه ألْبَتَّة، ولكن إن نظرت بعين التنفيذ والقبول الكلي لا بعين الأمر وجدت المخالف طائعاً، والمعوج مستقيماً، والكل داخل في الرق شاءوا أم أبوا فأما إبليس ومسيلمة فصرحا بالعبودية والدجال أبى فتأمل من أين تكلم كل واحد منهم وما الحقائق التي لاحت لهم حتى أوجبت لهم هذه الأحوال !

تتمـــــــة

اختفاء الألف واللام في البسملة

لمـــا نطقـــنا بقـــوله: " بسم الله الرحمن الرحيم " لم يظهر للألف واللام وجـــود. فصار الاتصال من الذات للذات، والله، والرحمن اسمان للذات. فرجع

=

وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما وكرهتهما فاذن لي فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان فقال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة الكذاب وقال محمد بن اسحاق قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن ثمامة ابن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هماز بن ذهل بن الزول بن حنيفة ويكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون وكان قد تسمى بالرحمان فكان يقال له رحمان اليمامة وكان عمره يوم قتل مائة وخمسين سنة وكان يعرف أبوابا من النيرجات فكان يدخل البيضة الى القارورة وهو أول من فعل ذلك وكان يقص جناح الطير ثم يصله ويدعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب منها.

انظر: ابن كثير البداية والنهاية: ٥/٥٠.

على نفسه بنفسه. ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم) : (**وأعوذ بك منك**) [١] لما انتهى إلى الذات لم ير غيراً وقد قال: أعوذ بك. ولا بد من مستعاذ منه ؛ فكشف له عنه فقال: منك. ومنك هو والدليل عليه أعوذ. ولا يصح أن يفصل فإنه في الذات، ولا يجوز التفصيل فيها.

فتبين من هذا أن كلمة "الله" هي العبد فكما أن لفظة الله للذات دليل، كذلك العبد الجامع الكلي. فالعبد هو كلمة الجلالة. قال بعض المحققين في حال ما: " أنا الله ".

وقالها أيضاً بعض الصوفية من مقامين مختلفين، وشتان بين مقام المعنى، ومقام الحرف الذي وجد له. فقابل تعالى الحرف بالحرف: (**أعوذ برضاك من سخطك**) [٢] وقابل المعنى بالمعنى، (**وأعوذ بك منك**) وهذا غاية المعرفة.

خاتمة

الفرق بين اسمي الله والرحمن

ولعلك تفرق بين الله وبين الرحمن لما تعرض لك في القرآن قوله تعالى: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ (المائدة/٧٢) ولم يقولوا: وما الله ؟ ولما قيل لهم: ﴿ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ (الفرقان/٦٠) ولهذا كان النعت أولى من البدل عند قوم وعند آخرين البدل أولى لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء/١١٠) فجعلها للذات ولم تنكر العرب كلمة " الله" فإنهم القائلون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (الزمر/٣) فعلموه ولما كان الرحمن يعطي الاشتقاق من الرحمة، وهي صفة موجودة فيهم، خافوا أن يكون المعبود الذي يدلهم عليه من جنسهم فأنكروا و﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ (الفرقان/٦٠) لما لم يكن من شرط كل كلام أن يفهم معناه ولهذا قال

---

(١) حديث: (أعوذ بك منك..) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٢) جزء من الحديث السابق نفسه وتم تخريجه.

"﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ﴾ (الإسراء/١١٠) . لما كان اللفظان راجعين إلى ذات واحدة وذلك حقيقة العبد والباري منزه عن إدراك التوهم والعلم المحيط به جل عن ذلك.

وصـــــل

في قوله تعالى: الرحـــــيم

في قوله تعالى: " الرحيم " من البسملة.الرحيم: صفة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة/١٢٨) وبه كمال الوجود. وبالرحيم تمت البسملة، وبتمامها تم العالم خلقاً وإبداعاً. وكان (عليه السلام) مبتدأ وجود العالم عقلاً ونفساً. (متى كنت نبياً ؟ قال وآدم بين الماء والطين) [١] فبه بدئ الوجود باطناً وبه ختم المقام ظاهراً، في عالم التخطيط. فقال ﷺ: (لا رسول بعدي ولا نبي) [٢].

فالرحيم هو: محمد (صلى الله عليه وسلم) . وبسم: هو أبونا آدم. وأعني في مقام ابتداء الأمر ونهايته. وذلك أن آدم (عليه السلام) هو حامل الأسماء. قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة/٣١) ومحمد (صلى الله عليه وسلم) حامل معاني تلك الأسماء التي حملها آدم (عليهما السلام) وهي: الكلم. قال (صلى الله عليه وسلم) : (أوتيت جوامع الكلم) [٣] ومن أثنى على نفسه أمكن وأتم ممن أُثنِيَ عليه كيحيى وعيسى (عليهما السلام) ومن حصل له الذات

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث، وقد ذكر معه الأحاديث في هذا الموضوع فانظرها في رسالة الفاتحة.

(٢) حديث: (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي ولكن المبشرات رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة) رواه أحمد بن حنبل في مسنده، والترمذي، والحاكم، كلهم عن أنس (رضي الله تعالى عنه) (وأخرجه الترمذي كتاب الرؤيا باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات رقم ٢٢٧٣ وقال حسن صحيح. انظر: المتقي الهندي: كنـــز العمال:١٥/٥٨٥ الحديث رقم (٤١٤٠٧).

(٣) حديث: (أوتيت جوامع الكلم) سيأتي تخريجه بعد صفحات قليلة.

فالأسماء تحت حكمه، وليس من حصل الأسماء أن يكون المسمى محصلاً عنده. وبهذا فضلت الصحابة علينا ؛ فإنهم حصلوا الذات وحصلنا الاسم. ولما راعينا الاسم مراعاتهم للذات ضوعف لنا الأجر، ولحسرة الغيبة التي لم تكن لهم، فكان تضعيف على تضعيف فنحن الإخوان وهم الأصحاب وهو (صلى الله عليه وسلم) إلينا بالأشواق. وما أفرحه بلقاء واحد منا، وكيف لا يفرح وقد ورد عليه من كان بالأشواق إليه. فهل تقاس كرامته به وبره وتحفيه وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه[1] لا من أعيانهم، لكن من أمثالهم. فذلك قوله ﷺ: بل منكم. فجدوا واجتهدوا حتى يعرفوا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً لو أدركوه ما سبقوهم إليه ومن هنا تقع المجازاة. والله المستعان.

تنبيــــــه

البسملة حملة العرش

ثم لتعلم أن " بسم الله الرحمن الرحيم" أربعة ألفاظ لها أربعة معان فتلك ثمانـــية و هـــم حمـــلة العرش المحيط وهم من العرش و هنا هم الحملة من وجه والعرش من وجه فانظر واستخرج من ذاتك لذاتك.

تنبيــــــه

ميم بسم وميم الرحيم

ثم وجـــدنا ميم " بسم " الذي هو آدم (عليه السلام) معرقاً. ووجدنا ميم "الـــرحيم" معـــرقاً الذي هو محمد (صلى الله عليه وسلم تسليماً) فعلمنا أن مادة "مـــيم" آدم (عليه السلام) لوجود عالم التركيب ؛ إذ لم يكن مبعوثاً. وعلمنا أن

---

(١) وعن عتبة بن غزوان، وكان من الصحابة – أن نبي الله صلى الله عليه وسلم) قال: (من ورائكم أيام الصبر ؛ للمتمسك فيهن يومئذ بمثل ما أنتم عليه له كأجر خمسين منكم.قالوا: يا نبي الله أومنهم ؟ قال: " بل منكم ". قالوا: يا نبي الله أو منهم ؟ قال: " بل منكم " – ثلاث مرات أو أربع- رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن شيخه بكر بن سهل عن عبد الله بن يوسف وكلاهما قد وثق وفيهما خلاف. انظر: الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٥٢/٧ الحديث رقم (١٢٢١٥).

مـــادة "ميم" محمد (صلى الله عليه وسلم) لوجود الخطاب عموماً، كما كان آدم عندنا عموماً، فلهذا امتدا.

إنبــــاه

يوم أُمَّة سيدنا محمدﷺ

قـــال ســـيدنا الذي لا ينطق عن الهوى: **(إن صلحت أمتي فلها يوم وإن فسدت فلها نصف يوم)** [1] واليوم رباني فإن أيام الرب كل يوم من ألف سنة مما

---

(١) حديث: (إني لأرجو) أي أؤمل (أن لا تعجز أمتي) بفتح التاء وكسر الجيم أي أغنياؤها عن الصبر على الوقوف للحساب (عند ربها أن) بفتح الهمزة وسكون النون (يؤخرهم) في هذه الدنيا (نصف يوم) من أيام الآخرة قيل لسعد: كم نصف ذلك اليوم قال: خمس مئة عام أي أخذا من آية ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ وما تقرر من حمل الحديث على شأن يوم القيامة وتأويله بما ذكر هو ما مشى عليه بعض المحققين وذهب ابن جرير الطبري إلى اجرائه على ظاهره وقال: نصف اليوم خمس مئة سنة،فإذا انضم إلى حديث ابن عباس إن الدنيا سبعة آلاف سنة توافقت الأخبار فيكون الماضي إلى وقت الحديث المذكور ستة آلاف سنة وخمس مئة سنة تقريبا انتهى. قال جمع: وقد ظهر بطلان ذلك وقد بين السهيلي أنه ليس في هذا الحديث ما ينفي الزيادة على الخمس مئة قال: وقد جاء ذلك فيما رواه جعفر بن عبد الواحد بلفظ إن أحسنت أمتي فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وذلك ألف سنة وإذا ساءت فنصف يوم انتهى. وقد ظهر بطلان ذلك أيضا وقال الطيبي: بعد ما زيف الحمل على يوم القيامة العجز هنا كناية عن كمال القرب والمكانة عند الله يعني إن لي عنده مكانة وقربة يحصل بها كل ما أرجوه فالمعنى إني لأرجو أن يكون لأمتي عند الله مكانة تمهلهم من زماني هذا إلى انتهاء خمس مئة سنة بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة قال ابن حجر: بعد ما صوب تزييف الطيبي وتعقب جمع ما مر وما يعتمد عليه في ذلك ما أخرجه معمر في الجامع عن مجاهد عن عكرمة بلاغا في قوله تعالى ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال: الدنيا من أولها إلى آخرها يوم مقداره خمسون ألف سنة لا يدري كم مضى وكم بقي إلا الله رواه: (حم، د) في الملاحم (عن سعد بن أبي وقاص) قال المناوي: سنده جيد وقال ابن حجر في الفتح: رواته ثقات إلا أن فيه انقطاعا وخرجه أبو داود أيضا من حديث أبي ثعلبة بلفظ والله لا تعجز هذه الأمة من نصف يوم وصححه الحاكم ثم قال: أعني ابن حجر ورجاله ثقات لكن رجح البخاري وقفه.

=

نعـد بخـلاف أيام الله وأيام ذي المعارج فإن هذه الأيام أكبر فـلكاً من أيام الرب. وصلاح الأمّة بنظرها إليه (صلى الله عليه وسلم) وفسادها بإعراضها عنه.

فـوجدنا " بـسم الله الرحمن الرحيم " يتضمن ألف معنى،كل معنى لا يحصل إلا بعد انقضاء حول، ولا بُدَّ من حصول هذه المعاني التي تضمنها بسم الله الـرحمن الرحيم لأنه ما ظهر إلا ليعطي معناه ؛ فلا بُدَّ من كمال ألف سنة لهـذه الأمة. وهي في أول دورة الميزان ومدتها ستة آلاف سنة روحانية محققة، ولهذا ظهر فيها من العلوم الإلهية ما لم يظهر في غيرها من الأمم، فإن الدورة التي انقـضت كانت ترابية. فغاية علمهم بالطبائع والإلهيون فيهم غرباء قليلون جداً يكـاد لا يظهـر لهم عين. ثم أن المتأله منهم ممتزج بالطبيعة ولا بد والمتأله منا صرف خالص، لا سبيل لحكم الطبع عليه.

مفتـاح
في الألفين للذات والعلم

ثم وجدنا في " الله" وفي " الرحمن " ألفين: ألف الذات، وألف العلـم.

ألف الذات خفية، وألف العلم ظاهرة ؛ لتجلي الصفة على العالم. ثم أيضاً خفيت في الله ولم تظهر لرفع الالتباس في الخط بين الله واللاه. ووجدنا في " بسم " الـذي هـو آدم (عليه السلام) ألفاً واحدة خفيت لظهور الباء، ووجدنا في " الـرحيم " الذي هو محمد (صلى الله عليه وسلم) ألفاً واحدة ظاهرة، وهي ألف العلـم. ونفس سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذات، فخفيت في آدم (عليه الـسلام) الألـف لأنـه لم يكن مرسلاً إلى أحد فلـم يحتج إلى ظهور الصفة، وظهـرت في سـيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لكونه مرسلاً فطلب التأييد، فأُعطى الألف فظهر بها.

ثم وجـدنا الـباء من بسم قد عملت في ميم الرحيم، فكان عمل آدم في سـيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وجود التركيب. وفي الله عمل سبب داع،

انظر: المناوي: فيض القدير: ١٥/٣.

وفي الرحمن عمل بسبب مدعو. ولما رأينا أن النهاية أشرف من البداية قلنا: (من عرف نفسه عرف ربه) (١) والاسم سلم إلى المسمى ولما علمنا أن روح الرحيم عمـــل في روح بسم لكونه نبياً وآدم بين الماء والطين ولولا هماماً كان سمي آدم علمنا أن بسم هو الرحيم، إذ لا يعمل شيء إلا من نفسه لا من غيره ؛ فانعدمت الـــنهاية والبداية والشرك والتوحيد وظهر عز الاتحاد وسلطانه. فمحمد للجمع، وآدم للتفريق.

إيضــــــاح
في الدليل على أن ألف الرحيم للعلم

الدليل على أن الألف في قوله: " الرحيم " ألف العلـــم. قوله: ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ وفي ألف باسم قوله في صدر الآية: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (المجادلة /٧) فالألف الألف ﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ ﴾ (استكمال الآية) باطن التوحيد ولا أكثر يريد ظاهره. ثم خفيت الألف في آدم من "باسم" لأنه أول موجود، ولم يكن له منازع يدعى مقامه. فدل بذاته من أول وهلة على وجود موجده لما كان مفتتح وجودنا وذلك لما نظر في وجوده تعرض له أمران: هل أوجده موجود لا أول له ؟ أو هل أوجد هو نفسه ؟ومحال أن يوجد هـــو نفسه لأنه لا يخلو أن يوجد نفسه وهو موجود، أو يوجدها وهو معدوم. فإن كان موجوداً فما الذي أوجد ؟ وإن كان معدوماً فكيف يصح منه إيجاد وهو عدم ؟ فلم يبق إلا أن يوجده غيره وهو الألف. ولذلك كانت السين ساكنة وهو العدم والميم متحركة وهو أوان الإيجاب.فلما دل عليه من أول وهلة خفيت الألف لقوّة الدلالة، وظهرت في الرحيم لضعف الدلالة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) لوجود المنازع فأيده بالألف فصار الرحيم محمداً والألف منه الحق المؤيد له من اسمه الظاهر. قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف/١٤)

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

فقال ﷺ: قولوا لا إله إلا الله وإني رسوله) [١].

فمن آمن بلفظه لم يخرج من رق الشرك، وهو من أهل الجنة. ومن آمن بمعناه انتظم في سلك التوحيد فصحت له الجنة الثامنة، وكان ممن آمن بنفسه، فلم يكن في ميزان غيره إذ قد وقعت السوية، واتحدت الاصطفائية جمعاً، واختلفت رسالة.

ووجدنا " بسم " ذا نقطة. والرحمن كذلك، والرحيم ذا نقطتين، و" الله " مصمت. فلم توجد في " الله " لما كان الذات. ووجدت فيما بقي لكونهم محل الصفات، فاتحدت في بسم آدم لكونه فردا غير مرسل، واتحدت في الرحمن لأنه آدم، وهو المستوى على عرش الكائنات المركبات وبقي الكلام على نقطتي الرحيم مع ظهور الألف.

فالياء: الليالي العشر.

والنقطتان: الشفع.

والألف: الوتر.

والاسم بكليته، والفجر. ومعناه الباطن الجبروتي.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝ ﴾ (الفجر/٤) : وهو الغيب الملكوتي، وترتيب النقطتين:

الواحدة: مما تلي الميم.

والثانية: مما تلي الألف.

والميم وجود العالم الذي بعث إليهم، والنقطة التي تليه " أبو بكر" (رضي

---

(١) حديث: (قولوا: لا إله إلاّ الله، وإني رسوله) ٥٨٦ - أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.رواه مسلم عن أبي هريرة زاد: فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وفي لفظ عند الشيخين وأبي داود والترمذي أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال الحافظ السيوطي في الجامع الصغير وهو متواتر. انظر: كشف الخفاء: ٢٢٢/١ الحديث رقم (٥٨٦) .

الله عنه) . والنقطة التي تلي الألف محمد (صلى الله عليه وسلم) .

وقد تقبّبَت الياء عليهما كالغار ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة/٤٠) فإنه واقف مع صدقه، ومحمد (عليه السلام) واقف مع الحق في الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت فهو الحكيم كفـعله يوم بدر في الدعاء والإلحاح، وأبو بكر عن ذلك صاح فإن الحكيم يوفي المواطن حقها ولمّا لم يصح اجتماع صادقين معاً لذلك لم يقم أبو بكر في حال النبي (صلى الله عليه وسلم) وثبت مع صدقه به فلو فقد النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك الموطن، وحضره أبو بكر لقام في ذلك المقام الذي أقيم فيه رسول الله عليه السلام، لأنه ليس ثم أعلى منه يحجبه عن ذلك فهو صادق ذلك الوقت وحكيمه وما سواه تحت حكمه فلما نظرت نقطة أبي بكر إلى الطالبين أسف عليه فأظهر الشدة وغلّب الصدق، وقال: **لا تحزن**، لأثر ذلك الأسف (**إن الله معنا**) كما أخبرتنا وإن جعل منازع أن محمداً هو القائل لم تبال لما كان مقامه صلى الله عليه وسلم الجمع والتفرقة معاً وعلم من أبي بكر الأسف ونظر إلى الألف فتأيد وعلم أن أمره مستمرّ إلى يوم القيامة (**قال لا تحزن إن الله معنا**) وهذا أشرف مقام ينتهي إليه تقدم الله عليك ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله شهود بكري وراثة محمدية، وخاطب الناس بمن عرف نفسه عرف ربه وهو قوله تعالى يخبر عن ربه تعـالى ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الشعراء/٦٢) والمقالة عندنا إنما كانت لأبي بكر رضي الله عنه ويريدنا قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**) [1] فالنبيّ صلى الله عليه وسلم ليس بمصاحب، وبعضهم أصحاب بعض، وهم له أنصار وأعوان. فافهم إشارتنا تهد

---

(١) حديث: (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا..) عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سدوا عني كل باب إلا باب أبي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) رواه البزار وإسناده حسن..انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/٢٢ الحديث رقم (١٤٣٠٨) .

إلى سواء السبيل.

لطيفة

النقطتان الرحيمية موضع القدمين وهو أحد خلع النعلين الأمر والنهي والألف الليلة المباركة وهي غيب محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم فرق فيه إلى الأمر والنهي وهو قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ (الدخان/٤) وهو الكرسي، والحاء: العرش، والميم: ما حواه، والألف: حد المستوى، والراء: صريف القلم، والنون: الدواة التي في اللام. فكتب ما كان وما يكون في قرطاس لوح الرحيم، وهو اللوح المحفوظ المعبر عنه بكل شيء في الكتاب العزيز من باب الإشارة والتنبيه. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾ (العراف /١٤٥) وهو اللوح المحفوظ موعظة الكلم ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾ وهما نقطتا الأمر والنهي ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ غيب محمد الألف المشار إليه بالليلة المباركة. فالألف للعلم وهو المستوى، واللام للإرادة وهو النون أعني الدواة، والراء للقدرة وهو القلم، والحاء للعرش، والياء للكرسي، ورأس الميم للسماء، وتعريقه للأرض. فهذه سبعة أنجم نجم منها يسبح في فلك الجسم ونجم في فلك النفس الناطقة، ونجم في فلك سر النفس، وهو الصديقية، ونجم في فلك القلب، ونجم في فلك العقل، ونجم في فلك الروح، فحل ما قفلنا وفيما قررنا مفتاح لما أضمرنا. فاطلب تجد إن شاء الله فبسم الله الرحمن الرحيم، وإن تعدد فهو واحد إذا حقق من وجه ما.

وصل

في

"أسرار أمّ القرآن من طريق خاص"

وهي فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، والكافية، والبسملة آية منها. وهي تتضمن الرب والعبد ولنا في تقسيمها قريض منه:

للنيرين طلوع بالفؤاد فما ... في سورة الحمد يبدو ثالث لهما

فالــبدر محو وشمس الذات مشرقة لولا الشروق لقد ألفيته عــدمــا
هــذي النجوم بأفق الشرق طالعة والــبدر للمغرب العقلي قد لزما
فــإن تبدى فلا نجــم ولا قمــر يلوح في الفــلك العلويّ مرتسما

فهي فاتحة الكتاب، لأن الكتاب عبارة، من باب الإشارة، عن المبدع الأول. فالكتاب يتضمن الفاتحة وغيرها ؛ لأنها منه. وإنما صح لها اسم الفاتحة من حيث أنها أول ما افتتح بها كتاب الوجود وهي عبارة عن المثل المنَزه في ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى/١١) بأن تكون الكاف عين الصفة، فلما أوجد المثل الذي هو الفاتحة، أوجد بعده الكتاب وجعله مفتاحاً له. فتأمل !

وهي: أُمُّ القرآن، لأن الأمّ محل الإيجاد، والموجود فيها هو القرآن. والموجد الفاعل في الأمّ. فالأُمُّ هي الجامعة الكلية، وهي أمّ الكتاب الذي عنده في قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (الرعد/٣٩) فانظر عيسى و مريم (عليهما السلام) وفاعل الإيجاد يخرج لك عكس ما بدا لحسك فالأمّ عيسى والابن الذي هو الكتاب العندي أو القرآن مريم عليها السلام فافهم. وكذلك الروح ازدوج مع النفس بواسطة العقل فصارت النفس محل الإيجاد حسا. والروح ما أتاها إلاّ من النفس، فالنفس الأب فهذه النفس هو الكتاب المرقوم لنفوذ الخط فظهر في الإبن ما خط القلم في الأمّ، وهو القرآن الخارج على عالم الشهادة، والأمّ أيضاً عبارة عن وجود المثل محل الأسرار. فهو الرق المنشور الذي أودع فيه الكتاب المسطور المودعة فيه تلك الأسرار الإلهية. فالكتاب هنا أعلى من الفاتحة إذ الفاتحة دليل الكتاب ومدلوها وشرف الدليل بحسب ما يدل عليه. أرأيت لو كان مفتاحاً لضدّ الكتاب المعلوم، أن لو فرض له ضد حقر الدليل لحقارة المدلول ؟

ولهــذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يسافر بالمصحف إلى أرض العــدو[1] لدلالة تلك الحروف على كلام الله تعالى، إذ قد سماها الحق كلام الله،

(١) روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو) انظر: ابن كثير =

والحروف الذي فيه أمثالها وأمثال الكلمات إذا لم يقصد بها الدلالة على كلام الله يسافر بها إلى أرض العدو ويدخل بها مواضع النجاسات وأشباهها والكُنُف.

وهي: السبع المثاني والقرآن العظيم الصفات ظهرت في الوجود في واحد وواحد. فحضرةٌ تُفرِد، وحضرة تجمع. فمن البسملة إلى الدين إفراد، وكذلك من " اهدنا " إلى " الضالين". وقوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) تشمل. قال الله تعالى: **"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل"**(١) فلك السؤال ومنه العطاء كما أن له السؤال بالأمر والنهي ولك الامتثال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى علي عبدي يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي ومرة قال فوّض إليّ عبدي هذا إفراد الاهي وفي رواية يقول العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي ثم قال: يقول العبد: **إياك نعبد وإياك نستعين**. يقول الله: **هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل**. فما هي العطاء وإياك في الموضعين ملحق بالإفراد الإلهي يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي هذا هو الإفراد العبدي المألوه ولعبدي ما سأل سأل مألوه ما إلهاً فلم تبق إلا حضرتان فصح المثاني فظهرت في الحق وجوداً وفي العبد الكلي إيجاداً فوصف نفسه بها ولا موجود سواه في العماء ثم وصف بها عبده حين استخلفه ولذلك خرّوا له ساجدين لتمكن الصورة ووقع الفرق من موضع القدمين إلى يوم القيامة والقرآن العظيم الجمع والوجود وهو إفراده عنك وجمعك به وليس سوى قوله إياك نعبد وإياك نستعين وحسب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

واقعة

في حقيقة الحمد

أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عثمان (رضي الله عنه) إليّ آمراً

=

التفسير: ١٨٩/٤ والقرطبي: ٢٩٣/٢.

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

بالكلام في المنام بعد ما وقعت شفاعتي على جماعتي ونجا الكل من أسر الهلاك، وقــرب المنبر الأسنى وصعدت عليه عن الأذن العالي المحمدي الأسمى بالاقتصار علـــى لفظة: "الحمد لله" خاصة ونزل التأييد ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) عـــن يمـــين المنبر قاعد.فقال العبد بعد ما أنشد، وحمد، وأثنى، وبسمل: حقيقة الحمد هي العبد المقدس المنــزه لله. إشارة إلى الذات الأزلية، وهو مقام انفصال وجـــود العـــبد من وجود الإله، ثم غيبه عن وجوده بوجوده الأزلي، وأوصله به، فقـــال: " لله ". فاللام الداخلة على قوله "الله " الخافضة له هي حقيقة المألوه في بـــاب التواضع والذلة، وهي من حروف المعاني لا من حروف الهجاء ثم قدمها سبحانه على اسم نفسه تشريفاً لها، وتهمما وتنـــزيهاً لمعرفتها بنفسها،وتصديقاً لـــتقديم النبيّ (صلى الله عليه وسلم) إياها في قوله: (من عرف نفسه عرف ربه) فقدم معرفة النفس على معرفة الرب. ثم عملت في الاسم "الله" لتحقيق الاتصال، وتمكينها من المقام. ولما كانت في مقام الوصلة ربما توهم أن "الحمد" غير اللام ؛ فخفض العبد إتباعا لحركة اللام، فقُرئ: "الحمد لله " بخفض الدال. فكان لفظة "الحمـــد" بـــدلاً من اللام، بدل شيء من شيء، وهما لعين واحدة. فالحمد هو وجـــود اللام، واللام هي الحمد.فإذا كانا شيئا واحداً كان الحمد في مقام الوصلة مع الله لأنه عين اللام. فكان معنى كما كانت اللام لفظاً ومعنى.

ثم حقيقة الخفض فيها إثبات العبودية، ثم أحياناً يفنيها عن نفسها فناء كلياً، ليرفعهـــا إلى المقام الأعلى في الأوّلية. ثم يبقى حقيقتها في آخرية فيقول: "الحمد لله "يـــرفع الـــلام اتباعاً لحركة الدال. وهذا مما يؤيد أن "الحمد" هو اللام، وهو المعبر عنه بالرداء، والثوب. إذ كان هو محل الصفات وافتراق الجمع.فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت، والحق وراء ذلك كله أو قل ومع ذلك كله. فلما رفعهـــا بالفـــناء عنها ابتداء أراد ان يعرفها مع فنائها، انها ما برحت في مقامها فجعلها عاملة، وجعل رفعها عارضاً في حق الحق فأبقى الهاء مكسورة تدل على وجـــود اللام في مقام خفض العبودية، ولهذا شدت اللام الوسطى بلفظة "لا" أي ذات الحق ليست ذات العبد. وإنما هي حقيقة المثل لتجلي كل شيء. فإذا كانت اللام هي نفس الحمد، والهاء معمول اللام فالهاء هي اللام. وقد كانت اللام هي الحمـــد، فالهـــاء الحمد بلا مزيد. وقد قلنا أن اللام المشددة لنفي الجمع المتحد

موضع الفصل. فخرج من مضمون هذا الكلام: أن الحمد هو قوله: " لله"، وأن قوله: " لله" هو قوله: "الحمد". فغاية العبد أن حمد نفسه الذي رأى في المرآة، إذ لا طاقـــة للمحدث على حمل القديم فأحدث المثل على الصورة، وصار الموحد مـــرآه. فلمـــا تجلت صورة المثل في مرآة الذات ؛ قال لها حين أبصرت الذات فعطست فميزت نفسها: احمدي من رأيت. فحمدت نفسها، فقالت: الحمد لله. فقـــال: لها يرحمك ربك يا آدم، لهذا خلقتك. فسبقت رحمته غضبه. ولهذا قال عقيب قوله: "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم" فقدم الرحمة. ثم قال: "غير المغـــضوب عليهم" فأخَّر غضبه، فسبقت الرحمة الغضب في أول افتتاح الوجود، فسبقت الرحمة إلى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة، ثم رحم بعد ذلك فجاءت رحمتان بينهما غضب فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لأنهما مثلان فانضمت هذه إلى هذه فانعدم الغضب بينهما كما قال بعضهم في يسرين بينهما عسر:

إذا ضاق بك الأمـــــ ـــر فكِّر في ألم نشرح
فعُـــسرٌ بـــين يـــسرين إذا ذكـــرته فافـــرح

فالرحمة عبارة عن الموجود الأول المعبر عنه بالمطلوب والمغضوب عليهم النفس الأمّارة والضالون عالم التركيب مادامت هي مغضوبة عليها إذ الباري منزه عن أن ينزه إذ لا غير ولا موجود إلا هو ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقولهﷺ: (المـــؤمن مـــرآة أخيه) [1] لوجود الصورة على كمالها إذ هي محل المعرفة وهي الموصلة ولو أوجده على غير تلك الصورة لكان جماداً فالحمد لله الذي منٌ على

---

(١) ٢٦٨٧ – المؤمن مرآة المؤمن) رواه أبو داود عن أبي هريرة رفعه والعسكري من طرق عن أبي هريرة ولفظه في بعضها: إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى شيئا فليمطه..وأخرجه الطبراني والبزار والقضاعي عن أنس. وأخرجه ابن المبارك عن الحسن من قوله.وقال في اللآلئ أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه وفي إسناده كثير بن زيد مختلف في عدالته انتهى. والمشهور المؤمن مرآة أخيه ولبعضهم في معناه:

صديق مرآة أميط بهـــا الأذى * وعضب حسام إن منعت حقوقي
وإن ضاق أمري أو ألمت ملمة * لجـــأت إليـــه دون كـــل شقيق

العارفين به الواقفين معه بموادّ العناية أزلاً وأبداً.

تنبيـــــــه

لا حامد إلا الله

الـــلام تفني الرسم كما أن الباء تبقيه ولهذا قال أبو العباس بن العريف(١): العلمـــاء لي، والعارفـــون بي. فأثـــبت المقام الأعلى للام، فإنه قال في كلامه: (والعارفون بالهمم).

ثم قـــال في حق اللام ؛ والحق وراء ذلك كله. ثم زاد تنبيهاً على ذلك، ولم يقنع بهذا وحده. فقال: والهمم للوصول، والهمة للعارفين البائيين.

وقال في العلماء اللاميين: وإنما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم. وهذا هو مقام اللام فناء الرسم. فـــ"الحمد لله" أعلى من " الحمد بالله ".فإن "الحمد بالله " يبقيك، و"الحمد لله" يفنيك. فإذا قال العالم: " الحمد لله " أي: "لا حامد لله إلا هـــو ". فأحرى أن لا يكون ثم محمود سواه. وتقول العامة: "الحمد لله" أي: (لا

---

(١) أبو العباس بن العريف: أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الإمام الزاهد العارف أبو العباس ابن العريف الصنهاجي الأندلسي المري المقرىء صاحب المقامات والإشارات. صحب أبا علي بن سكرة الصدفي وأبا الحسن البرجي ومحمد بن الحسن اللمغاني وأبا الحسن بن شفيع المقرىء وخلف بن محمد العربي وعبد القادر بن محمد الصدفي وأبا خالد المعتصم وأبا بكر بن الفصيح واختص بصحبة أبي بكر عبد الباقي بن محمد بن بريال ومحمد ابن يحيى بن الفراء وبأبي عمر أحمد بن مروان بن اليمن الش الزاهد قاله ابن مسدي وقال ابن بشكوال روى عن أبي خالد يزيد مولى المعتصم وأبي بكر عمر بن رزق وعبد القادر بن محمد القروي وخلف بن محمد بن العربي وسمع من جماعة من شيوخنا وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلم وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها وحملتها وقد استجاز مني تأليفي هذا وكتبه عني واستجزته أنا أيضا فيما عنده ولم ألقه وكاتبني مرات وكان متناهيا في الفضل والدين منقطعا إلى الخير وكان العباد والزهاد يقصدونه ويألفونه ويحمدون صحبته وسعي به إلى السلطان فأمر بأشخاصه إلى حضرته بمراكش فوصلها وتوفي بها قلت في تاريخي{ الكلام للذهبي}: إن مولد ابن العريف في سنة ثمان وخمسين وأربع مئة.انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢٠ / ١١١.

محمود إلا الله). وهي الحامدة، فاشتركا في صورة اللفظ. فالعلماء أفنت الحامدين المخلوقين والمحمودين. والعامة أفنت المحمودين من الخلق خاصة. وأمّا العارفون فلا يتمكن لهم أن يقولوا: " الحمد لله " إلا مثل العامة. وإنما مقامهم " الحمد بالله " لبقاء نفوسهم عندهم فتحقق هذا الفصل فإنه من لباب المعرفة.

وصل

في

قوله: "رب العالمين الرحمن الرحيم"

أثبت بقوله –تعالى–عندنا وفي قلوبنا: "رب العالمين " حضرة الربوبية. وهذا مقام العارف ورسوخ قدم النفس، وهو موضع الصفة. فإن قولنا: " لله" ذاتية المشهد، عالية المحتد. ثم أتبعه بقوله: " رب العالمين" أي مربيهم، ومغذيهم. و"العالمين" عبارة عن كل ما سوى الله.

والتربية ؛ تنقسم قسمين: تربية بواسطة، وتربية بغير واسطة.

فأمّا الكلمة فلا يتصوّر واسطة في حقه ألبتة، وأمّا من دونه فلا بد من الواسطة.

ثم تنقسم التربية قسمين التي بالواسطة خاصة: قسم محمود، وقسم مذموم.

ومن القديم تعالى إلى النفس، والنفس داخلة في الحد. ما ثم إلا محمود خاصة.

وأمّا المذموم والمحمود، فمن النفس إلى عالم الحس فكانت النفس محلاً قابلاً لوجود التغيير والتطهير. فنقول: إن الله تعالى لما أوجد الكلمة المعبر عنها بالروح الكلي إيجاد إبداع أوجدها في مقام الجهل ومحل السلب، أي أعماه عن رؤية نفسه، فبقي لا يعرف من أين صدر؟ ولا كيف صدر ؟ وكان الغذاء فيه ؛ الذي هو سبب حياته وبقائه، وهو لا يعلم. فحرّك الله همته لطلب ما عنده، وهو لا يدري أنه عنده فأخذ في الرحلة بهمته فأشهده الحق تعالى ذاته فسكن وعرف أن الذي طلب لم يزل موصوفاً.

قال إبراهيم بن مسعود الإلبيري:

قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

وعلـــم ما أودع الله فيه من الأسرار والحكم،وتحقق عنده حدوثه، وعرف ذاته معرفة إحاطية. فكانت تلك المعرفة له غذاء معيناً يتقوّت به وتدوم حياته إلى غير نهاية.

فقال له عند ذلك التجلي الأقدس: ما اسمي عندك ؟ فقال: أنت ربي. فلم يعــرفه إلا في حضرة الربوبية، وتفرد القديم بالألوهية. فإنه لا يعرفه إلا هو. فقال لــه سبحانه: أنت مربوبي، وأنا ربك، أعطيتك أسمائي وصفاتي. فمن رآك رآني، ومــن أطاعك أطاعني ومن علمك علمني، ومن جهلك جهلني. فغاية من دونك أن يتوصــلوا إلى معــرفة نفوسهم منك، وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك، لا بكيفيتك. كذلك أنت معي لا تتعدى معرفة نفسك، ولا ترى غيرك، ولا يحصل لك العلم بي إلا من حيث الوجود، ولو أحطت علماً بي لكنت أنت أنا، ولكنتُ محاطاً لك، وكانت إنيتي إنيتك، وليست إنيتك إنيتي ؛ فأمــدُّك بالأسرار الإلهية، وأربيك بها ؛ فتجدها مجعولة فيك فتعرفها.وقد حجبتك عن معرفة كيفية إمدادي لــك بها، إذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها ؛ إذ لو عرفتها لاتحدت الإنية، واتحاد الإنــية محال. فمشاهدتك لذلك محال. هل ترجع إنية المركب إنية البسيط ؟ لا سبيل إلى قلب الحقائق. فاعــلم أن من دونك في حكم التبعية لك كما أنت في حكم التبعية لي، فأنت ثوبي، وأنت ردائي، وأنت غطائي.

فقال له الروح: ربي سمعتك تذكر أن لي ملكاً فأين هو ؟

فاستخرج له النفس منه، وهي المفعول عن الانبعاث.

فقال: هذا بعضي، وأنا كله. كما أنا منك، ولست مني.

قال: صدقت يا روحي.

قال: بك نطقتُ يا ربي ! إنك ربيتني، وحجبت عني سرّ الإمداد والتربية، وانفــردت أنت به، فاجعل إمدادي محجوباً عن هذا المــلك حتى يجهلني كما جهلتك.

فخلق في النفس صفة القبول والافتقار ووزّر العقل إلى الروح المقدس.

ثم اطلع الروح على النفس.

فقال لها: من أنا.

قالت: ربي، بك حياتي، وبك بقائي.

فتاه الروح بملكه، وقام فيه مقام ربه فيه، وتخيل أن ذلك هو نفس الإمداد.فأراد الحق أن يعرفه أن الأمر على خلاف ما تخيل ؛ وأنه لو أعطاه سر الإمداد كما سأل لما انفردت الألوهية عنه بشيء ولا تحدت الإنية. فلما أراد ذلك خلق الهوى في مقابلته وخلق الشهوة في مقابلة العقل ووزرها للهوى، وجعل في النفس صورة القبول لجميع الواردات عموماً فحصلت النفس بين ربين قويين لهما وزيران عظيمان، ومازال هذا يناديها، وهذا يناديها والكل من عند الله قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (النساء/٧٨) ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ (الإسراء/٢٠) ولهذا كانت النفس محل التغيير والتطهير. قال تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ (الشمس /٨) في أثر قوله ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾ (الشمس/٧) فإن أجابت منادي الهوى كان التغيير، وإن أجابت منادي الروح كان التطهير شرعاً وتوحيداً.فلما رأى الروح ينادي ولا يسمع مجيباً.

فقال: ما منع ملكي من إجابتي ؟

قـــال له الوزير: في مقابلتك ملك مطاع، عظيم السلطان، يسمى الهوى ؛ عطيّتُهُ معجَّلة له الدنيا بحذافيرها ؛ فبسط لها حضرته، ودعاها فأجابته.

فـــرجع الروح بالشكوى إلى الله تعالى فثبتت عبوديته، وذلك كان المراد. وتنـــزَّلت الأرباب والمربوبون. كل واحد على حسب مقامه وقدره.

فعالم الشهادة المنفصل، ربهم عالم الخطاب.

وعالم الشهادة المتصل، ربهم عالم الجبروت.

وعالم الجبروت ربهم عالم الملكوت.

وعالم الملكوت ربهم الكلمة.

والكلمة ربها، رب الكل، الواحد، الصمد.

وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتابنا المسمى بـــ (**التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية**) فأضربنا عن تتميم هذا الفصل هنا مخافة التطويل. وكـــذلك ذكـــرناه أيضاً في " **تفسير القرآن** " فسبحان من تفرد بتربية عباده،

وحجب من حجب منهم بالوسائط. وخرج من هذا الفصل لمن عرف روحه ومعناه أن الرب هو "الله" سبحانه وأن العالمين هو المثل الكلي، ولذلك أوجده في العالمين على ثمانية أحرف عرشا واستوى عليه باللطف والتربية والحنان والرحمة الرحمانية المؤكدة بالرحيمية لتميز الدار الحيوان لقوله تعالى الرحمن الرحيم فعم بالرحمان وخص بالرحيم. فالرحمان في عالمه بالوسائط وغيرها والرحيم في كلماته بلا واسطة لوجود الاختصاص وشرف العناية فافهم وإلاَّ سلِّم تسلم.

وصل

في

قوله تعالى: " ملك يوم الدين"

يريد يوم الجزاء، وحضرة الملك من مقام التفرقة، وهي جمع فإنه لا تقع التفرقة إلا في الجمع. قال ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (الدخان/٤) فهي مقام الجمع، وقد قبلت سلطان التفرقة فهي مقام التفرقة ؛ فافترق الجمع إلى أمر ونهي: خطابا. وسخط ورضا: إرادة. وطاعة وعصيان: فعل مألوه. ووعد ووعيد: فعل إله. والملك في هذا اليوم من حقت له الشفاعة واختص بها، ولم يقل: نفسي، وقال: أمتي. والملك في وجودنا المطلوب للقيامة المعجلة التي تظهر في طريق التصوف هو الروح القدسي، ويوم القيامة وقت إيجاده الجزاء أو طولب به إن كانت عقوبة لا بُدَّ من ذلك فإن كانت الطاعة فجنات من نخيل وأعناب وإن كانت المعصية الكفرانية فجهنم من أغلال وعذاب ومن مقام الدعوى في الصورتين فنفرض الكلام في هذه الآية على حد الملك،وما ينبغي له، وهل ترتقي النفس من يوم الدين إلى الفناء عنه ؟ فأقول: أن الملك من صح له الملك بطريق الملك، وسجد له الملك، وهو الروح. فلما نازعه الهوى، واستعان بالنفس عليه عزم الروح على قتل الهوى واستعدّ. فلما برز الروح بجنود التوحيد والملأ الأعلى وبرز الهوى كذلك بجنود الأماني والغرور والملأ الأسفل، قال الروح للهوى: مني إليك، فإن ظفرت بك فالقوم لي، وإن ظفرت أنت وهزمتني فالملك لك. ولا يهلك القوم بيننا برز الروح والهوى فقتله الروح بسيف العدم وظفر بالنفس بعد

إباية منها وجهد كبير. فأسلمت تحت سيفه، فسلمت وأسلمت، وتطهرت، وتقدست، وآمنت الحواس ؛ لإيمانها ودخلوا في رق الانقياد، وأذعنوا، وسلبت عنهم أردية الدعاوى الفاسدة واتحدت كلمتهم وصار الروح والنفس كالشيء الواحد، وصح له اسم الملك حقيقة.

فقال له: "ملك يوم الدين" فردّه إلى مقامه ونقله من افتراق الشرع إلى جمع التوحيد. والملك على الحقيقة هو الحق تعالى المالك للكل ومصرفه وهو الشفيع لنفـــسه عامة وخاصة خاصة في الدنيا وعامة في الآخرة من وجه ما. ولذلك قدَّم على قوله: " **ملك يوم الدين**" الرحمن الرحيم ؛ لتأنس أفئدة المحجوبين عن رؤية "رب العـــالمين" ألا تـــراه يقول يوم الدين (**شفعت الملائكة، والنبيون، وشفع المؤمـــنون، وبقـــي أرحم الراحمين**) [1] ولم يقل وبقي الجبار ولا القهار ليقع التأنـــيس قـــبل إيجاد الفعل في قلوبهم فمن عرف المعنى في هذا الوجود صحّ له الاختصاص في "مقام أرحـم "ومن جهلها في هذا الوجود دخل في العامة في الحشر

---

(١) حديث: شفعت الملائكة، والنبيون، وشفع المؤمنون....) فيقول الله: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قد عادوا حمما (حمما: الحمم: الرماد والفحم كل ما احترق من النار. الواحدة حمحمة. المختار ١٢٠. ب) فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له (نهر الحياة) فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول: لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا) رواه: (حم، ق) وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ٨ / ١٤٧، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية رقم ٣٠٢ / ١٨٣ (ص عن أبي سعيد).

والحديث طويل ومشهور في كتب الحديث أخذت منه فقط هذه الفقرة. انظر: المتقي الهندي: كنـــز العمال: ١٤/١١ه٥ الحديث (٣٩١٩٨).

الأكبر ؛ فتجلى في " مقام الراحمين" فعاد الفرق جمعاً، والفتق رتقاً، والشفع وتراً؛ بـــشفاعة أرحم الراحمين، من جهنم ظاهر السور إلى جنة باطنية، فإذا وقع الجدار وانهـــدم السور، وامتزجت الأنهار، والتقت البحران، وعدم البرزخ صار العذاب نعيماً، وجهنم جنة. فلا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان بمشاهدة العيان. وترنم أطـــيار بألحان على المقاصير والأفنان، ولثم الحور والولدان، وعدم مالك وبقي رضـــوان، وصارت جهنم تتنعم في حظائر الجنان، واتضح سر إبليس فيهم ؛ فإذا هو ومن سجد له سيان فإنهما ما تصرّفا إلا عن قضاء سابق وقدر لاحق لا محيص لهما عنه فلا بد لهما منه، وحاج آدم موسى.

وصـــــــل

في

قوله جل ثناؤه وتقدس: "إياك نعبد وإياك نستعين"

لما ثبت وجوده بالحمد لله، وغذاؤه برب العالمين، واصطفاؤه بالرحمن الرحيم، وتمجيده بملك يوم الدين. أراد تأكيد تكرار الشكر والثناء رغبة في المزيد. فقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ . وهذا مقام الشكر أي لك نقر بالعبودية، ونؤوي.

وحـــدك لا شريك لك، وإليك نؤوي في الاستعانة لا إلى غيرك، على من أنزلتهم مني منزلتي منك. فأنا أمدهم بك لا بنفسي ؛ فأنت الممد لا أنا، وأثبت لـــه بهذه الآية نفي الشريك. فالياء من "إياك " العبد الكلي. قد انحصرت ما بين ألفـــين: ألفـــي توحيد ؛ حتى لا يكون لها موضع دعوى برؤية غير ؛ فأحاط بها التوحيد. والكاف ضمير الحق فالكاف والألفان شيء واحد. فهم مدلول الذات. ثم كـــان نعـــبد صـــفة فعل الياء بالضمير الذي فيه والعبد فعل الحق فلم يبق في الوجود إلا الحضرة الإلهية خاصة، غير أنه في قوله إياك نعبد في حق نفسه للإبداع الأوّل حـــيث لا يتصور غيره وإياك نستعين في حق غيره للخلق المشتق منه،وهو محل سر الخلافة ففي إياك نستعين سجدت الملائكة وأبى من استكبر.

وصـــــــــل

في

قوله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين"

فلما قال له: "إياك نعبد وإياك نستعين "

قال له: وما عبادتي ؟

قال: ثبوت التوحيد في الجمع والتفرقة.

فلما استقر عند النفس أن النجاة في التوحيد، الذي هو الصراط المستقيم، وهو شهود الذات بفنائها أو بقائها ؛ إن غفلت قالت: "اهدنا الصراط المستقيم" فتعرض لها بقولها المستقيم صراطان:

معــــوج: وهو صراط الدعوى.

ومستقيم: وهو التوحيد.

فلـــم يكن لها ميز بين الصراطين إلا بحسب السالكين عليهما. فرأت ربها ســـالكاً للمستقيم فعرفته به، ونظرت نفسها فوجدت بينها وبين ربها ؛ الذي هو الـــروح مقاربة في اللطافة ونظرت إلى المعوج عند عالم التركيب فذلك قولها: " **صـــراط الذين أنعمت عليهم**". وهذا عالمها المتصل بها المركب مغضوب عليه والمنفصل عنها ضالون عنها بنظرهم إلى المتصل **المغضوب عليه** فوقفت على رأس الـــصراطين، ورأت غاية المعوج الهلاك، وغاية المستقيم النجاة. وعلمت أن عالمها يتـــبعها حيث سلكت. فلما أرادت السلوك على المستقيم، وأن تعتكف في حضرة ربهـــا، وأن ذلـــك لهـــا، ومن نفسها بقولها: "إياك نعبد "عجزت وقصر بها فطلبت الاســـتعانة بقولها: "وإياك نستعين" فنبهها ربها على "اهدنا" فتيقظت فقالت: "اهدنا "فوصفت ما رأت بقولها: "الصراط المستقيم " الذي هو معرفة ذاتك.

قال صاحب المواقف[1]: "لا تأثير للعلم"، وقال: " أنت لما هلكت فيه".

---

(١) وهو (أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار النفري، المتوفى عام ٣٥٤ هـــ ويلقب =

"صـــراط الذين أنعمت عليهم "وقرئ في الشاذ " صراط من أنعم عليه " إشارة إلى الروح القدسي، وتفسير الكل من أنعم الله عليه من رسول ونبي "غير المغــضوب علــيهم" ليس كذلك."ولا الضالين " يقول تعالى: (فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل) فأجابها وأقام معوجها، وأوضح صراطها، ورفع بساطها. يقول ربهــا إثر تمام دعائها: " آمين" فحصلت الإجابة بالأمن، تأمين الملائكة. وصار تأمين الروح تابعاً له إتباع الأجناد بل أطوع لكون الإرادة متحدة وصح لها النطق فــسماها النفس الناطقة، وهي عرش الروح والعقل صورة الاستواء فافهم، وإلا فسلِّم تسلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

"فصول تأنيس وقواعد تأسيس"

نظر الجمال بعين الوصال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾ (البقرة/٦، ٧) إيجاز البيان فيه: يا محمد إن الذين كفروا ستروا محبتهم فيَّ عنهم، (فسواء عليهم أأنذرتهم) بوعيدك الذي أرسلتك به (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي. وهم ما عقلوه، ولا شاهدوه وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعاً لغيري؟ وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاماً في العالم الأمِنِّي ؟ وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي ؟ ولهم عذاب عظيم عندي أردهم بعد هذا المشهد السني إلى

بالسكندري، والمصري لأنه عاش في مصر، وربما توفي بها (رضي الله عنه) ولكن اللقب الغالب عليه هو: النفري نسبة إلى نفر – بلد من نواحي بابل بأرض الكوفة. أمّا محمد بن عبد الجبار النفري حفيد الكبير وإليه ينسب كتاب المواقف. وهو الذي قام بترتيب أوراق جده الشيخ والتأليف بينها ربما أثناء حياته وربما بعد وفاته. وكتاب المواقف من أهم كتب التراث الصوفي على الإطلاق.انظر: عفيف الدين التلمساني: شرح مواقف النفري ٢٠، بتحقيق أ/دكتور جمال المرزوقي. سلسلة التراث – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

إنذارك وأحجبهم عني كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قرباً أنزلتك إلى من يكذبك ويرد ما جئت به إليه مني في وجهك، وتسمع فيَّ ما يضيق له صدرك. فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك ؟ فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم فلا أسخط عليهم أبداً.

"بسط ما أوجزناه في هذا الباب"

انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه ! وذلك لما أبدع الأمناء من اسمه" اللطيف"، وتجلى لهم في اسمه "الجميل" فأحبوه تعالى. والغيرة من صفات المحبة في المحبوب والمحب بوجهين مختلفين فستروا محبته غيرة منهم عليه ؛ كالشبلي وأمثاله، وسترهم بهذه الغيرة عن أن يعرفوا فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (البقرة/٦) أي ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة. فقال: لا بُدَّ أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي، فتأهبوا لذلك فما استعدوا فأنذرتهم على ألسنة أنبيائي الرسل، في ذلك العالم، فما عرفوا لأنهم ؛ في عين الجمع وخاطبهم من عين التفرقة، وهم ما عرفوا عالم التفصيل، فلم يستعدوا. وكان الحب قد استولى على قلوبهم سلطانه ؛ غيرة من الحق عليهم في ذلك الوقت. فأخبر نبيه (صلى الله عليه وسلم) روحاً وقرآناً بالسبب الذي أصمهم عن إجابة ما دعاهم إليه. فقال: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (البقرة/٧) فلم يسعها غيره، وعلى سمعهم فلا يسمعون سوى كلامه على ألسنة العالم، فيشهدونه في العالم متكلماً بلغاتهم، وعلى أبصارهم غشاوة من سناه ؛ إذ هو النور وبهائه، إذْ له الجلال والهيبة، يريد الصفة التي تجلى لهم فيها المتقدمة فأبقاهم غرقى في بحور اللذات بمشاهدة الذات. فقال لهم: لا بد لكم من عذاب عظيم، فما فهموا ما العذاب لاتحاد الصفة عندهم، فأوجد لهم عالم الكون والفساد، وحينئذ علمهم جميع الأسماء، وأنزلهم على العرش الرحمانيِّ، وفيه عذابهم. وقد كانوا مخبوئين عنده في خزائن غيوبه، فلما أبصرتهم الملائكة خرت سجوداً لهم، فعلموهم الأسماء.فأما "أبو يزيد" فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب فصعق من حينه. فقال تعالى: (ردوا عليَّ حبيبي فإنه لا صبر له عني) فحُجِبَ بالشوق والمخاطبة، وبقي الكفار فنزلوا

من العرش إلى الكرسي. فبدت لهم القدمان فنـــزلوا عليهما في الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسمية إلى سماء الدنيا النفسي، فخاطبوا أهل الثقل ؛ الذين لا يقدرون على العروج: (**هل من داع فيستجاب له هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له حتى ينصدع الفجر**) [1] فإذا انصدع ظهر الروح العقلي النوري فرجعوا من حيث جاؤوا قال صلى الله عليه وسلم من كان مواصلاً فليواصل حتى السحر فذلك أوان (**بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ**) (العاديات/٩) فكل عبد لم يحذر مكر الله فهو مخدوع فافهم.

فصـــــــل

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠ ﴾ (البقرة/٨، ٩، ١٠) .

أبدع الله المبدعات وتجلى بلسان الأحدية في الربوبية: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ ﴾ (الأعراف/١٧٢) والمخاطب في غاية الصفاء فقال: ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ۛ ﴾ فكان كمثل الصدا، فإنهم أجابوه. فإن الوجود المحدث خيال منصوب، وهذا الإشهاد كان إشهاد رحمة لأنه ما قال لهم وحدي إبقاء عليهم لما علم من أنهم يشركون به بما فيهم من الحظ الطبيعي، وبما فيهم من قبول الاقتدار الإلهي، وما يعلمه إلا قليل. فلما برزت صور العالم من العلم الأزلي إلى العين الأبدي، من وراء ستارة الغيرة

---

(١) حديث: (هل من داع فيستجاب له ؟.....) إذا مضى شطر الليل أو ثلث الليل أمر مناديا فنادى: (هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى سؤله هل من مستغفر فيغفر له هل من تائب فيتاب عليه) ع عن أبي هريرة وأبي سعيد معا) .انظر: كنـــز العمال:٢/١٧٨الحديث رقم (٣٣٨٩) .

والعزة. بعد ما أسرج السرج وأنار بيت الوجود وبقي هو في ظلمة الغيوب، فشوهدت الصور متحركة ناطقة بلغات مختلفات والصور تنبعث من الظلمة. فإذا انقضى زمانها عادت إلى الظلمة، وهكذا حتى السحر. فأراد الفطن أن يقف على حقيقة ما شاهده بصره ؛ فإن للحس أغاليط فقرب من الستارة فرأى نطقها غيباً فيها، فعلم أنّ ثم سراً عجيباً. فوقف عليه من نفسه فعرفه وعرف الرسول وما جاء به من وظائف التكليف. فأول وظيفة كلمة التوحيد فأقر الكل بها فما جحد أحدٌ الصانع. واختلفت عباراتهم عليه فابتلاهم بأن خاطبهم بلسان الشرك بشهادة الرسول.فوقع الإنكار باختصاص الجنس فتفرق أهل الإنكار على طريقين:

فمنهم: من نظر في الظواهر فلم ير تفضيلاً في شيء ظاهر فأنكر.

ومنهم: من نظر باطناً عقلاً فرأى الاشتراك في المعقولات، ونسي الاختصاص، فأنكر. فأرسله بالسيف فقذف في قلوبهم الرعب من الموت وداخلهم الشك على قدر نظرهم فمنهم: من استمر على نفي كلمة الإشراك.

ومنهم: من استمر على ثبتها اعتقاداً فتلك العامة.

ومنهم من خاف القتل فلفظ ولم يعتقد فنادى عليه لسان الحق فقال ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (البقرة/٨، ٩) بلزوم الدعوى وبجهلهم القائم بهم بأن الله لا يعلم وإني أردّ أعمالهم عليهم وما يشعرون اليوم بذلك في قلوبهم مرض شك مما جاءهم به رسولي فزادهم الله مرضاً شكاً وحجاباً ولهم عذاب أليم يوم القيامة وهم فيه بما كانوا يكذبون مما حققنا لديهم ولم تسبق لهم عناية في اللوح القاضي.

وصل

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (البقرة/١١، ١٢) لما أكمل الوجود بثمانية برز في ميدان التنعيم فارس الدعوى فلم يكن في جيش ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ (البقرة/٨) من يبرز إليه فملك الكل وصبوا إليه وإلى دينه باطناً

فعوقبوا بطلب الإقرار وإلا قتلوا فأقروا لفظاً فحصل لهم العذاب الأليم دنيا وآخرة، **فإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض** أرض الأشباح.قالوا من خيالهم: **إنما نحن مصلحون**.فقال الله تعالى **ألا إنهم هم المفسدون** عندنا وعندهم إذ لم يستمتعوا بها على ما يريدون ولكن لا يشعرون باتحاد الأشياء ولو شعروا ما آمنوا ولا كفروا.

وصـــــــل

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (البقرة/١٣) وذلك أنهم لما انتظموا في سلك الأغيار أتاهم النداء أن يقفوا على منازل الشهداء فسمعوا الخطاب في الأينية **آمنوا كما آمن الناس** فحجبوا عن أخذ العهد بعهد الحس والداعي الجنسي، وأصمهم ذلك وأعمى أبصارهم وأغطش ليل جهالتهم، فـــ ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ ﴾ لما عدل بهم عن طريق التقديس ووقفوا مع الهوى قال الله لنا " **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء** " الأحلام لما ملكتهم الأهواء وحجبوا عن الالتذاذ بسماع وقع الرذاذ على الأفلاذ بالطور"**وَلَـــكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**" ليتميز العالي ممن هو دونه وإلا فأية فائدة لقوله لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون ذلك الشيء إلا إيجاد الأشياء على أحسن قانون فسبحان من انفرد بالإيجاد والاختراع والاتقان والإبداع.

وصـــــل
في دعوى المدعين

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (البقرة/١٤) الإيمان في هذا المقام على خمسة أقسام: إيمان تقليد،وإيمان علم وإيمان عين، وإيمان حق، وإيمان حقيقة.

- **فالتقليد**: للـــعوام.
- **والعـــلم**: لأصحاب الدليل.
- **والعـــين**: لأهل المشاهدة.

- والحـــق: للعارفين.
- والحـــقيقة: للواقفين.
- وحقـــيقة الحقيقة: وهو السادس للعلماء المرسلين، أصلاً ووراثة مـــنع كـــشفها فلا سبيل إلى إيضاحها فكانت صفات الدعاوى إذا لقوا هؤلاء الخمسة قالوا آمنا

*فالقلب للعوام.

*وسر القلب لأصحاب الدليل.

*والـــروح لأهل المشاهدة.

*وسر الـــروح: للعارفين.

*وسر السر: للواقـــفين.

*والسر الأعظم: لأهل الغيرة والحجاب.

*والمنافقون تعروا عن الإيمان، وانتظموا في الإسلام، وإيمانهم ما جاوز خزانة خيالهم فاتخذوا أصناماً في ذواتهم أقاموها مقام آلهتهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا باستيلاء الغفلة عليهم وخلوّ المحل عن مراتب الإيمان ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (البقرة/١٤) فوقع عليهم العذاب من قولهم له: ﴿ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ في حال الخلوة فلما قامت الأضداد عندهم وعاملوا الحق والباطل.

عاملوا الحق بستر الباطل، وعاملوا الباطل بإفشاء الحق. فصح لهم النفاق. ولو خاطبوا ذاتهم في ذاتهم ما صح عليهم هذا ولكانوا من أهل الحقائق فأوقع الله الجواب على الاستهزاء فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (البقرة/١٥) وهو استهزاؤهم عجباً كيف ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ (البقرة/١٤) وهم عدم لو عاينوا إيمان الحقيقة لعاينوا الخالق في الخليقة ولأخلوا ولا نطقوا ولا صمتوا بل كانوا يقومون مقام من شاهد وهو روح جاء مع صاحب المادة فلينظر الإنسان حقيقة اللقاء فإنه مؤذن بافتراق متقدّم ثم اجتمعوا بصفة لم يعرفوها بل ظهر لهم منها ظاهر حسن فتأدبوا معها ولم يطيقوا أكثر من ذلك فقالوا آمنا ثم نكسوا على رؤوسهم في الخلوة مع الشيطنة وهي البعد مثل اللقاء فقالوا إنما نحن مستهزؤن بالصفة التي لقينا فتدبر

هذه الآية من حقيقة الحقيقة عند طلوع الفجر وزوال الشك بزوال الستارة ورفع الموانع يلح لك السرّ في " سبحان" و"النساء" و"الشمس" فتجد الذين لَقُوا كمثل الذين، لُقُوا فتصمت. وإن تكلمت هلكت. وهذه حقيقة الحقيقة التي منع كشفها إلا لمن شم منها رائحة ذوقا. فلا بأس فانظر وتدبر ترشد إن شاء الله تعالى.

تأويل أم الكتاب عند ابن عربي
في
إجابته على أسئلة الحكيم الترمذي

الـــسؤال الرابع والخمسون ومائة: ما تأويل أم الكتاب فإنه ادخرها من جميع الرسل له ولهذه الأمة؟

الجواب: الأم هي الجامعة. ومنه ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ (الأنعام /٩٢) والرأس أم الجسد.

يقال: " أُمُّ رَأْسه " لأنه مجموع القوى الحسية والمعنوية كلها التي للإنسان.

وكانت الفاتحة أُمًّا لجميع الكتب المنزلة،وهي القرآن العظيم. أي المجموع العظيم الحاوي لكل شيء، وكان محُمد (صلى الله عليه وسلم) قد أوتى جوامع الكلم[1]

---

(١) حديث: (أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا)

رواه العسكري في الأمثال عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلا بهذا اللفظ لكن في سنده من لم يعرف.

ورواه الديلمي بلا سند عن ابن عباس رفعه بلفظ: أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا.

ورواه الشيخان لكن بلفظ بعثت بجوامع الكلم وفي خبر أحمد أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه.

وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب أنه مر برجل يقرأ كتاب من التوراة فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنما بعثت فاتحا وخاتما وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه واختصر لي الحديث اختصارا، ولأبي يعلى عن خالد بن عرفطة قال كنت عند عمر فجاء رجل فذكره وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي الكلام اختصارا وفي رواية ابن سيرين عن أبي هريرة أعطيت فواتح الكلم وفي أخرى أعطيت مفاتيح الكلم وفي أخرى أعطيت جوامع الكلم وفي حديث أبي موسى أعطيت فواتح الكلم وخواتمه قلنا يا رسول الله علمنا مما علمك الله فعلمنا التشهد..ورواه أيضا في المختارة عن عمر بن الخطاب بلفظ آخر مع بيان سبب وروده قال عمر فانطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا في يدك يا عمر ؟ قلت يا رسول الله كتاب
=

فـــشرعه (ﷺ) تضمن جميع الشرائع. وكان نبياً وآدم لم يخلق [١]. فمنه تفرعت

=

نسخته لنزداد به علما إلى علمنا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار أغضب نبيكم السلاح السلاح فجاءوا حتى احدقوا بيمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس إني أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي الكلام اختصارا ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون قال عمر فقمت فقلت رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبك رسولا ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى. والمتهوكون جمع متهوك بتشديد الواو مكسورة وبالكاف قال في القاموس المتهوك المتحير كالهواك كشداد والساقط في هوة الردى.

انظر: العجلوني: كشف الخفاء ١/١٤ الحديث رقم (٨).

(١) حديث: (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد..) كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال في المقاصد رواه أبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال ومن طريقة الديلمي عن أبي هريرة مرفوعا وله شاهد من حديث ميسرة الفخر. أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه والبغوي وابن السكن وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم بلفظ كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.. وفي الترمذي وغيره عن أبي هريرة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت أو كتبت نبيا ؟ قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.. وقال الترمذي حسن صحيح وصححه الحاكم أيضا. وفي لفظ وآدم منجدل في طينته (أي ملقى على الجدالة وهي الأرض،كما في النهاية) .. وفي صحيحي ابن حبان والحاكم عن العرباض بن سارية مرفوعا إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. وكذا أخرجه أحمد والدارمي وأبو نعيم ورواه الطبراني عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال وآدم بين الروح والجسد.. ثم قال السخاوي كغيره، وأما الذي يجري على الألسنة بلفظ:

(كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) فلم نقف عليه بهذا اللفظ فضلا عن زيادة: (وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين) وقال الحافظ ابن حجر في بعض أجوبته عن الزيادة أنها ضعيفة، والذي قبلها أقوى وقال الزركشي: لا أصل له بهذا اللفظ. قال السيوطي في الدرر: وزاد العوام ولا آدم ولا ماء ولا طين.. لا أصل له أيضا وقال القاري يعني يحسب مبناه وإلا فهو صحيح باعتبار معناه.. وروى الترمذي أيضا عن أبي هريرة أنهم قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال وآدم بين الروح والجسد وفي لفظ متى كتبت نبيا قال كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد.. وعن الشعبي قال رجل يا رسول الله

=

الشرائع لجميع الأنبياء (عليهم السلام) هم إرساله ونوابه في الأرض لغيبة جسمه ولو كان جسمه موجوداً لمَاَ كان لأحدٍ شرعٌ معه وهو قوله (ﷺ) : (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) (١).

(أصل الشرائع الإسلام)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ (المائدة/٤٤) ونحن المسلمون، وعلماؤنا الأنبياء، ونحكم على أهل كل شريعة بشريعتهم ؛ فإنها شريعة نبينا (ﷺ) إذْ هو المـُقَرِّر لها، وشرعه (ﷺ) أصلها وأرسل إلى الناس كافة، ولم يكن ذلك لغيره (ﷺ) والناس من آدم إلى آخر إنسان وكانت فيهم الشرائع ؛ فهي شرائع محمد (صلى الله عليه وسلم) بأيدي نوابه فإنه المبعوث إلى الناس كافة فجميع الرسل نوابه بلا شك فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم إلا له ولا حاكم إلاّ رجع إليه واقتضت مرتبته ان

متى استنبئت ؟ قال وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق.. وقال التقي السبكي: فإن قلت النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودا وإنما يكون بعد أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ؟ قلت جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبيا إلى روحه الشريفة أو حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعرفها خالقها ومن أمده بنور إلهي، ونقل العلقمي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعا أنه قال كنت نورا بين يدي ربي عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام انتهى.

انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ٢/١٠٠٢.

(١) حديث: (لو كان موسى حيا...) عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال:أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان فيكم حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) . رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. مجمع الزوائد الحديث رقم (٨٠٨).

تختص بأمر عند ظهور عينه في الدنيا لم يعطه أحد من نوابه ولا بد ان يكون ذلك الأمر من العظم بحيث انه يتضمن جميع ما تفرق في نوابه وزيادة وأعطاه أم الكتاب فتضمنت جميع الصحف والكتب وظهر بها فينا مختصرة سبع آيات تحتوي على جميع الآيات كما كانت السبع الصفات الإلهية تتضمن جميع الأسماء الإلهية كلها ويرجع كل اسم إلهي إلى واحد منها بلا شك وقد فعل ذلك الأستاذ أبو اسحق الاسفرايني في كتاب "الجلي والخفي"[١] له. فردَّ جميع الأسماء إليها، وما وجد من الأسماء الإلهية لصفة الكلام إلا الاسم الشكور والشاكر خاصة، وباقي الأسماء قسمها على الصفات فقبلتها حيث تتضمنها بلا شك.

فمنها: ما ألحـــقه بالعلم.

ومنها: ما ألحـــقه بالقدرة، وسائر الصفات.

جميع الكتب المنــــزلة في أم الكتاب

وكــــذلك أم الكـــتاب ألحق الله بها جميع الكتب والصحف المنـــزلة على الأنبياء ؛ نواب سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فادَّخرها له ولهذه الأمة ليتميز علـــى الأنبـــياء بالـــتقدم،وإنه ﷺالإمام الأكبر وأمته ﷺ التي ظهر فيها خير أمة أخرجت للناس،لظهوره بصورته فيهم وكذلك القرن الذي ظهر فيهم خير القرون لظهوره فيه بنفسه وقبل ذلك وبعده بشرعه.

مشارب أولياء هذه الأمـــــة

فمـــن جمعية هذه الأمة أن جعل الله لأوليائها حظاً في نعوت أهل البعد عن الله بطـــريق القربة فيقع الاشتراك في اللفظ والمعنى، ويتغير المصرف.كما قلنا في الحــــرص إنه مذموم، فإذا حرصنا في طلب العلم والتقرب به إلى الله كان محموداً، وهـــو بـــإطلاق اللفظ مذموم فإنه ما يستعمل مطلقاً إلا في مذموم فإذا أريد به الحمـــد قُيِّـــد، فقيل: حريص على الخير وهكذا الحسد يُتعوَّذ منه مطلقاً من غير

(١) كتاب (جامع الجلي والخفي في أصول الدين والرد على الملحدين) للشيخ أبي إسحاق: إبراهيم بن محمد الاسفراييني الشافعي الشهير: بالأستاذ المتوفى: بنيسابور سنة ٤١٨، ثمان عشرة وأربعمائة من الهجرة النبوية. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون: ١/٥٣٩.

تقييد فإنه بالإطلاق للذم ويستعمل في المحمود بالتقييد. فلهذا جمع الله لأولياء هذه الأمـــة النظر في مثل هذا فحصلوا حظوظهم من أسماء الذم في الإطلاق، حتى لا يفوتهم شيء ؛ إذ كانوا الجامعين للمقامات كلها. فلهم في كل أمر شرب وحظ.

شعـــر ابن عــــربي في
مفهوم المشارب للأولياء

إذا جـــاءَ نعتٌ، أيُّ نعتٍ فرضته ... لـــنا فـــيه حـــظٌ وافِرٌ ثُمَّ مشربُ
ســـواء يكون النعت في ذم حالة ... وفي حمـــدها فالكـــل للقوم مطلب
ألـــست تـــرى أوصافه في نعوتنا؟ ... وأوصـــافنا نعـــت لـــه لا يُكذَّبُ
لـــه فَـــرَحٌ في حالةٍ وتَبَـــشْبُشٌ ! ... إلى مَلـــلٍ قَـــدْ جَاءَنـــا وتَعَجُّـــبُ
وهـــــزءٌ ونـــسيانٌ لَـــهُ وتردُّدٌ ... ومكـــرٌ وكـــيدًا كلٌ ذلك مُرَتَّبُ
كَمَـــا كـــانَ للعبدِ الجلالُ، ومجدُهُ ... وعـــزٌ وتعظـــيمٌ لديـــهِ مُـــرَغّب
وهـــذا مـــن أوصاف الإله فدبروا ... كلامـــي الذي قد قلت فيهِ،وطنبوا
كـــذلك نعـــتي الأولياءَ مدَحْتُهُم ... بمـــا ذُمَّ عُـــرْفاً في الأنـــامِ فنقّبوا !
فمـــن انكر العلم الذي قد شرحته ... فلـــيس هو الشخص العليمُ المقرَّبُ

فمنهم: الأولياءُ الحاسدون

قال (صلى الله عليه وسلم) : (**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله علماً فهو يبُثُّهُ في الناس، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في سبيل البر**).

فقـــام أهل النفوس الآبية التي تأبى الرذائل وتحب الفضائل وجِماع الخير، فقالوا: لا ينبغي الحسد إلا في معالي الأمور ؛ وأعلى الأمور ما تعرف إلاّ بأربابها ؛ ورب الأرباب، وذو الصفات والأسماء الحسنى هو الله. فيُقال نتشبه به (سبحانه وتعـــالى) في الـــتخلق بأسمائه ففعلوا، وبالغوا، واجتهدوا إلى أن صاروا يقولون للشيء: "كُنْ فيكون " وذلك أقصى المراتب التي تَمَدَّح الله بها. فلولا الحسد ما تعمل القوم في تحصيل هذا المقام.

ومنهم: الأولياءُ الساحرون

السِّحْرُ: بالإطلاق صفة مذمومة، وحظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من علم الحروف، وهو علم الأولياء فيتعلمون ما أودع الله في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة التي تنفعل عنها الأشياء لهم، في عالم الحقيقة والخيال. فهو وإن كان مذموماً بالإطلاق فهو محمود بالتقييد. وهو من باب الكرامات، وخرق العوائد ؛ فسُمِّي ذلك في حقِّهم كرامة. وهو عين السحر عند العلماء. فقد كان سحرة موسى مازال عنهم علم السحر مع كونهم آمنوا برب موسى وهارون، ودخلوا في دين الله وآثروا الآخرة على الدنيا، ورضوا بعذاب الله على يد فرعون(١)، مع كونهم يعملون السحر، ويسمى عندنا علم السيمياء، وهو مشتق من " السِّمَة " وهي العلامة. أي: علم العلامات التي نصبت على ما تعطيه من الانفعالات من جمع حروف وتركيب أسماء وكلمات.

---

(١) انظر الآيات وهي من سورة طه: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

(من أسرار البسملة في الفاتحة)

فمن الناس من يعطي ذلك كله في " بسم الله " وحده. فيقوم له ذلك مقام جميع الأسماء كلها، وتنزل من هذا العبد منزلة " كن " وهي آية من فاتحة الكتاب ومن هنا تفعل لا من بسملة سائر السور، وما عند أكثر الناس من ذلك خبر.

والبسملة التي تنفعل عنها الكائنات على الإطلاق هي: بسملة الفاتحة. وأما بسملة سائر السور، فهي لأمور خاصة[1]. وقد لقينا فاطمة بنت المثنى[2] وكانت

(١) هكذا فعل الإمام القشيري في تفسيره القيم جدا المسمى " لطائف الإشارات " فقد جعل لكل بسملة في أول كل سورة تفسيرا مرتبطا بالسورة ؛ فتفسير البسملة مثلا في سورة البقرة غير تفسير البسملة الخاصة في سورة الكهف، وكذلك غيره في سورة النساء أو سورة الواقعة وهكذا. فكل بسملة لسورة مختلف عن البسملة لسورة أخرى. (المحقق)

(٢) (فاطمة بنت المثنى) : وكذلك لقيت نونة، فاطمة بنت ابن المثنى، بإشبيلية. أدركتها فى عَشْر التسعين سنة. قد أسنّت. لا تأكل إلا مما يطرحه الناس على أبوابهم من الأطعمة، قليلة الأكل جدا. كنت إذا قعدت معها تحدثنى، أستحى أن أنظر إلى وجهها، من عظيم تَوَرّد وجنتيْها، ونعمتها، وهى فى عَشْر التسعين سنة. كانت سورتها من القرآن: الفاتحة. قالت لى: "أُعْطِيتُ الفاتحة، أصرفها فى كل أمر شِئْتُه. بَنَيْتُ لها بيدى بيتا من قصب تسكنه، وصاحبان لى.كانت تقول: " لا يعجبنى أحد ممن يدخل علىّ إلا فلان – تعنى إياى – يقال لها: "بم ذاك ؟ " تقول: " ما منكم أحد يدخل علىّ إلا ببعضه، ويترك بعضه فى أغراضه، من داره. وأهله، إلا محمد بن العربى، ولدى وقرة عينى، إذا دخل علىّ دخل بكلّه. وإذا قام قام بكله. وإذا قعد قعد بكله، لا يترك من نفسه خلفه شيئا، وهكذا ينبغى أن يكون الطريق عرض الله عليها مُلْكَه، فلم تقف مع شىء منه، إنما تقول: " أنتَ. أنتَ. كل شىء دونك مشؤوم كانت والهة فى الله، تعالى. من يراها يقول عنها: "حمقاء."، فتقول: "الأحمق هو الذى لا يعرف ربه." كانت رحمة للعالم. ضربها أبو عامر المؤذن بالدرّة فى الجامع ليلة العيد، فنظرْت إليه، وانصرفت متغيرّة النفس عليه فباتت تلك الليلة، فلما كان فى السَّحَر، سمعتْ ذلك المؤذن يؤذِّن فقالت: "يارب، لا تؤاخذنى تغيِّرت نفسى على =

من أكابر الصالحين تتصرف في العالم ويظهر عنها من خرق العوائد بفاتحة الكتاب خاصة كل شيء. رأيت ذلك منها، وكانت تتخيل أن ذلك يعرفه كل أحد. وكانت تقول لي: العجب ممن يعتاص عليه شيء، وعنده فاتحة الكتاب، لأي شيء لا يقرأها فيكون له ما يريد ما هذا إلا حرمان بيِّن خدمتها وانتفعت بها.

ومنهم: الأولياءُ الكافرون

وهم الساترون مقامهم، مثل الملامتية[1]. والكفار الزارعون لأنهم يسترون

=

رجل يذكرك فى دياجى الليل والناس نيام، هذا ذِكْرُ حبيبى يجرى على لسانه..اللهم لا تؤاخذنى بتغيّرى عليه." فلمّا أصبح، دخل فقهاء البلد، بعد صلاة العيد، على السلطان ليسلموا عليه، فدخل ذلك المؤذن فى جملتهم رغبةً فى الدنيا، فقال السلطان: " مَنْ يكون هذا ؟ " قيل له: "مؤذن الجامع " قال: " ومَنْ أَمَرهُ بالدخول مع الفقهاء ؟ أخرجوه. فَصُفِع، وأُخرج، فَشُفِع فيه عند السلطان، فَخلّى سبيله، بعدما أراد أن يعاقبه، فقيل لها: "اتفق لفلان مع السلطان كذا وكذا" قالت: " علمتُ، ولولا انى سألت عنه التخفيف لَقُتل." وشأنها عجيب. ماتت رحمها الله تعالى.انظر: ابن عربي: روح القدس في مناصحة النفس: تحقيق أ.د. حامد طاهر:ص٣٥٩ وما بعدها. وانظر: النبهاني: جامع كرامات الأولياء ٢/٤٣٥.

(١) (الملامتية) وهم لم يظهر على ظواهرهم مما في بواطنهم أثر ألبتة، وهم أعلا الطائفة. وتلامذتهم يتقلبون في أطوار الرجولية. وسُمُّوا بالملامتية لكونهم دائمي الملامة لنفسهم.فهم مع أنهم أعلا القوم علماً، وعملاً، وحالاً، ومقاماً إلاّ أنهم لا يرون أنفسهم كذلك. فلهذا لا ينفكون عن اللائمة لأنفسهم. وقد ذكر الشيخ بابا كبيراً عنهم في الفتوحات المكية فانظره هناك، وقد ألّف أبو عبد الرحمن السلمي رسالة هامة أفرده في شرح أحوالهم. أمّا الإمام فهو محل الإحصاء المشار إليه بالإمام المبين، وهو الإنسان الكامل..انظر: القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية ١/٢٣٦، ٢٣٨ وغيرها. وانظر: ابن عربي: الفتوحات المكية الباب الخاص بالملامتية. وانظر أيضا الملامتية والفتوة: لأبي عبد الرحمن السلمي بتحقيق د/ أبو العلا عفيفي.

البذر في الأرض، وذلك أن أهل الأنس والجمال والرحمة، إذا نظروا في القرآن وفي الأشياء كلها لم تقع عينهم إلاّ على حُسْنٍ وجمالٍ، لا على غير ذلك -كان ذلك ما كان - وإذا قرأوا القرآن لم يقم لهم من صورة الممقوتين إلا ما تتضمنه من مصارف الحسن فعلى ذلك تقع أعينهم، وذلك يشهدهم الحق من تلك الآية التي وصف الله بها من مقته من عباده لقيام تلك الصفة به على حد مطلقها. فيأخذون من كل صفة ما يليق بهم في طريقهم فيصرِّفون ذلك إليهم بالوجه الحسن فيتنعمون بما هو عذاب عند غيرهم، والصورة واحدة والمنظور منها مختلف لاختلاف الناظرين فلكل منظر عين تخصه.

فالكافر (بدون تقييد) هو: من ختم الله على قلبه وسمعه، وجعل على بصره غشاوة والكافر من الأولياء من كان ختْمُ الحق على قلبه ؛ لأنه تخذه بيته، فقال: (ما وسعني أرضى ولا سمائي ووسعني قلب عبدي) [1].

والله غـــيور لا يريد أن يزاحمه أحد من خلقه فيه،كما ختم الحرم فلم يحل لأحـــد قتل صيده ولا قطع شجره، فإن الله لا ينظر إلا إلى قلب العبد، فلما ختم الله على قلب هذا العبد لم يدخل إلى قلبه سوى ربه، وختم على سمعه فلا يصغي إلى كلام أحد إلا إلى كلام ربه فهم عن اللغو معرضون. وعلى بصره غشاوة وهي غطاء العناية فلا ينظرون إلى شيء إلا ولهم فيه آية تدل على الله فكان هذا الحفظ غشاوة تحول بين أعينهم وبين النظر من غير دلالة ولا اعتبار وحالت بينهم وبين ما لا ينبغي ان ينظر إليه فهي غشاوة محمودة ولهم عذاب من العذوبة عظيم يعني عظـــيم القدر فان العذاب إنما سماه الله بهذا الاسم إيثارا للمؤمن فانه يستعذب ما يقوم بأعداء الله من الآلام فهو عذاب بالنظر إلى هؤلاء.

ومنهم: الأولياء الصم البكم العمي
الذين لا يعقلون، ولا يرجعون

فهم صم عن سماع ما لا يحل سماعه كل كلام غير كلام سيدهم بكم أي

---

(١) حديث: (ما وسعني أرضي ولا سمائي...).

خرس فلا يتكلمون بما لا يرضي سيدهم كما كان أولئك بكم عن الكلام بذكر الله فاختلف المصرف وصح الوصف عمى فلا تقع عينهم على غير الله فاعلاً في الأشياء وكل واحد من الأولياء على قدر مقامه في ذلك من المعرفة بالله فإنهم تختلف مآخذهم في المحمود من ذلك ولا يتسع الوقت لتفصيل ذلك وحصلت الفائدة بالتنبيه على اليسير من ذلك فهم لا يرجعون إلا إلى الله ولا يعقلون إلا عن الله لا يرجعون إلى المصارف المذمومة من هذه الصفات التي وصف بها الأشقياء من عباده فهم لا يعقلون من هذه الصفات سوى ما يحمد منها في صرفه فهي كل صفة بحقيقتها في كل موصوف بها واختلفوا في المصرف فلم يكن اتصافهم بها مجازاً بل هو حقيقة.

ومنهم: الأولياء الظالمون

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر/٣٢) والمصطفى هو الولي ثم قال في المصطفين﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ (استكمال الآية السابقة) وهو ان يمنعها حقها من أجلها أي الحق الذي لك يا نفسي على في الدنيا مؤخرة لك إلى الآخرة وبادر هنا إلى الكد والاجتهاد وأخذ بالعزائم واجتنب الميل إلى الرخص وهذا كله حق لها فهو ظالم لنفسه نفسه من أجل نفسه ولهذا قال فيما اصطفاه فمنهم ظالم لنفسه أي من أجل نفسه ليسعدها فما ظلمها إلا لها.

ومنهم: الأولياء الساهون

وهم الذين عن صلاتهم ساهون بصلاة الله بهم فهم يرون ان نواصيهم بيد الله يقيمهم فيها ويركع بهم ويسجد بهم ويقرأ بهم ويكبر بهم ويسلم بهم لأنه سمعهم وبصرهم ولسانهم ويدهم ورجلهم كما ورد في الخبر ومن كان هذا مشهده وحاله فهو عن صلاته ساه فانه لم يقل عن الصلاة فانه ليس بساه عن الصلاة وإنما سهوهم عن إضافة الصلاة إليهم فلهذا اعتبروا قوله عن صلاتهم ساهون والويل الذي لهم إنما هو بالنظر لمن جمع في نظره بين صلاته وصلاة الله به فانه إلا كمل فإذا قست بين الرجلين في هذين المقامين الكبيرين نقص أحدهما

ما كان خير في حق الآخر الجامع لهما فيكون ذلك النقص ويلا له بالإضافة حسنات الأبرار سيئات المقربين وجزاء سيئة سيئة مثلها.

ومنهم: الأولياء المراءون الذين يراؤون الناس

وهـــم الذين يفعلون الفعل ليقتدى بهم فيه علماء هذه الأمة يعلمون الناس بالفعـــل يقصدون تعليمهم إذ كان الفعل أتم عند الرأي من القول كما قال عليه الســـلام \" صلوا كما رأيتموني أصلي \" مع كونه وصف الصلاة لهم ومع هذا كلـــه صلى على المنبر ليراه الناس فيقتدوا به وهكذا في كل ما يمكن من الأعمال هذا حظ الأولياء من الرياء في الأفعال المقربة إلى الله.

ومنهم: الأولياء المانعون الماعون

الأولياء المانعون الماعون، وحظهم من هؤلاء أن يحجبوا الناس عن رؤية الأســـباب ليصرفوا نظرهم إلى مسببها فلا معين إلا الله قيل لهم: قولوا: " وإياك نستعين " لا بالماعون.

ومنهـم: الأولياء الهمَّازون اللمَّازون

وهم العيَّابون وأولياء الله يطلعون كل شخص على عيوب النفس إذ كان لا يـــشعر كل أحد بذلك فإذا أخذ العارف يصف عيوب النفس في حق كل طائفة مـــن أصحاب المراتب كالسلطان وما يتعلق بمرتبته من العيوب والقاضي وجميع الـــولاة وعيوب نفوس الزهاد والصالحين والعوام فيعرف كل طائفة عيبها بعدما كان مستورا عنها هذا حظهم من الهمز واللمز.

ومنهم: الأولياء، الفاسقون، الناقضون، القاطعون، المفسدون.

الفاسقون، هم الخارجون الصفات التي تحول بينهم وبين السعادة والقربة إلى الله. فهُم ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وذلك أنهم يعهدون مع الله أن يطيعوه. فإذا حصلوا في مقام التقريب والكشف رأوا أن الله هو العامل بهم ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (الصافات/٩٦) فرأوا أنهم لا حول لهم ولا فعل ولا

قول، فنقضوا عهد الله برده إليه سبحانه لأنه ما انعقدت ذلك إلا مع فاعل يفعله، ورأوا مشاهدة أن الله هو الفاعل لذلك فلم يقع العهد في نفس الأمر إلا من الله، بين الله وبين نفسه. فعلموا أن الحجاب أعماهم عن هذا الإدراك، في حين أخذ العهد. وأن العهد إنما يلزم لأهل الحجاب فانتقض عهدهم. والأعمال تجري منهم بالله، وهم لا يرونها. فهم المعصومون في أعمالهم عن إضافتها إليهم.

وكـــذلك القاطعون في قطعهم ما أمرهم الله أن يصلوه من أرحامهم فقال (علـــيه السلام) : (الرَّحِمُ شَجْنَةٌ من الرحمن من وصلها وصله الله) [1] فوصلوها بالرحمن وردوا القطعة إلى موضعها فشاهدوا الرحمن يمتـــنُّ عليهم وخرج هؤلاء مـــن الوســـط وامتثلوا قول الشارع بصلة الرحم فأخذها الناس على صلة القرابة بالمـــال ويأخذ هؤلاء على صلة القربى إلى الله فهم يدلون أرحامهم على أصلهم وهو الرحمن ويرون في إعطائهم الصلات يد الله معطية ويد الله آخذة فإنها شجنة من الرحمن فالعطاء منه والأخذ منه فانقطع هؤلاء عن صلة الرحم بالمال لأنهم لا يد لهم مع غاية الإحسان في الشاهد والناس لا يشعرون.

وكذلك المفسدون قوله تعالى: ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة /٢٧).

وفساد دنياهم هو فسادهم في الأرض لأن الجنة في السماء، وفي الفساد صلاح آخرتهم في السماء فيصومون، ويسهرون، ويحملون الأثقال الشاقة. وهذا كله من فساد أرض أجسامهم لما طرأ عليها من النحول، والذبول، والضعف. وهذا كله وصف أهل الشقاء في الكتاب فقال ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (النور/ ٥٥) ، ثم وصفهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ

---

(١) حديث: (الرحم شجنة....) فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:إن الرحم شجنة من الرحمن تقول: يا رب إني قطعت يا رب إني أسيء إني يا رب إني ظلمت يا رب يا رب. فيجيبها: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قلت: له حديث في الصحيح غير هذا.. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الجبار وهو ثقة..انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢٧٣/٨ الحديث رقم (١٣٤٤٠) .

ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (البقرة/٢٧) .

ومنهم: الأولياء الضالون

وهم التائهون الحائرون في جلال الله وعظمته كما أرادوا ان يسكنوا فتح لهم من العلم به ما حيرهم وأقلقهم فلا يزالون حيارى لا ينضبط لهم منه ما يسكنون عنده بل عقولهم حائرة فهؤلاء هم الضالون الذين حيرهم التجلي في الصور المختلفة.

ومنهم: الأولياء المضلون

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ (الكهف/٥١) وهو في الاعتبار الذين ظهروا لأتباعهم من المتعلمين طريق الحيرة في الله والعجز عن معرفته، وأنه بيد ملكوت كل شيء مع كونه خاطب عباده بالعمل وهو العامل بهم لا هم فلما نبهوا الناس على ما يقتضيه جلال الله من الإطلاق وعدم التقييد كانوا مضلين أي محيِّرين من أجل ما حيروا الخلق في جلال الله أي قال: ما جعلناهم محيرين عضدا. يعتضد بهم في تحييرهم بل أنا محيرهم على الحقيقة لا هم مع كونهم لهم أجر ما قصدوه والدليل على إني محيرهم لا هم ولا اتخذتهم عضدا. إن من الناس من يقبل منهم، ومن الناس من لا يقبل. ولو كان الأمر بأيديهم لأثروا في الكل القبول ؛ فلما كان الأمر بيدي لا بأيديهم جعلت القبول في البعض دون البعض فقبلوا الحيرة فأنا كنت محيرهم لا هم فعلى هذا يعتبر قوله: ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ (الكهف/٥١) بل لنأجرهم على ذلك.

ومنهم: الأولياء الكاذبون

وهم الذين يقولون صلينا، وسمعنا، وأطعنا. وقيل لهم: "قولوا سمعنا وأطعنا" وغير ذلك مما يدعونه من أعمال البر المأمور بها شرعا، وهم يعلمون أن الأمور بيد الله، وأنه لولا ما أجرى الله العمل على أيديهم ما ظهر، ولولا أن الله قال لهذا العمل كن في هذا المحل ما كان، وهم مع ذلك يضيفونه إلى أنفسهم، فهم كاذبون من هذا الوجه. وهكذا يسري في سائر الأعمال.

ومنهم: الأولياء المكذبون

وهـــي الطائفة التي ترى هؤلاء المدعين في أعمالهم ممن يراها أنها أعمالنا، وممـــن يراها أنها من الله، ولكن يدعونها، وهم كاذبون فتكذبهم هذه الطائفة في دعواهم، وإضافتهم ذلك إليهم. فيقال فيهم المكذبون.

والكامل من يضيف الأعمال على حد ما أضافها الحق، ويزيلها عن الإضافة على حد ما أزلها الحق، من علمه بالمواطن. فمن نقص عن هذا النظر، وكذب المدعين في كل حال فقد نقصه هذا الأدب مع كونه جليل القدر. فهذا النقص يعبر عنه بالويل في حقه الذي في العموم للمكذبين فإنه يقول يوم القيامة إذا رأى ما فاته في تكذيبه من المواطن التي كان ينبغي له أن يقرر فيها إضافة العمل إليهم فلم يفعل: " يا ويلنا لِمَ لَمْ أحقق النظر في ذلك ؛ حتى أفوز بعلم الأدب، الذي هو جماع الخير، فيدخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ﴾ (المرسلات/١٥) أي يقولون: يا ويلنا، ويا حسرتا ! وإن كانوا سعداء فإنه يوم التغابن.

ومنهم: الأولياء الفُجَّـــار

فـــإنهم في ســـجين من السجن وهم الذين حبسوا نفوسهم وسجنوها عن التـــصرف فيما منعوا من التصرف فيه ولا يقع التفجير إلا في محبوس عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا فهم الفجار جاءوا عيون المعارف التي سدها الله في العمـــوم لكون الفطر أكثرها لا تسعد بتفجيرها لما يؤدي إليه بالنظر الفاسد من الإباحـــة والقول بالحلول وغير ذلك مما يشقيهم فجاءت هذه الطائفة إلى المعنى ففجرت هذه العيون لأنفسها فشربت من مائها فزادت هدى إلى هداها وبياناً إلى بيانها فسعدت وطالت وعظمت سعادتها فهذا حظ الأولياء من الفجور الذي سموا به فجارا.

وعلـــى هـــذا الأسلوب نأخذ كل صفة مذمومة بالإطلاق فتقيدها فتكون محمودة ونضع عليك اسم منها كما يسمى صاحب إطلاقها.فلتتبع الكتاب العزيز والـــسنة في ذلك واعمل بحبسها فانه يعطيك النظر فيها من حيث ما وصف بها

الأشـــقياء ما لا يعطيك من حيث ما وصف بنقيضها الأتقياء فاجعل بالك وهذا كله من بركة أم الكتاب فإنه مثل هذا النظر ما فتح لأمة من الأمم وعصمت فيه إلا لهذه الأمة وأعظم صفة في الذم الشرك.

ومنهم: الأولياء المشركون بالله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ (النساء/٤٨) وكذا هو لأنه لو ستر لم يشرك به وهذا الاسم الله هو الذي وقع عليه الشرك فيما يتضمنه فشاركه الاسم الرحمن قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء/١١٠) فجعل للاسم الله شريكاً في المعنى وهو الاسم الرحمن. فالمشركون هم الذين وقعوا على الشركة في الأسماء الإلهية، لأنها اشتركت في الدلالة على الذات وتميزت بأعيانها بما تدل عليه من رحمة، ومغفرة، وانتقام، وحياة، وعلم، وغير ذلك. وإذ كان للشرك مثل هذا الوجه فقد قرب عليك مأخذ كل صفة يمكن أن تغفر فلا تجزع من أجل الشريك الذي شقي صاحبه. فإن ذلك ليس بمشرك حقيقة، وأنت هو المشرك على الحقيقة لأنه من شأن الشركة اتحاد العين المشترك فيه، فيكون لكل واحد الحكم فيه على السواء وإلا ليس بشريك مطلق وهذا الشريك الذي أثبته الشقي لم يتوارد مع الله على أمر يقع فيه الاشتراك فليس بشريك على الحقيقة بخلاف السعيد فانه أشرك الاسم الرحمن بالاسم الله وبالأسماء كلها في الدلالة على الذات فهو أقوى في الشرك من هذا. فان الأول شريك دعوى كاذبة، وهذا أثبت شريكاً بدعوى صادقة، فغفر لهذا المشرك بصدقه فيه، ولم يغفر لذلك المشرك لكذبه في دعواه. فهذا أولى باسم المشرك من الآخر.

نفحات القرب والاتصال

بإثبات التصريف لأولياء الله تعالى

والكرامات بعد الانتقال

تأليف

شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن محمد

المكي الحسيني الحموي المصري

المتوفى ١٠٩٨ هـ

مقــــدمة المحقق

مـــنَّ الله -سبحانه وتعالى عليَّ، وكنت قد حققت منذ عامين تقريبا كتابا طيــبا في نفس هذا الموضوع، في كرامات الأولياء، وهو أيضا عبارة عن رسالة للشيخ أحمد بن الحسن الجوهري، ونشر الكتاب بالفعل في دار نشر: دار الآفاق العربية.

وقــدمت الكتاب وقتها بمقدمة خاصة عن الكرامات وتحدثت فيها عن أســئلة سألها الناس للإمام أحمد بن حنبل (رضي الله تعالى عنه وأرضاه) وأجاب وعلقــت بــبعض الإشــارات الهامــة وكــان الكلام: سُئل الإمام (أحمد بن حنبل) [1] ﷺ:

لِـــمَ لَـــمْ يشتهر عن الصحابة كثرة الكرامات، كما وقع لمن بعدهم من الأولياء؟

فقـــال ﷺ: «إنما لم يشتهر عن الصحابة كثرة الكرامات، لأن إيمانهم كان في غاية القوة، بخلاف إيمان من بعدهم، فكلما ضعف إيمان قوم كثرت كرامات أولـــياء عـــصرهم، تقـــوية ليقين الضعفاء منهم» [2]. وإزاء هذا القول للإمام

---

(١) (الإمام أحمد بن حنبل) : هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الشيباني، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. أصله من مرو، وولد ببغداد سنة ١٦٤هـــ ودرس في مسقط رأسه حتى عام سنة ١٨٣هـــ، ثم رحل لطلب العلم فدخل الكوفة والبصرة، ومكة والمدينة، وجاب البلاد وعنى بالأسفار لدراسة الحديث ثم عاد إلى بغداد وحضر دروس الإمام الشافعي في الفقه وأصوله. ولما رحل الإمام الشافعي إلى مصر قال في حقه: خرجت من بغداد، وما خلّفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل.دعا المأمون من أيامه إلى القول بخلق القرآن، لكن المأمون مات قبل أن يناظر، وتولى المعتصم الخلافة فسجن ابن حنبل ٢٨ شهراً ومحنته في ذلك معروفة توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـــ ببغداد.

انظر ترجمته في: كتاب الوفيات: ابن قنفد القسنطيني ١٧٦.ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٧/١، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٦١/٩.ابن العماد: شذرات الذهب ٩٦/٢، ابن حنبل للشيخ محمد أبو زهرة.

(٢) أنظر: الإمام الشعراني: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ١٠٣/٢.

«أحمد بن حنبل» لا يجد المرء نفسه في حيرة من أين يبدأ، ولكن يجد نفسه في حيرة حقيقية أكثر وأعجب من حيث يبدأ. لأن من المفترض- كمجتمع مسلم- أن كل نقطة سنبدأ منها- للحديث عن الكرامات- انجلى أمرها، وانتهى الكلام فيها قديماً ومنذ قرّر[1] الحبيب ﷺ أن «الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة»[2] وقوله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره»[3] وكثير من الأحاديث التي تحدث فيها الرسول ﷺ عن خيرية هذه الأمّة.

ولا بُدَّ أن خيرية هذه الأمّة، والتي يفخر بها رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، هي ميراثه ﷺ وميراثه معلوم، فهو ﷺ لم يورّث درهما ولا ديناراً، وهذا مشهور في كل كتب السُّنّة عنه ﷺ وإنما ورّث العلم، والطبع هذا العلم لا يرثه إلاّ أولياء هذه الأمّة، الذين وصفهم بالعلماء في حديث له ﷺ: (**العلماء ورثة الأنبياء**)[4] وغيره كثير.

---

(١) أي: سبق قوله ﷺ فهو بالنسبة لنا لا ردَّ فيه.

(٢) حديث: (الخير فيّ، وفي أمتي إلى يوم القيامة) . أنظر ما قيل في تخريج الحديث القادم أيضاً.

(٣) حديث: (مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره) .رواه الترمذي، وأبو يعلى، والدارقطني عن أنس مرفوعاً وأخرجه الخطيب في الرواه عن مالك، وأبوالحسن القطان في العلل، وله شاهد عن عمار بن ياسر أخرجه ابن حبان في صحيحه عن سليمان الأغر رفعه.

وفي لفظ عند الطبراني في الكبير عن عمار بن ياسر (مثل أمتي كالمطر يجعل الله في أوله خيرا، وفي آخره خيرا) .وأخرجه البزار بسند جيد عن عمران بن حصين، ورواه الطبراني عن ابن عمر، وقوله النووي في فتاويه: إنه ضعيف متعقب فقد قال ابن عبد البر:إن الحديث حسن، إلاّ أن يريد باعتبار ذاته، أو من طريق أبي يعلى التي عزاها في فتاواه، وإليه يشير قوله الحافظ ابن حجر: حديث حسن له طرق، ولابن عساكر في تاريخه عن عمرو بن عثمان رفعه مرسلاً (أمتي مباركة لا يدري أولها خير أو آخرها) أنظر ما قيل في هذا الحديث. يدل على أهميته، أنظر: العجلوني: كشف الخفاء ٢/ ١٩٧ حديث رقم (٢٢٦٦) .

(٤) حديث: (العلماء ورثة الأنبياء) ، رواه أحمد والأربعة وآخرون عن أبي الدرداء مرفوعاً. بزيادة (إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم..) .

انظر: العجلوني: كشف الخفاء ٦٤/٢ حديث رقم (١٧٤٥) .

وهـــذا يجعلـــنا نعـــود لإجابة الإمام أحمد بن حنبل مرة أخرى، لأن هذا السؤال الذي طُرح عليه، والإجابة يُقرِّران مجموعة من الأمور الهامة، والتي تقطع- بالتأكيد- على المنكرين الطريق، وهذه الأمور هي:

أولاً: الاعتراف الحقيقي الذي لا يلتبس بأيِّ شك عن وجود الكرامات في هذه الأمة، وأفرادها.

ثانــياً: الإقـــرار بوجود الكرامات عند الصحابة، لأن السؤال حول عدم الكثرة والشهرة.

ثالـــثاً: الإقـــرار بأن هذه الكرامات من ميراث الحبيب ﷺ ولا يرثها إلاّ الأولياء بعد الصحابة.

رابعاً: الإقرار باستمرار أولياء هذه الأمّة كما يوحي السؤال والإجابة عليه.

خامساً: الاعتراف بكثرة وقوع الكرامات في عصر الإمام أحمد بن حنبل.

سادســـاً: التأكيد على ارتباط كثرة الكرامات بقوة الإيمان ارتباطاً عكسيا (كلما قوى إيمان الناس لا يحتاجون إلى الكرامات الحسية والعكس) فالاستقامة أعظم كرامة، كما قيل، وكما حقق ذلك عصر الرسول ﷺ.

سابعاً: عدم الزَّجّ بإدخال الصحابة[1] - لكل من هبّ ودبّ من الجهّال- في عـــدم اعترافهم بالكرامات، وكذلك الأئمة الأربعة لأهل السُّنَّة فكلام الإمام أحمد يتضمن الاعتراف الذي لا لبس فيه.

ثامـــناً: أن وجود هذه الكرامات الحسية قد يُقوّي إيمان الضعفاء من أفراد هذه الأمة، وهذا من علامات الخيرية أيضاً.

تاســعاً: صيغة طرح السؤال على الإمام أحمد بن حنبل لا يتضمن إنكاراً

(١) فكثيراً ما تجد أناساً يتطوعون- للأسف- لقطع الطريق على أهل الحق وحجتهم واهية فحين تحدثه يقول فهل طار أحد من الصحابة، أو هل حدثت الكرامة على يد فلان من الصحابة. أو أحد الأئمة الأربعة يقولون هذا وهم لا يدرون أن ما وصل لأولياء الله من هذه الكرامات ما هو إلا ميراث هؤلاء الأئمة وميراث الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً والذي ورثوه عن الحبيب (ﷺ) .

أصلاً، وإنما يتضمن تأكيداً، مع الاعتراف بكثرة الحدوث للكرامة ووقوعها من الأولياء.

عاشراً: تتضمن إجابة الإمام دحضاً حقيقيا للمنكرين على أهل الله من أوليائه وخاصته.

وتقريبا هو نفس ما يريد الإنسان قوله في هذا المقام فما أشبه الليلة بالبارحة فكأننا نريد طول الوقت ان نثبت ما هو مثبت خوفا على أهل الإنكار من إنكارهم، وتحدثت عن كون الكرامات حسية أو معنوية، وأيها أهم وأقوى وأفضل عند الولي وغيره. وقلت عن الكرامات والمصطلح وغير ذلك:

وقبل أن نتعرض لمصطلح الكرامة أود أن أضيف أن الكرامات التي يتحدث عنها أكثر الناس ويذكرونها سواء في كتبهم أو في مجالسهم، إنما يقصدون بها الكرامات الحسيَّة، أمَّا الكرامات المعنوية فلم يتحدثوا عنها لأنها بالنسبة لهم غير ملحوظة، ربما من كثرة تكرارها أمامهم، وسوف نعود مرة أخرى للحديث عن هذه الكرامات والفرق بين كونها حسية ومعنوية. في الصفحات القادمة علما بأن الكلام عن الكرامات بهذه الطريقة لا يكون له أكثر الأهمية بالنسبة للولاية فأعظم كرامة للولي هي الاستقامة الحقيقية.

مصطلح الكرامة

أولاً: في اللغة

كَرُمَ علينا فلان كَرَامةً.

وله علينا كرامة، وأكْرَمَ نفسه بالتقوى، وأكرمها عن المعاصي، وهو يتكرَّمُ عن الشوائن.

والكرامةُ: اسم يوضع للإكرام، كما وُضِعَتِ الطاعة موضع الإطاعة.

والمُكَرَّمُ: الرجل الكريم على كل أحد.

ويُقال: كرُمَ الشيء الكريمُ كَرَماً.

والمكْرُمَةُ، والمَكْرُمُ: فعْل الكَرَم، وفي الصحاح: واحدة المكارم ولا نظِيرَ

لَهُ[1].

ثانياً: عند الصوفية:

الكـــرامة: ظهـــور أمر خارق للعادة، على يد ولِّي لله تعالى، غير مقارن الرسالة، يوجب لصاحبه الاحترام[2]. وقيل:

الكـــرامة: أمـــرٌ خارقٌ للعادة، يظهر على يد عبدٍ ظاهر الصلاح، ملتزم لـــشريعة نبي كُلِّفَ بشريعته، مصحوب لصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها أو لم يعلم.

وقـــيل: الكرامة: فعل ناقضٌ للعادة في أيام التكليف، ظاهر على موصوف بالولاية، في معنى تصديقه، في حاله[3].

وقال الشيخ الأكبر (ابن عربي) [4]:

الكـــرامة: من الحق. من اسمه « البَرُّ ». ولا تكون إلاّ للأبرار من عباده، جـــزاءً وفاقا. والمناسبة تطلبها، وإن لم يقم طلب مِمَّن ظهرت عليه.وهي. أي: الكرامة. على قسمين:

- حسّية.
- ومعنوية.

فالعامة- من الناس- ما تعرف إلاّ الكرامة الحسِّيَّة، مثل:

الكلام على الخاطر،والإخبار بالمغيّبات الماضية، والكائنة، والآتية. والأخذ من الكون، والمشي على الماء، واختراق الهواء، وطيّ الأرض، والاحتجاب عن الأبصار، وإجابة الدعاء في الحال.والكرامة المعنوية:

لا يعرفها إلاّ الخواص من عباد الله تعالى، وهي:

- أن تُحفظ عليه آداب الشريعة.

---

(١) انظر: ابن منظور: (لسان العرب، مادة ك.ر.م) الزمخشري: (أساس البلاغة ٢/٣٠٤) .
(٢) انظر: الشيخ محمود خطاب السبكي: أعذب المسالك المحمودية ٣/٣٣٥.
(٣) أنظر: الإمام القشيري: الرسالة القشيرية ص ١٧٥.
(٤) أنظر ترجمته داخل النص المحقق.

- وأن يوفق لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها.
- والمحافظة على آداء الواجبات مطلقا في أوقاتها؟
- والمسارعة إلى الخيرات.
- إزالة الغلّ والحقد من صدره للناس وكذا الحسد، وسوء الظن.
- طهارة القلب من كل صفة مذمومة،وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس.
- مراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الأشياء، وتفقّد آثار ربّه في قلبه.
- مراعاة أنفاسه في خروجها ودخولها فيتلقّاها بالأدب، إذا وردت عليه، ويخرُجها وعليها خلعة الحضور.

فهـــذه كلـــها « كرامات الأولياء » المعنوية التي لا يدخلها المكر، ولا الاستدراج، بل هي دليل على الوفاء بالعهود، وصحّةِ القصد، والرضى بالقضاء، في عدم المطلوب، ووجود المكروه. واعلم أنه لا يشاركك في هذه الكرامات إلاّ الملائكةُ المقرّبون، وأهل الله المصطفون الأخيار.

أمّـــا الكرامات التي ذكرنا أن العامة تعرفها فكلّها يمكن أن يدخلها المكر الخفـــي، ثم إنّـــا إذا فرضناها كرامة فلا بُدَّ أن تكون نتيجة عن استقامة، أو تنتج استقامة، ولا بُدَّ من ذلك، وإلاّ فليست بكرامة، وانظر إلى ما قاله ابن عربي حول مفهـــوم الكرامات، فلا ينكر هذا الكلام إلا جاحد، ولا يبعد عن فهمه إلاّ غبي. وراجـــع معـــه الكلام عن ما تنتجه الكرامة، أو ينتج عنها فإنه عزيز جداً، قد لا تجـــده عـــند أحد غيره. وهذا يوضح لك الفرق بين الكرامة والسحر والشعوذة وغير ذلك. كما يوضح أن الكرامة تكرمة من الله لعبده [1].

---

(١) أنظر: محيى الدين ابن عربي الفتوحات المكية ٢/٣٦٩ الباب الرابع والثمانون ومائة. في معرفة مقام الكرامات.

ترجمـــــة الـــمؤلف

هـــو: العالم العلامة: أحمد بن السيد محمد مكي الحسيني الحموي شهاب الدين المصري المتوفى سنة ١٠٩٨ هـــ ثمان وتسعين وألف من هجرة من له العز والشرف.

وقد ترجم له الشيخ الجبرتي في كتابه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) في ذكـــر مـــن مات في السنين التي قبل القرن الذي كتب عنه فقال: ومات إمام المحققـــين، وعمـــدة المـــدققين صاحب التآليف والتصانيف المفيدة السيد أحمد الحموي الحنفي ثم ذكر مؤلفاته وشيوخه وهم:

- الشيخ علي الأجهوري.
- والشيخ محمد بن علان.
- والشيخ منصور الطوخي.
- والشيخ حمد البشبيشي.
- والشيخ خليل اللقاني.
- والشيخ عبد الله بن عيسى العلم الغزي. وغيرهم.

ترك الشيخ أحمد الحموي عددا من المؤلفات الهامة منها:

- آداب البحث.
- إتحاف الأذكياء بتحقيق عصمة الأنبياء.
- إتحاف أرباب الدراية بفتح الهداية.
- الإسراف في اختلاف الأئمة الأشراف.
- بغية الأجلة بتحرير مسألة الأهلة.
- تحفة الأكياس في تفسيران أول بيت وضع للناس.
- تذهيب الصحيفة بنصرة الإمام أبي حنيفة.
- تعليق القلائد على منظومة العقائد.
- تلقيح الفكر شرح منظومة الأثر في الحديث.
- تنبيه الغبي على الحكم كفالة الصبي.
- حاشية على الدرر والغرر لمنلا خسرو.

- حسن الابتهاج برؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج.
- الدرة الثمينة في حكم الصلاة في السفينة.
- الدر الفريد في بيان حكم التقليد.
- الـــدر المنظوم في فضل الروم. وبعنوان شرح الحديث في فضل الروم.
- الدر النفيس في بيان نسب الإمام محمد بن إدريس.
- درر العبارات وغرر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات.
- وذيله في مجلد.
- رسالة في المباحث النحوية والبيانية والفقهية
- الروض الزاهر فيما يحتاج إليه المسافر.
- سمط الفوائد وعقال المسائل الشوارد منظومة.
- شرح الأشباه.
- شرح كنـــز الدقائق.
- شفاء الغلة في تحقيق مسألة المجعولة وحلة.
- ضوء القبس المنير لرموز رجال الجامع الصغير.
- العقود الحسان في قواعد مذهب النعمان.
- غمـــز عيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر لابن نجيم في الفروع.
- فرائد الدر والمرجان في شرح عقود الحسان.
- قرة العيون بأنموذج الفنون.
- القول البليغ في حكم التبليغ.
- كشف الرمز عن خفايا الكنـــز (في الفقه الحنفي) .
- مسائل زفر.
- نتـــيجة الأنظـــار وسوانح الأفكار.وربما هو كتاب قرة العيون بأنموذج الفنون.

- نظم الضوابط الفقهية.

- نفحـــات القـــرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال. وهو الكتاب الذي بين يديك

- النفحات المسكية في صناعة الفروسية.

- نسيم الروضة العطرة في تحقيق أن المعرفة لا تدخل تحت النكرة

هـــذا وربمـــا يكـــون هـــناك عدد من الرسائل كما ورد عند الجبرتي، و بـــروكلمان إشارات مهمة لذلك. فقد قال الجبرتي عبارة مثل: صاحب الرسائل وغير ذلك.وأشار بروكلمان في أثناء ترجمته له قائلا: وهناك رسائل قصيرة أخرى تـــوجد في مخطوطة في السابق. والسابق هو رقم (بريل –هـــ أول / ٧٢٩) أي هي رسائل لم يذكرها.وقد كرر بروكلمان بعض الكتب بعناوين متقاربة، يبدو انه اعـــتمد علـــى العناوين المكتوبة على صفحات المخطوط الأولى، وقد يدخلها التحريف والتغيير أحيانا، وقد عانينا من ذلك.

مصادر ترجمته

من مصادر ترجمة هذا الشيخ الكبير مجموعة من الكتب الهامة هي:

١- فهرس المؤلفين بالظاهرية بدمشق.

٢- الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار: ١/٦٥.

٣- البغدادي: إيضاح المكنون ١/١٤، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٧٨، ٣٠١، ٤٥٤، ٤٦٦، ٦٤٥، ٦٦٦ -- ٢/ ٢٧، ١٤٧، ٣٨٥.

٤- سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة: ٣٧٥.

٥- البغدادي: هدية العارفين: ١ / ١٦٤، ١٦٥.

٦- فهرست الخديوية المصرية: ٣/ ١٠٣، ٤ / ١٣٦ - ٧/٢ ٥٣٥، ٥٩٧ .

٧- فهرس المكتبة الأزهرية: ١/ ٣٠٠، - ٢ / ٢١١، ٢٤٣، ٣٠٣، ٦ / ٢٠٠، ٢١١، ٤٦٣.

٨- فهرس دار الكتب المصرية: ٢ / ١٩٦، ١٩٧.

٩- كحالة: معجم المؤلفين: ٢ / ٩٣.

١٠- بروكلمان، الطبعة العربية ترجمة بإشراف الدكتور أحمد فهمي حجازي القسم الثامن ص ١٦٨.



صورة الصفحة الأولى من مخطوط نفحات القرب والاتصال

[illegible] وأبيا البيان أخرج [illegible] بعد
النبي صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة دخانا يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوما فأما المؤمن فيصيبه منه مثل
الزكمة وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان
من فمه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره وقيل هذا الدخان من
آثار جهنم يوم القيامة وقيل هو معنى قوله تعالى فارتقب
يوم تأتي السماء بدخان مبين وقال ابن مسعود في هذه الآية
ما أصابهم قريش من الجهد والقحط انتهى باختصار من التذكرة
قوله وطلوع الشمس من مغربها وقع السؤال للعلامة شيخ الإسلام
عثمان بن محمد الديمي فيما بقي للساعة بعد طلوع الشمس من مغربها
فأجاب رحمه الله ومن خطه نقلت الحمد لله الهادي للصواب ذكر الإمام
أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشي الميانشي قال قال عبد الله بن عمرو يعني
ابن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم تبقى الناس بعد
طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة فالله أعلم وكتبه عثمان
ابن محمد الديمي عفى الله عنهما انتهى نقلا من حاشية المناوي
وأشهر ما جمع به بعد الاختلاف المتعارض من أمهاته عليه السلام
أن زوجاته كالمعمورين والأزواج بناته كعلي وعثمان وأما أزواج زوجاته
انتهى من المناوي الكبير

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوط نفحات القرب والاتصال

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله الذي شرَّف أولياءه بأنواع الكرامة، ومتّعهم بالنظر إلى وجهه في دار المقامة، فهُم في روضات الجنات يُحبرون.

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الآية رقم (٦٢) من سورة يونس.

قـــد تركوا زخارف الدنيا، ولجأوا من هجيرها إلى ظلّه، فرحين بما آتاهم الله مـــن فـــضله، فهـــم المميزون عن غيرهم في عالم الرفات، فيلوهم[1] بإثبات كراماتهم بعد الممات. كما دل على ذلك إطلاق عبارات الأئمة، الذين هم هداة الأمة.

والـــصلاة والسلام على أشرف أنبيائه، وأكرم أصفيائه، سيدنا محمد (ﷺ) المـــؤيد بالمعجـــزات الظاهرة، و الكرامات الباهرة، وعلى آله وأصحابه ذوى الـــنفوس النفيـــسة، والأخـــلاق الأنيسة،ما هبطت أنوار الكرامات لأوليائه بعد الممات.

وبعـــــد:

فقد جرى في المجلس العالي، مجمع المفاخر والمعالي، مجلس سيد الوزراء حقاً، المـــؤيد من السماء صدقاً، الوزير المعظّم، والدستور المفخّم، أكبر الوزراء، وأعظم الكبراء، كافل الديار المصرية والأقطار اليوسفية، الوزير عبد الرحمن باشا[2]، بلّغه الله مـــن الخيرات ما شا[3]، والكلام على كرامات الأولياء، وأنَّها: هل تنقطع بالموت؟ وأن الأولـــياء هل لهم تصرف في الحياة وبعد الممات – في البرزخ – ؟ وأن من اعتقد ظهور الكرامات لهم بعد الموت، أو التصرّف حال الحياة وبعد الممات هل

---

(١) يلوهم: بمعنى يكونوا أولياء عليهم.

(٢) (عبد الرحمن باشا) ذكر أنه: من ولاة الدولة العثمانية رقم ٦٩ قدم إلى مصر في ربيع الثاني من سنة ١٠٨٧هـــ واستمر واليا عليها إلى أن عزل في شهر شعبان من سنة ١٠٩١ هـــ فكانت مدة ولايته ٤سنوات. انظر النسخة المنشور ص٥٤.

(٣) حذفت الهمزة هنا للفاصلة السجعية.

يكفّــر ؟ وطلب منّي، حفظه الله وحيَّاه، وكبت أعداءه، تحرير الكلام في ذلك، والتقــصّي عما هنا لك. فأقول ؛ وبالله التوفيق، وبيده الهداية إلى سواء الطريق: قال العلامة الثاني " سعد الدين التفتازاني "[١]:

الولي: هو العارف بالله تعالى.

وصــفاته: المواظــبة علــى الطاعة، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات.

الكرامة: ظهور أمر خارق للعادة عمن قبله، فما لا يكون معروفا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون معروفا بدعوى النبوّة يكون معجزة.

وهـــي: أمـــر يظهـــر بخلاف العادة، على يد مدّعي النبوة، عند تحدّي المنكرين، وعلى وجه يعجز المنكرون عن الإتيان بمثله.

والدلـــيل علـــى حقيقة الكرامة: ما تواتر عن كثير من الصحابة[٢]، ومن بعـــدهم، بحيث لا يمكن إنكاره خصوصا الأمر المشترك، وإن كانت الأحاديث آحاداً.

وأيـــضا الكـــتاب ناطق لظهورها من مريم (عليها السلام) [٣]، يعني على القول بأنها ولية لا نبية، وهو الصحيح.

---

(١) (سعد الدين التفتا زاني) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (سعد الدين) عالم مشارك في النحو والتصريف والمعاني والمنطق والفلسفة وعدد من العلوم. ولد بتفتازان إحدى قرى نواحي نسا، وتوفي بسمرقند،سنة ٧٩١هــ وله عدد من المؤلفات الهامة. انظـــر: كحالة: معجم المؤلفين: ٢٢٨/١٢، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٣٥٠/٤، ابن العماد: شـــذرات الذهب ٣١٩/٦، البغدادي: هدية العارفين: ٤٢٩/٢.

(٢) مثل قصة سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في إطعامه العدد الكثير من القصعة، وقصة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الشهيرة: يا سارية الجبل الجبل، وسيدنا حذيفة، وغيرهم انظر: كتاب كرامات الأولياء لأحمد بن الحسن الجوهري بتحقيقنا.

(٣) معروف قصتها ومشهور في الآفاق أنها كانت تأتيها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء واستكمل فكل قصتها كرامات طبعا.

ومـــن صاحب سليمان (صلوات الله وسلامه عليه) [1] وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز.

يعني: بدعوى أن الكرامة أمر ممكن، وكُلُّ ممكن جائز الوقوع.

ثم قـــال بعـــد كلام: والحاصل: أن الأمر الخارق للعادة فهو بالنسبة للنبي معجزة، سواء ظهر من قِبَلِه، أو من قِبَلِ آحاد أمته. وبالنسبة إلى الولي كرامة لخُلُوه عـــن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله، أو من قِبل آحاد أمته. فالنبي لا بُدَّ من علمه بكونه نبيا، ومن فضلهم إظهار خوارق العادات، ومن حكمه قطعا بموجب المعجـــزات، بخـــلاف الولي انتهى كلامه مع زيادة تقرير له، ومقدمة تسلم أن الكـــرامة للولي لا تختص بحال الحياة، فلا تنقطع بالموت. بخلاف المعجزة للنبي حـــيث اعتـــبر في حقيقـــته الاقتران بدعوى النبوة، وقصد إظهارها عند تحدّي المنكرين، وحينئذٍ فما يظهر من جملة الخوارق بعد موت الأنبياء يكون كرامة لهم لا معجزة. فمن أُطلق عليها لفظ المعجزة فقد تسمح، بخلاف كرامة الولي. إذ لم يعتبر في حقيقتها دعوى الولاية، وقصد إظهار الكرامة، بل الولي مظهر لها.

---

(١) وهو آصف بن برخيا الذي ذكره القرآن عند قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ . (النمل /٤٠) أنه لما طلب سليمان (عليه السلام) من الجان أن يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ يعني قبل أن ينقضي مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أي واني لذو قدرة على إحضاري إليك وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك قال الذي عنده علم من الكتاب المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان وقيل هو رجل من مؤمني الجان كان فيما يقال يحفظ الاسم الأعظم وقيل رجل من بني إسرائيل من علمائهم وقيل إنه سليمان وهذا غريب جدا وضعفه السهيلي بأنه لا يصح في سياق الكلام قال وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل.

انظر بقية القصة في البداية والنهاية لابن كثير: ٢٣/٢، تاريخ الطبري ١/ ٢٩٤، وغير ذلك.

إذ هي ـــ كما تقدّم ـــ عبارة عن الأمر الخارق للعادة، وهو الفعل الذي لا يدخل تحت كسب العبد واختياره، بل هو حاصل بفعل الله تعالى، والولي مظهر له. أي: محل لظهوره. وفي هذا لا فرق بين حياة الولي وموته.هذا ما أفاده كلام المحقق التفتازانى في شرح العقائد النسفية.

فـــإن قلـــت: مـــا الدلـــيل على جواز وقوع الكرامة بعد الموت، وعدم اختصاصها بحال الحياة؟

قلـــت: الدلـــيل على ذلك أن الكرامة بعد الموت أمر ممكن، وكل ممكن جائز الوقوع.

فالكـــرامة بعـــد الموت جائزة الوقوع، إذ لو لم نقُل بجواز الوقوع للزم تـــرجيح أحـــد طرفي الممكن بلا مرجّح، وهو محال.وأيضا، لو قلنا بعدم جواز الوقـــوع مـــع كـــونها مخلوقة لله تعالى، مقدورة له، إذ هي من جملة الممكنات، وقدرتـــه تعالى متعلقة بجميع الممكنات بأسرها إيجاداً، وإعداماً، على وفق إرادة الله تعـــالى. لزم تعجيز القدرة، تنزّهت قدرته تعالى عن ذلك. فإن قلت: لا يلزم مـــن جواز الوقوع الوقوع بالفعل فهل، ثم دليل على الوقوع.قلت: نعم، وهو ما نقله الحافظ عبد العظيم المنذري[1] في كتاب " الترغيب والترهيب " حيث قال: عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما) قال:

ضـــرب بعض الصحابة خباءه على قبر، ولا يحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنـــسان يقـــرأ سورة " الملك " حتى ختمها، فقال: فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا

---

(١) الحافظ عبد العظيم المنذري، هو: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشافعي المصري المتوفى سنة٦٥٦هـــ ترك عددا من المؤلفات منها: الترغيب والترهيب، وكفاية المتعبد ونهاية المتزهد، والتكملة لوفيات النقلة وغير ذلك. انظر: كحالة: معجم المؤلفين: ٢٦٤/٥،ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٢/١٣، والذهبي في تذكرة الحفاظ:٢٢٠/٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:٦٣/٧، البغدادي: هدية العارفين: ٥٨٦/١.

هو قبر إنسان قرأ سورة " الملك " حتى ختمها ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : «هـــي المانعة، هي المنجية من عذاب القبر»[١]. رواه الترمذي وقال: حديث غـــريب.انتهى قال شارحه " الفاضل " الفيومي: ورواه الحاكم. انتهى وهذا دليل علـــى وقوع الكرامة بعد الموت، بتقريره (صلى الله عليه وسلم) حيث أقرّ قراءة الميت سورة " الملك ".وقال (صلى الله عليه وسلم) : (هي المانعة، هي المنجية مـــن عذاب القبر). وتقريره (صلى الله عليه وسلم) دليل شرعي تثبت به الممكن كما تقرر في محلّه من كتب الأصول ؛ ولا يعارض ما حرّرناه وبالدليل أثبتناه قول قاضـــي القـــضاة " الأوشى الحنفي"[٢] في منظومته في العقائد المسماة بـــ ((بدء

(١) حديث: (هي المنجية المانعة من عذاب القبر) . أخرج الترمذي، والحاكم، وابن مردويه، وابن نصر، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتاة على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا هو بإنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر " وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر) . وأخرج عبد بن حميد في مسنده واللفظ له والطبراني والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال: بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي) . انظر: السيوطي: الدر المنثور: ٢٣١/٨.

(٢) (الأوشي الحنفي) : هو علي بن محمد الأوسي (بالسين المهملة) وليس الأوشي كما ورد في النص، الفرغاني (سراج الدين) له مصنفات منها مشارق الأنوار في شرح نصاب الأخبار لتذكرة الأخيار، وشرح منظومة عمر النسفي في الخلافات وسماه: مختلف الرواية. وغير ذلك من المؤلفات. توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٦٩هـــ. انظر: كحالة: معجم المؤلفين: ١٤٨/٧، البغدادي: هدية العارفين: ٧٠٠/١، والقرشي في الجواهر المضية: ٣٦٧/١.

الأمالي)) [١] يقول (رضي الله عنه) :

كرامات الولي بدار دنيا * لها كون فهم أهل النوال[٢]

إذ ليس بنص ولا ظاهر في انقطاع الكرامات بالموت، واختصاص بحال الحياة لأن الدنيا عبارة عن كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة، ولاشك أن البرزخ من المخلوقات الموجودة قبل الدار الآخرة، فالمراد بالدنيا في كلامه ما قابل الآخرة، وهي ما بعد البعث من القبور، لا ما قبله، حتى يشتمل ما بعد الموت إلى البعث وأن احتمال الكلام احتمالا غير مؤيد بدليل. ومن ثم نقل ابن القيم[٣]، عن أبي يعلى[٤] أن عذاب القبر من الدنيا،

(١) (بدء الأمالي) : هذا الكتاب منظومة في التوحيد والعقائد للشيخ الفاضل سراج الدين، أبو محمد علي بن عثمان بن محمد بن سليمان الأوشي ، كان حيا سنة ٥٦٩ هـ. له مؤلفات منها: القصيدة اللامية في أصول الدين، وله أيضا مؤلفات أخرى. انظر: فهرس دار الكتب المصرية ٩٧/١.: كحالة: معجم المؤلفين ١٤٨/٧.

(٢) ورد هذا البيت نثرا في المخطوط، ولفظ كرامات، جاء: كرامة.

(٣) (ابن القيم) هو: ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن جرير الزرعي الإمام شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي المعروف بابن قيم لجوزية الحنبلي ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة من الهجرة النبوية. له من التصانيف اجتماع الجيوش الإسلامية على غز والفرقة الجهمية. أحكام المولود. أسماء القرآن الكريم. أعلام الموقفين عند رب لعالمين ثلاث مجلدات. إغاثه اللهفان في مصائد الشيطان. أمثال القرآن. مدارج السالكين في شرح منازل السائرين. مراحل السائرين. المسائل الطرابلسية ثلاث مجلدات. معاني الأدوات والحروف. مفتاح دار السعادة. وغيرها كثير جدا انظر ترجمته في: هدية العارفين: ٥٤٣/١.

(٤) (أبو يعلى) : هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن خلف بن احمد الفراء (أبو يعلى الصغير) المحدث الشهير، له مؤلفات منها التعليقة الكبيرة في مسائل الخلاف، وشرح المذهب، والنكت والإشارات في المسائل المفردات. توفي رحمه الله في بغداد سنة ٥٦٠ هـ.

انظر ترجمته في: كحالة: معجم المؤلفين: ١١/ ٢٧٦، ابن العماد: شذرات الذهب: ٤/ ١٩ الزركلي: الأعلام: ٧ / ٢٥١، البغدادي: هدية العارفين: ٢ / ٩٤.

لانقطاعــه قــبل الــبعث بالفناء، ولا يعرف أمد ذلك.وأيده الجلال[١] في شرح الصدور[٢].

ويؤيده ما أخرجه هناد بن السري[٣]، في الزهد، عن مجاهد، قال: للكفّار

(١) (الجلال) هو: جلال الدين السيوطي وهو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن همام الخضيري المصري الشافعي (جلال الدين، أبو الفضل) المولود بالقاهرة،سنة٨٤٩هـــ والمتوفي سنة٩١١هـــ،وهو علم معروف جدا بكثرة مؤلفاته العلمية في شتى فروع المعرفة منها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والمزهر في اللغة، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وغيرها كثير جدا.

انظر: كحالة: معجم المؤلفين:١٢٨/٥، السخاوي: الضوء اللامع: ٦٥/٤، ابن العماد: شذرات الذهب: ٥١/٨، العيدروسي: النور السافر٥٤، الغزي: الكواكب السائرة ٢٢٦، البغدادي: هدية العارفين: ٥٣٤/١، الشوكاني: البدر الطالع: ٣٢٨/١.

(٢) (شرح الصدور) : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور لجلال الدين السيوطي المتوفى: سنة ٩١١هـــ، إحدى عشرة وتسعمائة.في مجلد أوله: (الحمد لله الذي أيقظ من شاء من سنة الغفلة... ذكر فيه: أمور البرزخ من حين المرض إلى أن ينفخ في الصور ناقلا له من: الأحاديث والآثار من كتب الحديث محررا: ما وقع من ذلك في: (تذكرة القرطبي) بالتنقيح والتخريج مع زوائد جمة انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون: ٢/ ١٠٤٢.

(٣) (هناد بن السري) : بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زائدة بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي أبو السري الكوفي. روى: عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وهشيم وأبي بكر بن عياش وعبد الله بن إدريس وأبي الأحوص وحفص بن غياث، وغيرهم.

روى عنه: البخاري في خلق أفعال العباد والباقون، وابن ابن أخيه محمد بن السري بن يحيى بن السري وأبو حاتم وأبو زرعة وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم. قال أحمد بن حنبل عليكم بهناد. وقال أبو حاتم صدوق. وقال قتيبة: ما رأيت وكيعا يعظم أحدا تعظيمه لهناد. وقال النسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال السراج قال هناد بن السري: ولدت سنة ثنتين وخمسين ومائة. قال: ومات في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين ومائتين. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦٢/١١.

والزهد: هو كتابه المعروف، وقد طبع عدة طبعات.

هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة، فإذا صيح بأهل القبور، يقول الكافر: ﴿ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ (يس / ٥٢).. فيقول المؤمن إلى جنبه ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (بقية يس/٥٢) .

وفي المواهب اللدنية(١): جاء بإسناد صحيح عن عكرمة(٢) مولى ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه سُئل عن يوم القيامة ؛ أهو من الدنيا أم من الآخرة ؟

---

(١) (المواهب اللدنية) : (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية) في السيرة النبوية في مجلد للشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس: أحمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى: سنة ٩٢٣، ثلاث وعشرين وتسعمائة وهو: كتاب جليل القدر كثير النفع ليس له نظير في بابه رتبه على: عشرة مقاصد: الأول: في تشريف الله - تعالى - نبيه بسبق نبوته وطهارة نسبه وولادته ورضاعه ومغازيه وسراياه مرتبا على: السنين إلى وفاته - عليه الصلاة والسلام. الثاني: في أسمائه وأولاده وأزواجه وأعمامه وخدمه الثالث: فيما منحه الله - تعالى - به من كمال خلقته وفيه: ثلاثة فصول الرابع: في معجزاته وخصائصه الخامس: في خصائص المعراج السادس: فيما ورد من آي التنزيل في رفعة ذكره السابع: في وجوب محبته واتباع سننه الثامن: في طبه وتعبيره الرؤيا التاسع: في لطيفة من حقائق عباداته العاشر: في إتمامه - سبحانه وتعالى - نعمته (٢ / ١٨٩٧) عليه بوفاته إليه وفيه: ثلاثة فصول فرغت من تسويده: في شوال سنة ٨٩٨، ثمان وتسعين وثمانمائة ومن تبييضه: في شعبان سنة ٨٩٩، تسع وتسعين وثمانمائة. انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون: ٢/ ١٨٩٦.

(٢) (عكرمة) هو: عكرمة البربري أبو عبد الله المدني مولى بن عباس أصله من البربر كان لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي. روى عن مولاه، وعلي بن أبي طالب، والحسن ابن علي، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عمرو، وأبي سعيد، وعقبة بن عامر، وغيرهم.وروى عنه إبراهيم النخعي ومات قبله وأبو الشعثاء جابر بن زيد والشعبي وهما من أقرانه وأبو إسحاق السبيعي وأبو الزبير وقتادة، وغيرهم كثير. قال يزيد النحوي عن عكرمة قال لي ابن عباس: انطلق فافت بالناس وأنا لك عون. قال فقلت له: لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم قال فانطلق فافتهم فمن جاءك يسألك عما يعنيه فافته ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته.قال ابن معين: مات ابن عباس وعكرمة عبد لم يعتقه.مات رحمه الله، بالمدينة سنة ١٠٤هـ،وهو أعلم الناس.

انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢٣٤/٧ .

فأجـــاب: بأن نصفه الأول، الذي يقع فيه الفصل والحساب من الدنيا، ونصفه الأخير، الذي يقع فيه الانصراف إلى النار والجنة من الآخرة. انتهى

فإذا كان يوم القيامة بعد فناء البرزخ، وما يتعلق به، حُكم في نصفه الأول بأنـــه من الدنيا فبالأولى أن يحكم على البرزخ بأنه من الدنيا حقيقة. فعلى هذا يؤخذ جواز وقوع كرامات الأولياء بعد موتهم من قوله: " بدار الدنيا ".

ومن ثمّ لم يتعرض أحد فيما رأيته من شروح النظم مع كثرتها إلى التصريح بانقطـــاع الكـــرامة بالمـــوت. بل قال شارح البخاري: المتقيد بدار الدنيا.لأن الاختلاف يعنى بين أهل السنة والمعتزلة — وقع فيها، لأن دار العقبى عمل كرامة جميع المؤمنين.

وقال شارحه " السمهودي "[(١)]: ينبغي أن يكون ظهور الكرامات لهم بعد موتهم، أولى من ظهورها حال حياتهم، لأن النفس باقية صافية من الأكدار والمحن وحيرتهـــا، وقـــد شوهد ذلك من كثير منهم بعد موته وقد يدخل ذلك في كلام الناظم، فإن قوله: بدار دنيا. صادق في حياته وبعد موته. انتهى

ولـــذا ظهر بأن من احتجّ بهذا البيت على انقطاع الكرامات بالموت، حتى نـــسب إلى مذهب الإمام الأعظم " أبي حنيفة "[(٢)] (رحمه الله) ، القول بانقطاع

(١) (السمهودي) : علي بن عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد نور الدين أبو الحسن السمهودي الشافعي " سمهود بلدة غربي نيل مصر " الحسني نزيل المدينة المنورة المفتي بها ولد سنة ٨٤٤ وتوفي سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة. له من التصانيف اقتناء الوفاء بأخبار دار المصطفى في التاريخ. أمنية المعتنين بروضة الطالبين للنووي حاشية. إكمال المواهب ذيلا على المواهب الكريم. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى في تاريخ المدينة مطبوع. الوفاء بأخبار دار المصطفى في تاريخه الكبير. وفاء الوفا. مختصر ذلك. وغير ذلك. انظر: البغدادي: هدية العارفين: ١/٣٩٥، ابن العماد: شذرات الذهب: ٨/٥٠، الشوكاني: البدر الطالع: ١/٤٧٠، السخاوي: الضوء اللامع: ٥/٢٤٥، كحالة: معجم المؤلفين: ٧/١٢٩.

(٢) (الإمام الأعظم) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن كاوس بن هرمز، الإمام الكوفي مولى تيم الله وهو من رهط حمزة الزيات صاحب المذهب المقضي به الآن في أكثر الممالك =

الكـــرامات بالموت واهم، وعن طريق أهل الهدى ضال. فما ثبت في شيء من كـــتب مـــذهب الإمام " أبي حنيفة " أصولاً وفروعاً القول بانقطاع الكرامات بالمـــوت. بل لم يثبت في شيء من كتب المذاهب الثلاثة. ومن ادّعى ذلك فعليه البيان، وعند الامتحان يُكرمُ المرءُ أو يُهان.

وفي شـــرح مقدمـــة الإمـــام " أبي الليث السمرقندي الحنفي "(١) للفاضل القرماني، ما نصّه:

" ومن كرامات الإمام " أبي حنيفة " بعد الموت ما رواه الأئمة أنّه لما غُسّل (رحمه الله) ظهر على جبينه سطر: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ

=

الإسلامية وأول من فتق الفقه وفصل فصوله وأقسامه وميز مسائله ورتب قياسه كان خزازا بالكوفة، من موالي تيم الله بن ثعلبة. نشأ بالكوفة وأدرك أربعة من الصحابة وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أو أوفي بالكوفة، وسهل ابن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنهم وأصحابه يقولون لقي جماعة من الصحابة وأخذ عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل وكان أبو حنيفة عالما عاملا زاهدا ورعا قال الشافعي قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وكان يصلي غالب الليل حتى قيل أنه صلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة، توفي بالسجن، سنة ١٥٠هـــ.

انظر: سركيس: معجم المطبوعات العربية: ٣٠٢/١، البغدادي: هدية العارفين: ١/ ٧٠٩ كحالة: معجم المؤلفين: ١٠٤/١٣، ابن النديم: الفهرست: ٢٠١/١،ابن خلكان: وفيات الأعيان:٢١٥/٢، النووي: تهذيب الأسماء واللغات: ٢١٦/٢، اليافعي: مرآة الجنان: ٣٠٩/١.

(١) أبو الليث السمرقندي: أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الفقيه الحنفي السمرقندي الملقب بغمام الهدى توفي سنة ٣٧٣ ثلاث وسبعين وثلاثمائة. صنّف من الكتب: بستان العارفين. تفسير القرآن، تنبيه الغافلين، حصر المسائل في الفروع، خزانة الفقه على مذهب أبي حنيفة، دقائق الأخبار في ذكر الجنة في النار. وغيرها كثير. توفي سنة ٣٩٣هـــ.

انظر كحالة: معجم المؤلفين: ٩١/١٣، الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١٦٩/٣،البغدادي: هدية العارفين: ٤٩٠/٢، سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة: ١٠٤٥/١.

إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر/ ٢٧-٣٠) .وعلى يده اليمنى: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل /٣٢) وعلى اليسرى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف/٣٠) . وعلى بطنه: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (التوبة/٢١) ولمّا وضعوه على الجنازة، سُمِعَ صوت هاتف يقول:

يا قائم الليل طويل القيام
كثير التهجد كثير الصيام
أباحك السيد دار السلام

ولمّا وُضع في قبره، سُمِعَ هاتف يقول: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الواقعة/٨٩) . انتهى

۞ **هذا ما يتعلق بعدم انقطاع الكرامات بالموت[1].**

---

(١) يقول الرازي: أعلم أن كرامات الأولياء ثابتة، وحق عند أهل الحق من أهل السُّنَّة والجماعة، وهي على نوعين:
١- كرامة بين العبد والرَّب، من المواهب التي لا يسعه فيها ملك مُقرَّب، ولا نبي مرسل، وهي الكرامة الحقيقية مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهذه مما لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، والعبد بين المحبين سرٌ ليس يفشيه.
٢- وكرامة يَطَّلع عليها الخلق، وهي من جنس خرق العادات المشتبهة بالمعجزة. وقد ذكر الأئمة بين المعجزة والكرامة فروقاً كثيرة.
وأجمع القوم على أن كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بُدَّ له أن تخرق له العادة إذا شاءها.
وقال الشيخ العز بن عبد السلام: من أصدق دليل على صحَّة طريق الصوفية وإخلاصهم في أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق. أنظر: أبو بكر الرازي: (منارات السائرين ومقامات الطائرين) بتحقيقنا، طبعة ثانية، هيئة الكتاب، سلسلة التراث ص ١٤٤ الشعراني: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر جـ٢ ص ١٠١ محمود خطاب السبكي، أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية (بتحقيقنا) المجلد الثالث ص ٣٤٤، ص ٣٥٤.

۞ وأمّا ما يتعلق بالتصريف:

فـــاعلم أن تصرف الأولياء حال حياتهم، من جملة كراماتهم، وهو كثير، في كل زمان، لا شكّ فيه، ولا ينكره إلاّ مُعاند.

قال التاج السُّبْكي[١]، بعد أن ذكر أنه من أنواع الكرامات مقام التصريف:

وأمّـــا بعد مماتهم فقد تقدم أن كراماتهم لا تنقطع بالموت، ثم إن تصرف الأولـــياء في حياتهم وبعد مماتهم إنما هو بإذن الله تعالى، وإرادته لا شريك له في ذلك خلقا وخلقا، وإيجادا. أكرمهم الله تعالى به، وأجراه على أيديهم. ويصيبهم خرقا للعادة تارة بإلهام، وتارة بمنام وتارة بدعائهم، وتارة بفعلهم واختيارهم[٢]،

=

وقال الإمام « أبو الحسن الشاذلي » ﷺ في ذلك: إن « مريم » (عليها السلام) كان يتعرف إليها في بداياتها بخرق العوائد، بغير سبب، تقوية لإيمانها، وتكميلا ليقينها، فكانت ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ (آية ٣٧ آل عمران) فلما قوى إيمانها، ويقينها رُدَّت إلى السبب لعدم وقوفها معه فقيل لها: « وهُزّي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » (الآية ٢٥ من سورة مريم) . انظر: الشعراني: اليواقيت والجواهر ٢/ ١٠٣، محمود خطاب السبكي: أعذب المسالك المحمودية بتحقيقنا ٣/ ٣٤٨.

(١) ابن السبكي: عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (تاج الدين، أبو نصر) المصري الأديب الشافعي ولد سنة ٧٢٧ وتوفي سنة ٧٧١ إحدى وسبعين وسبعمائة صنف الألغاز. ترشيح التوشيح. التصحيح جمع الجوامع في الأصول. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب. السيف المشهور في عقيدة أبي منصور. طبقات الفقهاء الشافعية. معيد النعم ومبيد النقم. وغير ذ لك.

انظر: البغدادي: هدية العارفين: ٦٣٩/١، كحالة: معجم المؤلفين:٢٢٥/٦، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٤٢٥/٢،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١٠٨/١١،ابن العماد: شذرات الذهب:٢٢١/٦، الشوكاني: البدر الطالع: ٤١٠/١.

(٢) اعلم أنه بعد انتقال الناس إلى البرزخ بالموت فإنهم يتميزون إلى سبعة أقسام، وتحت كل قسم درجاته ودركاته:

١- أرواح الكافرين: وتكون في سجن يُسمّى سجين، ذكره الألو سي، وابن كثير، والطبري، في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ ﴾ آية (٧)

=

المطففين.

٢- أرواح عامة المسلمين: تكون كالنائمة، ليس لها صلة بدنيا، ولا بأخرى.

عن أبي أمامة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح، فذكر حديث الإسراء الطويل، وفيه: « ثم انطلقنا فإذا نحن بموتى أشدّ شيء انتفاخاً، وأنتنه ريحا قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء موتى الكفار، ثم انطلقنا فإذا نحن نرى دخانا ونسمع عواء، قلت: ما هذا؟ قال: هذه جهنم فدعها، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال نيام تحت ظل الشجرة، قلت: ما هؤلاء؟ قال: موتى المسلمين. ثم انطلقنا فإذا نحن بجوار غلمان يلعبون بين نهرين، قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذريّة المؤمنين.

ثم انطلقنا فإذا نحن برجال أحسن بشيء وجهاً، وأحسنه لبوساً، وأطيبه ريحا، كأن وجوههم القراطيس، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الصدّيقون والشهداء والصالحون.

ثم انطلقنا فإذا نحن ثلاثة نفر يشربون خمراً، ويغنون، فقلت: ما هؤلاء؟ قال: ذلك زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة.

٣- أرواح أطفال المؤمنين: تكون سارحة في الجنة يعلمهم إبراهيم (عليه السلام) القرآن.

- عن أبي هريرة ﷺ قال: « أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة، حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة » [رواه أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح].

أمّا أطفال المشركين الذين ماتوا قبل الحُلُم، فمنهم من سيكون من خدم أهل الجنة فهم في البرزخ مع أرواح القسم الثاني نائمين ومنهم من يتعلم القرآن مع أطفال المسلمين، إذ أن الله أعلم بما كانوا عاملين.

- عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « أطفال المشركين خدم أهل الجنة » [رواه الطبراني في الأوسط، والبخاري في تاريخه الأوسط عن مرة بن جندب بسند حسن].

٤- أرواح عامة المؤمنين: تكون في البرزخ على حالة ما كانت عليه في الدنيا من انشغالها بالله، وليس لها اتصال بالدنيا.

- عن « كعب بن مالك » ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » [رواه مالك في الموطأ].

٥- أرواح خاصة المؤمنين: ويكون لها النفع التام لأهلها خاصة.

- عن انس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم، وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لاتمتهم حتى تهديهم كما هديتنا ». [رواه الإمام أحمد بسند حسن].

٦- أرواح الشهداء: وتكون في حواصل طير خضر في الجنة، ويكون لها التصريف التام في الدنيا بالنفع.

- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ مرَّ على شهداء أحُد فقال: « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحَدٌ إلى يوم القيامة، إلاّ ردوا عليه ». [رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما، وأقره الذهبي].

- عن ابنة (ثابت بن قيس بن شمّاس) رضي الله عنهما: أن أباها قُتل يوم « اليمامة » شهيداً، فرآه رجل من المسلمين في منامه، فقال: إنّي لما قُتلت بالأمس مرَّ بي رجل من المسلمين فانتزع منّي درعاً نفيسة، ومنزله في أقصى العسكر، وعند منزله فرس يستن في طوله، وقد أكفأ على الدّرع برْمة، وجعل فوق البُرمة رجُلاً، فائت خالد بن الوليد، فليبعث إلى درعي فليأخذها،فإذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ فأعلمه أن عليَّ من الدَّين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، وإيَّاك أن تقول هذا حلم فتضيّعه.قال: فأتى خالد بن الوليد ﷺ فوجه إلى الدرع فوجدها كما ذكر. وقدم على أبي بكر ﷺ فأنفذ أبو بكر ﷺ وصيته بعد موته.ولا نعلم أحداً أنفذت وصيته بعد موته غيره، رواه الطبراني بسند صحيح.

٧- أرواح الصدّيقين والنبيين: ويكون لها النفع التّام، والتصريف الكامل في أهل الدنيا، وأهل البرزخ بالنفع والضر.

- عن « عبد الله بن مسعود » ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم »، [رواه البزّار، ورجاله رجال الصحيح].

- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « ما من أحد يسلّم على إلاّ ردّ الله عليَّ روحي، حتى أرد عليه السلام ». [رواه أحمد والبيهقي وأبو داود بسند حسن].

- واعلم أنه لا يجوز طلب النفع إلاّ من الأحياء، ولذا فإنه لا يطلب النفع من الصنف الأول، ولا الثاني، ولا الثالث، بل زيارتهم تكون لطلب الدعاء لهم والترحّم عليهم، وتقرأ لهم ما يصلهم من القرآن وغيره.

أمَّا الشهداء فقد نهينا بنص القرآن أن نقول عنهم أمواتاً، ولا أن نحسبهم أمواتا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ﴾ (١٥٤) البقرة، وقوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ ﴾ (١٦٩ آل عمران ولذا فإنه يجوز طلب النفع منهم إذ أنهم أحياء.

وتـــارة بغـــير اختيار، ولا قصد، ولا شعور منهم. بل قد يحصل من الصبي غير المميز، وتارة بالتوسل إلى الله بهم[1] في حال حياتهم، وبعد مماتهم، مما هو يحكم

=

– أمَّا الصدّيقون والنبيّون فهم أعلى من الشهداء درجة فيجوز كذلك طلب الخير منهم، إذ أن حياتهم كاملة وتصريفهم تام. وتكون زيارتهم للاستمداد، والاستغاثة.

– فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليُناد: أعينوني يا عباد الله ». [رواه الطبراني بسند صحيح].

– وأكبر نفع انتفعته أمّة رسول الله ﷺ إنما كان ببركة روح سيدنا موسى عليه السلام، فلولاه لكانت الصلاة خمسين.

– واعلم أن النفع إمَّا مطلق: فلا يُطلب إلا من الله تعالى فهو النافع الضار، وطلب النفع المطلق من غير الله كفر، وإمَّا مقيّد (بإذن الله) : فيكون حتى من الجمادات وآثار الصالحين، فكيف بالشهداء والصديقين والنبيين، فيجوز أن تقول: خذ هذا الدواء ينفعك الله به، أو تقول نفعتني هذه القوس، أو هذا السيف أمَّا التبرك بآثار الصالحين وغيرهم.

فانظر: ساحة الإمام صلاح الدين التجانى (كتاب الكنز في المسائل الصوفية) باب الجواهر، جوهرة في التوسل ص ٢٥٣-٢٧٦. سلسلة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب (العدد الأول) ١٩٩٩.

(١) يقول ساحة الإمام صلاح الدين التجانى في كتابه (**الكنز في المسائل الصوفية**) :

(التوسل) هو: طلب الوسيلة، والإنسان مأمور به لقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ الآية (٣٥) المائدة. وَمدَحَ أناساً بقوله تعالى: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ٥٧ الإسراء.

والتوسل: إمَّا أن يكون بالعمل الصالح، وإمَّا برسول الله ﷺ وإمَّا بالأنبياء، وإمَّا بالصالحين، وإمَّا بآثار الصالحين.

أولاً: التوسل بالعمل الصالح:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة، إلاّ أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

=

١- قال رجلٌ منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكُنت لا أغبق قبلهما (الغُبوق: الشرُب بالعشي، وهو هنا اللبن) أهلاً ولا مالاً، فنأي بي طلب الشجر يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غُبوقهما، فوجدتُهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالاً، فلبثت، والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغَون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما.اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فأفرج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئا، لا يستطيعون الخروج منه.

٢- قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، فأردتها على نفسها، فامتنعت منّي، حتى ألمّت بها سنة من السنين، فجائتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلّي بيني، وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلاّ بحقّه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها.اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج عنّا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

٣- وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمّرتُ أجره، حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين.

فقال: يا عبْدَ الله أدِّلي أجرى. فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي. فقلت: إني لا أستهزئ بك. فأخذه، فاستاقه، فلم يترك منه شيئا.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشــون، رواه البخاري ومسلم والنســائي، وانظر السيوطي حديث رقــم (٤٨٣٦) ص/ ٢٠٥ من جامع الأحاديث، وأرجى الأعمال الصالحة هي محبة رسول الله ﷺ.

ثانياً: التوسُّل بالنبي ﷺ:

منها: توسل آدم (عليه السلام) قبل خلقه.

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ، لما اقترف آدم خطيئته، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟

قال: يا ربّ، لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحب الخلق إليك. فقال الله: (صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه

فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك.)
[أخرجه الحاكم وصححه، والحافظ السيوطي في الخصائص وصححه والبيهقي من دلائل النبوة، والطبراني في الأوسط، وصححه، والقسطلاني، والزرقاني في المواهب اللدنية، والسُّبكي في شفاء السقام، التوسل به في حياته ﷺ وبعد وفاته].
– عن « عثمان بن حنيف » ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ وقد جاءه رجل ضرير البصر، فقال: ادع الله أن يعافيني.
قال: إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخّرت ذلك فهو خير، فقال: أدعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلى ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبيّ الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي فيجلى لي عن بصري.
قال « عثمان »: فوالله ما تفرقنا، ولا طال بنا الحديث، حتى دخل الرجل وكأنه لم يربه ضرٌّ. [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه النسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، والطبراني، والحاكم وصححه وأقره الذهبي].
– عن مالك الداري، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر ﷺ وجاء بلال بن الحارث المزني إلى قبر رسول الله ﷺ: فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه ﷺ في المنام، وقال له:
ائت عمر فأقرئه مني السلام، وأخبرهم أنهم مسقون وقل له عليك بالكيس الكيس [رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح، وقال ابن حجر في الفتح، إسناده صحيح، وأخرجه البيهقي بسند صحيح، ورواه الحافظ ابن كثير في البداية بسند صحيح].
– قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٦٤ النساء) قال المفسرون: هي عامة في حياته، وبعد مماته ﷺ.
– وروى الدرامي بسند صحيح عن أبي الجوزاء، وأوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمُطروا مطر حتى نبت العشب، وسمنت الإبل، حتى تفتقت من الشحم فسُمّي عام الفتق.
– توسُّل رسول الله ﷺ بنفسه، وبالأنبياء: عن أنس ﷺ أن « فاطمة بنت أسد»، أمُّ عليٍّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) لما ماتت حفر رسول الله ﷺ لحدها بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، فقال: « الله الذي يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، اغفر لأُمّي «فاطمة بنت أسد » ولقّنها حجّتها، ووسّع
=

في القدرة الإلهية. ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك منهم قبل الموت، وبعده نسبته إلى الخلــق، والإيجاد، والاستقلال بالأفعال، فإن هذا لا يقصده مسلم. بل ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلاً عن غيرهم، فعرف الكلام إليه، ومُنعه من باب التلبــيس في الدين، والتشويش على عوام الموحدين. فلا يُظَن في مسلم، بل ولا بعاقل توهم ذلك، فضلا عن اعتقاده. وكيف يحكم بالكفر على من اعتقد ثبوت الكرامات لهم بعد موتهم، وعلى من اعتقد ثبوت التصريف لهم في حياتهم، وبعد مماتهم، حيث كان مرجع ذلك إلى قدرة الله تعالى خلقا، وإيجاداً.

=

مُدْخلها بحق نبيّك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين » [رواه الحاكم، وابن حبان، والطبراني في الكبير والأوسط بسند صحيح].

ثالثا: التوسل بالصالحين:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال حين يخرج للصلاة: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي، فإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت وكَل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته».

[رواه أحمد وابن خزيمة بسند صحيح].

– عن أبي الدرداء ﷺ: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أبغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ». [رواه أبو دواد، والترمذي، والنسائي، بسند صحيح].

رابعاً: التوسُّل بآثار الصالحين:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ، قال الحافظ ابن كثير في التاريخ: قال ابن جرير عن هذا التابوت: وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم هذا التابوت، فكانوا ينتصرون ببركته، وبما جعل الله فيه من السكينة. قال ابن كثير: والبقيّة: هي آثار آل موسى، وآل هارون.

قالوا: كانت فيه عصا موسى، وعصا هارون، ولوحان من التوراة قال ابن كثير: وقد كانوا ينتصرون على أعدائهم بسببه. انظر: سماحة الإمام: صلاح الدين التجاني: الكنز في المسائل الصوفية: جوهرة في التوسل. ص٢٥٣.

كـــيف وكُـــتُب جمهور المسلمين طافحة به، وأنه بائن، واقع، لا مرية فيه بوجهٍ ألبته ؟ ! حتى كاد أن يلحق بالضروريات، بل بالبديهيات. ذلك لأن جميع كـــرامات هذه الأمة في حياتهم، وبعد مماتهم تصرفاً، أو غيره من جملة معجزات النبي (صلى الله عليه وسلم) الدّالة على صدق نبوّته، وعموم رسالته ؛ الباقية بعد مـــوته، والتي لا ينقطع دوامها، ولا تجددها بتجدد الكرامات، في كل عصر من الأعصار إلى يوم القيامة. ثم المنكر للكرامة بعد الموت، والتصريف حال الحياة، وبعد الممات:

- إمَّا أن يصدّق بكرامات الأولياء.
- أو يكذِّب بها.

- فإن كان ممن يُكذِّب بها فقد سقط البحث معه، فإنّه يكذب ما اشتد الكذب بالدليل الواضحة.
- وإن كـــان ممن يصدِّق بها، فالكرامة بعد الموت، والتصرف في حال الحياة، وبعد الممات من جملة الكرامات.

قـــال العلاّمة "ابن حجر"(١): ليس العجب من إنكار المعتزلة الكرامات، فـــإنهم خاضـــوا فيما هو أقبح من ذلك، وأنكروا النصوص المتواترة المعنى عن رســـول الله (صـــلى الله عليه وسلم) .بسؤال الملكين، وعذاب القبر، والحوض،

---

(١) (ابن حجر) : أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي بن حجر الكناني الحافظ أبو الفضل (شهاب الدين العسقلاني) ثم المصري الشافعي ولد سنة ٧٧٣ وتوفي سنة ٨٥٢ أثنتين وخمسين وثمانمائة. من مصنفاته آيات النيران للخوارق المعجزات. إتباع الأثر في رحلة ابن حجر. إتحاف المهرة بأطراف العشرة أعني الكتب الستة والمسانيد الأربعة الإتقان في فضائل القرآن. الأجوبة المشرقة عن الأسئلة المفرقة. الإصابة في تمييز الصحابة مطبوع. أطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي. الإعجاب بيان الأسباب. الإعلام بمن ولي مصر في الإسلام. انظر:كحالة: معجم المؤلفين: ٢/٢٠، السخاوي: الضوء اللامع: ٢/٣٦، ابن العماد: شذرات الذهب: ٧/٢٧٠، الشوكاني: البدر الطالع: ١/٨٧، البغدادي: هدية العارفين:١/٦٩، السيوطي: حسن المحاضرة:١/ ٢٠٦.

والميـــزان، وغـــير ذلـــك من عظم كذبهم وافترائهم لتقليدهم لعقولهم الفاسدة، وتحكـــيمهم لها على الله تعالى وآياته، وأسمائه، وصفاته. فما رأوه موافقا لتلك العقول السقيمة، الفاسدة، اللئيمة قبلوه،و مالا ردُّوه، ولم يبالوا بتكذيب القرآن والـــسنة والإجمـــاع. لأن كلمة الغضب حقّت عليهم، وقبائح المنكر تسابقت إلـــيهم.وإنمـــا العجـــب من قوم تسمّوا باسم أهل السنة، ومع ذلك يبالغون في الإنكـــار، لأن كلمة الحرمان لحقت عليهم حتى ألحقتهم بأهل البوار، وأوجبت عليهم نوعا من الوبال، والخسارة، وهؤلاء أقسام:

- منهم من ينكر على مشايخ الصوفية، وتابعهم .

- ومنهم من يعتقدهم إجمالاً، وأن لهم كرامات، ومتى عُيِّن له واحد،أو رأى كـــرامة أنكـــر ذلك، لما خيّل له الشيطان أنهم انقطعوا، وأنّه لم يبق إلاّ متلبّس مغرور، احتوى عليه الشيطان، ولبّس عليه.وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان انتهى.

وفي " روض الرياحين "(١): الناس في الكرامات أقسام:

- مـــنهم: مـــن ينكرها مطلقا، وهم أهل مذهب معروفون، وعن الهدى والتقى مصروفون.

- ومـــنهم: مـــن يصدّق بكرامات من مضى، دون أهل زمانه، وهم كـــبني إسرائيل صدّقوا بموسى حين لم يروه، وكذّبوا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) حين رأوه مع كونه أعظم.

---

(١) (روض الرياحين) : واسمه: (روض الرياحين في حكايات الصالحين) لعبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى: سنة ٧٦٨، ثمان وستين وسبعمائة جمع فيه: خمسمائة حكاية وقيل: سماه: (نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب والخواطر) وترجمه بالتركية: المولى: مصطفى بن شعبان المتخلص: بسروري المتوفى: سنة ٩٦٩، تسع وستين وتسعمائة ذكره العاشق في (الذيل) : أن له كتابا مسمى:
(بروض الرياحين) في المحاضرات.

- ومـــنهم: مـــن يصدِّق الأولياء، لكن لا يصدق بأحد معين، وهذا محروم من الإمداد، لأن من لا يسلم لأحد معين لا ينقطع بأحد أبداً. انتهى.

قلـــتُ: وحدث الآن بديار الروم طائفة تسمى " القاضي زاد لية " تثبت كـــرامة الأولـــياء، حـــال حياتهم، وتنكرها بعد مماتهم. وهؤلاء، وإن لم يبالغوا كالمعتزلة في الإنكار، فهم على شفا جُرُفٍ هار. قال العلامة ابن حجر: ومطالعة كـــتاب الصفوة يحصِّل العلم بوقوعها ضرورة. وقد رأينا من كراماتهم أحياءاً، و أمـــواتاً مـــا يوجب ذلك، فلا ينكرها إلاّ مخذول، فاسد الاعتقاد في أولياء الله، وخواص عباده، نفعنا الله بهم. انتهى

وقـــال العلاّمـــة الثاني " سعد الدين التفتازانى [(١)]" في شرح المقاصد، بعد كلام:

وبالجملـــة فظهـــور كامل كرامات الأولياء، تكاد تلحق بظهور معجزات الأنبياء، وإنكارها من أهل البدع ليس بعجيب، إذْ لم يشاهدوا ذلك في أنفسهم، ولم يـــسمعوا به من رؤسائهم، مع اجتهادهم في العبادات، واجتناب السيئات، فوقعـــوا في أولياء الله أهل الكرامات. يأكلون لحومهم، ويمزّقون أديمهم، جاهلين كـــون هـــذا الأمر مبنيا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة، واقتفاء الطريقة. بل العجـــب من قول بعض فقهاء أهل السنة. فيما يروى عن "إبراهيم بن أدهم"[(٢)]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (إبراهيم بن أدهم) ابن منصور بن يزيد بن جابر القدوة الإمام العارف سيد الزهاد أبو إسحق العجلي وقيل التميمي الخراساني البلخي نزيل الشام مولده في حدود المائة،حدث عن أبيه ومحمد بن زياد الجمحي صاحب أبي هريرة، وسليمان الأعمش. حدث عنه رفيقه سفيان الثوري وشقيق البلخي وبقية بن الوليد وضمرة بن ربيعة. قال البخاري: قال لي قتيبة: إبراهيم بن أدهم تميمي يروي عن منصور قال ويقال له العجلي. وقال ابن معين هو من بني. قال النسائي هو ثقة مأمون أحد الزهاد، وعن الفضل بن موسى قال حج والد إبراهيم بن أدهم وزوجته فولدت له إبراهيم بمكة وعن يونس البلخي قال كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف وكان أبوه كثير المال والخدم والمراكب والجنائب والبزاة فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه إذا هو بصوت من فوقه يا إبراهيم ما هذا =

أنه رئي بالبصرة، وبمكة يوم التروية أنه من اعتقد جوازه فقد كفر. والإنصاف ما قاله السبكي، وقد سُئل عمّا قيل أن الكعبة كانت تزور أحد الأولياء، فهل يجوز القول به ؟ فقال: خرق العادة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة انتهى.

قال اليافعي: الكعبة في مكانها، لا تفارقه، وأنه من وراء العقل طور آخر. انتهى.

ويقول الإمام السبكي: إنّي لأتعجب كل العجب من منكر الكرامة، ويزداد تعجّبي عنه لنسبته إنكارها للأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني[1]، وهو من أساطين أهل السنة والجماعة.

علـــى أن نسبة إنكارها إليه كذب، وإنما الذي ذكره الرجل في كُتُبِهِ،أنها لا تبلغ خرق العادة، حيث قال: ما كل معجزة لنبي لا يجوز مثله كرامة لولي، وإنما غايـــة الكرامات إجابة دعوة، أو شربة ماء في مفازة، أو دليل في منقطعة، أو ما يكافئ ذلك. انتهى .

=

العبث (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) (المؤمنون/ ١١٥) اتق الله عليك بالزاد ليوم الفاقة فنزل عن دابته ورفض الدنيا وفي رسالة القشيري قال هو من كورة بلخ من أبناء الملوك أثار ثعلبا أو أرنبا فهتف به هاتف ألهذا خلقت ؟ توفي رحمه الله سنة ١٦٢ هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨٧/٧ الترجمة رقم (١٤٢) المناوي: الكواكب الدرية: ١/ ١٤٢، أبو نعيم: حلية الأولياء ٣٦٧/٧ الرسالة ص٩،

(١) (أبو إسحاق الإسفراييني) : الإسفراييني: ركن الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن مهران البغدادي الشافعي يعرف الإسفراييني توفي سنة ٤١٨ ثمان عشرة وأربعمائة. صنف أدب الجدل. الجامع الحلي والحنفي في أصول الدين والرد على الملحدين. العقيدة شرح فروع ابن الحداد. معالم الإسلام. نور العين في مشهد الحسين. رسالة تنسب إليه " من وفيات الأعيان.انظر: هدية العارفين: ٤/١، كحالة: معجم المؤلفين: ٨٣/١، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٤/١، ابن العماد: شذرات الذهب: ٣/ ٢٠٩، ٢١٠، اليافعي: مرآة الجنان: ٣١/٣.

وجـــرى علـــى نحوه الإمام "الحليمي" [(١)]، ثم الأستاذ القشيري[(٢)]، فقال: الكـــرامة لا تبتغي إلى وجود ولد من غير أب، أو قلب جماد بهيمة[(٣)] قال الحافظ ابن حجر: وهذا اعتراك لما ذهب، وجرى على مقالة القشيري التاج السبكي في "جمع الجوامع ".

قال الزركشي[(٤)]: ليس الأمر كما قاله القشيري، وهو مذهب ضعيف،

---

(١) (الحليمي) هو: الحسين بن حسن بن محمد بن حليم المعروف بالحليمي الجرجاني الشافعي ولد سنة ٣٣٨ وتوفي سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمائة. له: منهاج الدين في شعب الإيمان.

انظر: البغدادي: هدية العارفين: ١٦٣/١.

(٢) (القشيري) : (٣٧٦ - ٤٦٥ هـ = ٩٨٦ - ١٠٧٢ م) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه. من كتبه " التيسير في التفسير " ويقال له " التفسير الكبير ومن تصانيفه أيضا: التيسير في التفسير، حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصلاح، الرسالة القشيرية في التصوف، الفصول في الأصول، وأربعون حديثا. الذهبي: سير النبلاء ١١: ١٩٨وفي التاج ٨: ١٩٩ ". الدرر الكامنة ١: ٤٠١ " أكرم بن هبة الله " ثم ٢: ٤٠١ " عبد الكريم ". وفوات الوفيات ٢: ٤. و " لطائف الاشارات - ط " ثلاثة أجزاء، في التفسير أيضا، و " الرسالة القشيرية - ط " انظر: الزركلي: الأعلام: ٤/ ٧٣، وكحالة: معجم المؤلفين ٦ / ٤.

(٣) (انظر الرسالة ص١٧٤) .

(٤) (الزركشي) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المصري الشافعي ولد سنة ٧٤٥. المتوفى سنة ٧٩٤ أربع وتسعين وسبعمائة. له من الكتاب أعلام الساجد بأحكام المساجد. البحر المحيط في الأصول. البرهان في علوم القرآن في مجلد كبير. تجلي الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. التذكرة. تشنيف المسامع بشرح جمع الجوامع في الفقه. التنقيح في شرح الجامع الصحيح للبخاري.. الديباج لشرح المنهاج للنووي في الفروع. سلاسل الذهب في الأصول. شرح تنبيه أبي إسحاق الشيرازي الذهب في الفروع. وغيرها كثير جدا.انظر: البغدادي: هدية العارفين:٥٤٣/١، كحالة:معجم المؤلفين: ١٢١/٩، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٣٩٧/٣، الزركلي: الأعلام: ٢٨٦/٦.

والجمهور على خلافه. وقد أنكروا عليه حتى ولده " أبو نصر "[(١)] في كتابه: " المرشد "، وإمام الحرمين[(٢)] في "الإرشاد ". وقال الإمام [(٣)] في شرح مسلم في "البر والصلة": إن الكرامات تجوز في خوارق العادات، على اختلاف أنواعها. ومنعه بعضهم، وادّعى أنها تختص بمثل إجابة دعوة ونحوه. وهذا غلط من قائله، وإنكاره للحق. بل الصواب جريانها بقلب الأعيان. وقال المحقق التفتازانى في " شرح المقاصد " بعد كلام:

قال إمام المحققين والمرضي عندنا: تجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات، وإنما تمتاز عن المعجزات بخلوّها عن دعوى النبوّة.نعم قد ورد بعض المعجزات نصّ على أن أحدا لا يأتي بمثله أصلاً ؛ كالقرآن، وهو الحكم بأن كل معجـــزة لنبي جاز أن تكون كرامة لولي، لأن الامتناع هنا يعارض. انتهى. ومثله الإســـراء والمعراج يقظة بالروح والجسد، وعلم الخمس الذي استأثر الله بعلمها، وكذلك الحكم بحقيقة الروح.

---

(١) ولده هو (أبو نصر) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، الشافعي الفقيه العالم له عدد من المؤلفات منها المرشد، وتفسير للقرآن، والموضح في فروع الفقه الشافعي.
انظر: كحالة: معجم المؤلفين: ٢٠٧/٥، ابن هداية: طبقات الشافعية: ٧٣،٧٤، البغدادي: هدية العارفين: ٥٥٩/١.

(٢) (إمام الحرمين) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ابن عبد الله ضياء الدين أبو المعالي الجويني الشافعي الشهير بإمام الحرمين ولد سنة ٤١٩ قدم بغداد ثم سافر وجاور في مكة والمدينة. ورجع إلى نيسابور يدرس العلم ويعظ إلى أن توفي بها سنة ٤٧٨ ثمان وسبعين وأربعمائة. من تصانيفه: الإرشاد في شرح لباب الفقه للمحاملي. عتاب الأمم. العقيدة الناظمية. غنية المسترشدين في الخلاف. غياث الأمم في الإمامة. غياث الخلق في إتباع اللاحق في التحريض على الأخذ بمذهب الشافعي. الغياثي. نهاية المطلب في دراية المذهب. ورقات في الأصول مشهور عليها شروح وغير ذلك.
انظر: كحالة: معجم المؤلفين: ١٨٤/٦، ابن العماد:شذرات الذهب:٣٨٥/٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١٢١/٥، البغدادي: هدية العارفين: ٦٢٦/١.

(٣) لعله يقصد: وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم.

تنبيـــــــــــه

ذكـــر العـــارف بـــالله تعـــالى الـــشيخ "عـــبد الوهاب الشعراني(١)" في كتابه "الجواهر والدرر"(٢): أن بعض مشايخه ذكر له أن الله تعالى يوكِّل بقبر الولي ملكـــا يقـــضي حوائج الناس، كما وقع للإمام "الشافعي "(٣) (رضي الله عنه) ،

---

(١) (الإمام الشعراني) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرقا بن موسى بن السلطان أحمد التلمساني الفقيه، المحدّث الصوفي، الشعراني أو الشعراوي، ينسب إلى قرية« أبي شعرة » من أعمال المنوفية ولد بها، ونشأ بها أيضاً. مات أبوه وهو صغير، وحفظ القرآن والحديث، ودرس النحو والفقه، وحفظ المتون، ثم أفاض الله عليه بإنعامه وإكرامه ونال الفتح الأكبر ﷺ وأرضاه وتوفى رحمه الله سنة ٩٧٣هـــ ترك عدداً كبيراً من المؤلفات في علوم القوم من أهمها: اليواقيت والجواهر،درر الغواص في فتاوي الخواص، الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر، الطبقات الكبرى، الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، الأنوار القدسية في بيان أسرار العبودية الميزان الكبرى، لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، انظر ترجمته في: البغدادي: هدية العارفين ٦٤/١، المناوي: الكواكب الدرية ٤/ ٦٩، الزركلي: الإعلام ٤/ ٣٣١ النبهاني: جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٣٨، النور السافر ٣/ ١٧٦ كحالة: معجم المؤلفين ٦/ ٢١٨، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الطبعة العربية بإشراف أ.د/ محمود فهمي حجازي ٨/ ٢٥٥. محمود خطاب السبكي: أعذب المسالك (المختصر) بتحقيقنا ص ٤٢ وأنظر الأصل المجلد الأول، فقد طبع أخيراً.

(٢) (الجواهر والدرر) للشيخ: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي المتوفى: سنة ٩٧٣، ثلاث وسبعين وتسعمائة أوله: (الحمد لله رب العالمين ... الخ) ذكر فيه: أنه التمس منه بعض الناس أن يذكر لهم ما تلقفه عن شيخه سيدي: علي الخواص مما فاوضه أو سمعه حال مجالسته له مدة عشر سنين فأجاب ووسم كل قول منه باسم شيء من الجواهر إشارة إلى عزة الجواب عنها ثم أشار عنه بالعبارة المألوفة بين العلماء وفرغ من جمعه: في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٤٢ هـــ.
انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٦١٨/١.

(٣) (الإمام الشافعي) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي، القرشي، المطلبي أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نُسبت الشافعية كافة. ولد ﷺ في غزه بفلسطين سنة ١٥٠ هـــ وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة. حُمل =

والسيدة نفيسة(١) (رضي الله عنها) ، وسيدي أحمد البدوي(٢) (رضي الله

إلى مكة وهو ابن سنتين وكان في ابتداء امره يطلب الشعر، وأيام العرب، والأدب ثم مال إلى الفقه فأخذ عن مسلم بن خالد الزنجي، والإمام مالك بن أنس، وطبقتهما، وقدم بغداد سنة ١٩٥هـ واجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه، وشاع ذكره وفضله، ثم خرج إلى مكة ثم عاد إلى بغداد سنة ١٩٨هـ ثم قصد مصر سنة ١٩٩هـ ولم يزل ناشراً بها العلم حتى مات ﷺ سنة ٢٠٤هـ وقبره معروف بها، ويزار إلى الآن.

كان يقول: ليس العلم ما حُفظ العلم ما نفع، ويقول: أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس، ويقول: لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضى كل الناس فلا سبيل إليه، فأخلص عملك ونيّتك لله، وقال: لا يعرف الرياء إلاّ المخلصون.

انظر ترجمته في: المناوي: الكواكب الدرية ١/٤٨٠، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٣٢٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/٢٥، ابن الجوزي صفة الصفوة ٢/١٤٠ الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام الشافعي، الديار بكري: تاريخ الخميس ٢/٢٣٥، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/٢٠١، الزركلي: الأعلام ٦/٢٦، أبو نعيم: حلية الأولياء ٩/٦٣ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/٩، الخطيب: تاريخ بغداد ٢/٥٦، ابن قنفد القسنطيني: كتاب الوفيات ص١٥٥، الشعراني: الطبقات الكبرى ١/٤٣.

(١) (السيدة نفيسة) رضي الله عنها:هي السيدة الحرة التقية النقية الطاهرة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عن الجميع صاحبة المشهد المعروف بالقاهرة، وكانت عالمة بالتفسير والحديث والفقه، ولدت بمكة المكرمة سنة ١٤٥هـ ونشأت بالمدينة المنورة، وتزوجت إسحاق بن جعفر الصادق، وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها سنة٢٠٨هـ ويروى ان الإمام الشافعي رضي الله عنه لما دخل مصر حضر إليها، وسمع الحديث عليها. ولما توفي أدخلت جنازته إليها وصلت عليه في دارها. انظر: ابن قنفد القسنطيني: كتاب الوفيات: ١٦٠، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢/٢١، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/٥٦، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات:٢/ ٣١٠.

(٢) السيد (أحمد البدوي) هو: أحمد بن علي بن ابراهيم بن محمد بن أبي بكر البدوي، الشريف، الحسيب النسيب، أصله من بني بري، قبيلة من عرب الشام، ثم سكن والده المغرب، فولد له صاحب الترجمة بفاس سنة ستّ وتسعين وخمسمائة، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وقرأ شيئا من الفقه الشافعي، وحجَّ أبوه به ومعه أخوته سنة تسع وستمائة، =

عنه) يعني: في إنقاذ الأسير الذي أسره الإفرنج. وتارة يخرج الولي من قبره بنفسه ويقـــضي حوائج الناس. لأن للأولياء الانطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم. انتهى.

أقول: تحقيق قوله: (وتارة يخرج الولي من قبره.....إلخ).

إن الذي عليه المحققون من الصوفية أن الأمر من عالم البرزخ والآخرة على خـــلاف عـــالم الدنـــيا، فينجح الإنسان في صورة واحدة. يعني في عالم الدنيا، المـــسمى بعالم الشهادة إلاّ الأولياء كما نقل عن "قضيب البان"[1]: أنه رُئي في

=

وأقاموا بمكة ومات بها أبوه سنة ٦٢٧هـــ، ودفن بالمعلي.عُرِفَ بالبدوي للزومه اللثام، لبس لثامين فلم يفارقهما وَلم يتزوج قط، واشتهر بالعطّاب لكثرة عطب من يؤذيه، ثم لزم الصمت، فحصل له جمعية على الحق، فاستغرق إلى الأبد، كان عظيم الفتوة ﷺ له كرامات كثيرة شهيرة (منها) : قصة المرأة التي أسر ولدها الإفرنج فلاذت به، فأحضره في قيوده.

(ومنها) : أنه قال لعبد الوهاب الشعراني، زرنا، ونطبخ لك ملوخية قال: فدخلت (طنطا) ، فكل من أضافني فيها عمل لي ملوخية وقال الشعراني: أردت التخلف عن موعده مرة، فرأيته بمصر، وبيده جريدة خضراء، وقال: أما تذهب؟ قلت: بي وجع! قال: الوجع لا يمنع المحب، ورسَّم على سبعين أسودين وقال: لا تفارقاه حتى يحضر... توفي ﷺ في مدينة طنطا بمصر سنة ٦٧٥هـــ.

انظر: المناوي: الكواكب الدرية ٦٢/٢، ابن العماد: شذرات الذهب: ٣٤٥/٥٠ السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ٣٩٩، الشعراني: الطبقات ١٥٨/١، النبهاني: جامع كرامات الأولياء ٣٠٩/١، الزركلي: الأعلام ٧٠/١، كحالة: معجم المؤلفين ٣١٤/١.

(١) (قضيب البان) :هو الحسين بن عيسى بن يحيى الحسني المعروف بقضيب البان الصوفي الشهير، كان من أهل الموصل صحب القطب عبد القادر الجيلاني وهو أحد أعيان الأولياء المشهورين، له المعارف الجليلة والحقائق السامية واليد البيضاء في علوم أحوال الطريق، والتصريف النافذ، والقدم الراسخ في مقامات التمكين، وهو أحد من أوقع الله له القبول في القلوب، والهيبة في النفوس (رضي الله تعالى عنه) كان يقول: اعلم أن التطلع لعالم النهايات لا يصح إلا بتحقيق البدايات، وكان يقول: التحقيق: امتزاج الأسرار بالأنفاس مع الحضور في استشعار ما ترجع به النفس من لطائف الموائد، =

صور مختلفة ومن ذلك أن روحانيتهم غلبت جسمانيتهم، فجاز أن تظهر في صور كثيرة.

وحُمِـــل عليه قوله (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر (رضي الله عنه) ، لمّا قال وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : نعم وأرجـــو أن تكون منهم[1]. وقال: كانت كُلية كروح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ربما تظهر في سبعين ألف صورة. ذكره المحقق ابن أبي جمرة[2]، وقد أجاز لأرواح الأولياء عدم الإنحجاز في صورة واحدة، في عالم الدنيا. فترى في صورة مخـــتلفة لغلـــبة روحانيتهم جثمانيتهم، فأحرى أن لا تنحجز أرواحهم في صورة

=

وحقائق المواجد وهو الذي تخرج أنفاسه بالله تعالى وترجع بالله تعالى. توفي رحمه الله سنة ٥٧٤هـــ .

انظر: الشطنوفي: بهجة الأسرار ومعدن النوار في بعض مناقب سيدي عبد القادر الجيلاني: ٤٣٠.

(١) والحديث ذكره أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان فقال أبو بكر والله يا رسول الله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال نعم وإني أرجو أن تكون منهم) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر: مسند احمد بن حنبل: ٢/ ٢٦٨/ ٧٦٢١ والزهد لابن المبارك: ١/ ٤٦٧، وفتح الباري: ٧/ ٢٩.

(٢) (ابن أبي جمرة) هو العارف القدوة: عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأندلسي المالكي المتوفى سنة ٦٧٥ هـــ، خمس وسبعين وستمائة، وهو على ما اختصره من البخاري وهو نحو ثلاثمائة حديث وسماه: (بهجة النفوس وغايتها بمعرفة ما لها وما عليها) وهي شرح لجمع النهاية في بدء الخير وغاية الغاية في الحديث. ومن تصانيفه أيضا: تفسير القرآن. شرح حديث الإسراء. شرح حديث الإفك. وغير ذلك. انظر: البغدادي: هدية العارفين: ١/ ٢٤٠، وكحالة: معجم المؤلفين: ٦/ ٥٧.

واحدة في عالم البرزخ الذى الروح فيه أغلب على الجثمانية[١]

وقالـــوا أيـــضا: الـــولي، إذا تحقق في الولاية ممكن من التصور في صورة عديـــدة، ويظهـــر روحانيـــته في وقت واحد في جهات معدودة، فالصورة التي ظهرت لمن رآها حق والصورة التي رآها آخر في مكان آخر في ذلك الوقت حق ولا يلزم من ذلك وجود شخص في مكانين، في وقت واحد. لأن فيما هنا تعدد الصور لروحانيتهم لا على الجثمانية، فإذا جاز للروح أن تُرى في صور عديدة في عـــالم الـــبرزخ، الذى الغلبة فيه للأرواح على الأجسام، ويقوّى ذلك ما قيل في السُّنَّة.

وصـــحّ أن الـــنبي (صلى الله عليه وسلم) رأى موسى (عليه السلام) قائماً يُصلى في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء تلك الليلة[٢].

وقد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين الأجساد والأرواح سموه عالم المثال، وقالـــوا هـــو ألطف من عالم الأجساد وآكد من عالم الأرواح، وبنوا على ذلك تجـــسد الأرواح وظهورها في صدور مختلفة من عالم المثال. وقد يُستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [٣].

فـــتكون الروح كروح جبريل مثلاً في وقت واحد مدبرة كنسخة الأصلي، ولهـــذا أُبيح المثالي. فإذا جاز تجسّد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من العالم المـــثالي في عالم الدنيا، ففي عالم البرزخ أولى. وعلى هذا فالذي يخرج من العين الـــشبح المـــثالي. هذا تحقيق المقام وليس ورا / دان مقام هذا نظره. وقد ذكره الـــشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقاته في ترجمة القطب سيدي " شمس الدين

---

(١) انظر ما قيل في هوامش هذا الكتاب حول أرواح الأولياء والأنبياء والشهداء والصديقين، وغير هذا.وكيفية دخول الروح وحريتها وحركتها. إلخ ..

(٢) انظر: هذا الحديث المشهور جدا وهو حديث ليلة الإسراء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما من كتب الحديث.

(٣) انظر الآية رقم (١٧) من سورة مريم ونصها: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾ مريم١٧.

محمد الحنفي "[1] أنه قال في مرض موته:

مـــن كان له حاجة فليأت إلى قبرى ويطلب حاجته أقضها، فأنا ليس بيني وبينه غير ذراع من تراب، وكل رجل حَجَبَه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل.

قـــال بعض الفضلاء: عُلِمَ من كونه قال ما ذُكر في مرض موته أن ما قاله قـــبل ذلك، ونقله عنه أيضا الشيخ عبد الوهاب الشعراني من أن الولي إذا مات انقطع تصرّفه في الإمداد، وإن حصل مدد للزم بعد الموت، أو قضاء حاجته، فهو مـــن الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت، يُعطَى الزائر من المدد على قدر مقـــام المزور محمول على أنه قال قبل أن يُعْلِمَه الله بإلهام أن الولي يتصرف بعد الموت، وبهذا حصل التوفيق بين كلاميه.

خـــاتمـــة

في جملة الكرامات

من جملة الكرامات:

إخـــبار عـــن بعـــض المغيبات، والكشف. وهو درجات يخرج عن حدّ

---

(١) القطب شمس الدين محمد الحنفي: هو محمد بن حسن بن علي التيمي البكري الشاذلي (شمس الدين، الحنفي) كان من أجلاء مشايخ مصر، وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والفعال الفاخرة والأحوال الخارقة، والمقامات السنية، والهمم العلية، ترقى في معارج المعارف وتعالى في مراقي الحقائق وكان له الباع الطويل في التصريف النافذ واليد البيضاء في أحكام الولاية.انتمى إليه خلق كثير من الصلحاء والأولياء واعترفوا بفضله وأقروا بمكانته وتتلمذ على يديه عدد كبير، توفي رضي الله عنه سنة سبع وأربعين وثمانمائة، وافردوا له ترجمة في كثير من كتب الطبقات.

انظر: الطبقات الكبرى: عبد الوهاب الشعراني: ٨١/٢، المناوي: الكواكب الدرية: ٣/ ١٦٦.

السخاوي: التبر المسلوك في ذيل الملوك ترجم له فيمن مات سنة٨٧٤هـ.الزركلي: الأعلام:٨٨/٦ كحالة: معجم المؤلفين: ٢٠١/٩، سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة ٤٤/١، النبهاني ١٥٧/١.

الحصر، وذلك موجود إلاَّ أنه بكثرة، ولا يعارضه قوله تعالى:

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن/٢٦، ٢٧).

لأنا لا نعلم عموم الغيب فيجوز أن يختص بحال القيامة بقرينة السياق، أو المراد سلب العمود نحو لم يقم كل إنسان، لا عموم السلب نحو كل إنسان لم يقم، ولا يعارضه أيضا قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (النمل/٦٥).

ووجـــه عدم المعارضة أن علم الأولياء إنما هو بإعلام من الله لهم، وعلمنا بـــذلك إنمـــا هو بإعلامهم لنا، وهذا غير علم الله الذي تفرد به، وهو صفة من صـــفاته القديمة الأزلية الدائمة المنـــزهة عن التغيير، وسمات الحدوث، والنقص، والمـــشاركة، والانقـــسام، بـــل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كليَّاتها، وجـــزئيَّاتها. كان وما يكون، أو ما جاز أن يكون، وليس بضروري ولا كسبي، ولا حـــادث بخلاف علم سائر الخلق، فعلم الله الذي تمدح به، وأخبر في الآيتين المذكورتين ؛ أنه لا يشاركه فيه أحد، ولا يعلم الغيب إلاّ هو، ومن سواه إن علم جزئيات منه، فبإعلام الله وإطلاعه لهم، وحينئذ لا يطلق أنهم يعلمون الغيب، إذ لاصفة لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه، وأيضا هم ما علموا وانما أُعلموا، وأيـــضا هم ما علموا غيبا مطلقا لأن من أعلم بشيء منه تشاركه فيه الملائكة أو نظـــر اوهـــم ممن اطلع، ثم إعلام ذلك لأوليائه ببعض المغيبات لا تستلزم محالا بوجه، فإنكار وقوعه عناد.

ومـــن البداهة أنه لا يؤدى إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم، الذي تمدّح به واتصف به للأزل، وفيما لا يزال، وإذا كان لذلك فلا يدع في أن الله تعالى يطلع بعض أوليائه على بعض المغيبات، فإنه ذلك أمر ممكن جائز عقلا وشـــرعا، وواقـــع نقـــلا عن جمهور أهل السنة والجماعة في الفقهاء، والمحدثين والأصوليين، فإنهم نصوا على ثبوت كرامات الأولياء، وإنها جائزة وواقعة بجميع أنواع خوارق العادات، لا فارق بينها وبين المعجزات إلاّ التحدي ودعوى النبوة.

فمن الإخبار بالمغيبات إخبار الصديق (رضي الله تعالى عنه) في مرض موته بـولد يولد هو أنثى. إذا تقرر هذا فما وقع في الفتاوى البزازية من قوله: علماؤنا مـن قال أرواح المشايخ حاضرة تعلم. انتهى. يعني: تعلم الغيب بقرينة السياق، وهـو مـشكل، إذ لا يكفـر بمجـرد هـذا القول مع احتمال التأويل لما في (التاتـرخانية) [١] لا يكفر بالمحتمل، لأنه الكفر نهاية في الكوية فيستدعى نهاية في الحفاية، ومع الاحتمال لا نهاية انتهى .

وفى " شـرح الهدايـة " [٢] للمحقـق كمـال الـدين بـن

---

(١) (التتارخانية) أو (تاتار خانية في الفتاوى) ، للإمام الفقيه: عالم بن علاء الحنفي.وهو كتاب عظيم في مجلدات.

جمع فيه: (مسائل المحيط البرهاني) و (الذخيرة) و (الخانية) و (الظهيرية (وجعل الميم: علامة (للمحيط (وذكر اسم الباقي وقدم بابا في ذكر العلم.ثم رتب: على (أبواب الهداية) وذكر أنه: أشار إلى جمعه الخان الأعظم: تاتار خان ولم يسم ولذلك اشتهر به، وقيل: إنه سماه: (زاد المسافر (ثم إن الإمام: إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى: سنة ست وخمسين وتسعمائة لخصه في مجلد وانتخب منه: ما هو غريب أو كثير الوقوع وليس في الكتب المتداولة والتزم بتصريح أسامي الكتب وقال: متى أطلق الخلاصة فالمراد بها (شرح التهذيب) وأما المشهورة فتقيد: بالفتاوي.

انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون: ١/ ٢٦٨ .

(٢) (شرح الهداية) : والهداية كتاب في الفروع تأليف برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفي سنة ٥٩٣هـ وهو نفسه شرح له على متن سماه بداية المبتدي) قيل إنه بقي في تصنيف الهداية ثلاث عشرة سنة، ثم شرح عشرات المرات ونال شهرة واسعة. روي أن صاحب (الهداية) بقي في تصنيف الكتاب ثلاث عشرة سنة، وكان صائما وكان في تلك المدة لا يفطر أصلا وكان يجتهد أن لا يطلع على صومه أحد فكان ببركة زهده وورعه كتابه مقبولا بين العلماء، وهو الذي قيل في شأنه:

إن (الهداية) كالقرآن قد نسـخت... ما صنفوا قبلها في الشرع من كتب

فاحفظ قواعدها واسلك مسالكها... يسلم مقـالك من زيغ ومن كـذب

منها: شرح (الهداية: (الشيخ الإمام كمال الدين: محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف: بابن همام الحنفي المتوفى: سنة ٨٦١، إحدى وستين وثمانمائة إلى كتاب: الوكالة في: مجلدين، وساه: (فتح القدير للعاجز الفقير) أوله: (الحمد لله رب العالمين =

الهمـــام[1] بعـــد سرد كثير من ألفاظ التكفير والذي تحرم أنه يغني بتفكير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة. وهـــو مأخوذ من"الخلاصة"[2] وغيرها. إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير، ووجـــه واحد لا يوجبه، فعلى المفتي أن يميل لعدم التكفير. انتهى قال في النهر[3]:

=

على ما ألهم...) ابتدأ ه: سنة ٨٢٩، تسع وعشرين وثمانمائة عند الشروع في إقرائه بعد قراءته: تسع عشر سنة على وجه الإتقان والتحقيق على الشيخ الإمام سراج الدين: عمر بن علي الكتاني المعروف: بقارئ الهداية المتوفى: سنة ٧٧٣ صاحب تعليقة: على (الهداية) ثم أكمله: المولى شمس الدين: أحمد بن قورد المعروف: بقاضي زاده المفتي المتوفى: سنة ٩٨٨، ثمان وثمانين وتسعمائة إلى آخر الكتاب، وسماه: (نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار) .انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/٢٠٢٢.

(١) (كمال الدين بن الهمام) : محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم السكندري كمال الدين الحنفي المعروف بابن الهمام. ولد سنة ٧٩٠ وتوفي سنة ٨٦١ إحدى وستين وثمانمائة. من مصنفاته تحرير الأصول. زاد الفقير في الفروع. شرح بديع النظام لابن الساعاتي في الفروع. شرح حديث كلمتان خفيفتان. فتح القدير للعاجز الفقير من شروح الهداية للمرغيناني في الفروع مجلدات مطبوع بالهند. فواتح الأفكار في شح لمعات الأنوار مقدمة التسريح. المسايرة في العقائد. المنجية في الآخرة وغير ذلك. انظر: البغدادي: هدية العارفين: ٢/ ٢٠١، كحالة: معجم المؤلفين:١٠/ ٢٦٤، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٩٨/٧، الزركلي: الأعلام: ١٣٤/٧، السخاوي: الضوء اللامع: ١٢٧/٨.

(٢) (الخلاصة) وهو حاشية على شرح ابن الشحنة لهداية الذي سماه: (توجيه العناية لجمع شروح الهداية) و (الخلاصة) حاشية عليه) :للقاضي علاء الدين: محمود بن عبد الله بن صاعد الحارثي المروري، المتوفى: سنة ٦٠٦ هـــ) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون: ٢/٢٠٢٢.

(٣) (النهر) : لعله كتاب النهر الماد من البحر وهو تفسير للقرآن: لأبي حيان: محمد بن يوسف الأندلسي أوله: (بحمدك اللهم أستفتح وبنورك أستوضح... الخ) ذكر فيه: أنه لما كان البحر طويلا اختصره منه فقال: وربما نشأ في هذا البحر ما لم يكن في البحر وذلك لتجدد نظر المستخرج للآلية ونكبت فيه: عما ذكرناه في البحر من أقوال اضطربت بها لججه وإعراب متكلف تقاصرت عنه حججه.انظر: حاجي خليفة: كشف

=

غـــير أنه يراد بالوجوه الأقوال أو الاحتمالات، لكن يؤيد الأول ما في الصغرى: الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافرا متى وجدت رواية أنه لا يكفر. انتهى أول هـــذا الاقتضاء أن يراد بالوجوه في كلام " الخلاصة ": الأقوال فقط، بل الوجوه في كـــلام مستعمله في كل منهما أخذ من قول ابن الهمام: أمكن حمل كلامه على محمل أحسن، أو كان في كفره اختلاف. وفي جامع الفصولين[1]:

روى الطحـــاوى عن أصحابنا: لا يخرج الرجل عن الإيمان إلاّ بجحود ما أدخلـــه فـــيه ثم ما يتبين أنه ردة يحكم بها، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها، إذ الإسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الإسلام يعلو فينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يـــبادر بـــتكفير أهل الإسلام مع أن يقتضي بصحة إسلام المُكره.ثم قال: قدمت هذه المقدمة لتصير ميزانا فيما نقلته في هذه الفِصَل من المسائل. فإنه قد ذُكر في بعضها أنه يكفر مع أنه على قيام هذه المقدمة، فالسائل نعم من اعتقد أنه يعلم جميع ما استأثر الله بعلمه فهو كافر لا محالة، وقد وردت النصوص المتضافرة

=

الظنون: ٢/١٩٩٤.

(١) (جامع الفصولين) جامع الفصولين في الفروع في مجلد للشيخ بدر الدين: محمود بن إسرائيل الشهير: بابن قاضي سماونه الحنفي المتوفى: سنة ٨٢٣، ثلاث وعشرين وثمانمائة وهو كتاب مشهور متداول في أيدي الحكام والمفتين لكونه في المعاملات خاصة. جمع فيه بين فصول العمادي وفصول الأسر وشني وأحاط وأجاد. أوله: (الحمد لله الذي علا شأن الشريعة.. الخ) ذكر فيه أنه جمع بينهما ولم يترك شيئا من مسائلهما عمدا إلا ما تكرر منها وترك فرائض العمادي لغنى عنه بالسراجي يعني: الفرائض لسراج الدين السجاوندي وأوجز عبارتهما وضم إليهما ما تيسر له من الخلاصة والكافي ولطائف الإشارات وغيرها وأثبت ما سنح له من النكت والفوائد وجعله أربعين فصلا فصار حجمه قريبا من ربع حجمهما وحصل به الغنية عن الأصلين، وذكر أنه شرع في تأليفه: في جمادى الأولى من شهور سنة ٨١٣، ثلاث عشرة وثمانمائة وختمه في ٢٨ صفر سنة ٨١٤، أربع عشرة وثمانمائة وله فيه أسئلة واعتراضات على الفقهاء أجاب عنها صاحب مشتمل الأحكام كما ذكره في أول تأليفه المسمى (بفرائد اللآلي). انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون: ١/٥٦٦.

الدالة على علم الموتى وسؤالهم في القبر، ونعيمهم، وعذابهم، وتزاورهم، وندب زيارتهم والسلام عليهم، وخطابهم خطاب الحاضرين العاقلين،وعلمهم أحوال أهل الدنـــيا وأنهم يسرون ببعضها، وأنه يؤذيهم ما يؤذى الحيّ، وغير ذلك مما يطول ذكره ولا يمكن استقصاؤه.

نهـــاية الـــرسالة

وفى هذا القدر كفاية لمن أذعن وسلم، والله بأحوال

أوليائه أعلم، قدم هذه المحلة من العدم إلى

الوجود، بعون الله المحمود بعد أن

انتقلت أطوارها في سمية الأقطار

وتكامل ميلادها في مطارح

الأفكار، وذلك من نسخة

المؤلف الذي ألفها

آمين.

رسالة في دوران الصوفية

تأليف

علي بن محمد الميلي الجمالي التونسي

المتوفى ١٢٤٨هـ

المؤلف

لعلـــه: علي بن محمد الميلي الجمالي التونسي المغربي المالكي الجمال من قـــرى ســـاحل تونس سكن مصر، وتوفي بها سنة ١٢٤٨ ثمان وأربعين ومائتين وألف.

ترك عددا من المصنفات الهامة، هي:

١- تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب.

٢- الحـــسام الـــسمهري بقطـــع جيد الكاذب المفتري فيما نسبه للأشعري.

٣- رسالة في اشرط الساعة.

٤- رسالة في علامات الساعة الصغرى.

٥- السيوف المشرقية لقطع أعناق القائلين بالجهة والجسمية.

٦- الصمصام الفاتك بالقادح في مذهب الإمام مالك.

٧- الصوارم والأسنة في الاعتراض على سيدي احمد التجاني.

٨- العجالة القول المبسوط في اجتماع البيع والشروط.

٩- كـــتاب الـــشمس والقمـــر والنجوم الدراري في إثبات القدر والكسب والاستطاعة والجزء الاختياري.

١٠- الكـــواكب الدريـــة والأنوار الشمسية في إثبات الصفات السنية القائمة بالذات الأزلية في الرد على من رد على أهل السنة في مجلد .

مصادر ترجمته:

١- انظر ترجمته في: البغدادي: هداية العارفين: ١/٧٧٤.

٢- وكحالة: معجم المؤلفين ٧/٢٣٥.

٣- فهرست الخديوية: ١/١٣٧، ٢/٣٩، ٤/١٠٩.

٤- الـــبغدادي: إيضاح المكنون ١/٢٣٧، ٢/٣٧، ٥٦ ن ٧١، ٣٩١.

٥- وفهرس الأزهرية: ٦/٢٠١ .

الحمد لله الملك المنان، العزيز المقتدر الديان، الذي فضلنا بالعرفان بمعرفة نور كتاب
القرآن، والصلاة على نبيه بالإحسان، وعلى خلفائه في كل حين وزمان ما حركت الرسالة
بالجنان في حقيقة بالبال والإيمان، [illegible] على دفع فساد أهل الطغيان
معترفا بالقصور والنقصان، لا متفوقا بالفضل والعرفان، ورجاء حصول الحسن أهل الإيمان
ولا تجعلني من زمرة الشيطان، واحشر في يوم الميزان في زمرة العارفين بنور القرآن
اعلم يا إخوان الناس كانوا متحيرين بتقول أهل الفضول والفساد ومترددين بأقاويل
أهل التكبر الجاهلين الذين لا يعرفون [illegible] فلزم علينا بيان الحق بالبرهان
بنص الصريح والبيان حتى زال الشك من قلوب أهل الإيمان وعلى الخصوص في ذلك الزمان
فأكثر الناس مفتونون بفتنة جهال الزمان الذين يقولون من قول خير البرية وإيمانهم
لا يجاوز حناجرهم فهم يمرقون عن الدين كما يمرق السهم من الرمية والعياذ بالله
من زمرة الشيطان ومن حزب المعاندين بأن دوران الصوفية في مجالس الذكر لعب
حرام وفعل شنيع لزم على الإمام منعهم وقال الفقيه المشهور [illegible] في كتابه المسمى
بجامع الفتاوى دوران الصوفية حرام والحاضرة معهم حرام ومستحل الحرام كافر
وقال البزدوي دوران الصوفية [illegible] بنص صريح استدلالا بقول نبينا عليه السلام
من تشبه بقوم فهو منهم ويقولون أن دورانهم لعب واللعب حرام بالإجماع وقالوا
بل دورانهم رقص [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأولى من مخطوط دوران الصوفية

دليلا لنا لانه خارج من المذاهب الاربع فانه خارج من طبقات المجتهدين
والمقلدين وتلخيص الكلام لا دليل على حرمة الدوران كنقل القرآن والحديث
وكذا الكلام في حرمته من امام الاعظم مع ان الشافعي جوزه فالتشنيع
جائز في بعض العبادات فانا نتشنع في الذكر الجهري كما نتشنع في صلوة الجنازة
الغائبة وقال صاحب الكواشي في تفسيره وصاحب المدارك في قوله
اذكروا الله ذكرا كثيرا في سورة الاحزاب اي باهوا الرحمن بالتهليل
والتكبير والتقديس قياما وقعودا وعلى جنوبهم مرضى واصحا ليلا ونهارا
سرا وجهارا برا وبحرا سكونا وحركة وعلى كل حال الا بالاذكار كما قال امام النسفي
في تفسيره وامام الواحدي في تفسير الوسيط الذكر من جملة الفرائض
واعلان الفرائض اولى واجب دفعا للتهمة كما صرح البيضاوي وعلامة
الزمخشري في تفسيره رأيت بان الاخفاء في النوافل اولى والاعلان
في الفرائض اولى واجب اذ فيه اقتداء الناس وازالة غفلتهم وايقاع
الذكر في قلوبهم فهذه التفاسير جواب لمن طعن الذكر الجهري بل توبيخ له
وقد اشار النبي عليه السلام الى اعلانه واكثاره واجهاره والتواجد
في قوله بان يقال اذكروا الله ذكرا كثيرا حتى يقول المنافقون انكم مراؤن
رواه انس في صحاح البخاري وفي رواية اكثروا ذكر لا اله الا الله
حتى يقولوا مجنون رواه ابو سعيد الخدري [illegible]
من زمرة الموحدين ولا يجعلنا من حزب المعاندين بحرمة سيد الطائفة

هذه الرسالة الشريفة التي الفها مفتي الانام الشهير بعلي الجمالي
رحم عليه ذو الجلال والجمال في حق دوران الصوفية باجوبة قطعية

الصفحة الأخيرة من مخطوط دوران الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله المنّان، العزيز المقتدر الديان، الذي فضّلنا بالعرفان، نور كتاب القـــرآن. والـــصلاة على نبيّه بالإحسان، وعلى خلفائه في كل حين وزمان، لما حـــرّرت الرسالة بالجنان، في صحيفة بال بالإيقان، فحاولت تسو يدها للعرفان، لدفع عناد أهل الطغيان، معترفا بالقصور والنقصان، لا مفتخرا بالفضل والعرفان، ربِّ اجعلـــني مـــن أهل الإيمان، ولا تجعلني من ورثة الشيطان، واحشرني يوم الميزان، في زمرة العارفين بنور القرآن.

اعلم يا أخي أن الناس كانوا متحرّين بتقوّل أهل الفضول والعناد، ومترددين بإنكار أهل الفساد المتكبّرين الجاهلين، الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم، فلزم علينا بيان الحق بالبرهان بنص الصريح والبيان، حتى زال الشّك عن قلوب أهل الإيمان، وعلى الخصوص في ذلك الزمان، فأكثر الناس مفتونون بفتنة جهّل الزمان، الذين يقولون من قول خير البرية، وإيمانهم لا يجاوز حناجرهم.

فهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، والعياذ بالله من زمرة الشيطان، ومن أحزاب المعاندين من أشرار الإنسان، فأمّا قول صاحب "البزازية" غرض حسن:

بـــأن دوران الصوفية في مجالس الذكر لعب وحرام، وفعل شنيع لزم على الإمام منعهم.

وقـــال الفقيه الشهير بـــ" قوق " أمير أمره في كتابه المسمى: بـــ""جامع الفتاوى"": دوران الصوفية حرام، والمحاضرة معهم حرام، ومستحل الحرام كافر.

قوله: " ومستحل الحرام كافر".

فـــيه غرض ظاهر. لأن مستحل الحرام لا يكون كافراً، إلاّ إذا كان الحرام قطعـــيًا، ثابتاً بدليل قطعي لا بأمر اجتهادي. والدوران ليس كذلك، لأن التشبه المذكور مفقود في ذلك لغة وعُرْفاً، وعقلاً وشرعاً، لاسيما أن الحديث المذكور، علـــى ما ذكره الإمام السخاوي في " المقاصد " ضعيف سنداً، فلا يقوم حجّة. ولاسيما أن الأمور الكثيرة خارجة من حكم ذلك ؛ كتزيّن المسلمين في الأعياد، واجـــتماعهم في مجالس العظات، واعتبارهم في التوفيقات السنوية والأسبوعية،

وغـــير ذلك من الأمور التي كان في الكفرة مثل ذلك، ولهذا قالوا: الحديث ورد في التـــشبه بالـــصلحاء لاغير، فيحمل على مورده، ولا يتجاوز إلى غيره. وقال البرذوي:

دوران الـــصوفية فعل قبيح، وحرمته صحيح، بنص صريح، استناداً بقول نبيّنا (عليه السلام) : (من تشبّه بقوم فهو منهم)

ويقولون: إن دورانهم لعب. واللعب حرام بالإجماع.

وقالوا: إن دورانهم رقص أحدثه السامري، عليه ما يستحق أولاً.

فظاهر أنه فعل الكفرة والمشركين. ففي رقص الصوفية تشبّه لهم بفعلهم، فعـــل المنكـــر الشنيع.الظاهر: أنه ليس لعبيّة عند أهل التصوف. وسندهم قول صـــاحب الكـــشاف: من يذكر محبة الله ويفّق بيده مع ذكرها، ويطرب، وينعر، ويـــصفق، فلا تشك في أنه ما يحب الله، وما يدرى ما محبة الله، وما تصفيقه إلاّ لأنـــه تـــصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة، معشوقة فسمّاها "الله" بجهله (وغباوته) ثم صفّق، وطرب، ونعر، وصفق على قصورها، وربما رأيت المنى قد ملأ إزار ذلك المحب من صعقته وقد ملأوا أردافهم بالدموع لما دفعهم من حاله.

وقول صاحب الكشاف أيضاً: إن الذكر الجهرى حرام، ممنوع في القرآن، في سورة " طه ": ((وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرَّ وأخفى)) . الآية

قلت مجيبا لهم بأجوبة قاطعة: إن قول صاحب البزازية، في حرمة الدوران، لـــيس بثابت ، لأنه إن قال: " إنه لعب " فلا نُسَلّم كونه لَعِباً ؛ لأن الذكر ليس بلعب. وكذا الذاكرين ليسوا بلاعبين.فالذكر من أفضل العبادات، والذاكرين من أفضل العابدين.

دلّ علـــى فضيلة الذكر في العبادات قوله تعالى: " **اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة" إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون" [العنكبوت: ٤٥].**

ودل علـــى أفضلية الذاكرين، في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : «ذاكر الله حبيب الرحمن».

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : «ذاكر الله في الغافلين كالحي بين الأموات».

وقال (صلى الله عليه وسلم) : «ذاكر الله في الغافلين ؛ كالشجرة الخضراء وسط الهشيم» فأحاديث نبينا، ونبي الثقلين (صلى الله عليه وسلم) ناطقة في فضيلة الذكر والذاكرين، فجاحده كافر والعياذ بالله أن أكون من الجاهلين، فحرمته ليس بثابت، لا بالقرآن ولا بالحديث.فدليلنا هذا على منع كونه لعبا، ولئن سلمنا أن دوران الصوفية لعب، لكن لا نسلم أنه حرام، لأنه لعب حلال.

كما أشار الله تعالى بقوله: " **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون.**" الآية.

فاللعب بالمباح مباح (كما أن اللعب بالجبّة، والعمامة، والثوب مباح في نفسه، والدوران والحركة بهذا المباح مباح) فهذا اللعب من قبيل المباحات.

وأمّا قول صاحب الفتوى: " ومستحل الحرام كافر " فجهل محض، وخطأ فاحش. لأن الإمام الشافعي (رحمه الله) مستحلّه. فلزم من تنكّر مستحلّه تكفير الإمام من المجتهدين، فلزم على تكفير المجتهد القتل، والرجم في شريعتنا، إن لم يتب.

وأمّا قول صاحب البزدوي: " وحرمته صحيح بنصٌ صريح " فليس بثابت. لأن الحديث: (من كان يلبس المسح، ويشدّ الزنّار، ويعبد الأصنام).

فظاهر أن ذاكرين الله بالحركة والدوران ليسوا مشبهين نفوسهم إلى المشركين الباطلين، بل هم كانوا مشبهين نفوسهم إلى طواف الحجّاج، وإلى الملائكة المسبّحين في الدوران حول العرش. فمذهبنا معلوم يُحمَلُ على الصلاح. كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : «حمل المؤمن على الصلاح».

فمن شبّه دوران الصوفية على رقص المشركين فإنه زور وبهتان لهم بسوء الظن، وسوء الظن كفر عندنا.وأمّا قولهم: " رقصُ أحدثه السّامري " فلا نسلم أن الدوران يكون رقصا، فإطلاق الرقص لا يصح عليه لا من حيث الشرع، ولا

من حيث اللغة.

- أمَّــا الشرع: فرقص السّامري للتعبد إلى العجل شركاً بالله تعالى مدّعيا بألوهية العجل فظاهر أن الصوفية موحِّدون لله تعالى، عابدون له بالدوران.

- وأمَّا من حيث اللغة: فالرقص هو اللعب بالطبل والمزمار، في مجلس القوم مجتمعا بالنساء. ومعلوم أن الدوران ليس من هذا القبيل.

ولئن سلّمنا أنّه رقص، لكن لا نسلم كونه من جنس الحرام. لأن قوما من الحــبش جــاءوا في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى بابه يرقصون بالدُّف والمــزمار، فــسمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال لعائشة (رضي الله عنها): «أتحبّين يا حُميراء أن تنظري إلى زفة الحبش ؟

قالت: نعم.

فأمسك يدها بيده، ففتح الباب فنظرت تحت إبطه إلى زفة الحبش».

فالرقص مباح في أهل السرور، في حال سرورهم، كما أن الطبل مباح في طــريق الحج، والغزوة، والعيد، وفي سرور المسلمين مباح هيبة للقُطّاع، وصلابة للمشركين، ورغماً للمنافقين. فعلى هذا الرقص مباح عندنا.

ودليل المسلمين الموحّدين الأصوليين:

أن أهــل القبلة لا يُكفّر، فتكفير أهل القبلة كُفر. فهذه قاعدة حقيقية في الكــتب المعتبرة كــ" المنار "، و" المغني " وجوابنا جواب المنصفين من أهل الحق.

ويقــال: إن صــاحب " البــزازية" ليس من المجتهدين، ولا من طبقات المقلــدين، وكــذا صــاحب " البزدوية " فإنه من الذين لا يعلمون يمينهم من يسارهم.

وأمّا صاحب " جامع الفتوى " فإنه جاء في محضر السلطان " مُراد خان " بمدينة " أدرنه " فحرّره كتابة.

وأمَّـــا صاحب " الكشّاف " فهو معتزلي المذهب، فكلامه لا يكون دليلا لـــنا؛ لأنـــه خـــارج عـــن المذاهب الأربعة، فهو خارج عن طبقات المجتهدين والمقلدين.

وتلخيص الكلام: لا دليل في حُرمة الدوران كنص القرآن والحديث، وكذا الكلام في حُرمته من إمام أعظم مع أن الشافعي جوَّزه.

فالشفع جائز في بعض العبادات، فإنّا نتشفع في الذكر،كما نتشفع في صلاة الجنازة الغائبة.

وقـــال صاحب " الكواشي " في تفسيره، وصاحب " المدارك " في قوله تعالى: " **اذكروا الله ذكرا كثيرا** " في سورة الأحزاب.

أي: بمـــا هـــو أهله من التهليل، والتكبير، والتقديس قياما وقعودا وعلى جـــنوبهم، مرضى وأصحّاء، ليلا ونهارا، سرّا وجهرا، برًّا وبحرا، سكونا وحركة، وعلى كل حال إلاّ بإنزال المني.

قال " عمر النسفي " في تفسيره، والإمام الواحدي في تفسير الوسيط" ":

الذكـــر من جملة الفرائض، وإعلان الفرائض أولى واجب دفعا للتهمة، كما صرّح البيضاوي، والعلاّمة الزمخشري في تفسيره:

رأيت بأن الإخفاء في النوافل أولى، والإعلان في الفرائض أولى واجب، إذ فيه اقتداء الناس، وإزالة غفلتهم، وإيقاع الذكر في قلوبهم.

فهذه التفاسير جواب لمن طعن في الذكر الجهري، بل توبيخ له.

وقد أشار النبي (عليه السلام) إلى إعلانه، وإكثاره، وإجهاره، والتواجد في قوله:

«اذكـــروا الله ذكـــرا كثيرا حتى يقول المنافقون إنكم مُراءون» رواه أنس (رضي الله عنه) من صحيح البخاري.

وفي رواية: «أكثروا ذكر لا إله إلاّ الله حتى يقولوا مجنون» رواه أبو سعيد الخدري.

جعلنا الله وإيّاكم من زمرة الموحّدين، ولا تجعلنا من حزب المعاندين..

والحمـــد لله رب العالمين .

خـــاتمة الرســـــــالة

هذه الرسالة الشريفة التي ألّفها مُفتي الأنام

الشهير بعلي الجمالي، رحم عليه

ذو الجلال والجمال،

في حق

دوران الصوفية

بأجوبة قطعية

بلغ مقابلتي مع بك أفندي المعروف بسرّي زاده.

رسالة لباس الفتوة

تأليف

العارف بالله تعالى

علي بن محمد وفا المالكي الشاذلي

المتوفى ٨٠٧ هـ

المــؤلف

ابــن الــوفا: هـــو علي بن الشيخ محمد بن محمد أبو الحسن السكندري المــصري المالكـــي الشاذلي المعروف بابن الوفا، أو ابن وفا. ولد بالقاهرة سنة ٧٥٩ وتــوفي بالروضة المدينة في ذي الحجة من سنة ٨٠٧ هـــ. (١٣٥٨م - ١٤٠٤ م) قال المناوي: اشتهر قدره وعلا في الجوزاء شرفا، وعظ وذكّر وحير العقـــول بما له من الإقدام والثبات. وكان الشيخ علي وفا يقول: لا تعب أخاك، ولا تعيره بمصيبة دنيوية، لأنه إما مظلوم وسينصره الله، أو مذنب عوقب، فطهره الله، أو مبتلى فوقع أجره على الله، ومن الرعونة أن يفتخر أحد بما لا يأمن سلبه، أو يعـــير بما لا يستحيل في حقه، وليعلم أن ما جاز على مثله جاز عليه. وقال: "كل امرأة تعلقت همتها بالله فهي رجل، وعكسه بعكسه".

وقـــال الـــسخاوي: كثر أتباعه وأتباع أبيه فرتب لهم أذكارا بتلاحين كان يستميل بها قلوب العوام. وأثنى عليه المقريزي، فقال: كان جميل الطريقة، مهيبا معظمـــا، دان أصحابه بحبه، و رأوا رؤيته عبادة وبذلوا له رغائب أموالهم. وقال الشعراني: لم ير في مصر أجمل منه وجها ولا ثيابا، وأعطي لسان الفرق والتفصيل زيادة على الجمع ".

قال ابن حجر في كتابه " إنباء الغمر " ٣٠٨/٢: " كان يقظا حاد الذهن، اشـــتغل بالأدب، والوعظ، وحصل له أتباع، وأحدث ذكرا بألحان وأوزان تجمع الـــناس عليه. وكان له نظم كثير واقتدار على جلب الخلق. وكان أبوه معجبا به، وأذن لـــه في الكـــلام على الناس وهو دون العشرين، وكان أكثر إقامته بالروضة بالقاهرة ومات بها في شهر ذي الحجة. " له من المؤلفات:

١- الباعث على الإخلاص في أحوال الخواص. في التصوف.

٢- بغية الرائد في الدرر الفرائد.

٣- خزينة الفضائل وسفينة الأفاضل " موجود في دار الكتب فيض الله ".

٤- ديوان شعره.

٥- كتاب الوصايا في التصوف.

٦- الكوثر المترع في الأبحر الأربع.

٧- المسامع الربانية.

٨- مرتضع ثدي الشفاء من منح الله تعالى على ابن الوفاء.

٩- مفاتيح الخزائن العالية في التصوف. وغير ذلك.

١٠- وعند بروكلمان كتاب: كشف مرآة العيون وهو مخطوط في الفاتيكان فيدا ١٤٢٩/٤

مصادر ترجمة المؤلف

- فهرست السراج - خ.
- والتراتيب الإدارية ١: ٢٦ - ٧٤.
- وتاريخ الجزائر العام ٢: ١٠٢.
- وشجرة النور، الرقم ٨٥٤.
- وتذكرة المحسنين - خ. وهو فيه " علي بن مسعود " نسبة إلى جده، أخذ ذلك عن درة الحجال.
- درة الحجال ٢: ٤٢٢ ووقعت وفاته في النسخة المطبوعة من الدرة سنة " ٦٨٩ " خطأ. وهو في نسختي المخطوطة من الدرة " ٧٨٩ " بالحروف، كما في المصدر الأول. وقرأت في مجلة المكتبة (أيلول ١٩٦٢) أن " تخريج الدلالات " طبع بتونس في عهد الحماية، وما زال مطمورا في مكان خاص محبوسا عن جمهور الباحثين... ؟ (١)
- ابن العماد: شذارت الذهب: ٧: ٣١.
- ومجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٩: ٤٠٠.
- فهرس المؤلفين بالظاهرية.
- السخاوي: الضوء اللامع ٦: ٢١، ٢٢ .
- البغدادي: إيضاح المكنون ١: ١٦١، ٢: ٥٢٠.
- البغدادي: هدية العارفين ١: ٨٢٧ ١٤٩ ...

---

(١) هذه الإشارات من كتاب الأعلام للزر كلي أثناء ترجمة الشيخ علي وفا.

- بـــروكلمان: تـــاريخ الأدب العربي: الترجمة العربية، بإشراف الأستاذ الدكتور /محمود فهمي حجازي.. ٦/٤٩٤.

-السيوطي: حسن المحاضرة ١/٣٠٤.

- ابن حجر: إنباء الغمر في أنباء العمر: ٢/٣٠٨.

- السخاوي: الضوء اللامع: ٦/٤٦.

- كحالة: معجم المؤلفين: ٧/٢٣١.

- الشعراني: الطبقات الكبرى: ٢/٢٠.

- المناوي: الكواكب الدرية: ٣/١٤٥.

-ابن إياس: بدائع الزهور: ١/٧٢٦.

- المقريزي: الخطط: ٢/١٧٧.

- النبهاني: جامع كرامات الأولياء: ٢/١٨٥-١٨٦.

- ابن تغري بردي: المنهل الصافي.

- الزركلي: الأعـــلام: ٥/٥ .

- فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية: ١/٣١٣.

نص رسالـــة لباس الفتوة
للشيخ علي وفـــا

بسم الله الرحمن الرحيم

– قال رضي الله عنا به: لباس الفتوة يستر العورة، ويؤمن الروعة.

– وقـــال رضـــي الله عنا به: الأرض وسعت سكانها، والسماء وسعت أقطابهـــا، والعرش وسع ما فيه، والإحاطات وسعت ما تحويه، والله من ورائهم محيط[1]، والدنيا وسعت خلقها، والبرازخ وسعت أمرها، والآخرة وسعت أهلها، والحضرات وسعت حقها، والمخصوص بالله[2] واسع عليم، نفد من جميع الأقطار سره وجهره، فلم يسعه غير الله ولم يسع الله غيره.

– وقـــال رضي الله عنا به: صورة المخصوص مرآة المعتقدات مَنْ قابَلَهُ بوجه اعتقاد ظهر له بحكمه، سيجزيهم وصفهم[3].

– وقال رضي الله عنا به: نفسُ آدم: مجموع العالم.

وحـــسُّهُ وإدراكُهُ: غُرَفُهُ، وإدراكه وجنه. وأملاكه: آفاقه وأفلاكه. ووهمه وخياله حقه وضلاله. ومجموع ذلك أرواحه.

والأسماء أقلامه وألواحه. كتبت الأسماء الحسنى في صحائف نفسه الطبيعية كل مخلـــوق على تمام ما في العلم الأول من ذاته، وشؤونه كتابٌ تمثلي علمي، فكان كل شيء فيه عينا مشهودا لنفسه، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها [4].

---

(١) إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ ﴾ الآية رقم (٢٠) من سورة البروج.

(٢) لعله يشير إلى القطب بقوله: والمخصوص بالله. انظر الفقرة التالية تؤكد ذلك.

(٣) إشارة إلى الآية القرآنية رقم (١٣٩) من سورة الأنعام ونصها: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٣٩ ﴾ .

(٤) إشارة إلى الآية القرآنية رقم (٤٩) من سورة الكهف، ونصها: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً =

ثم لما أفرغت الأسماء عليه ما في خزائن فعلها صوراً قائمة بشكلها وعقلها تشوقت الأشكال إلى معناها، وتشوقت العقول إلى مبدأها فينفخ فيه الروح الأسماء مزينة بزينة السماء فلما تمكن من كونه شهودا الأسماء التي وجد تجلي كل خالق لمخلوقاته فسجد. فمن كان من فيض العلى أو العظيم مثلا لم ير إلاّ هو، ولم يسجد إلاّ له، ولم يسمع ﴿ أَلَسْتُ ﴾ [1] إلا منه ولم يجب بـ﴿ بَلَىٰ ﴾ غيره، ولم يعشق إلا ما غلبت عليه عنايته في خَلْقٍ أو خُلُق، ولم يتبع إلا عبداً ظهر بحكمه، ولا تأتى شرائع ذلك العبد وحقائقه إلا من حضرة ذلك الاسم، ولا يغادر في حضرة ذلك الاسم اسما من الأسماء إلا وجده لوجوب تسمى كل اسم بجميع الأسماء من حيث مسماه ولكن هو أعظمها في حضرة نفسه ووجود قدسه، وأعظم العبيد عبد ظهر حكمه أعظم العظماء ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (الرعد/٣٠) .

- وقـــال رضي الله عنا به: سر الواحد لا يظهر في كل زمان إلا بواحد، وإن كانـــوا أكثـــر من واحد في الصورة فهم واحد في السريرة كعيسى، ويحيى، وداود، وسليمان، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى.

وموسى وهارون معنى عبَّر عنه بعبارتين واسم واحد. قيل: بلغتين، فهما اثنان حسا وهم في الحقيقة واحد. ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء / ١٦) .

كما إذا شئت تعبِّر عن اسم الذات بالعربية قلت: الله جل جلاله.

- أو بالعبرانية، قلت: ألوهيم.

=

إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ .

(١) إشارة إلى قول الحق في الآية رقم (١٧٢) من سورة الأعراف، ونصها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ .

- أو بالفارسية، قلت: خداى.
- أو بالتركية، قلت: تنغرى.
- أو بالرومية، قلت: أيوص.
- أو بالقبطية، قلت: ليلصا.

وفي كل لغة تلفظ. فكلٌ هو عين هذا الاسم الأعظم. وانظر إلى جبريل في حال تمثله في صورة البشر لم يخرج عن كونه جبريل ذا الأجنحة والرؤوس المتعددة بل هو عينه في كلا الصورتين واحد لم يتعدد وعلى الله قصد السبيل.

- وقال رضي الله عنا به: صفات العبودية بنظرة صفات الربوبية التي يتنزه في غراس قيعانها ويتجلى في رياض جنانها. أيُّما نفس قامت على أبوابها بقدم الصدق نوديت من جناب الحق ﴿ فَٱدۡخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر/آية رقم ٢٩، ٣٠) .

وقال رضي الله عنا به: ﴿ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ ﴾ (المؤمنون/٦٢) قرأه لروح القدس فهو في صدر عالمه ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الواقعة / ٧٧-٨٠).

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ (الجاثية /٢٩) الشهادي لروح الأمر فهو في صدر عالمه ﴿ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوۡحٍ مَّحۡفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (البروج / ٢١، ٢٢) ومن تبع الروحين وأتبع الحكمين نطق بالحقين، وحكم بالإمامين فهو ﴿ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت / ٤١، ٤٢).

وقال رضي الله عنا به: المتكلم بروح الأمر ﴿ وَشَجَرَةً تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٍ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (المؤمنون /٢٠).

دهن إرشاده يبرئ من آفات الخلاف لموجب الانحراف.

وصبغ وعظه تخرج ثوب النفس من سواد ظلمة الغواية إلى بياض نور الهداية.

وصبغ لحظه تخرج ثوب الذوق من سواد ظلمة الوهم إلى بياض نور العلم.

وصبغ حفظه تخرج ثوب الفطرة من ظلمة سواد ظلمة الحجاب إلى بياض نور الوجود.

- وقال رضي الله عنا به: العارف كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها[1] القلبي محمدي ثابت في الحضرة العندية، وفرعها الخلقي ملكي في السماء، تؤتى أكلها العلمي كل حين بإذن ربها غرست في رياض الأمر، وسقاها زارع الحب ماء القدس بيد الإطلاع من عين الغيب تورق بالجلال، وتزهر بالجمال، وتثمر بالكمال، كيف ما تلونت بالكلام تعجب الزراع[2] يدل ذوقها على نفسها ويدل نسمات زهرها على مغرسها.

- وقال رضي الله عنا به: العارفون بالله أذكار المخلصين لله والعالمون بالله أذكار المخلصين.

- وقال رضي الله عنا به: من أبصر بالله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

۞ ومن سمع بالله لا يخفى عليه لسان.

۞ ومن نطق بالله لا ينفد مداد كلماته.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآية رقم (٢٤، ٢٥) من سورة إبراهيم.

(٢) لاشك أن هنا إشارة أخرى إلى الآية رقم (٢٩) من سورة الفتح، ونصها: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾.

۞ ومن بطش بالله لا يعجزه شيء.

۞ ومن مشى بالله لا يبعد عليه شيء.

إن تحقق بذلك باطنا كان هذا حكمه باطنا لا ظاهرا، فلا يخفى عليه سريرة شيء، وإن خفي عليه صورته، ولا يخفى عليه لسان حال، وإن خفي عليه لسان قال. ولا ينفد كلماته العلية، وإن نفدت كلماته الحكمية. ولا يعجز بطشه بالبواطن وإن عجز عن تغيير الظواهر. فلا يبعد على قدم همته مكانة، وإن بعد على قدم حسه مكان. وإن تأيد بالله ظاهراً لا يخفى عليه شيء من الصور. وإن خفي عليه معناها فلا يخفى عليه لسان قال.وإن خفي عليه لسان قال فلا ينفد كلمات ترتيبه، وإن تناهت علومه، ولا يعجز بطش همته عن تغيير الظواهر، وإن عجز عن سلب البواطن. ولا يبعد على قدم حسه مكان، وإن بعد على قدم همته مكانه. ومن حققه الله مطلقا صرفه الله مطلقا، فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

– وقال رضي الله عنا به: القائم بالله في كل شؤونه معصوم مَنْ جادَلَه جادل الله فهو مخصوم، ومن نازعه نازع الله فهو مقصوم.

– وقال رضي الله عنا به: من رفع الكنى بلغ المنى.

– وقال رضي الله عنا به: العقل حجاب الأنت، والنفس حجاب الأنا، فمن رفع هذين ترقى من محضر طور سيناء إلى مشهد قاب قوسين[1] أو أدنى.

– وقال رضي الله عنا به: قدم الصدق القوة الفعالة باسم الهادي ملبسه

---

(١) (قاب قوسين) : يشيرون به إلى مقام قرب قوسي الوحدة والكثرة، أو قوس الوجوب والإمكان أو قوس الفاعلية والقابلية، قربا يجمع بينهما، ويرفع بينهما، أي: بينونيتهما؛ بحيث يجمع بين الوجوب والإمكان، والوحدة والكثرة، والفاعلية والقابلية، فيجعل الجميع دائرة متصلة، لكن مع أثر خفي من التميز والتكثر بينهما، ثم إن باطن هذا المقام هو مقام " أو أدنى "، أي أقرب من القوسين المذكورين.وذلك الباطن هو التعين الأول، لأنه لا يبقى عنده أثر التميز والتكثر في دائرة الجمعية بين حكم الأحدية والواحدية. انظر: القاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (معجم للمصطلحات الصوفية) بتحقيقنا، طبعة ثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٢/ ٢٢٥.

جنات النفس بروح الأمر، وبساطه نور التقديس في حضرة الإثبات ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (النحل /١٠٢) .

وهذا هو الذي لبسه موسى على سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام وعلى موســى وعلى سائر النبيين والمرسلين، وعلى عباد الله الصالحين ملء عوالم بسم الله الـــرحمن الـــرحيم بعد الدك وهو: خلع الإنسانية لثوب البشرية، وهو الخلق الجديـــد المقتضى للزمان والمكان. والصعق وهو: خلع الإنسانية لثوب الإدراك وهو الخلق الآخر المقتضى لكيف الأكوان وتجديد الأعيان.

فلذلك قال: ﴿ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ (1) وهذه القوة هي فعل الذي داس بساط النور بنعله. وقدم الجبار هو القوة الفعالة باسم المضل ملبسه قيام الحيوانية بالطبع، وبساط الخلق الجديد في حضرة الحس المتلون. ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (ق / ٤٥) .

– وقال رضي الله عنا به:

۞ الجسم: تجلى اسمه البارىء.

۞ والحس: تجلى اسمه القائم.

---

(١) انظر الآيات رقم (١٤٣، ١٤٤، ١٤٥) من سورة الأعراف، ونصها: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

۞والروح: تجلى اسمه الحي.

۞والعقل: تجلى اسمه الحكيم.

۞والقلب: تجلى اسمه العليم.

۞والسر: تجلى اسمه الأحد.

۞والفؤاد: تجلى اسمه المحيط.

- وقال رضي الله عنا به: العلقة التي حول حبة القلب هي الحية المطوقة بالعـــرش من الملكوتي، والحية المطوقة بعين الحياة من الجبروتي، والحية المطوقة بقاف من الملكي.

- وقال رضي الله عنا به: البطن الأوسط من الدماغ المسمى بالدودة هو الذي قوته تنشئ حرير أهل الجنان.

- وقـــال رضي الله عنا به: النفخ إيصال الروح من القلم إلى العين بكلمة كن وهو:

إمـــا بالوحـــي الذاتي: فنفخ الله فهذه روح الله التي لا ينفخها إلا هو ولا يـــتوفاها ســـواه وكلمـــته التي لا يلقيها غيره ولا يتلقاها إلا معصوم لا يتبدل بالتركيب عن تجريدها أصلا وليس لها برزخ بعد تحليلها إلا رفيقها الأعلى وهو صديقها الذي تجرد لها عن وجوده وموجوده كأبي بكر مع محمد (صلى الله عليه وسلم) لصاحبه لا تحزن إن الله معنا[1] فأنزل الله سكينته المحمدية عليه.

وإما بالوحي الحجابي الصفاتي: أو الأسمى فنفخ جبريلى.

- إما من أوله: وهو " جبر " فمن حضرة قدم الجبار، وهؤلاء ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (النحل /٢٨) .

---

(١) انظر الآية رقم (٤٠) من سورة التوبة ونصها: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

- وإما من أخره: وهو أيل فمن روح قدم الصدق، وهؤلاء ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ (النحل /٣٢) . وبرازخ هؤلاء الفريقين القرناء الشيطانية للكافرين، والجان المسلم للمسلمين الخاطئين، والجان الصالح للمؤمنين المخلصين، والملائكة للمحسنين، ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (النور/ ٢٦) .

وأما الوحي الرسالي الأمرى والخلقي فنفخ إسرافيلى.

- إما من حضرة اسم الواحد: وهؤلاء هم أهل القوانين العلمية والعملية والصناعية سواء التزموا شريعة نبوية أو لا، فبرازخ أهل القوانين العلمية الأشكال الكوكبية فأهل الشرائع منهم في ضيائيتها إن أصلحوا وإلا ففي لهبيتها وغيرهم في تأثيرهـــا إن أصــــلحوا ففي سعده وإلا ففي بخسه وبرازخ أهل القوانين العملية الطبايع العنصرية فأهل الشرائع منهم في صحة قواها وغيرهم في تناسبها المزاجي.

- وإما من حضرة اسم القهار: وهؤلاء أهل السياسات النفسية والحسية سواء التزموا شريعة نبوية أو لا، وبرازخهم النفوس الحيوانية فأهل الشرائع منهم؟ بحسب استعدادها طائر، وسابح، وماشى، إن أصلحوا ففي سهلها ومطيعها وإلا ففـــي صعبها وطاغيها وغير أهل الشرائع منهم في الوحشي من ذلك كذلك وقد ينافس الوحشي فهو من البرازخ الوحشية لكن قد يخرج صاحبه من جهنمه إلى جنة الأنسى وقد يتوحش الأنسى فهو من البرازخ الإنسية لكن قد يمسخ فيرد إلى أســـفل ويكـــون النفخ ميكائيلي فمن حضرة اسم الخالق البارىء وهؤلاء جميع الأقـــوية الحيوانية الظاهرة بالحس القاهر والحركة المستقيمة في الحيوان والظاهرة بالحركة والباطنة بالحس في النبات والباطنة بهما في الجماد برازخهم الأكوان.

- وإما أن يكون النفخ عزر بقي من حضرة اسم المصور: فهؤلاء ينفخ الإلهيات الصورية الحسية، والكونية، وبرازخهم التعينات الخيالية في الصيغتين صيغة الجنة وصيغة النار ولا يتوفى كل روح إلا نافخها ورقائقه، وكل برزخ من هذه البرازخ أعراف جنته ما فوقه وناره ما تحته إلا الرفيق الأعلى. فالله به محيط لا يدخل إلى حضرته إلا من تجرد تجريده حتى صار على صورته، وكل عالم من

هذه العوالم معاد ما تحته والرفيق الأعلى معدله إلا الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ ﴾ (القصص / ٨٥) وكل أهل عالم من هذه العوالم سيخاطب مولاه النافخ فيه على نحو سماعه منه "كن " ويخاطب الله تعالى درجته من ذلك السماع. إما منه له مواجهة مشافهة ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[1].

- وقال رضي الله عنا به: الحق هو الوجود المطلق إن تجلى بالفعل فظاهره الحكم، وهو ما به ثبوت الشيء، وباطنه الحكمة. وهى ما له ثبوت الشيء نظامها في قوة العدل فما حكم إلا هو، وهو موضوع بحكمة متى خلا منها بطل ولا حكمة إلا وهى محمولة في حكم متى فارقته عطلت وهذا هو الحق الذي خلق الله به السموات والأرض وما بينهما. الكلام مظهر ظاهره فالحكم، وهو الحق الظاهر من الحق الفعلي في الإيجاد النشيء بكن كذا وفى الإيجاد المعادى ب"يكن" كذا، ويدخل في هذا كل وعد ووعيد عاجل وآجل ويوم يقول كن فيكون قوله الحق[2] ويتجلى في الإيجاد التكليفي بإفعل كذا أو ما يؤدى إلى معناها وهو إما في العبادات العلمية أو السياسات الشرعية.

فمن الأول قولك: الصلاة حق، الزكاة حق، الصيام حق، الذكر حق. وما في معنى؟ أي جاءت به كلمة الحكم التكليفي.

ومن الثاني قولك: لي على فلان حق، أي حكم لازم بكلمة التكليف، إما قضاء وإما قصاصا، وإن لصاحب الحق مقالا. وهذا الذي مظهره الكلام هو الذي ينطق به الكتاب المذكور في سورة الشريعة.

---

(١) انظر الآية رقم (٥١) من سورة الشورى ونصها: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ .

(٢) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٧٣) من سورة الأنعام، ونصها: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وأما الحكمة وهى الحق الباطن من الحق الفعلي فمظهرها العلم فهي تتفاوت بحسب العلماء الذين هم درجات العلم. والناطق بهذا الحق هو الكتاب اللدنى المذكور في سورة

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ (المؤمنون، آية/١) .

– قال رضي الله عنا به: في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (١) لا تقتلوها قتلا ظاهرا أي حبا صوريا إلا بالحق الظاهر وهو الحكم ولا تقتلوها عدوانا بالباطل ولا تقتلوها قتلا معنويا باطنا إلا بالحق الباطن وهى الحكمة فأميتوا صفاتها الطبيعية والخلقية وخلوها بالصفات الجمعية الخفية ولا تقتلوها بالباطن، وهو كل شيء حجته داحضة عند الله تعالى.

– وقال رضي الله عنا به: قال لي روح علمي وأنا كالنائم يا على لما أكل من عهدنا إليه فنسى أين كان من تقربه فلا ينسى قلت يا مولاي في حوصلة الروح الأمين فصوب لي ربى عنده ما ألهمني كما أشهدني وأوجدني وله الفضل والمنة سبحانه وله الحمد.

– وقال رضي الله عنا به: خطر بفهمي وأنا كالنائم يا على ما الطائر الذي ألزمناه عنق كل شيء ؟

قلت: يا مولاي ناطقته.

قيل لي: يا على فما حوصلة هذا الطائر ؟

قلت: يا مولاي قوة النطق الفعالة بآلة اللسان عبادة، وبباقي الأعضاء كناية وإشادة.

قيل لي: يا على مهما لقطه هذا الطائر من ساحات الحس والخيال،

---

(١) انظر قوله تعالى في سورة الأنعام الآية رقم (١٥١) ونصها: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ .

والإدراك، والقلب، والفؤاد تحصل في حوصلته، ثم سرى في الآية ثم رشح منها بالعبادة والكناية والإشادة فإذا رجعت التراكيب الدنيوية إلى الأخروية صارت الحوصلة كتابا منشورا يرى فيه كل طائر ما لقط. فرحم الله من تكلم بخير أو سكت.

فقلت: يا رب لك الجلال والإكرام والكمال والإعظام عبادك ؛ على والذين أمنوا معه، أنت أمانهم، وأنت حسبنا ونعم الوكيل.

فقيل لي: نعم فلله الحمد والمنة كما يعلم على ما يعلم مما علمناه من وجوده وما لم نعلم.

– وقال رضي الله عنا به: خطر بفهمي وأنا كالنا يم ما صورته يا على ما القراءة قلت يا مولاي الجمع قيل لي يا على فأيما مؤمن جمع أية من كتابي بلسانه أعطيته بكل حرف عشر حسنات وأضاعف لمن أشاء ومن جمع أية من كتابي باستنباط حكمها أعطيته بكل حرف سبعمائة حسنة فإن حرك بها لسانه مع ذلك أعطيته أجره مضروبا في أجر التالي وأضاعف لمن أشاء بالعمل بمقتضاها في الغالب عنده أعطيته لكل حرف سبعة آلاف حسنة فإن حرك بها لسانه واستنبط منها الحكم مع ذلك أعطيته أجره مضروبا في أجر التالي والمجتهد التالي والمجتهد الذي لم يتل وأضاعف لمن أشاء ومن جمع أية من كتابي بمعرفة حكمتها أعطيته بكل حرف سبعمائة ألف حسنة فإن ضم إلى هذا ما تقدم أعطيته أجره مضروبا في الأجور المتقدمة وأضاعف لمن أشاء، ومن جمع أية من كتابي بالتخلق بحكمتها أعطيته بكل حرف مقدار أجور الأولين فإن جمع إلى ذلك ما تقدم أعطيته أجره مضروبا في الأجور المتقدمة وأضاعف لمن أشاء، ومن جمع أية من كتابي أو حرفا بالعلم تحققا فذاك في عنديتى الربانية والرحمانية والإلهية عطائي له مطلقا بغير حساب ولدينا مزيد. فسبحان الواسع العليم الواضع الحكيم البر الرحيم المنعم الكريم.

– وقال رضي الله عنا به: (القرآن له ظاهر وباطن وحد ومطلع) [1].

---

(١) (القرآن له ظاهر وباطن وحد ومطلع)
انظر: كنز العمال: ٢/ ٧١ ٣٠٨٦ – أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها
–

فهو من حيث ظاهره: المسمى بالمجيد في سورة قاف وفى سورة البروج.

ومن حيث باطنه: المسمى بالكريم في سورة الواقعة.

ومن حيث حده: المسمى بالعظيم في سورة الحجر.

ومن حيث مطلعه: القرآن المحيط المسمى في أول طه مطلقا من غير تعيين صفة من الصفات.والعرش وهو حضرة التجلي الذاتي والصفاتي والأسمى وهذا هو الاستوى بجميع معانيه بمعنى التمام إذ التجلي فيما عدا هذه الحضرة لا يكون إلا بأحـــد هذه النعوت إما ذاتيا، وإما صفاتيا، وإما اسميا، وإما فعليا، فلما اختصت هذه الحضرة بهذا التجلي الجامع اختصت بتمام التجلي.وبمعنى الاستيلاء لا يخفى إذ كل تجل إذا اختص بحضرة كان العقل فيها له لا يؤثر فيها جميع الآثار إلا هو فمـــتى اختـــصت الحضرة بالتجلي الذاتي. - فإما بالوحدة وهى امتناع الانقسام مطلقا.

- وإما بالوجوب وهو امتناع الافتقار إلى مخصص مطلقا.
- وإما بالقدم وهو امتناع سبق القدم مطلقا.
- وإما بالبقاء وهو امتناع قيام العدم بالذات مطلقا.
- وإما بالفردية وهو امتناع المشاركة في صفات النفس.

أو يكون التجلي في ذلك كله فلا يكون الحكم إلا للتجلي الحاصل لا غيره من صفات المعاني ولا من الأسماء ولا من صفات الفعل بل ذلك التجلي هو المؤثر بحكم كل ذي أثر فالوحدة في حضرة تجليها هي المؤثرة بحكم نفسها

ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع طب عن ابن مسعود) (ورواه مسلم في صحيحه برقم / ٨١٨).

قال العلماء: سبب انزاله على سبعة: التخفيف والتسهيل. وراجع البحث بطوله تجد بغيتك منه. صحيح مسلم [١ / ٥٦٠، وانظر: الألوسي في تفسير روح المعاني: ١/ ٧، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٦٤، ٤٥٤، وغيرها. والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن: ٣٣٧/٢، وابن عبد البر في التمهيد ٢٨٢/٨، والغزالي في إحياء علوم الدين ١/٢٨٩].

وبحكم باقي صفات النفس وبأحكام سائر صفات المعاني كالقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. وما في معنى ذلك وبحكم ا سمها الأحد وبأحكام سائر الأسماء كالعليم والعظيم والحي والقدير والمريد وهكذا إلى ما عسى في علم الله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وبحكم فعلها وهو امتناع الانقسام وبإحكام سائر صفات الفعل كالخالقية والرازقية والبر والتصوير وهكذا إلى ما عسى لله من ذلك وكذلك إن كان التجلي الموجوب فالحكم والتأثير له في حضرته بحكمه وبجميع الأحكام وكذلك إن كان التجلي بأكثر من وصف واحد أو كان التجلي بجميع الصفات النفسانية أو بجميع الصفات المعنوية أو بواحد منها أو بأكثر أو بجميع الحقايق الاسمية أو بواحد منها أو بأكثر أو بجميع التعينات الفعلية أو بواحد منها أو بأكثر أو بواحد من صفات النفس مع واحد من صفات المعاني أو الأسماء أو منهما أو من الفعلية أو منهم أو أكثر من واحد أو المجموع من أحد هذه الإحاطات الأربع دون الباقي أو واحد من واحد منها مع واحد من واحد من الباقي، أو من كل واحد من الباقي، أو المجموع مع واحد، أو مع المجموع كيف ما وقع التجلي فالأمر كما تقدم والحكم واحد لا يختلف ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء/٨٢).

فانفـــراد التجلي في حضرته هو الاستوى بمعنى الإستيلاء ويكون الاستوى بمعنى الغلبة هو أن يقع في حضرة كل تجل إلا صورة حكمه، فلا يقع في حضرة تجلـــى الـــوحدة إلا وحدة، أو الوجوب إلا وجوبا، أو هما إلا وحدة واجبة، أو وجوبا واحدا، وهكذا باقي هذه الإحاطة وفى إحاطة الصفات المعنوية كذلك لا يقـــع في حـــضرة العلم الأعلم والكلام إلا كلام والحياة إلا حياه أو هم إلا علما مـــتكلما حـــيا أو كلامـــا عالما حيا أو حياتا عالمه متكلمة وهكذا باقي هذه الإحاطة.

وكـــذلك إحاطة الأسماء وإحاطة الأفعال وإن تداخلت إحاطة وإحاطة في التجلـــي كـــان كـــذلك كما تقدم فظهور كل أثر على صورة حكم التجلي هو الاســـتوى بمعنى الغلبة وحصول كل تجلي في حضرته فيما لم يزل ولا يزال هو

الأستوى بمعنى الاستقرار معناه الثبوت ولا يقع تجلى واحد في حضرتين أبدا.

– وقال رضي الله عنا به: نوم تستعين به على الطاعة وتقوى خير من سهر يورثك التكبر والدعوى فلرب صلاة وصيام رعونة ولرب أكل ونوم معونة.

– وقال رضي الله عنا به: العادة ما فيه حظ للنفوس والعبادة ما كان محضا للملك القدوس فرب صيام وقيام عادة ورب طعام ومنام عبادة.

– وقال رضي الله عنا به: كونوا أرباب العبادات ولا تكونوا عبيد العادات فمن ملكته عاداته فسدت عليه عباداته.

– وقال رضي الله عنا به: من رفعت عنه العوائد فهو عارف أو مراد أو مشاهد.

– وقال رضي الله عنا به: الليل حضرة النداء والنهار حضرة العطاء كساعة الخطابة هي ساعة الإجابة وساعة ما بين العصر والغروب هي ساعة حصول المطلوب.

وقال رضي الله عنا به: البينة ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ (سورة البينة /٢) هم الذين ختمهم فأنهم صحف إبراهيم وموسى فيها كتب قيمة هم العقول الإلهية المخرجة لما في الغيب العلمي إلى الوجود الفهمي والموجود الحكمي.

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ﴾ (النمل / ٧٥ - ٧٦) .

– وقال رضي الله عنا به: من ذكره ربه بلسان الواحد المختار فقد أخلصه بخالصة ذكرى الدار.

– وقال رضى الله عنا به: من قال عند ظهور براءته من الريب: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ﴾ (يوسف / ٥٣) ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ (يوسف/٥٤) .

وقال رضي الله عنا به: أنفع الأقلام ما قبله فيضة الإفهام.

– وقـــال رضـــى الله عـــنا به: الكيمياء حكمة تنقل الحقايق من الطبائع الخسيـــسة إلى الخـــواص النفيسة بحسن التدبير فأيما رجل تمكن من نقل الصور النفـــسانية مـــن غلبات الحظوظ الظلمانية شيطانية كانت أو حيوانية إلى ملكات الأخلاق النورانية ملكية كانت أو ربانية صار أولى بهذه الحكمة نسبا وطلبا ممن يحيل الزئبق فضة والنحاس ذهبا.

– وقـــال رضـــي الله عـــنا به: أنظر إلى المرآة تجردت عن جميع الصور فأشهدت كل ذي صورة ما يراه وما لا يراه هكذا الرجل المجرد عن علايق جميع العوالم وجهه الناطق مرآة الحقايق ما قابلها ذو صورة إلا رأى وجه حقيقته فمن رأى خيراً فليحمد الله، ومن رأى غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

نهـــاية الرسالة

وهذا مما ألقاه على مريديه سيدي الأستاذ لسان الزمان،

وكاشف أرواح المعاني والأعيان محلل المشكلات،

وموضح المعظمات ومظهر أسرار الخفيات:

سيدي أبو الحسن على بن وفا النصارى

الشاذلي المالكي السكندري

أحيانا الله تعالى في ظله، وأعاد علينا

وعلى المسلمين من جزيل فضله،

بمنه وكرمه.

فتح الحق
في الجمع والفرق

تأليف

العارف الرباني والمحقق الصمداني
الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف الحريثي
المتوفى ٨٦٢ هـ

المـــؤلـــف

أحمـــد الحريثـــي (٨٦٢ هـ = ١٤٥٨ م) هـــو: أحمد بن يوسف الحريثي، الـــشافعي (أبو العباس) له حزب الفتح من مانح النجح، وصدور الغشا عن ورد العشا. (ط) حاجي خليفة: كشف الظنون ٦٦٢، ١٠٧٧ .

انظر: كحالة: معجم المؤلفين ٢/٢٠٩.

-حزب الفتح مانح النجح.

للشيخ أبي العباس: أحمد بن يوسف الحريثي المدني الزبيدي.

وفي فتحه تأليف للشيخ كمال الدين: محمد بن أبي الوفا بن الموقع.

سماه: (الفتح لمغلق حزب الفتح) .

انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١/٦٦٤.

- صدور الغشا عن ورد العشا.

دعاء.. للشيخ أبي العباس: أحمد بن يوسف الحريثي الشافعي المديني طريقة والزبيري نسبا.

المتوفى: سنة ٨٦٢ هـــ كشف الظنون ٢/١٠٧٧.

- فتح الحق في الجمع والفرق. وهو الكتاب الذي بين يديك.

وقف السيد حسين العوني جعل مقره برواق الروام

فتح الحق في الجمع والفرق

تأليف العارف الرباني والمحقق الصمداني الشيخ شهاب الدين احمد بن الشيخ ... الحريري الشامي ...

ويليه كتاب دليل الطالب لآداب الصحبة للمؤلف المذكور

ويليه كتاب فتح الجواد في وجوب الجهاد للمؤلف المذكور

[redacted]

استقر هذا الكتاب في نوبة العبد الفقير الراجي عفو ربه ورضاه السيد الشريف علي بن السيد حسين سبط العارف بالله تعالى والدال عليه صاحب الكرامات الباهرة الشيخ محمد بن الشيخ احمد بن الشيخ ... العياشي الحريري عفى لهم آمين

نحن بالله عن الاجاه والمنصب
كل من رام ظلمنا حسبه الله والنبي

من نعم الله على عبده الفقير ... ابن المرحوم محمد الحريري العياشي ... العباس الحريري ...

الصفحة الأولى لمخطوط فتح الحق في الجمع والفرق

مطلق من كل قيد وذا الوجه الكامل الجامع مطلق من وجه
ومقيد من وجه مقيد بوجهي الاطلاق والتقييد لم يدركما [illegible] دوائره
وعظمها لعدم اتيانها بما وراءها وصاحب وجه التقييد يشهد الكامل
مقيدا وصاحب وجه الاطلاق يشهده مطلقا وكلاهما صادق في
شهوده لم يطلع على غير حقيقته [illegible] لا يمكنه ان يطلع
لوجود قيده وقصوره وان كان صاحب وجه الاطلاق اكمل [illegible]
بقيد الاطلاق [illegible] بقيد التقييد والكامل جامع لما بين صاحب الوجهين
والشيئين الجامعين والتنزيه والتشبيه [illegible]
[illegible] الجامع لجميع اجزاء كليات
الذات الوجودية والاطلاقات الكلية [illegible] والاسرار
الوجوبية وصاحب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ويليه دليل [illegible] على [illegible]
تأليف العارف الكبير المذكور
اعاد الله علينا من بركاته
[illegible]

الصفحة الأخيرة من مخطوط فتح الحق في الجمع والفرق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وصحبه وسلم

يقـــول عبدٌ عجز عن درك القول إلاّ بعناية من ذي الطول، مستمدًا – من مدده الأزلي– دوام فيضه الأبدي:

حمــدَت الأحدية ذات نفسها فى مكنون غيبها المطلق، فظهرت الواحدية تـــشير بنعـــتها الموجـــود المحقـــق، فوجبت الألوهية، وتكثْرت بأنواع الأسماء والصفات. وكان من آثارها إبراز سائر أجزاء كليات الكائنات على وفق ما نفد فى المكـــنون الغـــيبي ؛ فجرت ألسنة العوالم باختلاف إدراكاتها وتغاير تنوعاتها. وأجابت موافقة للحمد القديم الذاتي فقال:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ ثم لهجت بأنواع التسبيح، والتقديس، والتمجيد لباريها ومخترعها ومُبـــرزها من ركن العدم إلى الوجود المقيد ليقرنها به فبتعرُفه لها عرفت [1]، وبه قامت، وبه لهجت، وسبَّحت، وحمدت، وقدَّست،

---

(١) انظر إلى حديث: (كنت كنزاً مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتحببت إليهم بالنعم، فبي عرفوني..) وفي رواية: (فتعرفت إليهم فبي عرفوني) أورده العجلوني في كشف الخفاء، انظر ما قاله في الحديث رقم (٢٠١٦) ٢/ ١٣٢ وانظر ما قاله خاتم الأولياء سيدي أحمد التجاني (رضي الله عنه) ١/ ١٥٥،١٧٣ من كتابه: "جواهر المعاني": ما خلق الله لنفسه إلاّ سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) والباقي من الوجود كله مخلوق لأجله (صلى الله عليه وسلم) معلل بوجوده (صلى الله عليه وسلم) ولولا أنه خلق سيدنا محمدا (صلى الله عليه وسلم) ما خلق شيئا من العوالم. وانظر أيضا ما رواه الحاكم في المستدرك قال: رُوي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مرفوعا أن آدم (عليه السلام) رأى اسم محمد (صلى الله عليه وسلم) مكتوبا على العرش، وأنه دعا به ربه، فقال الله سبحانه وتعالى: لولا محمد ما خلقتك. قال الجرجاني في كتاب " التعريفات" وكذلك المناوي في كتاب " التعاريف "،أثناء كلامهما عن شرح معنى الفيض الأقدس قالا: الفيض الأقدس عبارة عن التجلي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية كما قال تعالى: (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف) الحديث. الفيض المقدس التجليات الأسمائية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعداد

=

ومجّدت. فلمّا أن أبرز الحق تعالى هذا الكائن الكامل الجامع لذرّات الكائنات[1]، المخصص بخصائص أسرار المعارف المظهر الأكمل، والسر الجامع الأول مبدأ المبدوآت، وروح الأرواح. سماه تعالى بأسماء وجعله للكائنات مبدأً وختمًا، وأشار في الأمر إليه. فهو القطب والمدار عليه، وصلى بصفته الكريمة، وملائكته عليه، وأمر بذلك سائر عباده المؤمنين. فوجب علينا الامتثال. فنقول بلسان العجز والتقصير الجاري بإرادة القوى القدير: (اللهمَّ صلْ وسلم وبارك بلسان صفاتك فى حضرة ذاتك، على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد، صلاتك القديمة الأزلية الدائمة السرمدية الأبدية وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين

=

تلك الأعيان في الخارج واكله المقدس مترتب على الفيض الأقدس فبالأول يحصل الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها.انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ٢/ ١٧٣ الحديث رقم (٢٠١٦) وانظر أيضا الجرجاني: ٢١٨/١ والمناوي في التعاريف: ٥٦٨/١، وانظر أيضاً القنوجي: أبجد العلوم ١٥٩/٢ .

وانظر كتاب: (حبة المحبة) بتحقيقنا هامش ص٥٤ طبعة (مكتبة الثقافة الدينية) .

(١) أي: الإنسان الكامل ؛ يقول ابن عربي: الإنسان الكامل هو الظاهر بالصورة الإلهية، لم يعطه الله هذا الكمال إلا ليكون بدلا من الحق، ولهذا سماه خليفة، وما بعده من أمثاله خلفاء له، فالأول وحده هو خليفة الحق، وما ظهر عنه من أمثاله في عالم الأجسام فهم خلفاء هذا الخليفة، وبدل منه في كل أمر يصح أن يكون له. فالإنسان الكامل هو ظل الله تعالى في خلقه من خلقه فمن ذلك هو خليفة، ولذلك فالخلفاء خلفاء عن مستخلف واحد. فالإنسان له الشرف على جميع من في السماء والأرض فإنه العين المقصودة للحق من الموجودات، لأنه الذي اتخذه الله تعالى مجلى، ولأنه ما كمل إلا بصورة الحق، كما أن المرآة وإن كانت تامة الخلق فلا تكمل إلا بتجلي صورة الناظر فيها فتلك مرتبتها والمرتبة هي الغاية.

لذا اعلم ان مرتبة الإنسان الكامل من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان، فهو الكامل الذي لا أكمل منه، وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) فهو الإنسان الكامل الذي ساد العالم في الكمال: سيد الناس يوم القيامة. انظر: الإنسان الكامل من كلام ابن عربي، جمع وتأليف محمود محمود الغراب. ص٢٤، ٢٧.

والملائكة المقربين وآله كلهم، والصحابة أجمعين، والأولياء، والصالحين) نفعنا الله - تعالى - بهم، وجعلنا منهم آمين.

وبعد

فقد أجرى الحق -تعالى - يدي تسطر هذه الأسطر ؛ فأجابت منقادة، على وفق ما قدّر لها في مكنون الغيب، مع أن نسبة التسطير(١) لها كنسبة القلم له. وفى الحقيقة إنما يحرك القلم يد الكاتب فنسبة الكتابة للقلم نسبة مجازية. وإنما القلم والكتابة من آثار فعل الكاتب. وفى الحقيقة أن الجميع من آثار فعل الحق، لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات/٩٦) .

آثار أفعاله في الكون ظاهرة وكلٌ أفعالنا آثار أفعاله

فلمَّا أن كان كذلك كتب:

جمعٌ في فرق

إن من الأمر الإرادي القديم الأزلي تفريق النوع الإنساني في القبول وعدمه فرقًا. ثم إن مرجعها لفرق ثلاث:

- الفرقة الأولى، وهي أشرف الفرق، وأكملها: قومٌ ذاقوا المقصود وهم صنفان: أكملها قوم كابدوا النفوس، والأهوية، والخواطر، والأغراض، ولزموا المجاهدة للنفوس على المبادرة لقبوله امتثال الأمر والنهى. فإن النفوس الغير زكية مجبولة على حب السكون إلى اللذّات والشهوات البهيمية، والإعراض عن قبول الحق، والميل إلى الكسل والراحة. فلما أُوقظت نفوس هذه الفرقة بزواجر الحق تعالى، وفهمت بعناية الله تعالى أن الإشارة إليها شرعت في المبادرة إلى الامتثال أبت النفس أو انقادت. وذلك دليل على عناية الحق تعالى بها، فلازموا النفوس بالمجاهدة وقتا، وبالانقياد وقتًا إلى أن حصل لهم الظفر بها فاستقامت، وانقادت، وزكت، وطُهِّرت، فحينئذ أخذت في قطع ما انطوى فيها من حجب العوالم، والأغيار، والإلهات، والمعبودات، من كثيف ولطيف، ودنى وشريف وأقبلت على

---

(١) أي: الكتابة.

الحق تعالى من غير أن تتعلق بشيء غيره مطلقًا مستصحبة الإخلاص والصدق، متحققة بالإفلاس المحض، والفقر، والفاقة، ملازمة ذلك في جميع الأحوال. وتمر أجزاء الأنفاس إلى أن ناداها الحق تعالى بالجذب عن كليتها وأغرقها فى بحار الذات، وتيار الصفات. فلا رسم، ولا وسم، ولا عين، ولا أثر، ولا ذوق، ولا فهم، ولا علم، ولا خبر.

سوى ما كان فى أزل * فما أتاه فالبشر

فهي غارقة في هذا البحر الأطلس أبد الأبد، ورجعت لما كانت عليه أولا، ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة/٢٤٥) فلم يزل هذا الصنف بهذا الوصف في جميع الأحوال، من أكل، وشرب، ونكاح، وأمر، ونهى، وتعاطى أسباب، وغير ذلك. لا ينفكون عمًا هم فيه، فإنهم غرقا في هذا البحر قهراً عليهم. فإن ظهر للخلق تنوع أحوالهم. إنما هي أوصاف الحق تظهر في مرآة أثر اسمه الظاهر على ظواهرهم لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (**المؤمن مرآة أخيه**)[١] فعلى المسترشد الإقتداء بهؤلاء، و الاهتداء بهم لطرق الهدى، وسُبُل الاستقامة. فإنها غامضة لا تسلك ولا تولج إلاّ على يد من كان بهذا الوصف.

وأما الصنف الثاني، من الفرقة الأولى: فقومٌ ذاقوا المقصود، وهو أن ناداهم الحق تعالى بالعناية من غير سابقة عمل، ولا مجاهدة نفوس، ولا مكابدة

---

(١) حديث: (المؤمن مرآة أخيه) – المؤمن مرآة المؤمن.

رواه أبو داود عن أبي هريرة رفعه والعسكري من طرق عن أبي هريرة ولفظه في بعضها: إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى شيئا فليمطه. وأخرجه الطبراني والبزار والقضاعي عن أنس. وأخرجه ابن المبارك عن الحسن من قوله. وقال في اللآلئ أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» وفي إسناده كثير بن زيد مختلف في عدالته انتهى. والمشهور المؤمن مرآة أخيه ولبعضهم في معناه:

صديق مرآة أميط بها الأذى * وعضب حسام إن منعت حقوقي

وإن ضاق أمري أو ألمت ملمة * لجأت إليه دون كل شقيق

انظر: العجلوني: كشف الخفاء: الحديث رقم (٢٦٨٧).

أهـــوية. فهم ذاقوا المقصود غير أنهم لم يذوقوا الطريق إلى المقصود، فلعل هذا الـــصنف ينكر ما يقع للصنف الأول من مجاهدة النفوس ومخالفتها، وحبسها عن مـــتابعة الهوى، وسجنها في أخلية المجاهدات. فإن فعل ذلك فمعذور. لأن الحق تعالى لم يطلعه على ذلك، ولو منَّ عليه فأراد له الكمال ردَّه للسلوك، فكان من الصنف الأول غير أنه ما رُدّ، ولهذا أنكر.وفى الغالب من جهل شيئا أنكره.

الفرقة الثانية: قوم قَبلوا هذا الأمر، واعتقدوا صحته من غير أن يقع لهم فيه شيء، ولا ذاقوا منه، ولا من الطريق إليه شيئًا، غير أنهم آمنوا به بالغيب. وذلك لتوفيق الله تعالى لهم. فحصل لهم بالإيمان به الولاية. وهم في ذلك متفاوتون.

- فمنهم: ضعيف الاعتقاد، ناقص الإيمان.
- ومنهم: من لا يزال اعتقاده يزداد ويقوى يقينه، حتى ينكشف له شيء من العلامات، فحينئذٍ يشتاق، ويحن، ويبادر بكليته للإقبال على الحق والإعراض عن الأغيار.ولا يزال كذلك، والواردات ترد عليه شيئا فشيئا إلى أن ينكشف عنه الغطاء فيقوى يقينه، ويتم إيمانه، ويصير من الصنف الأول من الفرقة الأولى. وكل ذلك بتوفيق الحق تعالى له إلى حسن الاعتقاد أولاً، والإيمان بالغيب فدخلت هذه الفرقة فى مدحة الحق تعالى بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ (البقرة/٣) .

الفرقة الثالثة: قومٌ أنكروا هذا الأمر فَـــيُعذرون، وذلك لأمور

- منـــها: عدم العناية بهم، وتهيئتهم لقبول هذا الأمر.
- ومنها: لقصور أفهامهم.
- ومنها: أن عقولهم محجوبة عن دركه، لأن العقول لا تدرك إلاّ ما ركْب وشخْص لها، والمعان لا تشخْص فى هذه الدار إلاّ لذوى البصُائر النافذة. وأمْا من حجبه الحق بما شاء لا يدرك، ولا يفهم، ولا يعقل، ولا يبقى، ولا يفقه من المحسوسات والمعاني إلاّ ما شاء الحق تعالى له. ولو كان أعقل الناس وأنفذهم سمعًا وبصرًا وأغزرهم علمًا وفقهًا لقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الجاثية/٢٣). فهذه الفرقة في ستر الحجاب

المحكوم عليهم به المأمورون بالسعي في أسباب إزالته وكشفه فإن ساعدتهم العناية زال، وإلاّ فلا.

فـــرق وجمـــع

إن الحق سبحانه وتعالى نوّع الناس أنواعًا.

فنوع منهم: حُجِبُوا بتعلق همتهم بالسوابق، فهم مشغولون بها فى غالب أحوالهم، فربما إذا رأى أحدهم من يدخل فى خلوة المجاهدات، ومخالفة النفوس، وتهذيب الأخلاق، ينكر عليه ذلك، ويبادؤه بالزجر والرّدع، أو يشير إليه بوجه يفهمه أن الذي يفعله خطأ من غير أن يعرف مقصده في ذلك. وربما يقول له: من سبقت له العناية لا يحتاج إلى هذا التعب. أو يقول له: الولي من كانت له الولاية فى القِدَم. وكلامه هذا صحيح غير أن فيه إشارة لتعطيل أوامر الشريعة. فإن الحق تعالى أمرنا بقتال من يلينا من الكفار بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (التوبة/١٢٣) .

فكان من جملة من يلينا من الكفار نفوسنا فإنها أعدى الأعادي إلينا لقوله (صـــلى الله عليه وسلم) : (أعدى أعداؤك نفسك....) [1] الحديث. فدخلنا في

---

(١) حديث: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) أورده العجلوني في كشف الخفاء بلفظ: (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) وقال: رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف، وله شاهد من حديث أنس. وفي كنز العمال: (ليس عدوك الذي يقتلك فيدخلك الله به الجنة وإن قتلته كان لك نورا ولكن أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك.) وقال: رواه العسكري في الأمثال عن سعيد بن أبي هلال، مرسلا. ورواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي مالك الأشعري، وما أحسن ما قيل :

إني بليت بأربع ما سلـــــطوا ... إلا لأجل شقاوتي وعنـــــائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

عموم الأمر بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا...) الآية. فكان من جملة ما أمرنا به قتال النفوس، والإغلاظ عليها ووجب علينا المبادرة لامتثال ما أمرنا به؛ فالمنازع لا يخلو.

- إمَّا أن يكون الحق تعالى حجبه عن إطلاعه على هذه الدسيسة ومعرفته بها.

- أو لأمر أراده الحق تعالى لا نعرفه.

فـــإن مَـــنَّ الله تعالى عليه بزوال الحجاب علم أن العبد من حيث هو قد وجـــب علـــيه المبادرة لامتثال الأمر والنهي، من غير تطلع لسوابق ولا غيرها، وجاهـــد نفسه على فعل ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وترك ما نهى عنه، على أيدي وارثيه (صلى الله عليه وسلم) فى كل زمن فيقفو آثاره (صلى الله عليه وسلم) على يد الوارث مدة حياته نَفَسًا فَنَفَسًا.

وأمَّا النوع الثاني:

فقـــوم حُجـــبوا لشغلهم بالنظر فى العواقب. ففي الغالب هممهم متعلقة بالنظر فيما يُراد بهم. فلعل أحدهم إذا رأى من يشير لأحد من أهل زمانه بالتقدم أو الكمـــال فيقول: من أين لنا أن نقطع بهذا. فإنَّا لا ندرى بما يُختم له؟ وربما يطلع على شيء من آداب المشايخ للمريدين وأمرهم أن يكون الشيخ عند المريد أكمـــل أهل زمانه، أو غير ذلك من الآداب فيقال له: إن هذا الطريق مبنى على التوحيد.

والتوحيد: إفراد الحق تعالى.

والفـــرد: هـــو الوِتر، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله وترٌ يحب الوتر)[1] الحديث.

انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١/١٥٩ الحديث رقم (٤١٢) ، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤/٧٤٥ الحديث رقم (١١٢٦٣) . و الحديث رقم (١١٢٦٤) .

(١) حديث: (إن الله وتر يحب الوتر) وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه

فأول ما يدخل المريد فى الطريق يلقن كلمة: (لا إله إلاّ الله) ثلاثًا. فكان أول الطريق وترًا وأخرها التوحيد، وهو وترّ. فالمريد مأمور بالوترية فى جميع أحواله. فلزم من هذه الوترية أن يكون شيخه عنده أكمل أهل زمانه لتحققه بأنه قيم بتأديبه، وتهذيبه، وتعريفه طريق السلوك الجامعة لكل وصف محمود ومذموم، وأن شيخه أجدر بذلك من غيره لينفذ فيه قول الشيخ، ويستعد باطنه لسريان حاله، وتصفو له صحبته فتعلق المريد بالشيخ ليس هو تعلق ذاتي، وإنما هو تعلق روحاني. فتعلقه ليس إلاّ للمعارف التي يجريها الحق على لسانه. وقد ضرب الحق تعالى لنا فى ذلك أمثلة ظاهرة. وهو أن اليد أو الرجل، أو العين، أو الأذن، إذا كان أحدهم معدوم الحركة أو الرؤية أو السمع. فلا فائدة بوجوده. فحاجتنا إليهم إنما هي لوجود بلوغ مقاصدنا ومآربنا بهم. فتعلقنا بالمشايخ إنما هو لضرورتنا، فإذا رأينا من هو أجدر بمعرفة طريق السلوك سلّمنا له وامتثلنا أمره. ولا نلتفت لما بينه وبين الحق ؛ فمتى راعينا ذلك وتحققنا خطاه، أو توهمناه وقع مِنا الخلل فى قبول كلامه، ومنع حجاب فساد اعتقادنا سريان حاله فينا، غير أنه يجب على من أراد السلوك طلب الدليل كما ذكرنا، فإن رأى المريد مددًا من أحد من أهل زمان شيخه أو غير زمانه، فإنما يكون بعناية الحق تعالى له لولادته المعنوية، وقد شاهدنا ذلك مرارًا فى البداية. فربما رأيت شخصا غير شيخي يمنحني شيئاً فأتناوله من يده فأتأملها فإذا هي يد شيخي، فأتحققها وأُقبلها. فالشيخ لما كان قائمًا بإذن الحق تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) على الوجه

=

وسلم قال: إن الله تبارك وتعالى وتر يحب الوتر. قال نافع: وكان ابن عمر لا يصنع شيئا إلا وترا. ص. ٥٠١ رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون. وعن سليمان بن صرد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: استاكوا وتنظفوا وأوتروا فإن الله وتر يحب الوتر. رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي ضعفه أبو حاتم والدارقطني وابن عدي ووثقه ابن حبان وإبراهيم بن أورمة ذكره فأحسن الثناء عليه.

انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢/ ٥٠٠،الحديث رقم (٣٤٤٥) ، ٢/ ٥٠١ الحديث رقم (٣٤٤٧).

المرضى المعتبر عند هذه الطائفة ساعده كل شيء من نبي وولي. فلما كان كذلك وجب على الطالب التعلق بهذا الدليل لمعرفته بالطريق الحق الموصلة ودرايته بآفاتها، وعوائقها، وعقباتها، وأهوالها، وخبرته بدسائس النفوس، ورعوناتها، ومعرفة أدويتها، وأدوائها، وحظوظها في حال كثافتها ولطافتها. وقد أوجب الحق تعالى علينا أيضا الاشتغال به والإقبال عليه. ولسنا نعرف كيفية ذلك، فوجب علينا طلب الدليل لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة/٣٥) فإذا أوجدنا الدليل تمسَّكنا به تمسُّك الأعمى بالقائد على شاطئ لبحر، وسلَّمنا له كما يسلم المريض المنصف للطبيب الحاذق. وأمَّا اعتقادنا الكمال في الدليل أو عدمه فلا يعود عليه منه شيء من نفع ولا غيره. فإن الكامل مقتف آثار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا ينفك عن متابعته ذرة ولا أقل منها، فإنه أولى به من نفسه لقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ (الأحزاب/٦). فإذا كان كذلك فقد قال تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٤١ ﴾ (يونس/٤١) وقال تعالى: ﴿ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ ﴾ (الشعراء/٢١٦) وقال تعالى في حق نوح (عليه السلام): ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ ﴾ (هود/٣٤) فأهل الكمال تأدبوا وتهذبوا بأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .فليس لهم مع الحق تعالى نسبة إلاَّ ما نسبه إليهم وكلفهم به.ومن المعلوم أن عمل كل إنسان إنما هو عائد على نفسه لقوله تعالى: ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ ﴾ ولاشك ولا ريب أن الاعتقاد عمل قلبي لقوله تعالى: ﴿ بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ ﴾ (البقرة /٢٢٥). فحينئذ اعتقادنا الأكملية في الدليل إنما هو عائد علينا. لقوله (صلى الله عليه

وسلم) : (إنما هي أعمالكم ترد عليكم)[(١)]. وفي الأحاديث الصحيحة تشخيص الأعمال الصالحة بالرجل الصالح وبضده بالأعمال السيئة[(٢)].

---

(١) حديث: (إنما هي أعمالكم ترد عليكم..) قال النجم رواه أبو نعيم عن حسان بن عطية قال بلغني أن الله تعالى يقول يوم القيامة يا بني آدم إنا قد أنصتنا لكم مذ خلقناكم فأنصتوا لنا اليوم نقرأ عليكم أعمالكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه إنما هي أعمالكم ترد عليكم وفي كتاب الله تعالى ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤] انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ٢٤٩/١ الحديث رقم (٦٥٣) .

(٢) وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكث به في الأرض فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثا. ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ويجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض [فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه] في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان [له]: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان: ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي بشرك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح.
=

وقد قيل: إن الحق تعالى يظهر لأهل الموقف في صور أعمالهم، واعتقاداتهم التي كانوا يعتقدونها في دار الدنيا.فوجب علينا اعتقاد كمال الدليل، فإن الله تعالى مـــنَّ علينـــا بـــه، وبمتابعته، واقتفاء آثاره، وليس هذا من قبيل التزكية على الله تعالى،كمـــا قـــال بعض الفضلاء مستدلاً بحديث: (لا تزكوا على الله...) [1]. ومعناه، والله أعلم:

أي لا تعظمـــوا على الله أحداً. فإنه ورد في نص القرآن في غير ما موضع مـــدح أقـــوام، وذم آخرين وتخصيص مولى بأوصاف محمودة، ومولى بأوصاف

فيقول: ربِّ أقم الساعة ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب. فتفرق في جسده فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض. فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا - حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له". ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى. ثم تطرح روحه طرحا". ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ [الحج: ٣١] فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. [فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري] فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة" قلت: هو في الصحيح، وغيره باختصار.

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وانظر: مجمع الزوائد ٣/١٧٠.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

مذمـــومة. ولاشك ولا ريب أن من مدح فى نص القرآن فهو مزكى، ومن رأينا فيه الأوصاف التي وردت في نص القرآن زكيناه على غيره. وقد ورد أن عائشة (رضوان الله تعالى عليها) أجابت حين سألها الأعرابي عن خُلق سيدنا رسول الله (صـــلى الله علـــيه وســـلم) فقالت: (كان خُلقه القرآن) [1] فهو (صلى الله عليه وسلم) الجامع لجميع الأخلاق الحميدة والأوصاف الجميلة الذكية الطاهرة. فمن اقتفى آثاره (صلى الله عليه وسلم) وتخلق بأخلاقه، وتحققنا منه ذلك على وفق ما منَّ الحق علينا به من الوهب الإرادى القديم الأزلى، فليس لنا عنه انفكاك ألْبتَّة إلى أن يخـــرجنا الحـــق تعالى على يديه من رقٍّ الأغيار، ومطالعة الرسوم والآثار ويلقيـــنا فى تـــيار بحـــار التوحيد. وأمَّا شغلنا بالسوابق واللواحق، وطلب رؤية المقامـــات، والـــرتب ومعرفتها فالاهتمام بذلك يوجب التفرقة والانقطاع عن المقـــصود الذي نحن بصدده وهو التوحيد الواجب على الخلق معرفته والاشتغال به والغرق فيه.

وأمَّا النوع الثالث:

فقوم حُجبوا لشغلهم بمراعاة الوقت، فغالب أحوالهم يراعون أوقاتهم حتى لعل أحدهم تمرُّ به أوقات لا يسع فيها أحدًا لقوة مراعاته للوقت وخوف فواته، فهو مراع أوقاته وأنفاسه. ولهذا. قالوا: الصوفي ابن وقته، لا يشتغل بماضي ولا مـــستقبل. فهذا النوع أكمل من النوعين المتقدمين غير أن فيه علة. وهو حجبه بشهود رؤية الوقت دون الوقت.

وأمَّا النوع الرابع:

فقوم اشتغلوا بشهود رؤية الوقت عن رؤية الوقت. بل غابوا عن شهود

---

(١) حديث: (كان خلقه القرآن).

(هذا الحديث هو جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل رقم (٧٤٦) ورواه الإمام أحمد بن حنبل، وأبو داود، ورواية مسلم كلهم عن عائشة رضوان الله تعالى عليها.) انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد: ٧/٢٥٥ الحديث رقم (١٨٣٧٨).

شهودهم ورؤية شغلهم به. بل غابوا عن نسبهم وإدراكاتهم بل غابوا عن غيبتهم بل أطمسهم الحق تعالى فى بحار التوحيد فلا معنى ولا حس، ولا علم، ولا هدى سوى ما كان فى أزله فما أشهى هذا الطمس. فلما طمست جميع جزئياتهم وكلياتهم صاروا طمسا فى طمس. فهم فى هذا الطمس لا ينفكون عنه ولا يخرجهم منه كلام أو أمر أو نهى. وإنما المحرك لهم فى ذلك الحق تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات/٩٦) وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (ما قلته، ولكن الله قاله)[1]. وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (قال الله على لسان عبده. سمع الله لمن حمده)[2] وقوله في الحديث الصحيح الإلهي: (فإذا أحببته)[3]. فهم في هذه الطمسة متفاوتون على وفق القسمة الأزلية.

فمنهم: مَن من أول وهلة يطمس فلا يزال كذلك من غير أن ينشأ إنشاءًا ثانيًا.

ومـــنهم: مـــن يرقيه الحق سبحانه وتعالى، وهو أنه لمّا أن يطمسه يُنشئه

---

(١) ١٦٥٥٩ – وعن سلمة بن الأكوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها ما أنا قلته ولكن الله قاله) رواه أحمد والطبراني وفيه عمر بن راشد اليمامي وثقة العجلي وضعفه الجمهور وبقية رجالهما رجال الصحيح.
انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٠/١٢ الحديث رقم (١٦٥٥٩).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) حديث (كنت سمعه....) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب إلى عبدي بمثل الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته لأنه يكره الموت وأكره مساءته. رواه أحمد وفيه عبد الواحد بن قيس مولى عروة وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدى الروايتين وضعفه وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه الطبراني في الأوسط وزاد: " فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وأذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ". والباقي بنحوه ورجاله رجال الصحيح خلا شيخه هارون بن كامل. رواه البزار بنحوه. قلت: وبقية طرقه في كتاب الزهد في باب من آذى وليا.
انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد ٢/ ٥١٣ الحديث رقم (٣٤٩٨).

إنشاءاً ثانيا فى حال الطمس موافقا لما طمس فيه فيدرك ما طمس فيه بما طمس فـــيه من غير انفكاك عنه. فلا يزال يطمس وينشأ إلى حيث شاء الحق تعالى من حيث لا حيث، وكل من تنوع عليه الطمس وتوالى عليه الإنشاء كان أتم وأكمل ممـــن طمس، ودامت طمسته، والمرجع في ذلك كله لمراد الحق تعالى فيما قسم وَقدَّر من الأزل. والله أعلم

جمـــــع في جمـــــع

اعـــلم أن الحق سبحانه وتعالى لما أن شرف هذا النوع الإنساني جعله بمجمع عالم الغيب والشهادة ووجه إليه أمره، ونهيه، وأحكامه، وحكمه، فكانت الإشارة إليه، والمدار عليه، وجمع فيه جزئيات الكليات وكلياتها، فهو جامع الجوامع، ومورد الواردات الروحانيات والجسمانيات فما من كثيف ولطيف، ودنى وشريف، وجوهر وعرض، ونفيس وخسيس، ونور وظلمة. إلاَّ وهو مندرج فى هذا الهيكل اللطيف الحاوي لجميع الأشياء. ولهذا توجهت إليه كليات الكائنات على عظمها، ووسع دوائرها، وسماكة رتقها، وتوجهها إليه. إنما هو لأجزائها المنطوية فيه، وهو توجه تعشق روحاني، وربما تتوجه الأجزاء لكلياتها: فتارة تتوجه الكليات إلى أجزائها. وتارة تتوجه الجزئيات لكلياتها. وذلك تعشق البعض الكل، أو الكل البعض. فلما أن صار هذا الإنسان جامعا لأجزاء الكائنات حاوية دائرته جميع الدوائر وكان فى الأزل القديم إرادة الكمال له بإبرازه فى الوجود الكوني أبرز فحينئذ ستر بحجب ما انطوى فيه فبينما هو في ظلم غياهب حجب الجهـــالات إذ سمع قولـــه تعـــالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ (الذاريات/٥٦) .

قال ابن عباس[1] (رضي الله عنهم) أي: ليعرفون. فوجب عليه الخروج عن

(١) (ابن عباس) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي. عالم، فقيه، صحابي، ولد بمكة ونشأ بها، ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه الأحاديث، وسكن الطائف، وتوفي بها. ينسب إليه تفسير القرآن، ومسند في الحديث، =

هذه الدوائر المنطوية فيه، والحجب الساترة له، والغرق في تيار بحار التوحيد فتأمل بعقله وفكره كيفية الخروج فلم يجد إليه سبيلا. فبينما هو فى الحرة إذ سمع قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة/٣٥) فسعى في طلب الدليل الذي يعرف كيفية الخروج عن ما انطوى فيه وجد في الطلب فوجد خلقًا كثيرًا ممن ينسب نفسه إلى الدلالة والمعرفة فاشتبه عليه الحال، وصار لا يدرى بمن يتمسك فوفقه الحق تعالى لعنايته به أن يتوجه إليه سبحانه بالإخلاص والصدق والفقر والفاقة أن يجمعه على أكمل أهل زمانه وأعرفهم بالحق تعالى وبالطريق إليه وأخشاهم له. فأكمل - سبحانه وتعالى - المنَّة عليه وجمعه بمن اتصف بالكمال المستحق للوراثة، والاستخلاف العاري عن النسب إلاّ ما نسبه الحق إليه. فلما وجده سلم إليه الانقياد، وقال: ليس لي منى شيء، فأمره حينئذ بالخروج عن ما انطوى فيه، والمسارعة في أسباب ذلك. فإن نازعه فى ذلك نفوسه وأهويته، وخواطره الردية أمره بمجاهدتها، ومخالفتها، والاستعانة عليها بباريها، ومالكها القادر على خلاصه منها، وخروجه عنها فعند ذلك أخذ فى المحاربة والمجاهدة على وفق ما يشير له به شيخه فصار يقطع الأشياء المنطوية فيه شيئا فشيئا بالتدريج فى وقت، وقد يقطعها مع العناية دفعة واحدة فى وقت أو أكثر. وكل ذلك لعناية الحق تعالى به، ولإرادته إكماله لأنه - سبحانه وتعالى - أطلعه على ما انطوى فيه، ولم يتطلع على ذلك من قبل. فلما أن مَنّ الحق تعالى عليه، ووفقه للزوم المجاهدات والمكابدات، وذبح النفوس بسيوف المخالفات، وأتم له النعمة بجمعيته على الدليل الكامل. وأخرجه الحق تعالى على يديه من رق الأغيار، ولحظ الآثار، وأغرقه في تيار أمواج بحار التوحيد وأطمسه

-

وفتاوى جمعها أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون في عشرين مجلدا. (خ) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٩: ٢٣٨ / ٢ - ٢٤٤ / ٢، فهرس المؤلفين بالظاهرية، الصفدي: الوافي ١٥: ٤٧ (ط) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١: ١٧٥، حاجي خليفة، كشف الظنون ٤٣٨، ١٢٢٦، نور عثمانيه كتبخانه ١٢، ١٣. وانظر معجم المؤلفين ٦/ ٤٦.

فيها. فحينئذ عدم الإدراك، والإحساس، فلا يشعر ولا يدرك، ومحقت آثاره البشرية. جاءته العناية والإمداد من الله تعالى وردُّه إلى مقام النهاية، بعد الفناء فيه، وصار له سمعًا، وبصرًا، ولسانا، ويدًا (١). فتكلم، وسمع، وشاهد، مالا يدرك، ولا يعبر عنه، وقال: أنا الحق، وأنا الخلق. وأنا الرتق(٢)، وأنا الفتق(٣)، وأنا العين وأنا الغين، وأنا الجمع وأنا الفرق. فلما خصصه الحق تعالى بهذا التخصيص جعل فيه قابلية الحجاب والشهود، فصار ذو وجهين: وجه الحجاب، ووجه الشهود.

- فـــوجه الحجاب: دائرته جامعة لدوائر الكائنات فأكبر الدوائر وأعظمهـــا فيه كالذرة في جانب العرش، وما كانت بوصف الذرة إلاّ في دائرة وجه الحجاب.
- وأمَّـــا وجه الشهود الذاتي: فلا أثر لها ولا وجود، فإنه لا بقاء لشيء مع وجود الظهور الذاتي. والله أعلم

---

(١) الذي ذكره في الحديث السابق: (فإذا أحببته كنت له يدا...).

(٢) الرتق عند الصوفية هو: الغيبة والبطون، ويقال الرتق على نسب باعتبار الواحدية، ويعنى به إجمال المادة الواحدية المسماة بالعنصر الأعظم المحمل المرتوق قبل خلق السموات والأرض المفترق بعد تعينهما. انظر: القاشاني: لطائف الإعلام (معجم في شرح المصطلحات والإشارات الصوفية) بتحقيقنا ١/٤٨٢.

(٣) أما الفتق: فهو الظهور من البطون، ويعني به تعدد العين الواحدة، وتعيناتها. ويقال: الفتق ويراد به تعدد وحدة مطلق البطون بظهور شؤون الوحدة بصور الكثرة الفاتقة لرتقها. ويعنى بالفتق أيضا تفصيل المادة الوحدانية الإجمالية المسماة بالعنصر الأعظم المرتوقة قبل خلق السموات والأرض المفتوقة بعد تعينهما.

أمّا الفتقُ لغةً: خلاف الرتق، وفتَقَه يفتُقه فتقا إذا شقّه. والفتق الحلة من الغيم، والجمع فتوق. و الفتق: الصبح، وهو انفلاق الصبح. والفتق اللسان الفصيح. وفي القرآن الكريم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ (الأنبياء/٣٠) انظر: ابن منظور: لسان العرب مادة: فتق. طبعة دار المعارف.

وانظر: القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية: ٢/ ١٩٨.وانظر: ابن عربي الفتوحات المكية: ١٣ فقرة ١٦ من طبعة الهيئة العامة للكتاب.

فـــرق فيه جمـــع

إن الحق سبحانه وتعالى بصرنى القرطاس وما فيه، والعلم، وذاتي، وفهومى، ومـــذاقاتي، ونسبى، وإدراكاتى. فإذا هي مسخرة في قبضة قهر الأحدية [1]. وإن الخلق، والأمر، والرزق، والإبداع، والاختراع فعل الألوهية. وإن جميع الكائنات مـــن آثـــار الأفعال فهي منسوبة لها حينئذ لإبقاء الآثار مع ظهور المؤثر. ثم إن الآثـــار مع وجود قهرها مأمورة مكلفة لقبول امتثال الأمر والنهى، مطالبة للقيام بذلك. فكما أنها لا تنفك عن القهر بتعرفه القضاء والقدر فيها. وكذلك لا تنفك عن المطالبة بالقيام بالأمر والنهى، وليس لها حجة ولا قدرة على ترك أحدهما. ثم إنهـــا في حال القضاء والقدر مقهورة. وفى حال الأمر والنهى مقهورة ما لم يتفق الحالتين. فأمَّا إذا اتفقا فهي السلامة والغيب لا يعلم. والله أعلم..

---

(١) والأحدية هنا هي: (هي اعتبار الذات من حيث لا نسبة بينها وبين شيء أصلا، ولا شيء إلى الذات نسبة أصلا، ولهذا الاعتبار المسمى بالأحدية تقتضي الذات الغنى عن العالمين، لأنها من هذه الحيثية لا نسبة بينها وبين شيء أصلا. ومن هذا الوجه المسمى بالأحدية يقتضي أن لا تدرك الذات ولا يحاط بها بوجه من الوجوه لسقوط الاعتبارات عنها بالكلية. وهذا هو الاعتبار الذي تسمى به الذات أحدا. ثم إن هناك أحدية صفاتية، وأحدية أسماء، واحدية فعلية، وأحدية جمع. وأحدية الجمع هي مرتبة الأحدية المراد بها أول تعينات الذات، وأول رتبها الذي لا اعتبار فيه لغير الذات فقط كما هو المشار إليه بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (كان الله ولا شيء معه) . إذ ليس ثم إلا ذات واحدة مندرج فيها نسب واحديتها.

انظر: القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية: ١ / ١٧١.

أشهدني الحق بمشهد نور الأحدية، وطلوع نجم العبودية . وقال لي: ارتبطت الأحدية بالعبودية ارتباطا هذا لا . ثم قال لي: أنا الأصل، وأنت الفرع . ثم قال لي: أنا الأصل، وأنت الفرع . ثم قال لي: الأصل أنت، والفرع أنا . ثم قال لي: أنت الواحد، وأنا الأحد، فمن غاب عن الأحدية رآك، ومن بقى معها رأى نفسه هي حضرة التوالي، لو انقصمت لم تكن. ثم قال لي: لا تنم إلا على وِتْرٍ ثم قال لي: لا وِتْرانِ في ليلة، فإن أحدنا يبقى . ثم قال لي: صلِ المغرب ولا تُصلِ العتمة فيجب عليك الوتر، فتكون شفعا) ابن عربي مشاهد الأسرار الصفحة ١١٢، ١١٣.

فـــــرق

مـــا سطر في هذه الورقات يشير إلى التنويه بأكملية السالك الذائق، على غـــيره ممن ذاق، ولم يسلك. وذاك لأن الحق تعالى أوجد في الموجود الإنساني جمـــيع الموجـــودات، من لطيف وكثيف، وفى ذلك تنويه بمزيته على غيره من الموجـــودات. ثم إن الموجـــود الإنساني لما أن كان جامعًا كاملا تنوع بتنوع قابلياته. فمن ثمة وقع التفاوت فى هذا النوع.

- فمـــنهم: مـــن كـــشف له عن ما انطوى فيه من الموجودات بملازمة المجاهـــدات والـــصبر عليها ثم بعد ذلك العناء ذاق المقصود بواسطة العناية هذا يسمى سالكا ذائقا فحصل له الكمال.

- ومـــنهم: مـــن ساعدته العناية فذاق المقصود من غير عناء هذا يسمى ذائقا، غير أنه ما سلك، فإن رده الحق تعالى في تنـــزلات معارج، مرآئي مراتب السلوك، سُمِّي ذائقا سالكا، فحصل له الكمال بالسلوك.

والـــسلوك هـــو: أن يـــشهد السالك ما انطوى فيه من أجزاء الكائنات الوجودية من عالم الملك، وعالم الملكوت[1]. وهى من علامات الطريق.

ولهذا قالوا: لولا العلامات لادّعى كل أحد الكمال. فالسالك إذا أخذ في الـــسلوك اطلع على ما انطوى فيه من الأخلاق المحمودة، والمذمومة، وكل خُلُق من أخلاقه المذمومة له نوع من الحيوانات والأشباح الخبيثة الشيطانية. فإذا رأى السالك شيئا من تلك الحيوانات كان دالاً على حاله في خُلُقه المخصوص به ذلك الحـــيوان، فإن رآه ضعيفاً، أو قويا، أو غير ذلك كان دالاً على ما فيه من الخُلق الموافـــق له.وأما الأخلاق المحمودة فلها أيضا من الحيوانات الحسنة، والنباتات، والأزهـــار، والـــرياض الأنيقة، والأرواح الطيبة، والأسرار، واللطائف، والعلوم، والمعـــارف، مالا يسخر، ولا يعرف ذلك ويعبر عنه إلا من سلك وشاهد ذلك

---

(١) معلوم ان عالم الملك هو عالم الأجسام والجسمانيات، وعالم الملكوت هو عالم الأرواح والملائكة. انظر في ذلك القاشاني: معجم المصطلحات بتحقيقنا ٢/١٠٠.

كله في حال سلوكه، وهذا من بعض علامات السلوك. فإن علاماته لا تتقيد ولا تنضبط، غير أن العارف الأستاذ إذا ورد عليه فقير سالك وذكر له واقعته. استدل بــذلك علــى حالــه، وعرف ما هو فيه بحسب ما يطلعه الحق تعالى عليه من المعــرفة. ولهذا وجب على السالك أن يذكر جميع ما يرد على باطنه وظاهره من محمــود ومذمــوم لشيخه، وأن لا يكتمه شيئاً قلّ ولا جلّ، فإن كتمه شيئاً كان خائــناً، والله لا يحب الخائنين، ولهذا قالوا: ليس من شرط الشيخ أن يطلع على باطن المريد ولكن من شرط المريد أن يذكر جميع ما خطر بقلبه لشيخه.

جمـــــــع

إن الأحديــة المطلقــة عن قيد الإطلاق ثبت وجودها بثبوت وجود ذاتها المطلقــة، فــتجلت في مكنون غيبها كيف شاءت ؛ فظهرت الواحدية بأنواع التجلــيات الأسمائية، والصفاتية فتعددت الآثار لتعدد مظاهر الأسماء والصفات، فأجــاب كل أثر مظهر الاسم الداعي له فبرز في الوجود المقيّد على وفق ما قدر في المكنون الغيبي.

ثم إن هــذه الآثار لما تعددت وتنوعت وقع بها التفاوت من حيث قابليتها فلمــا كان كذلك صار منها: ما هو القابل لجميع الواردات الاسمائية والصفات على اختلاف تنوعاتنا ولتخاذ أعدادها. فالمتصف بهذا كاملا.

ومــنها: ما يقبل بعض الأسماء والصفات دون سائرها فالمتصف بهذا ليس بكامل وهو دون الأول.

ومــنها: ما يقبل وجهاً من الاسم دون سائر وجوهه فإن لكل اسم وصفة وجــوها لا تحصى ولا يدركها إلا البعض من أصل الكمالات المتحقق بجميع وجــوه الأسماء والصفات وليس يخرج أثر عن هذه الوجوه فإن في كل أثر قابلية لداعــية فلا يدعى إلا على قدر قابليته فكذلك لا يقبل إلا على قدر داعيه فمن الآثار من تدعوه جميع الأسماء والصفات فيجيب بحسب ما دعاه فلهذا كان قابلا لها.

ومنها: من تدعوه أسماء معينة، ومنها من يدعوه اسم واحد فلا يقبل غيره

لعدم قابليته له ومنها: من يدعوه وجه من اسم دون سائر وجوهه، فإن الاسم في نفسه قابل لجميع الأسماء والصفات ؛ فتتعدد وجوه الاسم من حيث تعدد الأسماء والقابلية نفسها تتنوع وتتعدد بتعدد الأحوال وتنوعها، لتغاير تفاوت المحمود منها والمذمـــوم. ثم إني اعتبرت بمعيار عقل المودع حسب ما سبق فى مكنون غيبي المــستخرج مـــن ركن العدم التقييدي إلى وجوده فرأيت اختلافا وتنوعا لايكاد ينحصر وذلك لحكم ظاهرة وأسرارها بها قائمة.

فـــتحققت أن لا مـــضاددة ولا اختلاف، لأن كل ضد مواز ضده بميزان الاعـــتدال والمقابلة فإن بوجودهما استقام وجود الكائنات وظهرت الحكم عند شهود بروزها فى عالمي الحكمة والقدرة.

- فصاحب الحكمة والشهادة مقيد بقيود لايكاد يدركها.
- وصاحب القدرة والغيب مطلق من كل قيد.
- وذوا الـــوجهين الكامل الجامع مطلق من وجه، ومن وجه مقيد. فوجهي إطلاقه وتقييده لم يدركا لوسع دوائره وعظمها، وعدم انتهائها، وغايتها.
- وصاحب وجه التقييد يشهد الكامل مقيدا.
- وصاحب وجه الإطلاق يشهده مطلقا.وكلاهما صادق في شهوده لم يطلع على غير حقيقة وجوده فإنه لا يمكنه أن يرى غيره لوجود قيده وقصوره، وإن كان صاحب وجه الإطلاق لكونه مقيداً بقيد إطلاقه غير مقـــيد بقيد التقييد والكامل جامع لها. فهو صاحب الوجهين، والعينين، والجناحين، والقدمين، والسمعين والذراعين، والنعتين، والوصفين. فهذا هـــو الخلـــيفة المـــستحق للوراثة والتوريث الجامع لجميع أجزاء كليات الذرات الوجودية والإطلاقيات الكلية، والمنح الوهبية والأسرار الموهوبية وصـــاحب أحد الوجهين لا يوصف بهذا الوصف ولا ينعت بهذا النعت فإنه غير جامع الضدين وليس بحاوٍ للوجهين.

﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (البقرة/٢٤٥) .

نهـــــاية الرسالة

والحمد لله وحده، وصل الله وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، الناصر لما سبق[1] معدن الكمالات،

ومنح الهبات والعطيات،

ومعدن التجليات.

ويليه " دليل الطالب على القصد في المطالب "

تأليف العارف الكبير المذكور أعاد الله علينا من بركاته ونفحاته.

---

(١) ربما كانت قصد أن يكتب صيغة صلاة الفاتح أرادها ولم تكتمل وصلاة الفاتح كاملة هي:

(اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم).

الغُرَر

في

فضائل عُمَر رضي الله عنه

تأليف

الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

الخضيري السيوطي

المتوفى ٩١١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على القوم الكافرين

الحمـــد لله الذي شرّف مقدار من أراد من العباد، وأشهد أن لا إله إلا الله المالـــك للإشقاء والإسعاد، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله من قام بسبيل الرشاد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الأئمة الأمجاد.

وبعـــــد:

فهـــذا كـــتاب لقبـــتُه الغُرَر في فضائل عُمَر، أودعته أربعين حديثا مَعزُوَّةً لِمُخرجيها، متبعة ببيان غريب ألفاظها ومشكل ما فيها، والله أسأل أن ينفع بها.. آمين.

الحديث الأول

عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبو بكر وعمر سيِّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، ما خلا النبيين والمرسلين) .

حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد وغيره.

الحديث الثاني

عـــن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) .

حديث صحيح رواه الإمام أحمد وغيره.

الحديث الثالث

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه، عن جده- وما له غيره- أن رســول الله (صـــلى الله علـــيه وسلم) قال: (أبو بكر وعمر مني كمنزلة السمع والبصر) .

أخرجه أبو يعلى وغيره.

الحديث الرابع

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (أبو بكر وعمر من هذا الدين كمنزلة السمع والبصر من الرأس) .

أخرجه ابن النجار، وأخرجه الخطيب عن جابر أيضا.

الحديث الخامس

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (أبو بكر وزيري يقوم مقامي، وعمر ينطق على لساني، وأنا من عثمان وعثمان مني، كأني بك يا أبا بكر تشفع لأمتي) .

أخرجه ابن النجار.

الحديث السادس

عـــن ابـــن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبـــو بكر وعمر مني كعينَيَّ في رأسي، وعثمان بن عفان مني كلساني في فمي، وعلي بن أبي طالب مني كروحي في جسدي) .

أخرجه ابن النجار.

الحديث السابع

عـــن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى) .

أخرجه الخطيب في تاريخه.

الحديث الثامن

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبو بكر وعمر خير أهل السموات والأرض، وخير من بقي إلى يوم القيامة).

أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

الحديث التاسع

عـــن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة) .

أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة وغيره.

الحديث العاشر

عـــن ابن عباس عن أخيه الفضل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عمر مني وأنا من عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان) .

رواه الطبراني في معجمه الكبير وغيره.

الحديث الحادي عشر

عـــن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) .

حديث صحيح أخرجه الترمذي وغيره.

الحديث الثاني عشر

عن أيوب بن موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق فَرَقَ الله به بين الحق والباطل) .

أخرجه ابن سعد هكذا مرسلاً.

الحديث الثالث عشر

عـــن بلال رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جعل الحق في قلب عمر، وعلى لسانه) .

أخرجه ابن عساكر.

الحديث الرابع عشر

عـــن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب صـــدر عمر بيده حين أسلم وقال: (اللهم أخرج ما في صدر عمر من غل وداء، وأبدله إيمانا -ثلاثا-) .

الحديث الخامس عشر

عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر) .

أخرجه ابن عساكر.

الحديث السادس عشر

وعـــنه قـــال صـــلى الله عليه وسلم: (خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر) . أخرجه ابن عساكر أيضاً عن علي والزبير معاً.

الحديث السابع عشر

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لشاب من قريش، فظننت أني هـــو، قلـــت: ومـــن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب، فلولا ما علمت من غيرتك لدخلته) .

حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد وغيره.

الحديث الثامن عشر

عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت في المنام أني أنـــزع بدلـــو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع دلواً أو دلوين وفي نزعه ضـــعف والله يغفر له، ثم أخذ عمَر فاستحالت بيده غرباً فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن) .

حـــديث صـــحيح أخرجه البخاري وغيره. الغرب بفتح الغين المعجمة وسكون الراء: الدلو الكبير. والعبقري بفتح العين المهملة وسكون الموحدة وفتح القاف وكسر الراء: الرجل الشديد. ويفري بسكون الفاء: ينزع.

الحديث التاسع عشر

عـــن سَمُرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت كأن دلواً دليت من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيبها فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيبها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيبها حتى تضلع، ثم جاء عليٌّ فأخذ بعراقيبها فانتشطت وانتضح عليه منها) .

أخرجه الإمام أحمد وغيره.

الحديث العشرون

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت في النوم أني أُعطيت عساً مملوءاً لبناً فشربت منه حتى تمالأت حتى رأيته يجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت فضلة فأعطيتها عمر بن الخطاب) فأولوها قالوا: يا نبي الله هذا علم أعطاكه الله فملأت منه، وفضلت فضلة فأعطيتها عمر بن الخطاب، فقال: (أصبتم) .

حديث صحيح أخرجه الحاكم وغيره.

الحديث الحادي والعشرون

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (رأيت قبيل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأمـــا المـــوازين فهذه التي يوزن بها فوُضِعتُ في كفة، ووضعت أمتي في كفة ؛ فـــوزنت بهم فرجحت ثم جيء بأبي بكر فوزن، فوزن بهم، ثم جيء بعمر فوزن، فوزن بهم، ثم جيء بعثمان فوزن، فوزن بهم، ثم رفعت) .

أخرجه الإمام أحمد.

الحديث الثاني والعشرون

وعنه (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (رضي الله عن عمر، ورضي عمر عن الله) .

أخرجه الحاكم في تاريخه.

الحديث الثالث والعشرون

عـــن ابـــن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللـــهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام) فجعل الله دعوة رسوله لعمر بن الخطاب فبنى به الإسلام وهدم به الأديان.

أخرجه الطبراني في معجمه الكبير بسند صحيح.

الحديث الرابع والعشرون

عـــن أبي بكر الصديق كرم الله وجهه ورضي عنه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال: (اللهم اشدد الإسلام بعمر بن الخطاب) .

أخرجه الطبراني في الأوسط.

الحديث الخامس والعشرون

عـــن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية الخميس فقال: (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام) فأصبح عمر يوم الجمعة فأسلم).

أخرجه الطبراني في الأوسط أيضاً.

الحديث السادس والعشرون

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما كان مـــن نـــبي إلا في أمـــته معلم أو معلمان، وإن يكن في أمتي منهم فهو عمر بن الخطاب، إن الحق على لسان عمر وقلبه) .

أخرجه الطبراني فيه أيضاً. المُعلَّم بفتح اللام: الملهم.

الحديث السابع والعشرون

عـــن عصمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو كان بعدي نبي لكان عمر) .

أخرجه الطبراني.

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كان الله باعثاً رسولاً بعدي، لبعث عمر بن الخطاب) .

أخرجه الطبراني.

الحديث التاسع والعشرون

عـــن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتاني جبريل عليه السلام فقال: أقرئ عمر السلام وقل له: إن رضاه حكم، وإن غضبه عزّ) .

أخرجه الطبراني.

الحديث الثلاثون

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عزَّ وجلَّ باهى ملائكته بعبيده عشية عرفة عامة، وباهى بعمر بخاصة) .

أخرجه الطبراني.

الحديث الحادي والثلاثون

عن ابن عباس قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى عمر وتبــسَّم إليه، فقال: (يا ابن الخطاب أتدري بما تبسمت إليك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: (إن الله عز وجل باهى بأهل عرفة، وباهى بك خاصة) .

أخرجه الطبراني.

الحديث الثاني والثلاثون

عن مولاة حفصة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه) .

أخرجه الطبراني في الكبير وحسن بعضهم سنده.

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبي الطفيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا أنزع الليلة إذ وردت عليّ غنم سود وعفر، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، فجاء عمر فاستحالت غربا فملأ الحياض وأروى الأودية فلم أر عبقرياً أحسن نزعاً من عمر، فأولت السود العرب، والعفر العجم) .

أخرجه الطبراني بسند صحيح.

الحديث الرابع والثلاثون

عـــن جابر بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقــبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه قميص أبيض، فقال له رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم: (يا عمر أجديد قميصك هذا أم غسيل) ؟ فقال: غسيل، فقال: (البس جديداً وعش حميداً ومت شهيداً يعطيك الله قرة عين في الدنيا والآخرة) .

أخرجه البزّار.

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي ذر في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عمر فقال: (لا تصيبنكم فتنة ما دام هذا فيكم) .

أخرجه الطبراني.

الحديث السادس والثلاثون

عـــن أبي ســـعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أبغض عمر فقد أبغضني، ومن أحب عمر فقد أحبني، وإن الله باهى بالناس عشية عـــرفة عامة، وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان في أمته محدَّث، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهوعمر) . قالوا: يا رسول الله كيف يحدَّث؟ قال: (تتكلم الملائكة على لسانه) .

أخرجه الطبراني.

الحديث السابع والثلاثون

عـــن الأسود بن سريع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعني عمر: (هذا رجل لا يحب الباطل) .

أخرجه الإمام أحمد والطبراني.

الحديث الثامن والثلاثون

عـــن قدامة بن مظعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشار إلى عمر فقـــال: (هذا غلق الفتنة) وقال: (لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين ظهرانيكم) .

أخرجه الطبراني والبزّار.

الحديث التاسع والثلاثون

عـــن سهل بن أبي حثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان، فإن استطعت أن تموت فمت) .

أخرجه أبو نعيم وغيره.

الحديث الأربعون

عـــن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عمار

أتـــاني جبريل آنفاً فقلت: يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب في السماء فقـــال: يا محمد لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ما نفدت فضائل عمر، وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر) .

أخرجه أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط.

خاتمـــــة

أخرج الإمام أحمد والبزّار والطبراني عن عبد الله بن مسعود قال: فضل عمر بن الخطاب الناس بأربعة: بذكرى الأسرى يوم بدر أفتى بقتلهم فأنزل الله عز وجل ﴿ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأنفال: ٦٨). وبذكر الحجاب أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله عز وجل) وَإِذا سَأَلْتُموهُنَّ مَتاعاً فَاسأَلوهُنَّ مِن وَراءِ حِجابٍ (وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم أيد الإسلام بعمر) ورأيه في أبي بكر كان أول من بايعه.

وأخـــرج الطبراني عن طارق بن شهاب قالت أم أيمن يوم قتل عمر: اليوم وهـــى الإسلام. وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود: إن كان إسلام عمر لفتحاً وهجـــرته لنصراً، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي عند البيت حتى أسلم عمر. وفي رواية: ما استطعنا أن نصلي عند البيت الكعبة ظاهرين.وفضائله رضي الله عنه أفضل من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، وإنما أردت أن أتبرك بخدمته رضـــي الله عنه بهذه الصبابة، وأمتع من لا يعرف كثيراً من مناقبه ببعضها بجاهل إمامه.

والله ولي التوفـــيق وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهـــراً، وصلى الله على رسوله ونبيه سيدنا محمد وآله وصحبه وشيعته وحزبه آمين. والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب بحمد الله وعونه، وتوفيقه.

الدعاء
بأسماء سور
القرآن الكريم

لمؤلف مجهول

١

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا
وعلى آله وصحبه وسلم

بدأت ببسم الله في أول السطر فأسماؤه حصن منيع
من الضر وصليت في الثاني على خير خلقه محمد المبعوث
بالفتح والنصر نعوذ بالرحمن في السر والجهر من الشرك
والشيطان ما دمنا في الدهر إذا استفتح القرآن بحكم الذكر
باسمك يا ذا العرش يستفتح المقر ونسألك اللهم من فضلك
الرضا بحل عقود العسر في إيسر اليسر توسلت بالأقسام
أسأل داعيا ورغب للرحمن في السر والجهر ورغب
فيما يرغب الخلق سيدا إلى ملك الأملاك في النفع والضر
باسمك رب العرش أنت إلهنا بديع السموات المدبر للأمر
سألتك يا من لا ترام صفاته وجل عن الأوهام والوصف
والحصر بما لك ربي في سماواتك العلى من الملك والسلطان
والطول والقدر بما سبحك الطير بالألسن التي يجري في تسبيحها
كل ذي فكر بحقك عند العارفين بقربهم بما جاء في القرآن
بالشفع والوتر بإحصائك الأشياء عدا وخبرة وعندك مفاتيح
الغيوب بما تدري بأنك أنت الله خالق ما يرى وما لا يرى حتى الخفي
من الذر سميع بصير عالم متفضل مجاز بإحسان وتقوا

صورة الصفحة الأولى من الدعاء بالقرآن

وكاتبه لأخيه في الله احمد ابن النور المشهور
بالقبة اللهم كاتبه وقاريه ومالكه والناظر فيه
بعين الله الرضا نسألك بالله يا ناظر هذا
الخط ان تدعو لي بالمغفرة وان تقرأ لي سورة
الاخلاص ثلاثا وتهب لي الثواب

الصفحة الأخيرة من الدعاء بالقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

١ بدأت ببسم الله في أول السطر   فأسماؤه حصن منيع من الضر
٢ وصليت في الثاني على خير خلقه   محمد المبعوث بالفتح والنصر
٣ تعوذت بالرحمن في السر والجهر   من الشرك والشيطان ما دمت في الدهر
٤ إذا استفتح القراء في محكم الذكر   باسمك يا ذا العرش يستفتح المقر
٥ ونسألك اللهم من فضلك الرضا   تحل عقود العسر في أيسر اليسر
٦ توسلت بالأقسام أسأل داعيا   ونرغب للرحمن في السر والجهر
٧ ونرغب فيما يرغب الخلق سجدا   إلى ملك الأملاك في النفع والضر
٨ باسمك رب العرش أنت إلهنا   بديع السموات المدبر للأمر
٩ سألتك يا من لا ترام صفاته   وجل عن الأوهام والوصف والحصر
١٠ بما لك ربي في سماواتك العلى   من الملك والسلطان والطول والقدر
١١ بما سبحتك الطير بالألسن التي   يحير في تسبيحها كل ذي فكر
١٢ بحقك عند العارفين بقربهم   بما جاء في القرآن بالشفع والوتر
١٣ بإحصائك الأشياء عدًّا وخبرة   وعندك مفاتيح الغيوب بما تدر
١٤ بأنك أنت الله خالق ما يُرى   وما لا يرى حتى الخفي من الذر
١٥ سميع بصير عالم متفضل   تجازي بإحسان وتعفو عن الوزر
١٦ بمن في السموات العلى من مقرب   بما في تخوم الأرض من ملك بدر
١٧ بكتبك بالآيات بالرسل كلهم   بتقديرك الأشياء بالنهي بالأمر
١٨ بذكر صلاة الخمس بالصبح بالعشا   بذكر غروب الشمس بالظهر بالعصر
١٩ بما نال وفد الله من فضل ربهم   بزوار قبر الهاشمي وبالحجر
٢٠ بجاه النبيين الذين اصطفيتهم   وشرفتهم بالوحي والعلم والذكر
٢١ بعرشك والكرسي ندعوك ربنا   بلوحك والأقلام تجري بما تدر
٢٢ بحق كتاب أنت بينت فضله   على ما سواه من كتاب ومن شعر

٢٣ فأوله " أم الكتاب "[١] وختمه "أعوذ برب الناس "[٢] من فتنة السحر

٢٤ بألم "ذلك الكتاب"[٣] وبعدها ألم "الله" مستوجب الشكر

٢٥ بيا"أيها الناس اتقوا ربكم " بسورة أوفوا بالعقود وبالنذر

٢٦ بالأنعام والأعراف والتوبة التي تلي سورة الأنفال كالسطر بالسطر

٢٧ بيونس إذا يتلى بهود بيوسف بسورة إبراهيم بالرعد بالحجر

٢٨ بمقدار ما في النحل من ذكر نعمة منت بها حقائقنا لمن يدر

٢٩ فسبحان من أسرى بليل بعبده إلى المسجد الأقصا من البيت ذي الحجر

٣٠ بسورة ذكر الكهف ثم بمريم بطه بذكر الأنبياء على الأثر

٣١ وبالحج ثم المؤمنون بربهم وبالنور والفرقان يا جابر الكسر

٣٢ بحق الطواسين الثلاثة فلم يقف سواك على ملء القلوب من السر

٣٣ وبالروم ثم العنكبوت وبعدها ولقمان ذو الوعد الصدوق مع النذر

٣٤ سألتك بالأحزاب من بعد سجدة بأسمائك الحسنى والأيد والنصر

٣٥ والعز، والمجد، بما في سبأ، والحمد لله فاطر ضياء القلب كالقمر البدر

٣٦ بسورة يس المعظم قدرها وماهي كالعروسة في الخدر

٣٧ بسورة ذكر الصافات وفضلها بصاد بتنزيل الكتاب على الأثر

٣٨ بسبع حواميم كرام محلها فما هي إلا كالقلائد في النحر

٣٩ وبالسورة المذكور فيها محمد إنا فتحنا سورة الفتح بالنصر

٤٠ وبالحجرات ثم قاف ووعظها وبالذاريات بالطور بالنجم إذا يسر

٤١ با اقتربت أدعو إلى الله ربنا واسأل بالرحمن يكشف لي ضر

٤٢ إذا وقعت يقين بها كل مؤمن ويشفى بآيات الحديد وبالحشر

٤٣ بسورة ذكر الامتحان وفضلها لقد سمع الله المشرقة القدر

---

(١) سورة الفاتحة: - ٧ آيات (مكية) .

(٢) سورة الناس: - ٦ آيات (مكية) .

(٣) سورة البقرة: - ٢٨٦ آية (مدنية) .

٤٤	بسورة ذكر الصف للحرب واللقا	بتأييدك الإسلام على ملة الكفر
٤٥	بسورة يوم الجمعة الأزهر	التي يحرم فيها الشغل والبيع والتجر
٤٦	بسورة أصحاب النفاق وذكرها	نعوذ بربي من نفاق ومن غدر
٤٧	بسورة يوم الجمع ثم تغابن	بها يعلم الخير الحضيض من الشر
٤٨	بفاتحة التحريم بيا أيها النبي	ويارب أطلق بالطلاق أخا أسر
٤٩	سألتك ياذا الملك بالملك راجيا	بنون بما تتلوه من جملة الذكر
٥٠	بنوح بقل أوحي إلي بحاقة	بما في سأل يا عالم السر والجهر
٥١	بمزمل، بمدثر، بقيامة	وقل هل أتى والمرسلات ذوي النشر
٥٢	في نبأ والنازعات مواعظ	تلين قلب الشخص لو كان من صخر
٥٣	بما في عبس جاءت بتكوير شمسها	وبالانفطار اسلك صالحة الأمر
٥٤	بسورة قوم للمكايل طففوا	وقد نقصوا بالميزان بالوزن بالخسر
٥٥	بإذا السماء انشقت وبالبروج	بطارق يحط بها وزري واشدد بها أزري
٥٦	بسبح اسم ربك العلى العظيم	بحرمة ما فيها من الوعظ والأمر
٥٧	بغاشية بالفجر بالبلد التي	خالق لها الشمس تتلو ثم ليل ضحى بدر
٥٨	فيارب وفقنا لما قد رضيته	بما في ألم نشرح من الشرح للصدر
٥٩	وبالتين والزيتون أدعوه راغبا	بسورة اقرأ باسم ربك والقدر
٦٠	بلم يكن القصوى بسورة زلزلت	وبالهاكم والعاديات وبالعصر
٦١	بسورة ذكر الفيل والهمزة قبلها	بقارعة والناس سكارى من الزجر
٦٢	بسورة لإيلاف قريش وكوثر وتبت	وبالماعون والفتح والنصر
٦٣	بسورة ذكر الكافرون وسورتي	أعوذ بها مع قل هو الله أحد في الأمر
٦٤	فبالفلق العظيم وبالناس بعدها	بحفظهما أمّنا من البأس والضر
٦٥	هو الله لم يولد هو الله لم يلد	يقينا بلا شرك وعرفا بلا نكر
٦٦	له الحمد في الأولى وفي الآخرة	دائمًا له الحمد إعلانا له الحمد في السر
٦٧	له الملكوت الله جل جلاله	يقرون بالتوحيد للصمد الوتر

٦٨ بمن لم يزل قبل الخلائق واحدا بمن أتقن الأشياء في حكمة تجر
٦٩ بمن قال يا موسى أنا الله فاستمع مطيعا لما يوحي ولا نقص في الأمر
٧٠ وخذ هذه الألواح أخذا بقوة ولا تنسه يا موسى بن عمران عن ذكر
٧١ برحمتك اللهم وهي محيطة بعفوك بالإحسان منك مع الخير
٧٢ بآدم بما كرمته واصطفيته وعلمته العلم الذي لا يدر
٧٣ بقوم رأوا وجه الحبيب محمد فقاموا بدين الله والنصر والأمر
٧٤ بجملة من لبّاك من ظهر آدم من المؤمنين الصالحين ذوي الحجر
٧٥ بشيث بإدريس بهود بصالح بنوح بلوط والخليل الذي يقرِ
٧٦ بابنه إسماعيل صادق وعده وإسحاق لما في كبير العمر
٧٧ بيعقوب بالأسباط وأليسع الرضي بيوسف أعلا الناس في أمة الفخر
٧٨ بيونس الأذكار بصاحب مدين وشعيب مع إلياس وذا الكفل والخضر
٧٩ بأيوب ذي البلوى بداود بابنه سليمان من غل الشيطان للحشر
٨٠ بمن قد قرأ التوراة عن ظهر قلبه وما كانت التوراة تتلى على ظهر
٨١ بيا زكريا الذي كان مخلصا بيحيى الحصور السيد الصادق البر
٨٢ بموسى بهارون بعيسى ابن مريم بكل نبي لست منه على خبر
٨٣ وإن نحن لم نسمع بهم وبذكرهم وإن نحن لم نعلم سواهم ولم ندر
٨٤ بآخرهم عهدا بأولهم نداء محمد المبعوث بالفتح والنصر
٨٥ محمد الداعي إلى سبيل الهدى محمد البدر المشفع في الحشر
٨٦ محمد المختار من آل هاشم محمد المشهور بالذكر والفخر
٨٧ ولولاه ما كنا ولولاه لم يكن بها فلك يجري ولا كوكب دري
٨٨ ولولاه ما كان الحطيم وزمزم مع الركن والميزان والبيت والحجر
٨٩ فلولاه ما حنّت له النوق يا فتى وسارت وقد أرخت مدامعها تجري
٩٠ بحق ضجيع المصطفى ورفيقه فنعم أنيس الغار كان أبو بكر
٩١ وسيدنا الفاروق قل عمر الرضي بحق الشهيد عثمان نعم أبو عمر

٩٢ بحق عليٍّ رابع القوم في الهدى ونعم علي في الهداية والنصر
٩٣ هم الطيبون السابقون إلى الهدى بأصهاره حقا فيا أشرف الصهر
٩٤ بطلحة منهم بالزبير يصحبه بسعد ولا تنسى سيد امد الدهر
٩٥ بمنًا سهمّ ذلك ابن عوف رفيقهم بحق الجراح به مختتم العشر
٩٦ بحمزة والعباس عمي نبينا بقدرهم المنسوب في أرفع القدر
٩٧ بفاطمة الزهراء سيدة النسا بسبطي رسول الله فخر على فخر
٩٨ بكاتب وحي الله جل جلاله بمعاوية الموصوف بالحلم والصبر
٩٩ ودين رسول الله يوم دعا له ففاز بدعواه إلى أبد الدهر
١٠٠ بما كان فيهم من خصال جميلة بزهد أبي الدرداء بصدق أبي ذر
١٠١ بأصحابه بالطاهرات نسائه بعائشة الممدوحة البر بالذكر
١٠٢ بأول زوجات النبي خديجة بما كان فيها من علوم ومن خير
١٠٣ بآل رسول الله كلهم معا بحمدهم فوق الفراقد والنسر
١٠٤ بما كان يدعو في وجاء الليل ربه بما كان يدعو عندما الصدع الفجر
١٠٥ بشعبان بالشهر الأصم بقدره بحرمة شهر الصوم بالعيد بالفطر
١٠٦ بحسب ظنون الواقفين على منى بأيام حج الناس بالعيد بالنحر
١٠٧ بما يهب الداعين في يوم حجهم بما يهب الراجين في ليلة القدر
١٠٨ بأسمائك اللهم وهي عظيمة تنجي بها داعيك في البر والبحر
١٠٩ تفضل على المرضى من امة احمد أو اكشف عنهم ما شكوت من الضر
١١٠ إناثا وذكرانا صغارا أو كبارا فطيما رضيعا في الذراع وفي الحجر
١١١ وفرج لهم من كل داء وعلة ومن كل ما يشكى إليك من الضر
١١٢ من العلل التي خلقت وكل داءٍ بأجسامهم والقلب والبطن والظهر
١١٣ ومن وجع في العين والأذن والحشا ومن وجع الأطراف يا كاشف الضر
١١٤ ومن خفقان للقلب والخوف والفزع ومن نكد الأطفال يا حافظ الذكر
١١٥ ومن حمة أو حمرة أو شقيقة ومن وجع في الرأس والجنب والصدر

١١٦ ومن شر ما يؤذيني ومن شر حاسد ومن شر وسواس يوسوس في الصدر
١١٧ ومن كل ذي قرن وظلف إذا مشى ومن كل مفتول الذراعين ذو وبر
١١٨ ومن نظرة المعيان في المال كله من الكسب والإنعام أو ضيقم يجر
١١٩ ويا نظرة المعيان بالله فاذهبي بحق الذي نتلوه من جملة الذكر
١٢٠ ولا تقربي من كان إذا الحرر عنده بما جاء في نص الحديد وفي الحشر
١٢١ فقد جاء أن العين حق عن النبي وكم من أناس هم من العين في القبر
١٢٢ فيارب نجي العين عن من شكا بها بتوراة موسى بالصحائف بالزبر
١٢٣ ومن يشكو في جسمه من ضعاضع فأنت الذي تبلي وأنت الذي تبري
١٢٤ وأنت الذي أشفيت أيوب النبي إذ دعا وقال إلهي أصعب الضر
١٢٥ فكشفت عنه الضر منك تفضلا فأصبح أيوب النبي أخا أسر
١٢٦ وإن كان للطفل الصغير قرينه تعارضه في الثدي والمهد والحجر
١٢٧ فإني بما أقسمت من قسم الرضا بفضل بسم الله يبرأ من الشر
١٢٨ فضعه براس الطفل يشفى من الأذى بحم حم الأمر عوفي من الشر
١٢٩ فلو أعسرت عند الولادة حامل فلا فيارب يسر ذلك العسر باليسر
١٣٠ وهون عليها الطلق وأطلق سبيلها بما في ألم نشرح من الشرح للصدر
١٣١ وإن كان بكرا عن الزواج تعسرت تعلق هذا الحرز في مفرق الشعر
١٣٢ فيأتي لها الخطاب من كل جانب كما يأتي الأطيار والنحل للوكر
~~١٣٣ وإن كان مصروعا~~ من الجن يشتكي عليه وقوع الصرع في منتهى الشهر
١٣٤ فصم صيوم طائر متوشلح يذوب كما ذاب الرصاص على الجمر
١٣٥ فضع هذه الأقسام فوق جبينه فإنها للشياطين من أعظم الزجر
١٣٦ وإن كان سلطانا يخاف وعيده له صولة في النهي منه وفي الأمر
١٣٧ فإني باسم الله حصنت حاملا لحرزي هذا من وعيد ومن غدر
١٣٨ وإن كان مسحورا بخيط ورقية وشحم من الخنزير شيء من الأثر
١٣٩ فباطل باطل بأهيا شراهيا بطس يا مولاي يبطل السحر

١٤٠ وإن كان مرعوفا فضعه على انفه ... وسم باسم الله يبطل ولا يجبر
١٤١ وإن رام عقدا للسان وعطفه ... فيا حي يا قيوم يا مسبل الستر
١٤٢ فأعقد عنهم ألسن الخلق كلهم ... بسوسهم سوسهم بالطواسين وبالحجر
١٤٣ واعقد لسان الخصم كلهم فبالفلق ... التي تلي سورة الإخلاص كالسطر بالسطر
١٤٤ بكهيعص كُفيت شرورهم ... بحمعسق حميت من المكر
١٤٥ بسورة يس بأهيا شراهيا ... أذونا صباوة نجوت من الغدر
١٤٦ بآل شداد أقبل ولا تخف ... نجوت بفضل الله من كل ذي شر
١٤٧ فيارب ألف بين حامل ذا الدعا ... وأولاد آدم يا إله بما تدر
١٤٨ وألف لجميع الناس في محبته ... كبارا صغارا محصنات ومن بكر
١٤٩ فلين له يا إله قلوبهم ... بحقك يا رحمان يا عالم السر
١٥٠ وإن رام مشيا في ليل وغيره ... وكان به مكر من الخوف والحذر
١٥١ يضع هذه الأقسام في وسط عبه ... يهون عليه المشي في الليل إذا يسر
١٥٢ وإن كان مأكولا يخاف عقيبه ... من السم والألداغ أو كل ما يزر
١٥٣ يدير هذه الأقسام فوق طعامه ... ويقرأ لإيلاف قريش شفاء بسر
١٥٤ وإن كان ذا عسر فقد قل رزقه ... عليه فإن العسر قد زال باليسر
١٥٥ يمينا بما قلناه بالكعبة التي ... لها الفضل بالمختار والبيت والحجر
١٥٦ فإن إله الخلق يعطي لعبده ... جميع الذي سأله من الرزق والخير
١٥٧ وإن كان مسجونا أسيرا بسجنه ... فخلصه يا منان يا جابر الكسر
١٥٨ ونجه بما نجيت يونس إذا دعا ... وكان بطن الحوت في لجة البحر
١٥٩ وإن كان هذا الحرز عند مسافر ... له سفر في البر أو لجة البحر
١٦٠ وإن هذا الحرز في رحل تاجر ... فبارك له ما يحاول من تجر
١٦١ وارزقه رزقا لا يكون معسرا ... بلا تعب يا رزاق الذي في البحر
١٦٢ فساعد بما أقسمت من قسم الرضا ... تبارك ربي عالم السر والجهر
١٦٣ بطه بيس المعظم قدرها ... بأسمائك الحسنى بالنهي بالأمر

١٦٤ تنجي بها داعيك من كل علة ومن كل ما يشكو إليك من الضر
١٦٥ ومن ألم الحمى ومن شر بردها فيشفون بالسبع المثاني وبالقدر
١٦٦ ومن حية أو عقرب أو ردية ومن شر ذو ناب ومن شر ذي ظفر
١٦٧ فيا حامل هذا الحرز احتفظ به نجوت بفضل الله من جملة الشر
١٦٨ يمينا بما أقسمت من قسم الرضا فإن الله ينجيك في البر والبحر
١٦٩ فيا حامل الحرز المبارك والدعا نجوت بحمد الله من جملة الشر
١٧٠ فيا رب وفق حامل الحرز والدعا وسلمه واحفظه بحفظك والذكر
١٧١ وصنه بما صنت به النبي محمد وأيدته بالنصر في ملتقى بدر
١٧٢ وحصن بهذا الحرز من كان عنده بحصن منيع دافع اليأس والضر
١٧٣ وصل على الهادي البشير محمد شفيع العصاة يوم الورود على الجمر
١٧٤ عليه صلاة الله ثم سلامه على عدد الأشجار والورق والخضر
١٧٥ وصل عليه الله ما لاح الرجا عدد الحصى والرمل والموج والقطر
١٧٦ وصل على جبريل في كل لحظة وعلى كل الملائكة الزهر
١٧٧ وصل على جميع النبيين كلهم صلاة أبداً لا تنقضي أبد الدهر
١٧٨ وصل على الآل الكرام جميعهم مع الصحب والأنصار والسادة الغر

نهــــــــــاية الرسالة

تم الحرز المبارك بعون الله وحسن توفيقه على يد كاتبه تراب الأقدام، كثير الكلام، الذي ليس له رأي ولا عقل تام،الذي غيبته خير من حضرته.

في شهر شعبان عصر الجمعة المباركة سنة ألف ومائتين وخمسة وثلاثين من هجرته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ستبل يدي مني في التراب * ويبقى الخط بعدي في الكتاب
يا ليت الذي يقرأ كتابي * يدعو لي بالنجاة من العذاب

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،
وكاتبه لأخيه في الله أحمد بن النور المشهور بالقبة
اللهم اغفر لكاتبه، وقارئه، ومالكه،
والناظر فيه بعين الرضا.
سألتك بالله يا ناظر هذا الخط أن تدعو لي بالمغفرة،
وأن تقرأ لي سورة الإخلاص ثلاثا، وتهب لي الثواب.

أسرار الوجود

المسمّى

الهيئة السُّنّية في الهيئة السَّنيّة

تأليف

الإمام جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر

الخضيري السّيوطي

المتوفى ٩١١ هـ

المـؤلف

في يوم الجمعة وقت العصر التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة من الهجرة النبوية، توفي الشيخ العلامة الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ الهمام الخضيري السيوطي المصري الشافعي وصلي عليه بجامع الأفاريقي تحت القلعة ودفن بشرقي باب القرافة ومرض ثلاثة أيام. والخضيري نسبة إلى محلة الخضيرية ببغداد. ووجد بخطه رحمه الله أنه سمع ممن يثق به أنه سمع والده يذكر أن جده الأعلى كان أعجميا أو من المشرق فلا يبعد أن النسبة إلى المحلة المذكورة، وأمه أم ولد تركية. وكان مولده بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة. وكان يلقب بابن الكتب لأن أباه كان من أهل العلم واحتاج إلى مطالعة كتاب فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه فذهبت لتأتي به فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعته. ثم سماه والده بعد الأسبوع "عبد الرحمن " ولقبه (جلال الدين) وكناه شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكتاني لما عرض عليه، وقال له ما كنيتك فقال: لا كنية لي فقال: أبو الفضل، وكتبه بخطه. وتوفي والده ليلة الاثنين خامس سنة صفر سنة خمس وستين وثمانمائة. وجعل الشيخ كمال الدين ابن الهمام وصيا عليه فلحظه بنظره ودعايته وختم القرآن وسنه دون ثمان سنين. ثم حفظ عمدة الأحكام ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي، وعرضها وهو دون البلوغ على مشايخ عصره، وأحضره والده وعمره ثلاث سنين مجلس شيخ الإسلام ابن حجر مرة واحدة وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين الدين رضوان العقبي ودرس الشيخ سراج الدين عمر الوردي. ثم اشتغل بالعلم على عدة مشايخ وحج سنة تسع وستين وثمانمائة. وشرب من ماء زمزم لأمور منها أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر ووصلت مصنفاته نحو الستمائة مصنفا سوى ما رجع عنه وغسله. وولي المشيخة في مواضع متعددة من القاهرة. ثم أنه زهد في جميع ذلك وانقطع إلى الله بالروضة وكانت له كرامات وعظم غالبها بعد

وفاتـــه. وحكى الشيخ العلامة زكريا ابن الشيخ العلامة محمد المحلي الشافعي انه عــرض له مهم في بعض أوقاته قال: فسألته أن يكتب إلى بعض تلامذته بالوصية علـــيَّ فامتـــنع وأطلعني على ورقة بخطه وفيها: أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة مرات تزيد على سبعين مرة. وقال له كلاما حاصله أن كان بهذه المثابة لا يحتاج إلى مدد وأعانه من أحد. رحمه الله.

وحُكِـــيَ عنه أنه قال: رأيت في المنام كأني بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم. فذكرت له كتابا شرعت في تأليفه في الحديث وهو جمع الجوامع. فقلت له أقـــرأ عليكم شيئا منه فقال لي: هات يا شيخ الحديث قال: هذه البشرى عندي أعظم من الدنيا بحذافيرها.

ومن مؤلفـــاته:

١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور اثني عشر مجلدا.

٢- وتناسق الدرر في تناسب السور.

٣- وحاشية علي البيضاوي إلى الإسراء.

٤- والأزهار الفائحة على الفاتحة.

٥- والمعاني الدقيقة في أدراك الحقيقة.

٦- وإتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة.

٧- والديباج على صحيح مسلم ابن الحجاج.

٨- وكشف الغطا في شرح الموطأ.

٩- وتنوير الحوالك على موطأ مالك.

١٠- والبدور السافرة عن أمور الآخرة.

١١- ونتيجة الفكر في الجهر بالذكر.

١٢- وتـــزيين الأرائـــك في ارساله صلى الله عليه وسلم إلى الملائك.

١٣- ومسالك الحنفا في إسلام والدي المصطفى.

١٤- ونشر العلمين المنيفين، في إحياء الأبوين الشريفين.

١٥- وذم القضاء وذم زيارة الأمراء والتنفيس عن ترك الإفتاء

والتدريس.

١٦- والأحاديث الحسان في فضل الطيلسان.

١٧- والتضلع في معنى المتقنع.

١٨- وعين الإصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة.

١٩- والاحـــتفال بالأطفال وما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين.

٢٠- والأوج في خبر عوج.

٢١- والوديك في الديك.

٢٢- والطرثوث في فوائد البرغوث.

٢٣- السيف الصقيل في نكت شرح الألفية لابن عقيل.

٢٤- والفتح القريب على مغنى اللبيب.

٢٥- وجمع الجوامع في العربية وشرحه همع الهوامع.

٢٦- والمرقاة العلية في شرح الأسماء النبوية.

٢٧- وشرح الشاطبية ممزوج.

٢٨- ونظم جمع الجوامع في الأصول وشرحه..

ولــــه غير ذلك كثير من مؤلفاته هذه المذكورة صغيرة. وبعضها في كراس وكراســـين. ومن شعره مضمنا لمصراع من البردة وهو مما كتب به إلى الحافظ السخاوي متحاملا عليه ومعرضا به: هم مع ما أمكن من الجواب.

قل للسخاوي أن تعروك مشكلة... علمي كبحر من الأمواج ملتطم

والحافظ الديمي غيث الزمان فخذ... " غرفا من البحر أو رشفا من الديم"

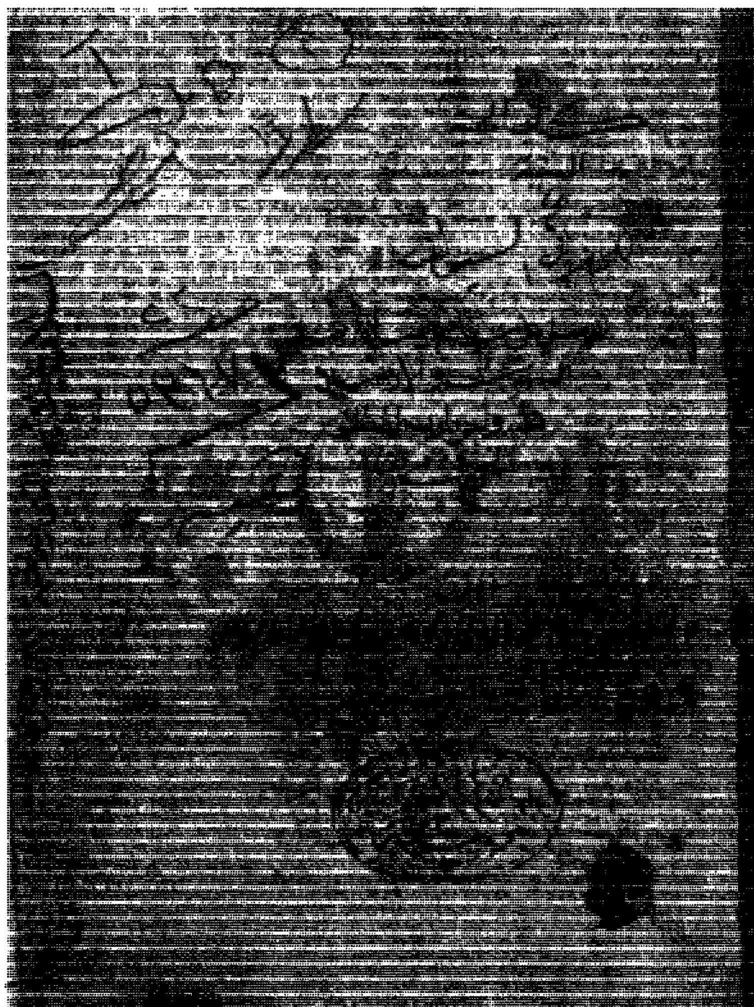
قال بعض الفضلاء والحق إن كلا من الثلاثة كان فردا في فنه مع المشاركة في غيره. فالسخاوي تفرد بمعرفة علل الحديث والديمي بأسماء الرجال والسيوطي بحفظ المتن والله أعلم. وكان بينه وبين الحافظ السخاوي منافرة كما يكون بين الأكابـــر. ذكـــر الجلال السيوطي في المقامة السندسية له عند الكلام على أحياء أبوي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: وهل تستبعد على من أنجى الله به الثقلين أن ينجـــي بـــه الأبوين ؟ فإن استبعد هو ذلك فليست الشدة عندي بأرجح من

الرخاء وأن استكثر ذلك فانه لبخيل حيث شح لأجمل الأمرين وهو السخاء:

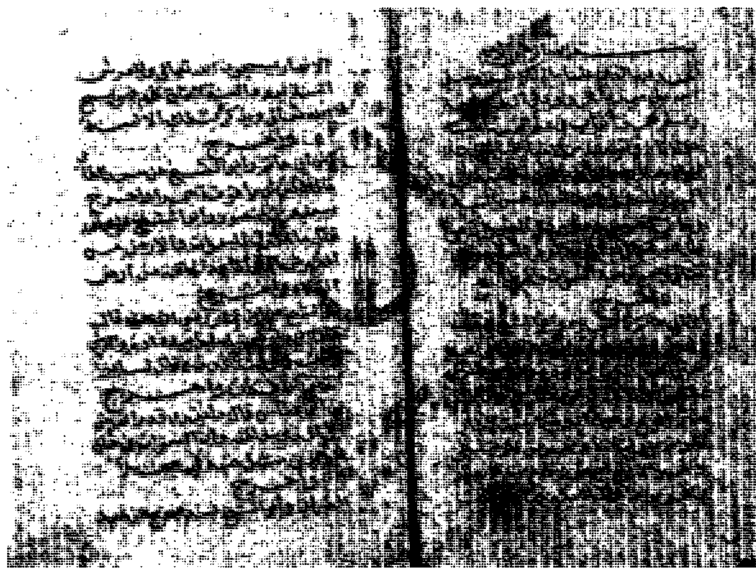
شيخ السخاوي بالانجاء يذكره... عن والدي سيد الأبناء والأمم

إن عز إن يبلغ البحر الخضم روى... بالتيه يستقي من وابل الديم

وأسيوط مدينة في غربي النيل من نواحي الصعيد في مستوى كثيرة الخيرات أعجوبة المنتزهات وعجائب عماراتها وسورها مما لا يذكر. ولما صورت الدنيا للرشيد لم يستحسن غير كورة أسيوط لكثرة ما بها من الخيرات والمنتزهات ومن عجائـــبها أن بها ألف فدان ينشر ماؤها في جميعها لاستواء سطح أرضها ويسير الماء في أقطارها قاله القز ويني .



الصفحة الأولى من المخطوط



الورقة الثانية من المخطوط

بسم اللّهِ الرحمـــن الرحيم

الحمـــد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم، وصلى الله على سيد الخلق سيدنا محمـــد، وعلـــى آله وصحبه وسلم. هذا كتاب في علم الهيئة، اقتبسته من الآثار، وتتبعته من الأخبار، ليبتهج به أولو النهى، ويعتبر به أولو الأبصار، وسميته: (الهيئة السُنِّية في الهيئةِ السُنِّية) والله أسأل حسن النية، وخـــاتمة مرضية.

باب ما ورد في العرش والكرسي

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (التوبة/١٢٩) ، وقال: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ (البقرة/٢٥٥) .

العرش والكرسي من نور الله

أخـــــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال: (إن اللّهَ تعالى خلق العرش والكرسي من نوره ؛ فالعرش ملتصق بالكرسي، والماء في جوف الكرسي، وحول العرش أربعة أنهار: نهر من نور يتلألأ، ونهر من نار تتلظى، ونهر من ثلج أبيض، تلتمع منه الأبصار، ونهر من ماء، والملائكة قيام في تلك الأنهار، يسبحون الله تعالى، وللعرش ألسنة بعدد ألسنة الخلق كلهم، فهو يسبح الله تعالى، ويذكره بتلك الألسنة)(١).

وأخـــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن سعد الطائي قال: (العرش ياقوتة حمراء)(٢).

وأخـــــرج ســـعيد بن منصور، وأبو الشيخ عن مجاهد قال: (ما أخذت السموات والأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض فلاة) (٣).

أربعـــةٌ خُلِقُوا بيد الله

وأخـــرج أبو الشيخ عن ابن عمر قال: (خلق الله أربعة أشياء بيده: آدم،

---

(١) أورد السيوطي هذه الرواية بنصها في الدر المنثور ٣٣٤/٤ تفسير سورة التوبة آية- ٩١.

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة، عن سعد الطائي: الحديث. انظر: الدر المنثور:٣٣٤/٤.

(٣) زاد في الدر المنثور ابن أبي حاتم في الرواة. انظر: ٣٣٥/٤.

والعرش، والقلم، وجنة عدن، وقال لسائر الخلق كن فكان) [(١)].

وأخــــرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: (ما يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه، وإن السموات في خلق العرش مثل قبة في صحراء) [(٢)].

وأخــــرج الطبراني، وأبو الشيخ بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

(إن العرش مطوق بحية، والوحي ينــزل في السلاسل) [(٣)].

وأخــــرج أبـــو الشيخ عن الشعبي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (العرش من ياقوتة حمراء، وإن ملكا من الملائكة نظر إليه وإلى عظمته، فأوحـــى الله إليه: إني قد جعلت فيك قوة سبعين ألف ملك، لكل ملك سبعون ألـــف جناح، فطر، فطار الملك بما فيه من القوة والأجنحة ما شاء الله أن يطير، فوق، فنظر فكأنه لم يسر) [(٤)].

وأخــــرج عن مجاهد قال: (ما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة) [(٥)].

---

(١) وورد عند السيوطي في الدر المنثور حديث آخر قال: أخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال: وعزتي لا يسكنها مدمن خمر ولا ديوث قالوا: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث ؟ قال: الذي يشير لأهله السوء" وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خلق الله أربعا بيده العرش وجنات عدن والقلم وآدم ثم قال لكل شيء كن فكان واحتجب من خلقه بأربعة بنار وظلمة ونور ؟

(٢) انظر: السيوطي: الدر المنثور: ٤/٣٣٥.

(٣) انظر الدر المنثور: ٤/٣٣٥.

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) وأورد السيوطي في الدر المنثور: ٢/ ١٨ قوله: وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وأبو الشيخ والبيهقي عن مجاهد قال: ما السموات والأرض في الكرسي الا كحلقة بأرض فلاة وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة.

وأخـــرج عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ ﴾ (الطور/ ٥) قال:

هو العرش ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾ (الطور/٦) قال: الماء الأعلى الذي تحت العرش.

وأخـــرج سعيد بن منصور وعبد الرزاق وابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾ (الطور/٦) قال: بحر تحت العرش[1].

وأخـــرج أبو الشيخ عن حماد قال: (خلق الله العرش من زمردة خضراء، وخلـــق له أربعة قوائم من ياقوتة حمراء، وخلق له ألف لسان، وخلق في الأرض ألف أمة، كل أمة تسبح الله بلسان من ألسنة العرش) [2].

وأخـــــرج - بسند واه - عن محمد بن علي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الكرسي لؤلؤ، والقلم لؤلؤ، وطول القلم سبعمائة سنة، وطول

---

(١) أورد الطبري في تفسيره عدة معاني للبحر المسجور منها: المحبوس. أو المجموع ماؤه، أو المملوء. ثم أورد تعليقات، وهذه الأحاديث.فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر، وكان البحر غير موقد اليوم وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم وهو الامتلاء لأنه كل وقت ممتلئ.. وقيل: إن هذا البحر المسجور الذي أقسم به ربنا تبارك وتعالى: بحر في السماء تحت العرش.

ذكر من قال ذلك:حدثنا ابن حميد قال: ثنا مهران عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن علي ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾ قال: بحر في السماء تحت العرش..قال: ثنا مهران قال: وسمعته أنا من إسماعيل قال: ثنا مهران عن سفيان عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾ قال: بحر تحت العرش.

حدثني محمد بن عمارة قال: ثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾ قال: بحر تحت العرش.

انظر: تفسير الطبري: ٤٨٢/١١.

(٢) ورد هذا الحديث عند السيوطي أيضا. انظر: الدر المنثور: ٣٣٥/٤..وقد وردت الزمردة الخضراء في أكثر من حديث وبأكثر من معنى، ووجه.

الكرسي حيث لا يعلمه إلا العالمون) .) ؟ وَكانَ عَرشُهُ عَلى الماءِ[١].

وأخـــــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن الربيع بن أنس (رضي الله عنه) قال:

﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود/٧) قال: (لما خلق الله السموات والأرض قسم الماء الذي كان عليه عرشه قسمين، فجعل نصفه تحت العرش وهو البحر المسجور، فلا تقطر منه قطرة حتى ينفخ في الصور؛ فينـــزل مثل الطل فتنبت منه الأجسام، وجعل النصف الآخر تحت الأرض السفلى) [٢].

---

(١) ذكر ابن عساكر في تاريخه عن "علي" (رضي الله عنه) وكرم الله وجهه، قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكرسي لؤلؤة والقلم لؤلؤة وطول القلم سبعمائة سنة وطول الكرسي حيث لا يعلمه إلا الله] وروى حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة وهو عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السابعة وبين الكرسي خمسائمة عام وبين الكرسي وبين العرش مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش يعلم ما أنتم فيه وعليه يقال كرسي وكرسي والجمع الكراسي) .انظر: القرطبي: ٢٥٦/٣، والسيوطي: الدر المنثور وقال: أخرجه أبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية بسند واه عن علي مرفوعا، وقال وطول الكرسي لا يعلمه العالمون) هكذا. انظر السيوطي: الدر المنثور ١٧/٢.

(٢) أورد الألوسي في روح المعاني هذا الحديث مع كثرة رواته وبعض الشروح عليه يقول: عن ابن عباس وقد أخرج ذلك عنه ابن جرير وابن المنذر والحاكم و صححه والبيهقي وغيرهم وإباء ما ذكر كون الماء بمعنى صفة الحياة له تعالى ظاهر ومثله ما أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الربيع بن أنس أنه قال: كان عرشه سبحانه على الماء فلما خلق السموات والأرض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفا تحت العرش وهو البحر المسجور فلا تقطر منه قطرة حتى ينفخ في الصور فينزل منه مثل الطل فتنبت منه الأجسام وجعل النصف الآخر تحت الأرض السفلى ولعل وجه الأمر بالتدبر في كلام هذا الفاضل الإشارة إلى ما ذكرنا. وبالجملة لا شك أن المتبادر من الماء ما هو أحد العناصر ومن العرش الجسم الذي جاء في الأخبار من وصفه ما يبهر العقول وشهادة الخبر السابق مع كونها شهادة نفي عارضتها شهادات إثبات غير نص في المطلوب كما علمت ومن كون العرش على الماء ما يعمم الشقين كونه موضوعا على متنه مماسا له وكونه فوقه من غير أن يكون بينهما ما يماسهما وتخصيصه بالشق الثاني مما لا يتم له =

وأخـــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ من طريق السدى عن أبي مالك قال: (الكرسي تحت العرش) [١].

وأخـــــرج ابـــن جرير، وابن مردويه، وأبو الشيخ عن أبي ذر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة) [٢].

وأخـــرج ابن جرير عن الضحاك قال: (كرسيه الذي يوضع تحت العرش، الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم) [٣].

وأخـــــرج الفـــريابي، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم في المستدرك، وصـــحح على شرط الشيخين، عن ابن عباس قال: (الكرسي موضع القدمين،

دليل ولا يصفو عن القال والقيل.

انظر: الألوسي: روح المعاني: ١٢/١٠.

(١) انظر لهذه الرواية وغيرها: ابن كثير: التفسير: ٤٠٩/١، القرطبي: التفسير أيضا: ٣/ ٢٥٦، والسيوطي في الدر المنثور: ١٧/٢، ١٨ .

(٢) وحديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عليهم السلام قال محمد بن حسين الاجري: حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الفريابي إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثنا أبي عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فجلست إليه فقلت: يارسول الله إنك أمرتني بالصلاة قال: [الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل] قال: قلت: يارسول الله فأي الأعمال أفضل ؟ قال: [إيمان بالله وجهاد في سبيله] قلت: يارسول الله فأي المؤمنين أفضل ؟ قال: [أحسنهم خلقا]...انظر: تفسير ابن كثير ٧٧٨/١، والقرطبي: ٢٥٦/٣، والبيضاوي ٥٥٢/١، وابن حبان في الصحيح:٧٦/٢، وابي نعيم في حلية الأولياء١٦٧/١، وتفسير أبي السعود ٢٤٨/١، وغير ذلك.

(٣) انظر في ذلك: تفسير الطبري: ٦/٣، والسيوطي في الدر المنثور: ١٧/٢.

وله أطيط، والعرش لا يقدر أحد قدره) [(١)].

وأخـــرج ابن جرير، وابن المنذر، عن أبي موسى الأشعري قال: (الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل) . قلت قوله: "موضع القدمين"استعارة وتمثـــيل بملـــوك الدنيا كما أوضحته رواية الضحاك عن ابن عباس.قال: (لو أن الـــسموات، والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة) .

وأخــــرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن السدى قال: (إن الـــسموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه) [(٢)].

وأخـــرج ابن جرير عن الضحاك قال: (كان الحق يقول: الكرسي هو

---

(١) وقال آخرون: الكرسي موضع القدمين..ذكر من قال ذلك:حدثني علي بن مسلم الطوسي قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثني أبي قال حدثني محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن عمارة بن عمير عن أبي موسى قال: الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل.

حدثني موسى بن هارون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه.

حدثني المثنى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم.

حدثنا أحمد بن إسحاق قال حدثنا أبو أحمد الزبيري عن سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين قال: الكرسي موضع القدمين انظر: الطبري: ٦/٣، وابن كثير: ٤٠٩/١، والقرطبي: ٢٥٦/٣،والدر المنثور: ١٧/٢، ٣٣٦/٤، وروح المعاني: ١٠/٣، والصنعاني: ٢٥١/٣.

(٢) انظر: السيوطي: الدر المنثور: ١٧/٢، ١٨، الألوسي: روح المعاني: ٢١٩/١، ٢٣/ ٢٥، والطبري: ٦/٣.

العرش)[١] .

باب ما بين العرش
والسماء السابعة حجب الله

أخـــــرج أبو الشيخ من طريق عن ابن عمر، ومن طريق آخر عن مجاهد قـــال: (بين العرش وبين الملائكة سبعون حجابا، حجاب من نار، وحجاب من ظلمـــة، وحجاب من نور، وحجاب من ظلمة، وحجاب من نور، وحجاب من ظلمة) [٢].

---

(١) انظر: المصادر الســابقة نفس الصفحات تقريبا.

(٢) موضوع الحجب التي بين العبد وبين ربه تكلم فيها كثير من الأولياء، وذكر كثير من المصادر اهمية ان الحجب ليست من جانب الحق، ولكنها من جانب الخلق لأن الله تعالى لا يحجبه شيء..

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (سألت جبريل هل ترى ربك ؟ قال: إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو رأيت أدناها لاحترقت) رواه الطبراني في الأوسط وفيه قائد الأعمش، قال أبو داود: عنده أحاديث موضوعة. وذكره ابن حبان في الثقات وقال يهم وعن عبد الله بن عمرو، وسهل بن سعد، رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله: (صلى الله عليه وسلم) : (دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ما تسمع نفس شيئا من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسها.)

رواه: أبو يعلى، والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو، وسهل أيضا وفيه موسى بن عبيدة لا يحتج به، وأعظم الحُجُب عن رؤية العبودية المثمرة لمعرفة الربوبية، وحصول الحظوة بالقرب منها هو إعجاب المرء بنفسه، فإن المرء متى أُعجِب بعمله، أو بحاله، أو بعرفانه، فقد أحبط عمله، وأسقط منزلته " أمَّا حُجُب العناية الإلهية فهي تتجلى هنا في أروع صورها، حين يعرض سيدي محيي الدين ابن عربي ما قاله رب العزة سبحانه وتعالى يباهي بالإنسان الذي كرَّمه أفضل تكريم، وقرَّبه. فيقول عز من قائل:" يا ملائكتي ! أنا قربتكم ابتداءً، وجعلتكم من خواص ملائكتي. وهذا عبدي جعلت بينه وبين "مقام القربة" حُجُبا كثيرة، وموانع عظيمة: من أغراض نفسية، وشهوات حسّية، وتدبير أهل، ومال، وولد، وخدم، وأصحاب، وأهوال عِظام. فقطع كُلَّ ذلك. وجاهد حتى سجد واقترب ؛ فكان من المقربين. فانظروا ما خصصتكم به — يا ملائكتي — من شرف المقام، حيث ما ابتليتكم بهذه الموانع، ولا كلَّفتكم مشاقها. فاعرفوا قدر هذا =

وأخـــرج عن مجاهد قال: (بين العرش والملائكة سبعون ألف حجاب من نور) (١).

يا جـــبريل هل رأيت ربك ؟

وأخـــرج أبو الشيخ عن زرارة بن أوفى قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم ســـأل جبريل: هل رأيت ربك فانتفض وقال: (إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو دنوت من أدناها لاحترقت) . وأخرج موصولا من حديث أنس مثله.

وأخـــــرج أبو الشيخ من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:

-

العبد. وراعوا له حق ما قاساه، في طريقه من أجلي.فيقول الملائكة: يا ربنا ! لو كُنَّا ممن يتنعم بالجِنان، وتكون الجِنان محلاً لإقامتنا، ألست كُنتَ تُعَيِّن لنا فيها منازل تقتضيها أعمالنا ؟ ربنا ! نحن نسألك أن تهبها لهذا العبد فيُعطيه الله ما سألته فيه الملائكة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل احتجب الله عز وجل عن خلقه السموات والأرض قال: نعم بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور، وسبعون حجابا من نار، وسبعون حجابا من ظلمة، وسبعون حجابا من رفارف الإستبرق، وسبعون حجابا من رفارف السندس، وسبعون حجابا من در أبيض وسبعون حجابا من در أحمر، وسبعون حجابا من در أصفر، وسبعون حجابا من در أخضر وسبعون حجابا من ضياء استضاء ها من ضوء النار والنور، وسبعون حجابا من ثلج، وسبعون حجابا من ماء، وسبعون حجابا من غمام، وسبعون حجابا من برد، وسبعون حجابا من عظمة الله التي لا توصف قال فأخبرني عن ملك الله الذي يليه قال النبي صلى الله عليه وسلم: أصدقت فيما أخبرتك يا زفر قال نعم قال: فإن الملك الذي يليه إسرافيل ثم جبريل ثم ميكائيل ثم ملك الموت صلى الله عليهم أجمعين رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد المنعم بن إدريس كذبه أحمد، وقال ابن حبان كان يضع الحديث انظر: ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد: ١ / ٧٩،٨٠، وانظر معجم أبي يعلى: ١ /٩٠، وانظر أيضا مسند الروياني: ٢/ ٢١٢، والطبراني في معجمه الكبير ٦ / ١٤٨، والسنة: لابن أبي عاصم: وقال: إسناده ضعيف: ٢ / ٣٦٧، وانظر الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٢١ / (٣٠٧٤) ، وانظر: ابن عربي: كتاب الحجب بتحقيقنا:ص٨.

(١) انظر تخريج الحديث السابق ففيه الكفاية في موضوع الحجب.

(احـــتجب الله عـــن جمـــيع خلقـــه بأربع بنار وظلمة، ثم بنور وظلمة من فوق السموات السبع، والبحر الأعلى فوق ذلك كله، تحت العرش) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وما تسمع نفس شيئا من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسه) .

أنواع الحجب

وأخـــــرج عن القرظي قال: (بلغنا أن بين الجبار – عـــز وجل – وبين أدنى خلقه أربعة حجب، ما بين كل حجابين كما بين السماء والأرض، حجاب من ظلمة، وحجاب من نور، وحجاب من ماء، وحجاب من نار بيضاء) [1].

---

(١) اعلم أيها المحب كائنا من كان أن الحجب التي بينك وبين محبوبك كائنا من كان ليست شيئا سوى وقوفك مع الأشياء لا للأشياء، كما يقول من لم يذق طعم الحقائق، وإنما وقف مع الأشياء لضعف الإدراك، وهو عدم النفوذ، وهو المعبر عنه بالحجاب، وهو عدم. والعدم لا شيء، ولا حجاب، ولو كانت الحجب صحيحة لكان من احتجب عنك احتجبت عنه. والعرف ما نذكره إلا من كان الحق سمعه وبصره، وهو الذى يعرف ما يعبر عنه بالحجاب.واعلم أنك إذا تفرغت لأمر ما بالكلية فبالضرورة تقف معه وذلك الوقوف هو حجابك فتتخيل أن الوقوف معه حجبك، وليس كذلك والوقوف مع الخلق حجابك عن الحق، والوقوف مع الحق حجابك مع الخلق. وهذا من باب التوسع والإيناس، كما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الحجب النورانية والظلمانية وعلى هذا التوسع ثبتت الحجب. (حجاب العلم) وهو أول الحجب الشريفة، وهو حجاب عن العين، والعين حجاب عن العلم الثاني، وهو الحق، وهو ما وجد له المعلوم. وقد يعلم ذلك قبل العين فيصير أيضاً هذا العلم الثاني حجاب عن العين. وهذه الثلاث مراتب لا تكون إلا إذا كان المعلوم كونا من الأكوان.

وأما الذات المقصودة فليس إلا العلم الأول والعين لأنه يستحيل أن يقال لم لأنه من صفة الحدوث، لكن يقتضي أن يكون عليها العالم قسمين مثلا وأن يكون التردد منّا منه إليه بآثار مختلفة فيها كما قيل:

يكـــون معي ويدعوني إليه * فاتـــركه وآتـــيه مجيـــبا
وأنظـــر حـــين يدعوني إليه * فنـــشهد فيه ترتيبا عجيبا

كم المسافة بين الحجاب والحجاب

وأخـــرج عـــن وهب بن منبه قال: (بين ملائكة حملة الكرسي، وبين ملائكـــة العرش، سبعون حجابا من الظلمة، وسبعون حجابا من البرد، وسبعون حجابـــا مـــن الثلج، وسبعون حجابا من النور، غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام، ومن الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام) .

وأخـــرج أبو الشيخ - بسند ضعيف - عن ابن عباس قال: (من السماء السابعة إلى العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام) (١).

نور الشمس، ونور العرش

وأخـــرج عـــن عكـــرمة قال: (الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش) (٢).

=

فمعرفتنا بوجود الكعبة مثلا علم، ومشاهدتها عين، ومعرفة ما وضعت له حق وهو العلم الثاني. فهذا المتداول في ألسنة القوم من علم اليقين وعينه، وحقه. انظر: ابن عربي أول كتاب الحجب بتحقيقنا.

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: غلظ كل أرض خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله: في يوم كان مقداره خمسين الف سنة.انظر: السيوطي الدر المنثور ٨/ ٢٦٩.

(٢) انظر السيوطي: الدر المنثور: وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة في قوله: وجوه يومئذ ناضرة قال: مسرورة إلى ربه ناظرة قال: انظر ما أعطى الله عبده من النور في عينيه أن لو جعل نور أعين جميع خلق الله من الإنس والجن والدواب وكل شيء خلق الله فجعل نور أعينهم في عيني عبد من عباده ثم كشف عن الشمس سترا واحدا ودونها سبعون سترا ما قدر على أن ينظر إلى الشمس والشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الستر..قال عكرمة: انظروا ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه أن نظر إلى وجه الرب الكريم عيانا. انظر: السيوطي: الدر المنثور: ٨/٣٥٠.

باب ما جاء في اللوح والقلم

قـــال تعـــالى: ﴿فِـــي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾(١) (البروج /٢٢) ، وقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾(٢) (القلم/١).

وصف اللوح المحفوظ

أخـــــرج أبو الشيخ- بسند جيد- عن ابن عباس قال: (خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، وقال للقلـــم- قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش: اكـــتب، فقال القلم: وما أكتب؟ قال: علمي في خلقي، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة) (٣).

---

(١) أي محفوظ من نقص أو تغيير وقال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فالكتاب عنده. انظر: تفسير القرطبي: ١٦/٥٥.

(٢) في قوله تعالى: (ن والقلم) للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه وايا ما كان فان أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالاقسام به ظاهر وان أريد به الجنس فاستحقاق ما في أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز قائلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرىء بإدغام النون في الواو وما يسطرون الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ما موصولة او وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها والمراد تنـــزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه (صلى الله عليه وسلم) إليه من الجنون، حسدا، وعداوة، ومكابرة مع جزمهم بأنه (صلى الله عليه وسلم) في غاية الغايات القاصية.انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ويسمى تفسير أبي السعود: ٩/١١.

(٣) انظر: الزركشي: فتح القدير: ٥/٥٨٧، والدر المنثور: ٨/٤٧١.

وصـــف القـــلم

وأخـــــرج أبـــو الشيخ من طرق عن مالك بن دينار عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله لوحا، أحد وجهيه ياقوتة، والوجه الثاني زمردة خضراء، قلمه النور، فيه يخلق، وفيه يرزق، وفيه يحيى، وفيه يميت، وفيه يعز، وفيه يفعل ما يشاء في كل يوم وليلة) (١).

وأخـــــرج أبو الشيخ والطبراني من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (إن الله خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء وزبرجد، قلمه نور، وكتابه نور ينظر منه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق فيها ويرزق، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء) (٢).

لا إله إلا الله تُدخل الجنة

وأخـــــرج أبو الشيخ عن طريق أبي ظلال عن أنس قال: قال رسول الله صـــلى الله علـــيه وسلم: (إن لله لوحا من زبرجدة خضراء، جعله تحت العرش، وكتب فيه: إني أنا الله لا إله إلا أنا، أرحم وأترحم، جعلت بضعة عشر وثلاثمائة خلق، من جاء بخُلُق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة) (٣).

في اللوح ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة

وأخـــرج البيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم: (إن بين يدي الله لوحا فيه ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة، يقـــول الرحمن: وعزتي وجلالي لا يأتيني عبد من عبادي لا يشرك بي شيئا- فيه واحدة منكن- إلا أدخلته الجنة) (٤).

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور وقال رواه أبو الشيخ في العظمة.هكذا.انظر: الدر المنثور:٤٧٢/٨.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه من طريق حلال القسلي عن أنس: وذكر =

وأخـــرج ابن جرير، وأبو الشيخ في تفسيره قال: (إن الله كان عرشه على الماء، وخلق السموات والأرض بالحق، وخلق القلم، فكتب به ما هو خالق، وما هـــو كائن من خلقه، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من الخلق) [(١)].

القلم هو أول شيء خلق

وأخرج أبو يعلى- بسند حسن- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أول شيء خلقه الله تعالى القلم، وأمره أن يكتب كل شيء)[(٢)].

ماذا يكتب القلم

وأخـــــرج الطــــبراني- بسند حسن- عن ابن عباس قال: (إن الله خلق العـــرش فاستوى عليه، ثم خلق القلم فأمره أن يجري بإذنه، وعظم القلم ما بين السماء والأرض فقال: بم أجري يا رب قال: بما أنا خالق وكائن في خلقي: من قطـــر أو نبات، أو خير أو شر- يعني به العمل- أو رزق أو أجل ؛ فجرى القلم

الحديث نفسه. انظر: الدر المنثور: ٤٧٢/٨.

(١) قال الطبري في تفسيره: قال حدثنا الحسين قال حدثنا مبشر الحلبي عن أرطاة بن المنذر قال: سمعت ضمرة يقول: الحديث. انظر: الطبري في تفسيره:٥/٧، والدر المنثور:٧/ ٤٣٠.

(٢) سألت الوليد بن عبادة بن الصامت: كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ فقال: دعاني فقال: أي بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر خيره وشره إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول ما خلق الله خلق القلم فقال له: اكتب قال: يا رب وما أكتب ؟ قال: اكتب القدر قال فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد.حدثني محمد بن عبد الله الطوسي قال: ثنا علي بن الحسن بن شقيق قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا رباح بن زيد عن عمرو بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أول شيء خلق الله القلم وأمره فكتب كل شيء. انظر الطبري في تفسيره: ١٧٥/١٢، والقرطبي:١٩٥/١٨، والشوكاني في فتح القدير: ٣٧٧/٥.

بما هو كائن إلى يوم القيامة، فأثبته الله في الكتاب المكنون عنده تحت العرش)[١].

القلـــم خلقه الله من نور

وأخـــرج أبو الشيخ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تبارك وتعالى أول شيء خلق، خلق القلم وهو من نور مسيرة خمسمائة عام، فأمره فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة)[٢].

وأخـــــرج عـــن مجاهد قال: (خلق الله اليراع أول ما خلق من الأشياء- واليراع القصب- ثم خلق القلم من ذلك اليراع ثم قال: اكتب ما يكون إلى يوم القيامة) .

وأخـــرج- بسند واه- عن ابن عباس قال: (أول شيء خلق الله عز وجل العـــرش مـــن نور، ثم الكرسي، ثم لوحا محفوظا من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمـــراء، قلمـــه نور، وكتابه نور، ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظـــرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويرفع أقواما، ويخفض أقـــواما، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وخلق قلما من نور، طوله خمسمائة عـــام، وعرضه خمسمائة عام قبل أن يخلق الخلق، وقال للقلم: (اكتب، قال: وما أكتب قال: اكتب علمي في خلقي إلى أن تقوم الساعة، فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة، إن كتاب ذلك العلم على الله يسير هين، وسنة القلم مشقوقة، ينبع منه المدد) .

باب
ما ورد في السموات السبع
والأراضين السبع

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾ (الطلاق / ١٢) .

---

(١) انظر القرطبي: ١٨/١٩٥، وابن كثير: ٣/٣١٥، والشوكاني في فتح القدير ٣/٦٧٠، والسيوطي في الدر المنثور:٦/٧٤.

(٢) تقدمت أحاديث في هذا الأمر أثناء الكلام عن القلم.

أخـــرج ابن مردويه في مسنده، وأبو الشيخ والبزار بسند صحيح عن أبي ذر قـــال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وغلظ كل منهما مسيرة خمسمائة عام، كذلك إلى السماء السابعة، والأرضين مثل ذلك، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وســـلم) : (كثف الأرض مسيرة خمسمائة عام، وكثف الثانية مثل ذلك، وما بين كل أرضين مثل ذلك) .

الرسول (ﷺ) يصف المسافات بين السماوات والأرض

وأخـــــرج الإمـــام أحمد في مسنده، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحـــاكم، وأبـــو الشيخ عن العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) قال: (كنا جلوســـا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتدرون كم بين السماء والأرض قلنا: الله ورسوله أعلم: قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مـــسيرة خمـــسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وفوق السماء الـــسابعة بحـــر، بين أعلاه وأسفله وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلـــك العـــرش، بـــين أســـفله وأعـــلاه كمـــا بـــين الـــسماء والأرض) . وأخـــــرج الترمذي، وابن مردويه، وأبو الشيخ عن أبي هريرة قال: (كنا جلوسا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ مرت سحابة، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أتدرون ما هذه ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قـــال: هذه العنان، هذه زوايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يعبدونه. قال: هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلـــك موج مكفوف وسقف محفوظ، ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا: الله ورســـوله أعلـــم. قال: فإن فوق ذلك سماء أخرى، ثم قال: هل تدرون ما بيـــنهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد ســـبع سمـــوات، بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، ثم قال: هل تدرون ما فوق

ذلـــك ؟ قالـــوا: الله ورسوله أعلم، قال فإن فوق ذلك العرش، فهل تدرون كم بيـــنهما ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن بين ذلك كما بين السمائين أو كما قال، ثم قال: ما تدرون ما تحتكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أرض أخرى، وبيـــنهما مـــسيرة خمـــسمائة عام، حتى عدّ سبع أرضين، بين كل أرض مسيرة خمسمائة عام) .

وأخـــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ قال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾ (الطلاق / ١٢) وجعل ما بين كل سمائين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، وجعل ما بين كل أرض كما بين السماء الدنيا والأرض، وكثف كل أرض مثل ذلك، وكان العرش على الماء، فرفع الماء حتى جعل عليه العرش، ثم ذهب الماء حتى جعله تحت الأرضين السابعة) .

وأخـــــرج عثمان بن سعيد الدارمي- في كتاب الرد على الجهمية، وأبو الـــشيخ عن ابن مسعود قال: (ما بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سمائين خمسمائة عام، ومصير كل سماء- يعني غلظ ذلك- خمسمائة عام، وما بين السماء إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام) [١].

كيف بدأ الخلق ؟

وأخـــرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن مسعود وناس من الصحابة قال: (إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء، لم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق، أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين، فخلق الأرض على الحوت، والحوت هو النون الذي ذكره تعالى في القرآن بقوله: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴾ (القلم/١)، والحوت في الماء، والماء على صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على الصخرة،

(١) انظر: الطبري في التفسير: ١١/٦٧٠، ١٢/١٤٥.

والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان، ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض، فأرسل عليها الجبال فقرت، فالجبال تفخر على الأرض وذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (النحل/١٥) ، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين: الثلاثاء والأربعاء ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (فصلت /١١) وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين: الخميس والجمعة، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ (فصلت /١٢) قال: خلق في كل سماء خلقا من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار والجبال وجبل البر، وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب، فجعلها زينة وحفظا يحفظ من الشياطين) .

كيف فتق الله السموات والأرض ؟

وأخـــرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ (الأنبياء/٣٠) قال: (كانت السمـــٰوات والأرضون ملتزقتين، فلما رفع السماء وأنبذها من الأرض فكان فتقها الذي ذكر الله) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن مجاهد في قوله: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ (الأنبياء/٣٠) قال: (من الأرضين معها ست فتلك سبع أرضين، ومن السماء ست سموات فتلك سبع سموات) .

السماء قبة

وأخــــــرج عـــن إياس بن معاوية قال: (السماء مقبية على الأرض مثل القبة).

وأخـــــرج عن وهب قال: (شيء من أطراف السماء محدق بالأرضين، والبحار كأطراف الفسطاط) .

وأخـــرج ابن أبي حاتم عن جرير بن مطعم: أن النبي (صلى الله عليه

وسلم) قال: (إن الله على عرشه، وعرشه على سمواته، وسمواته على أرضه هكذا، وقال بأصبعه: مثل القبة) . وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قولــه تعــالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ (البقرة/٢٢) قال: بناء السماء على الأرض كهيئة القبة وهي سقف على الأرض) .

وأخـــرج ابن جرير عن ابن عباس وناس من الصحابة في قولــه تعــالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ (البقرة/٢٢) قال: (عَلى سقف الأرض كهيئة القبة) .

السماء موج

وأخــــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: (قال رجل: يا رسول: ما هذه السماء قال: هذا موج مكفوف عنكم) (١).

صفات السموات السبع

وأخــــرج إســـحاق بـــن راهـــويه في مسنده، والطبراني في الأوسط، والترمذي، وابن المنذر، عن الربيع بن أنس قال: (السماء الدنيا: موج مكفوف، والثانــية: مرمـــرة بيـــضاء، والثالثة: حديد، والرابعة: نحاس، والخامسة: فضة، والسادسة: ذهب، والسابعة: ياقوتة حمراء) .

وأخــــرج أبـــو الشيخ- بسند واه- عن سلمان الفارسي قال: (السماء الدنيا: من زمردة خضراء واسمها رقيعاء، والثانية: من فضة بيضاء واسمها أزقلون، والثالثة: من ياقوتة حمراء واسمها قيدوم، والرابعة: من درة بيضاء واسمها ماعونا، والخامسة: من ذهبة حمراء واسمها ريقا،والسادسة: من ياقوتة صفراء واسمها دقناء، والسابعة: من نور واسمها عريبا) (٢).

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس من قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ ﴾ (الذاريات/٧) قال: (ذات البهاء والجمال، وإن بنيانها كالبرد المسلسل)(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٨/٣، ٣٨٧/٤، والبغوي ٣١٧/١، والدر المنثور وقد ورد فيه عن ابن مردويه كذلك ١٠٩/١، ١١٠ — والثعالبي: ٥٣/٣.

(٢) انظر: الدر المنثور: ١٠٩/١.

(٣) والسماء ذات الحبك } ذات الطرائق والمراد إما الطرائق المحسوسة التي هو مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار وتتوصل بها إلى المعارف أو النجوم فإن لها =

وأخـــرج عن الحسن في الآية قال: (ذات الخلق الحسن مجملة بالنجوم) .

وأخــــرج عن أبي صالح في الآية قال: (ذات الخلق الشديد) .

السماء الدنيا والسابعة

وأخــــرج عن علي بن أبي طالب قال: (اسم السماء الدنيا رقيع، واسم السابعة الضراح) .

وأخــــرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب- الرد على الجهمية- عن عـــبد الله بن عمرو قال: (لما أراد الله أن يخلق الأشياء إذ كان عرشه على الماء، وإذ لا أرض، ولا سمـــاء، خلق الريح، فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه، وأثـــار ركامـــه، فأخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا، فأمر الدخان فعلا، وسما، ونما، فخلق منه السموات، وخلق من الطين الأرضين وخلق من الزبد الجبال)[1].

في أي الأيام خلقت السموات ؟

وأخــــرج أبو الشيخ عن عبد الله بن سلام قال: (خلق الله السموات يوم الخميس والجمعة ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ ﴾ (فصلت /١٢) .

وأخــــرج عن مجاهد قال: (خلق الله الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض ثار منها دخان فذلك قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ ﴾ (البقرة/٢٩) بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض) .

وأخــــرج أبو الشيخ عن حسان بن عطية قال: (الأرض التي تحت هذه فـــيها حجارة أهل النار، والتي تليها الريح العقيم، والتي تليها عقارب أهل النار،

طرائق أو أنها كما يزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالإبل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم و الحبك كالبرق.

انظر البيضاوي: ٢٣٥/١.

(١) انظر: الدر المنثور: ١٠٧/١.

والتي تليها حيات أهل النار، والتي تليها إبليس الأباليس) [١].

وأخـــرج عن الدارمي قال: (الريح العقيم في الأرض الثانية، والثالثة فيها حجارة النار، والرابعة فيها عقارب النار، والخامسة فيها حيات النار، والسادسة فيها كبريت النار، والسابعة فيها إبليس) .

ما سجين ؟

وأخـــرج أبو الشيخ عن مجاهد: (سجين صخرة تحت الأرض السابعة في جهنم تقلب فيجعل كتاب الفاجر تحتها) [٢].

وأخـــرج الحـــاكم في المستدرك عن ابن عمرو مرفوعـــا: (الأرض الرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم، والسادسة فيها عقارب جهنم) [٣].

---

(١) لم أقف على هذا الحديث بهذه الرواية.

(٢) قال قتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب: إنه صخرة تحت الأرض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها وبه قال مجاهد فيكون في الكلام على هذا القول مضاف محذوف والتقدير: محل كتاب مرقوم وقال أبو عبيدة والأخفش والمبرد والزجاج ﴿ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ لفي حبس وضيق شديد والمعنى: كأنهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم وهوانها.الشوكاني: فتح القدير٥/٥٥٤.

(٣) أوردت رواية الحاكم كاملة في المستدرك وهي تحت رقم (٨٧٥٦) وفيه: حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب ثنا بحر بن نصر ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عباس حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن أبي الهيثم عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الأرضين بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاهما في سماء و الحوت على ظهره على صخرة و الصخرة بيد ملك و الثانية مسخر الريح فلما أراد الله أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا قال: يا رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور فقال له الجبار تبارك و تعالى: إذا تكفي الأرض و من عليها و لكن أرسل عليهم بقدر خاتم و هي التي قال الله عز و جل في كتابه العزيز ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ و الثالثة فيها حجارة جهنم و الرابعة فيها كبريت جهنم قالوا: يا رسول الله أللنار كبريت ؟ قال: نعم و الذي

وأخـــرج أبو الشيخ عن ابن عمر قال: (إن على الأرض الرابعة، وما تحت الأرض الثالثة من الجن ما لو أنهم ظهروا لكم لم تروا معهم نور الشمس، على كل زاوية منها خاتم من خواتيم الله، على كل خاتم ملك من الملائكة، يبعث الله كل يوم ملكا من عنده أن احتفظ بما عندك) .

وأخـــــرج البزار، وابن عدي، وأبو الشيخ عن ابن عمر أن النبي صلى الله علـــيه وسلم سئل عن الأرض: على ما هي؟ قال: (على الماء. قيل: أرأيت الماء على ماهو قال: على صخرة خضراء. قيل: أرأيت الصخرة على ما هي قال: على ظهـــر حـــوت يلتقي طرفاه بالعرش. قيل: أرأيت الحوت على ما هو قال: على كاهل ملك قدماه في الهواء) .

وأخـــــرج أبـــو الـــشيخ عن كعب قال: الأرضون السبع على صخرة، والـــصخرة في كف ملك، والملك على جناح الحوت، والحوت في الماء، والماء على الريح، والريح على الهواء، ريح عقيم لا تلقح، وإن قرونها معلقة بالعرش) .

وأخـــرج أبو الشيخ من طريق السدي عن أبي مالك قال: (الصخرة التي تحت الأرض منتهى الخلق، على أرجائها أربعة أملاك ورؤوسهم تحت العرش) .
وأخـــرج أيضا عنه قال: (إن الأرضين على حوت، والسلسلة في أذن الحوت) .
وأخـــرج أبو الشيخ عن وهب في قوله تعالى: ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال: (هو ما بين أسفل الأرض إلى العرش) .

نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت، و الخامسة فيها حيات جهنم إن أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على عظم والسادسة فيها عقارب جهنم إن أدنى عقربة منها كالبغال المؤكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم و السابعة سقر و فيها إبليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء من عباده أطلقه.
هذا حديث تفرد به أبو السمح عن عيسى بن هلال وقد ذكرت فيما تقدم عدالته بنص الإمام يحي بن معين رضي الله عنه و الحديث صحيح و لم يخرجاه.انظر: المستدرك: ٦٣٦/٤.

وأخـــــرج أبـــو الشيخ عن وهب في قول عبدة بن أبي لبابة قال: (الدنيا سبعة أقاليم: فيأجوج ومأجوج في ستة أقاليم،وسائر الناس في إقليم واحد) .

وأخـــرج عثمان بن سعيد الدارمي- في الرد على الجهمية- عن ابن عباس قال: (سيد السموات التي فيها العرش، وسيد الأرضين الأرض التي أنت عليها) .

باب

ما ورد في الشمس والقمر والنجوم

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ (نوح/ ١٦) ، وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ (إبراهيم/٣٣) ، وقـــال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ (الأنعـــام/ ٩٧) ، وقال: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ (الصافات/٦، ٧) .

مما خلق الله الشمس والقمر والنجوم

أخـــرج الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ عن أنس قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش)

وأخـــــرج أبو الشيخ عن كعب قال: (خلق الله القمر من نور، ألا تر أنه قال: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ ، وخـــلق الشمس من نار، ألا ترى أنه قـــال: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ ، والسراج لا يكون إلا من نار) .

النـــيران أربـــع

وأخـــرج أبو الشيخ عن معاوية بن صالح أنه بلغه (أن النيران أربـــع: فنار تأكل وتشرب وهي نار جهنم، ونار لا تأكل ولا تشرب ؛ وهي نار الدنيا، ونار تأكل ولا تشرب؛ وهي النار التي خلقت منها الملائكة، ونار تشرب ولا تأكل؛ وهي النار التي خلقت منها الشمس، ومنها خلقت الشياطين) [1].

---

(١) لم أقف على تخريجه.

وأخـــــرج ابـــن مردويه وأبو الشيخ عن ابن عمر قال: (الشمس والقمر وجوههما إلى السماء، وأقفيتهما إلى الأرض يضيئان من في السماء كما يضيئان من في الأرض) .

وأخرج أبو الشيخ- بسند حسن- عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ قال: قفاه مما يلي الأرض ووجهه مما يلي السماء) .

نـــور الشمس ممـــا خـــلـــق

وأخـــرج أبو الشيخ عن ابن شوذب قال: (الشمس جزء من ثلاثة آلاف جزء من نور تحت العرش) .

وأخـــــرج عن سلمان قال: (خلق الله الشمس من نور عرشه، وكتب في وجههـــا: أنا الله لا إله إلا أنا، صغت الشمس بقدرتي، وأجريتها بأمري، وكتب في بطـــنها: أنـــا الله لا إله إلا أنا، رضاي كلام، وغضبي كلام، ورحمتي كلام، وعذابي كلام، وخلق القمر من نور حجـــابه الذي يليه، ثم كتب في وجهه: إني أنـــا الله لا إله إلا أنا، صغت القمر، وخلقت الظلمات والنور، فالظلمة ضلالة، والنور هداي ؛ أضل من شئت، وأهدى من شئت، وكتب في بطنه، إني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخير والشر بقدرتي وعزتي أبتلى بهما من شئت من خلقي) .

كم طـــول الشمس وعرضها

وأخـــرج أبو الشيخ من طريق الكلبي عن أبي صالح أن رجلا قال له: (كم طـــول الشمس وكم عرضها قال: تسعمائة فرسخ، في اثني عشر فرسخا، وطول الكواكب اثني عشر فرسخا، في اثني عشر فرسخا) .

وأخـــرج ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن قتادة قال: (الشمس طولها ثمانون فرسخا، في عرض ثمانين فرسخا) .

وأخـــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة قال: (الشمس على قدر الدنيا) .

وأخـــــرجه مـــن وجه آخر بلفظ: (سعة الأرض) بدل (قدر الدنيا) في الموضعين.

وأخـــرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: (الشمس بمنزلة الساقية، تجري بالنهار في السماء في فلكها، فإذا غربت جرت الليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها. قال: وكذلك القمر) .

كيف تسبح الكواكب

وأخـــرج أبـــو الـــشيخ عـــن ابن عباس في قوله: (فِي فَلَكٍ يَسبحَونَ) (الأنبياء /٣٣) قال: (يدورون في أبواب السماء، كما تدور الفلكة في المغزل).

وأخـــرج أبو الشيخ عن الحسن البصري قال: (إذا غربت الشمس دارت في فلـــك الـــسماء مما يلي دبر القبلة، حتى ترجع إلى المشرق الذي تطلع منه، وتجري في السماء من شرقها إلى غربها، ثم ترجع إلى الأفق مما يلي إلى دبر القبلة إلى شرقها، كذلك هي مسخرة في فلكها، وكذلك القمر) .

أين تجري الشمس والقمر والنجوم ؟

وأخـــرج أبو الشيخ عن واحد عن حسن بن عطية قال: (الشمس والقمر والنجوم مسخرة في فلك بين السماء والأرض تدور) .

وأخـــرج البخاري في تاريخه، وأبو الشيخ، وابن عساكر عن كعب قال: (إذا أراد الله أن تطلع الشمس من مغربها أدارها بالقطب، فجعل مشرقها مغربها، ومغربها مشرقها) .

ماذا لو ثبتت الأرض في مدار واحد

وأخـــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عمر قال: (لو أن الشمس تجري مجرى واحد، ما انتفع أحد من أهل الأرض بشيء منها، ولكنها تحلق في الـــصيف، وتعتـــرض في الـــشتاء، فلو أنها طلعت مطلعها في الشتاء في الصيف لأنضجهم الحر، ولو أنها طلعت مطلعها في الصيف في الشتاء لقطعهم البرد) .

إذا خرجتُ عُبدت من دونِك

وأخـــرج أبو الشيخ عن عكرمة قال: (إن الشمس إذا غربت دخلت بحرا تحت العرش، فتسبح الله، حتى إذا هي أصبحت استعفت ربها من الخروج، قال: لهـــا الرب جل جلاله: ولم ؟ قالت: إني إذا خرجت عبدت من دونك، قال لها:

اخرجي فليس عليك من ذلك شيء، حسبهم جنهم) .

اطلعي من حيث غربت

وأخـــــرج عبد الرزاق وأبو الشيخ عن ابن عمر قال: (إن الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم، فإذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت، فيؤذن لها، حتى إذا غربت سلمت وسجدت فلا يؤذن لها، فتقول: إن السير بعيد، وإني لم يؤذن لي، لا أبلغ، فتحبس ما شاء الله أن تحبس، ثم يقال لها: اطلعي من حيث غربت).

الشمس والملائكة

وأخـــرج من طريقين عن سعيد بن المسيب قال: (لا تطلع الشمس حتى ينخسها ثلاث مائة وستون ملكا، كراهة أن تعبد من دون الله) .

وأخـــرج الطبراني وأبو الشيخ عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وُكِّلَ بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج، ولولا ذلك ما أصابت شيئا إلا أحرقته) .

اللهم أعط ممسكا تلفا

وأخـــرج أبو الشيخ عن علي بن أبي طالب قال: (إن الشمس إذا طلعت هتف معها ملكان موكلان بها يجريان معها ما جرت حتى إذا وقعت في قطبها، فقـــيل لعلـــي: وما قطبها قال: حذا بطنان العرش فتخر ساجدة حتى يقال لها: امضي بقدرة الله، فإذا طلعت أضاء وجهها السبع سموات وقفاها لأهل الأرض، قـــال: وفي السماء ستون وثلاثمائة برج، كل برج منها أعظم من جزيرة العرب، وللـــشمس في كـــل برج منها منزل تنزله، حتى إذا وقعت في قطبها قام ملكان بالمـــشرق في مديـــنة يقال لها بلسان، وقام ملك بالمغرب يقال له بسان، فقال المشرقي: اللهم أعطي ممسكا تلفا) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: (إن للشمس ثلاثمائة وستين كوة تطلع كل يوم في كوة، فلا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل، ولا تطلـــع إلى وهـــي كارهـــة، تقول: رب لا تطلعني على عبادك، فإني أراهم يعصونك) .

الشمس وأبراجها

وأخـــــرج أبو الشيخ عن سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزى في قوله:) رَبُّ المَـــشرقين وَرَبُّ المَغـــربَين (قال: (للشمس ثلاثمائة وستون برجا في المشرق، وثلاثمائـــة وســـتون برجا في المغرب، لا تطلع يومين في برج واحد، ولا تغيب يومين في برج واحد) .

وأخـــــرج عن ابن آدم قال: (الشمس تمكث في كل برج شهرا، والبرج ثلاثـــون مطلعا، بين كل مطلعين شعيرة، تنقص حتى تستكمل الساعة في ثلاثين يوما، ثم تتحول من ذلك البرج إلى البرج الآخر) .

الناس أكثر أم يأجوج ومأجوج

وأخـــرج أبو الشيخ من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن مقاتل بن حبان عن عكرمة عن ابن عباس: (خلق الله بحرا دون السماء بمقدار ثلاث فراسخ، فهو موج مكفوف قائم في الهواء بأمر الله، لا يقطر منه قطرة، والبحور كلها ساكنة، وذلك البحر جار في سرعة السهم، ثم انطباقه في الهواء مستو كأنه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب، فتجري فيه الشمس والقمر والنجوم، والخنس في ذلك البحر، فذلك قوله: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء /٣٣) والفلك تدور دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر، فإذا أراد الله أن يحدث الكسوف، خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ذلك البحر، فإذا أراد الله يعظم الآية، ويشتد تخويف العباد، وقعت الشمس كلها، فلا يبقى على العجلة منها شيء، فذلك حين يظلم النهار، وتبدو النجوم، وذلك المنتهى عن كسوفها، وإذا أراد الله دون ذلك، وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء، ويبقى سائر ذلك على العجلة، فهو كسوف دون كسوف، وبلاء للشمس والقمر، وتخويف للعباد واستعتاب من الله وإلى ذلك فإن صارت الملائكة الموكلون بها فرقتين: فرقة منها يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة، وفرقة يقبلون إلى العجلة، فيجرونها إلى الشمس، فإذا غربت رفع بها إلى السماء السابعة، في سرعة طيران الملائكة، وتحبس تحت العرش، فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع، ثم ينطلق

بها ما بين السماء السابعة وبين أسفل درجات الجنان، في سرعة طيران الملائكة، فتنحدر حيال المشرق من سماء إلى سماء، فإذا ما وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الصبح فإذا دخلت إلى هذا الوجه من السماء فذلك حين تطلع الشمس، قال: وخلق الله عند المشرق حجابا من الظلمات فوضعها على البحر السابع مقدار عدة الليالي في الدنيا منذ يوم خلقها الله إلى يوم القيامة فإذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة قد وكل بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا يزال يرسل تلك الظلمة من خلل أصابعه قليلا وهو يراعي الشفق فإذا غاب الشفق أرسل الظلمة كلها ثم ينشر جناحيه فيبلغان قطرى الأرض وكنف السماء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه فإذا جاء الصبح من المشرق ضم جناحيه ثم يضم الظلمة كلها بعضها إلى بعض بكف واحدة من المشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر).

من المغرب إلى المشرق

ماذا تفعل الشمس ؟

وأخـــرج أبو الشيخ عن ميسرة قال: (بلغنا أن الشمس إذا غربت صلت والقمر والكواكب والليل والنهار والملائكة) .

الجبل الذي تطلع

من ورائه الشمس

وأخـــــرج عن السدى قال: (الجبل الذي تطلع الشمس من ورائه، طوله ثمانون فرسخا في السماء) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن الحسن قال: قال القمر لربه: (اللهم إنك فضلت الـــشمس عليّ، ونقصتني، وأشنتني فلا تطلعها على ما نقصت مني واشنتني، فلا ترى القمر أبدا إلا والتمام مما يلي الشمس) .

وأخـــرج عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ الآية قال: (قدره الله منازل فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة) .

النجوم الخنس

وأخــــرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝ ﴾ قال: (الخنس نجوم تجري يقطعن المجرة كما يقطع الفرس) .

سهيل لم يطع الأمر

وأخــــــرج عن ابن عباس قال في سهيل: (أمرت النجوم بأمر وأمر بأمر فخالف فخولف به) .

مسخ بسبب ظلمه

وأخــــــرج مــــن طريق أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب كان إذا رأى سهيلا سبه وقال: (إنه كان عشارا باليمن، يبخس بين الناس بالظلم، فمسخه الله شهابا) .

وأخــــرج مثله من وجه آخر عن أبي الطفيل مرفوعا مرسلا) .

وأخــــــرج بـــسند ضعيف عن ابن عمر مرفوعا: (إن سهيلا كان عشارا ظلوما، فمسخه الله شهابا) .

وأخــــرج أبو الشيخ عن الحكم قال: (لم يطلع سهيلا إلا في الإسلام، وإنه لممسوخ) .

وأخــــرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ ﴾ ، قال: (كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها) .

العاهات ترفع مع طلوع النجوم

وأخــــرج عن أبي هريرة قال: (ما طلع النجم ذات غداة قط إلا رفعت آفة وعاهة أو خفت) .

وأخــــــرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ارتفعت النجوم رفعت العاهة عن كل بلد) .

باب
ما ورد في الليل والنهار

شراهيل.. هراهيل

وأخرج أبو الشيخ من طريق عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب عن سـلمان قال: (الليل موكل به ملك يقال له شراهيل، فإذا حان وقت الليل أخذ خرزة سوداء فدلاها من قبل المغرب، فإذا نظرت إليها الشمس وجبت في أسرع مـن طرفة عين، وقد أمرت الشمس أن لا تغرب حتى ترى الخرزة، فإذا غربت جاء الليل، فلا تزال الخرزة معلقة حتى يجيء ملك آخر، يقال له هراهيل بخرزة بيضاء فيعلقها من قبل المطلع، فإذا رآها شراهيل مدّ إليه خرزته، وترى الشمس الخـرزة البيـضاء فـتطلع، وقد أمرت أن لا تطلع حتى تراها، فإذا طلعت جاء النهار).

وأخـرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا محمد أرأيت جنة عرضها السموات والأرض فأين النار قال: أرأيت الليل الذي قد التبس كل شيء فأين جعل النهار قال: الله أعلم. قال: كذلك يفعل ما يشاء) .

الليل أم النهار أيهما كان قبل الآخر

وأخـرج أبو الشيخ عن ابن عباس أنه سئل أيهما كان قبل: الليل أم النهار قال: (الليل ثم قرأ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ﴾ (الأنبياء /٣٠) ثم قال كان بينهما ظلمة، وذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار) .

أيام الأسبوع وما خلق فيها

وأخـرج عن ابن عباس قال: (إن الله خلق يوما واحدا فسماه الأحد، ثم خلـق ثانـيا فـسماه الإثنين، ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعا فسماه الأربعـاء، ثم خلق خامسا فسماه الخميس، قال: فخلق الأرض في يومين، الأحد والإثـنين، وخلـق الجبال يوم الثلاثاء فذلك قول الناس: هو يوم ثقيل، وخلق مواضـع الأنهار والأشجار يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت) .

باب
ما ورد في السماء والرياح
الماء خلق من ياقوتة خضراء

أخـــــرج أبـــو الشيخ من طريق أبي عصْمة نوح ابن مريم- وهو كذاب بوضاع- عن مقاتل ابن حيان عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا: (لما أراد الله عز وجل أن يخلق الماء. خلق من النور ياقوتة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات، وسبع أرضين وما فيهن وما بينهن، ثم دعاهما، فلما أن سمعت كلام الله ذابت فرقا حـــتى صارت ماء، فهو مرتعد من مخافة الله عزوجل إلى يوم القيامة.وكذلك إذا نظرت إليه راكدا، أو جاريا يرتعد، وكذلك يرتعد في الآبار من مخافة الله إلى يوم القـــيامة، ثم خلق الريح، فوضع الماء على الريح، ثم خلق العرش، فوضع العرش على الماء) .

وأخـــــرج الفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم في المـــستدرك وصححه عن ابن عباس أنه سئل: (حين كان العرش على الماء، على أي شيء كان الماء قال: على متن الريح) .

وأخـــــرج أبو الشيخ من طريق وهب قال: (ثم خلق الله الريح فبسطها، فضربت الماء حتى صار أمواجا وزبدا) .

جندان من جنود الله

وأخـــــرج عـــن ابن عباس بقال: (الماء والريح جندان من جنود الله، والريح جند الله الأعظم) .

وأخـــرج عن مجاهد قال: (الريح لها جناحان وذنب) .

هلاك قوم عاد بقليل من الريح

وأخـــــرج أبـــو الشيخ عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: (ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم) . وأخرج مثله من حديث ابن عباس مرفوعا.

رحمة الله حتى على الظالمين

وأخـــرج عن كعب قال: (ساكن الأرض الثانية الريح العقيم، لما أراد الله عـــز وجل أن يهلك قوم عاد أوحى إلى خزنتها أن افتحوا منها بابا قالوا: يا ربنا

منخـــر الـــثور قال: إذا تكفي الأرض ومن عليها، ولكن افتحوا منها مثل حلقة خاتم) .

الـــرياح ثمـــانية

وأخـــرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابن عمر قال: (الرياح ثمان: أربع رحمـــة، وأربـــع عـــذاب، فأما الرحمة: فالناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والرخاء، وأما العذاب: العقيم، والصرصر، وهما في البر، والعاصف، والقاصف، وهما في البحر) .

من أين تأتي الرياح

وأخـــرج أبو الشيخ عن عسى بن أبي عيسى الخياط قال: (بلغنا أن الرياح سبع: الصبا، والدبور، والجنوب، والشمال، والنكباء، والخروق، والرياح القائم، فأما الصبا: فتجيء من المشرق، وأما الدبور: فتجيء من المغرب، وأما الجنوب: فتجيء عن يسار القبلة، وأما الشمال: فتجيء عن يمين القبلة، وأما النكباء: فبين الـــصبا والجنوب، وأما الخروق: فبين الشمال والدبور، وأما ريح القائم: فأنفاس الخلق) .

كل الرياح تشعر بها في الكعبة

وأخـــــرج عن الحسن قال: (جعلت الرياح على الكعبة، فإذا أردت أن تعلم ذلك فاسند ظهرك إلى باب الكعبة، فإن الشمال عن شمالك، وهي مما يلي الحجـــر الأســـود، والجـــنوب عن يمينك، وهو مما يلي الحجر الأسود، والصبا مقابلك، وهي تستقبل باب الكعبة، والدبور من دبر الكعبة) .

وأخـــــرج عـــن ضمرة بن حبيب قال: (الدبور الريح الغربية، والقبول الشرقية، والشمال الجنوبية، واليمان القبلية، والنكباء تأتي من الجوانب الأربع) .

ريـــح الشـــمال

وأخـــرج عن ابن عباس: (الشمال ما بين مطلع الشمس والجدي، والدبور ما بين مغرب الشمس إلى سهيل) .

الجنوب ريح طيبة

وأخـــرج أبـــو الشيخ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الجنوب من ريح الجنة) .

وأخرج عن أبي هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ريح الجنـوب مـن الجنة، وهي من اللواقح، وفيها منافع للناس، والشمال من النار، تخرج فتمر بالجنة فتصيبها نفحة من الجنة فبردها من ذلك) .

الأزيب

وأخـرج ابن راهويه، وابن أبي شيبة في مسنديهما، والبخاري في تاريخه، وأبو الشيخ عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله خلق في الجنة ريحـا بعد الريح بسبع سنين، من دونها باب مغلق، وإنما يأتيكم الريح من خلل ذلـك الباب، ولو فتح ذلك الباب لذرت ما بين السماء والأرض، وهي عند الله الأزيب، وعندكم الجنوب) .

من خلل الأبواب يأتينا ما يكفينا

وأخـرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: (الجنوب سيد الأرواح، واسمها عند الله الأزيب، ومن دونها سبعة أبواب، وإنما يأتيكم منها ما يأتيكم من خللها، ولو فتح منها باب واحد، لأذرت ما بين السماء والأرض) .

وأخـرج عن ابن عباس قال: (ما راحت جنوب قط إلا سال في واد ما رأيتموه أو لم تروه) .

لولا الشمال ما نبت نبات

وأخـرج عن قيس بن عبادة قال: (الشمال ملح الأرض، ولولا الشمال لا تنبت الأرض) .

وأخـرج عـبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وأبو الشيخ قال: (لو احتبست الريح عن الناس ثلاثة أيام؛ لأنتن ما بين السماء والأرض) .

لا تضارب بين الرياح في الحدود

وأخـرج أبو الشيخ عن عثمان الأعرج قال: (إن مساكن الرياح تحت أجنحة الكرسي وبين حملة العرش، فتهيج فتقع بعجلة الشمس، فتستعين الملائكة علـى حـرها، ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع في البحر، ثم تهيج في البحر فتقع برؤوس الجبال، ثم تهيج من رؤوس الجبال فتقع في البر، فأما الشمال فإنها تمر بجنة

عـــدن فـــتأخذ من عرف طيبها فتمر به على أرواح الصديقين، ثم تأتي الشمال وحـــدها مـــن كرسي بنات نعش إلى مغرب الشمس، وتأتي الدبور وحدها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل، وتأتي الجنوب وحدها من مطلع سهيل إلى مطلع الـــشمس، وتـــأتي الصبا وحدها من مطلع الشمس إلى كرسي بنات نعش، فلا تدخل هذه ولا هذه في حد هذه ولا هذه) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن عبيد بن عمير قال: (يبعث الله المبشرة فتعم الأرض بماء؛ ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب، فيجعله كسفا ثم يبعث المؤلفة فتؤلف بينه فيجعله ركاما، ثم يبعث اللواقح فتلقحه فتمطر ثم قرأ: قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢].

ما ورد في السحاب والمطر

وأخـــــرج ابـــن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: (إن الله يبعث الريح تحمل الماء من السماء، تمر به السحاب، تدر كما تدر اللقحة) .

أشد خلق الله

وأخـــرج الطبراني في الأوسط- بسند جيد- عن علي رضي الله عنه قال: (أشـــد خلـــق ربك عشرة: الجبال، والحديد ينحت الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفيء النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء، والريح تـــنقل السحاب، والإنسان يتقي الريح بيده ويذهب فيها لحاجته، والسكر يغلب الإنسان، والنوم يغلب السكر، والهم يمنع النوم، فأشد خلق ربك الهم، فأشد خلق ربك الهم) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن مجاهد في قوله: (فَالحامِلاتِ وِقراً): (السحاب يحمل المطر) .

وأخـــــرج أبـــو الشيخ عن كعب قال: (السحاب غربال المطر، ولولا السحاب- حين ينزل الماء من السماء- لأفسد ما يقع عليه من الأرض، والبذر ينزل من السماء) .

السحاب ثمـــر

وأخـــــرج أبو الشيخ عن خالد بن معدان قال: (إن في الجنة شجرة تثمر الـــسحاب، فالـــسوداء منها الثمرة التي قد نضجت التي تحمل المطر، والبيضاء

الثمرة التي لم تنضج لا تحمل المطر) .

السحاب ينطق ويضحك

وأخـــرج أحمد، وابن أبي الدنيا في كتاب المطر، وأبو الشيخ عن الغفاري قـــال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ينشيء الله السحاب فينطق أحسن المنطق، ويضحك أحسن الضحك) .

قال أبو نعيم بن سعد: المنطق: الرعد، والضحك: البرق.

السحاب غربالا

وأخـــرج أبو الشيخ عن أبي المثنى قال: (إن الأرض قالت: رب أرني من المـــاء، ولا تنزلـــه عليّ منهمرا كما أنزلته على يوم الطوفان، قال: سأجعل لك السحاب غربالا) .

وأخـــــرج أبو الشيخ عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول: (إذا نشأت السماء بحرية، ثم تشأمت فتلك عين، أو عام غديقة، يعني مطرا كثيرا) .

وأخـــــرج أبو الشيخ عن الحسن أنه سئل عن: المطر من السماء أم من السحاب قال: من السماء: (إنما السحاب علم ينزل عليه الماء من السماء) .

وأخـــــرج عـــن وهب قال: (لا أدري المطر ينزل قطره من السماء في السحاب، أم خلق في السحاب فأمطر) .

وأخـــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن خالد ابن معدان قال: (المطر ماء يخـــرج من تحت العرش، فينزل من سماء إلى سماء، حتى يجتمع في السماء الدنيا، فيجـــتمع في موضع يقال له الأبرم، فتجيء السحاب السود فتدخله فتشربه مثل شرب الإسفنجة، فيسوقها الله حيث شاء) .

حبة المطر مثل البعيـــر

وأخـــــرج ابـــن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة قال: (ينزل الماء من السماء السابعة، فتقع القطرة منه على السحاب مثل البعير) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن الشعبي في قوله: ﴿ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِـــ

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١] قال: (كل ما في الأرض من السماء) .

يوم نوح ويوم عاد

وأخـــرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله من السماء كفا من ماء إلا بمكيال ولا يسق الله كفا من ريح إلا بوزن ومكيال إلا يوم نوح فإن الماء طغى على الخُزان)، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ ويوم عاد فإن الريح عتت على الخزان، قال الله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ .

وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: (لم ينزل الله قطرة من السماء إلا يعلـــم الخزان إلا حيث طغى الماء فإنه غضب بغضب الله فطغى على الخزان فخرج ما لا يعلمون ما هو) .

اللؤلؤ من المطر

وأخـــــرج أبو الشيخ من طريق سعيد بن جبير، وابن عباس قال: (يخلق الله اللؤلـــؤ في الأصداف من المطر، تفتح الأصداف أفواهها عند المطر، فاللؤلؤة العظيمة من القطرة العظيمة، واللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة) .

وأخـــــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة قال: (ما أنزل الله من السماء ماء إلا أنبت بها في الأرض عشبة، أو في البحر لؤلؤة) .

وأخـــــرج أبـــو الـــشيخ عن عبيد بن عمير قال: (يبعث الله ريحا فتعم الأرض، ثم يبعث الله الثانية فتثير سحابا فيجعله كسفا، ثم يبعث الله الثالثة فيؤلف بينه، فيجعله ركاما، ثم الرابعة فتمطر) .

وأخـــــرج عـــن السدى قال: (يرسل الله الريح فتأتي بالسحاب من بين الخـــافقين طـــرف السماء والأرض حين يلتقيان فيخرجه، ثم ينشره فيبسطه في السماء كيف يشاء، فيسيل الماء على السحاب، ثم يمطر السحاب بعد ذلك) .

المطـــر والقـــحط

وأخـــــرج أبـــو الشيخ عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما مطر قوم إلا برحمته، ولا قحطوا إلا بسخطه) .

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن أنه كان إذا نظر إلى السحاب قال: (فيه والله رزقكم، ولكنكم تحرمونه بذنوبكم) .

وأخـــرج ابن أبي الدنيا في المطر، وأبو الشيخ عن المطلب بن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها، فيصرفه الله حيث يشاء) .

الملائكة تنـــزل مع المطر

وأخـــرج أبو الشيخ عن الحسن قال: (ما من عام أمطر من عام، ولكن الله يـــصرفه حيث يشاء، وربما كان ذلك في البحر، وينزل مع المطر كذا وكذا من الملائكـــة فيكتـــبون حيث يقع ذلك المطر، ومن يرزقه، وما يخرج منه مع كل قطـــرة) .وأخرج ابن أبي الدنيا في المطر وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: (ما نزل مطر من السماء الا ومعه البذر، أما إنكم لو بسطتم نطعا لرأيتموه) .

وأخـــرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: (المطر مزاجه من الجـــنة، فـــإذا كثر المزاج عظمت البركة، وإن قل المطر، وإذا قل المزاج قلت البركة، وإن عظم المطر) .

وأخـــرج ابن أبي حاتم عن خالد بن يزيد قال: (المطر منه ماء من السماء، ومنه ماء يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق، فأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فما كان من السماء) .

وأخـــــرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: (ما من عين جارية إلا داخلتها من الثلج) .

وأخرج أبو الشيخ عن كعب قال: (لولا أن الجليد ينزل من السماء الرابعة، لم يمر بشيء إلا أهلكه) .

وأخـــــرج أبـــو الشيخ عن ابن مالك الغفاري قال: (سألت ابن عباس) فقلـــت: تنزل الأرض القفلا فتمطر من الليل فتصبح من الغد في الأرض ضفادع خـــضر فقال ابن عباس: (إن هذه السماء الدنيا إلى التي تليها، وما بينهما ماءهما يجري فيه من الطير والدواب مثل ما في مائكم هذا) .

التعذيب بالمطر

وأخـــرج ابن أبي زمنين في أصول السنة عن سلمان الفارسي قال: (تحت هذه السماء بحر ماء مطفح، فيه الدواب مثل ما في بحركم هذا، ومن هذا البحر غرق الله قوم نوح، وهو ما أسكنه الله للعذاب؛ وسينزل قبل يوم القيامة، فيغرق به من يشاء، ويعذب به من يشاء) .

أخـــرج أبو الشيخ عن قتادة قال: (كان آدم عليه السلام يشرب من السحاب) .

باب
ما ورد في الرعد
والبرق والصواعق

قال تعالى: ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ [البقرة: ١٩] وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ﴾ [الرعد ١٢].

اليهود يسألون النبي
(صلى الله عليه وسلم)

أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: (إن اليهود قالوا: يا أبا القاسم إنّا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتهن عرفنا أنك نـــبي واتبعـــناك، قالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخا ريق من نار، يسوق بها السخاب حيث شاء الله.

قالـــوا: فما الصوت الذي نسمع فيه قال: زجره السحاب إذا زجره حتى ينتهي الى حيث أمر. قالوا: صدقت) .

الرعد يسوق السحاب

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ من طريق شهر ابن حوشب عن ابن عباس قال: (الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح، كما يسوق الحادي الإبل بحدائه).
وأخـــرج أبو الشيخ من طريق ابن مالك عن ابن عباس قال: (الرعد ملك يحدو، يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير) .

الرعد يسوق السحاب

وأخـــرج أبـــو الـــشيخ عـــن شهر بن حوشب قال: (الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه كما يسوق الحادي الإبل، فإذا خالفت سحابة صاحب بها، فإذا اشتد غضبه تناثرت من فيه النيران، وهي الصواعق التي رأيتم) .

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في مسنده عن علي، وابن أبي الدنـيا، وأبو الشيخ عن حوشب عن الضحاك عن ابن عباس قال: (البرق ملك يترايا) .

السحاب هو العنان

وأخرج ابن مردويه عن عمر بن بجاد الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله علـيه وسلم: (اسم السحاب عند الله العنان، والرعد ملك يزجر السحاب، والبرق طرف ملك يقال له روقيل) .

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن منشأ السحاب فقال: (إن ملكا موكل بالسحاب، يلم القاصية، ويلحم الدانية، في يده مخراق، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت).

الرعد ملك ينعق

وأخرج البخاري في الأدب وابن أبي الدنيا في المطر وابن جرير من طريق عكـــرمة عـــن ابن عباس قال: (إن الرعد ملك ينعق بالغيث، كما ينعق الراعي بغنمه) .

كيف تخرج الصواعق

وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: (الرعد ملك اسمه الرعد، وصوته هذا تسبيحه، فإذا اشتد زجره احتك السحاب واصطدم من خوفه، فتخرج الصواعق من بينه) .

البرق له أربعة وجوه

وأخـــرج ابـــن أبي حاتم عن محمد بن سلمة قال: (بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه: وجه إنسان، ووجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد، فإذا مصع بذنبه

فذلك البرق) .

وأخـــرج أبو الشيخ عن أبي الجلد أن ابن عباس أرسل له يسأله عن السماء مـــن أي شـــيء هـــي؟ وعن البرق والصواعق فقال: (أما السماء فإنها من ماء مكفـــوف، وأمـــا الـــبرق فهـــو تلألؤ الماء، وأما الصواعق فمخاريق يزجر بها السحاب) .

وأخـــرج الإمام احمد في الزهد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن أبي عمران الجوني قال: (بلغنا أن دون العرش بحورا من نار تقع منها الصواعق) .

وأخرج أبو الشيخ عن السدي قال: (الصواعق نار) .

باب
ما ورد في المجرة والقوس
عرق الأفعى

أخـــــرج الطبراني وأبو الشيخ من طرق عن معاذ ابن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش) .

أهـــل الكتاب يسألون

وأخـــــرج الطبراني عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ إني مرسلك إلى قوم أهل كتاب، فإذا سئلت عن المجرة التي في السماء فقل: هي لعاب حية تحت العرش) .

وأخرج أبو الشيخ عن خالد بن معدان قال: (المجرة التي في السماء من عرق الهوام الذين يحملون العرش) .

المجرة أبواب السماء

وأخـــــرج ابو الشيخ من طرق عن علي بن أبي طالب قال: (المجرة أبواب السماء التي صب الله منها الماء المنهمر على قوم نوح) .

وأخــــرج أبـــو الشيخ بسند صحيح عن ابن عباس قال: (المجرة أبواب السماء التي صب الله منها الماء المنهمر على قوم نوح) .

وأخـــرج أبو الشيخ بسند صحيح عن ابن عباس قال: (المجرة باب السماء

والذي تنشق منه) .

وأخـــرج من وجوه أخر عن ابن عباس قال: (المجرة باب السماء وطرفها من ههنا مهب الدبور تتيامن وتتياسر) .

هرقل يسال عن

وأخـــرج سعيد بن منصور في مسنده بسند صحيح عن سعيد بن جبير أن هـــرقل كـــتب إلى معاويـــة يسأله عن المجرة وعن القوس وعن مكان طلعت فيه الشمس ثم لم تطلع فيه قبل ذلك ولا بعده فقال معاوية: من لي بذلك فقيل: ابن عـــباس، فكتب إليه يسأله، فكتب إليه ابن عباس: (أما المجرة فباب السماء، وأما القوس فإنه أمان لأهل الأرض من الغرق، وأما المكان الذي طلعت فيه الشمس فالمكان من البحر حين انفلق لبني إسرائيل) .

لا تقولوا قوس قزح

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقولوا قوس قزح فإن قزح شيطان ولكن قولوا قوس الله فهو أمان لأهل الأرض) واخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس مرفوعا: وأخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر من طريق جبير، ومقاتل عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ [هود: ٤٤]، فابتلعت الأرض ماءها، وارتفع ماء السماء حتى بلغ عنان السماء رجاء أن يعود إلى مكانه، فأوحى الله إليه أن ارجع فإنك رجس وغضب، فرجع الماء فملح، وحمّ، وتردد، فأصاب الناس منه الأذى، فأرسل الله الريح، فجمعه في مواضع البحار، فصار زعاما، مالحا لا ينتفع به، وتطلع نوح فنظر، فإذا الشمس قد طلعت وبدا له اليد من السماء، وكان ذلك آية ما بينه وبين ربه عز وجل أمان من الغرق، واليد القوس الذي يسمونه قوس قزح، ونهى أن يقال قوس قزح، لأن قزح شيطان وهو قوس الله، وزعموا أنه كان يمتد عليه وتر وسهم قبل ذلك في السماء، فلما جعله الله أمانا لأهل الأرض من الغرق نزع الله الوتر والسهم).

باب
ما ورد في الزلزلة
كيف يحدث الزلزال

أخـــرج أبو الشيخ، وابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات عن ابن عباس قال: (خلــق الله جــبلا يقال له (ق) ، محيط بالأرض وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية، أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تحرك القرية دون القرية) .

باب
ما ورد في الجبال
ماورد في (ق)

أخـــرج أبو الشيخ عن عبد الله بن يزيد قال: (ق) جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء عليها كتفا السماء) .

وأخـــرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن كعب في قوله تعالى) حَتَّى تَوارَت بِالحِجابِ (، قال: (الحجاب جبل أخضر من ياقوت يحيط بالخلائق، فمنه خضرة الـــسماء الـــتي يقال لها الخضراء، وخضرة البحر من السماء فمن ثم يقال: البحر الأخضر) .

البحـــر على صخرة

وأخرج أبو الشيخ قال: (البحر على صخرة خضراء، فما ترون من خضرة السماء فهو من خضرة تلك الصخرة) .

وأخرج أبو الشيخ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فأرساها) .

كيف يحدث المد والجزر

وأخـــرج أبو الشيخ عن ابن عباس أنه سئل عن المد والجزر فقال: إن لله ملكـــا موكلا بقواميس البحر إذا وضع رجله فيها فاض، وإذا رفعها غاض فذَلك المد والجزر) .

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: (إن الجبال لتفخر على الأرض بأنها أُثبتت بها).

باب

ما ورد في البحار

البحار ثمانية

أخـــــرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: (إن هذا الخلق أحاط بهم بحر، قيل: وما بعد البحر قال: هواء، قيل: وما بعد الهواء قال: بحر أحاط بهذا الهواء، والبحـــر الزاخـــر على سبعة أبحر قيل: والثامن قال: كذلك هواء، قيل: وما بعد الثامن قال: ثم انتهى الأمر) .

وأخرج عن وهب قال: (إنها سبعة أبحر وسبعة أرضين والأرض على ظهر الحوت واسم الحوت بهموت) .

وأخـــرج عـــن حسان بن عطية قال: (بلغني أن مسيرة الأرض خمسمائة البحور منها مسيرة ثلاثمائة سنة، أو مائتي سنة، والخراب منها مسيرة مائة سنة أو مائتين، والعمران مسيرة مائة سنة) .

وأخـــــرج أبو الشيخ عن ابن عباس أنه سئل عن المد والجزر فقال: (إن معـــه ملكـــا مـــوكلا بقواميس البحر، إذا وضع رجله فاض، وإذا رفعها غاص، فكذلك المد والجزر) .

بحر من ماء بحر من نار.

وأخـــــرج أبو الشيخ عن ابن عمر قال: (تحت بحركم هذا بحر من نار، وتحـــت ذلك البحر بحر من ماء، وتحت ذلك البحر من الماء بحر من نار، حتى عد سبعة أبحر من نار، وسبعة أبحر من ماء) .

باب ما ورد في النيل

أخـــــرج أحمد والحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة، نبقها مثل قلال هجر، وورقهـــا مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، قال:

قلـــت يا جبريل: ما هذان قال: أما الباطنان: ففي الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات) .

أنهـــار الجنـــة

وأخـــرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل: كل من أنهار الجنة) .

النيـــل نهـــر العسل

وأخـــرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده، والبيهقي في البعث عن كعب قال: (نهر النيل نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة) .

أعاجيب النيل

وأخـــــرج أبو الشيخ في العظمة عن الليث بن سعد قال: (بلغني أنه كان رجل من بني العيص يقال له: حائد ابن سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم، خـــرج هارباً من ملك من ملوكهم، حتى دخل أرض مصر، فأقام بها سنين، فلما رأى أعاجـــيب نـــيلها وما يأتي به، جعل الله عليه أن لا يفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه، ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك، فسافر عليه فقال بعضهم: ثلاثين ســـنة في الـــناس، وثلاثين سنة في غير الناس. وقال بعضهم: خمسة عشر كذا، وخمسة عشر كذا، حتى انتهى إلى بحر أخضر، فنظر إلى النيل ينشق مقبلا، فصعد على البحر، وإذا رجل قائم يصلي تحت شجرة تفاح، فلما رآه استأنس به وسلم علـــيه، فـــسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له: من أنت قال: أنا حائد ابن أبي سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم، فمن أنت قال: أنا عمران ابن فلان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم، قال: فما الذي جاء بك يا حائد قال: جئت من أجل هذا النيل، فما جاء بك يا عمران قال: جاء بي الذي جاء بك، حتى انتهيت إلى هـــذا الموضع، فأوحى الله إليَّ أن أقف في هذا الموضع حتى يأتيني أمره، قال حائـــد: أخبرني ما انتهى إليك من أمر هذا النيل وهل بلغك أن أحد من بني آدم بلغه قال: نعم. قال: قد بلغني أن رجلا من ولد العيص يبلغه. ولا أظنه غيرك يا

حائــد، فقال له: كيف الطريق عليه قال له عمران: لست أخبرك بشيء إلا أن تجعل لي ما أسألك. قال: وما ذاك يا عمران قال: إذا رجعت إليّ وأنا حي أقمت عـــندي حـــتى يوحـــى إليّ بأمره، أو يتوفاني فتدفني، وإن وجدتني ميتا دفنتني وذهـــبت. قـــال له: لك ذلك عليّ فقال: سر كما أنت على هذا البحر، فإنك ســتأتي دابـــة ترى أولها ولا ترى آخرها، فلا يهولنك أمرها، اركبها فإنها دابة معادية للشمس، إذا طلعت أهوت إليها لتلتقمها حتى تحول بينها وبين حجبتها، وإذا غربت أهوت إليها كذلك، فاركبها تذهب بك إلى جانب البحر، فسر عليها راجعـــا حتى تنتهي إلى النيل، فسر عليها فإنك ستبلغ أرضا من حديد وأشجارها وســـهولها حديـــد، فإن جزتها وقعت في أرض من نحاس، فإن جزت وقعت في أرض من فضة، فإن جزتها وقعت في أرض من ذهب، فسار فيها حتى انتهى إلى ســـور من ذهب وشرفة من ذهب وقبة من ذهب، لها أربعة أبواب، ونظر إلى ما ينحدر من فوقك ذلك السور حتى يستقر في القبة ثم يتفرق في الأبواب الأربعة، فأمـــا ثلاثة فتقبض في الأرض، وأما واحد فينشق على وجه الأرض، وهو النيل، فشرب منه واستراح، وهوى إلى السور ليصعد فأتاه ملك فقال له: يا حائد قف مكانك، فقد انتهى إليك علم هذا النيل وهذه الجنة وإنما ينزل من الجنة) .

سيد الأنهـــار

وأخـــرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو قال: (نيل مصر سيد الأنهار، ســـخر الله كل نهر بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر مده بمـــاء تلـــك الأنهار، وفجر الله له الأرض عيونا، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله تعالى، أوحى الله إلى كل ماء فرجع إلى عنصره) .

خاتمـــة

مم خُلق الخلق ؟

أخـــرج الطبراني عن مسلم الهجري قال: قلت لعبد الله بن عمر: مما خُلِقَ الخلـــق قال: (من الماء) ، والنور، والظلمة، والريح، والتراب) فأتيت ابن عباس فسألته عن ذلك فقال فيها كما قال عبد الله بن عمر.

نهايـــة الكتاب

تم

بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

والحمد لله على كل حال،

وصلى الله عليه وسلم

على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه

وسلم.

آمين.

رسالة وحدة الوجود

تأليف

الشيخ العالم العارف

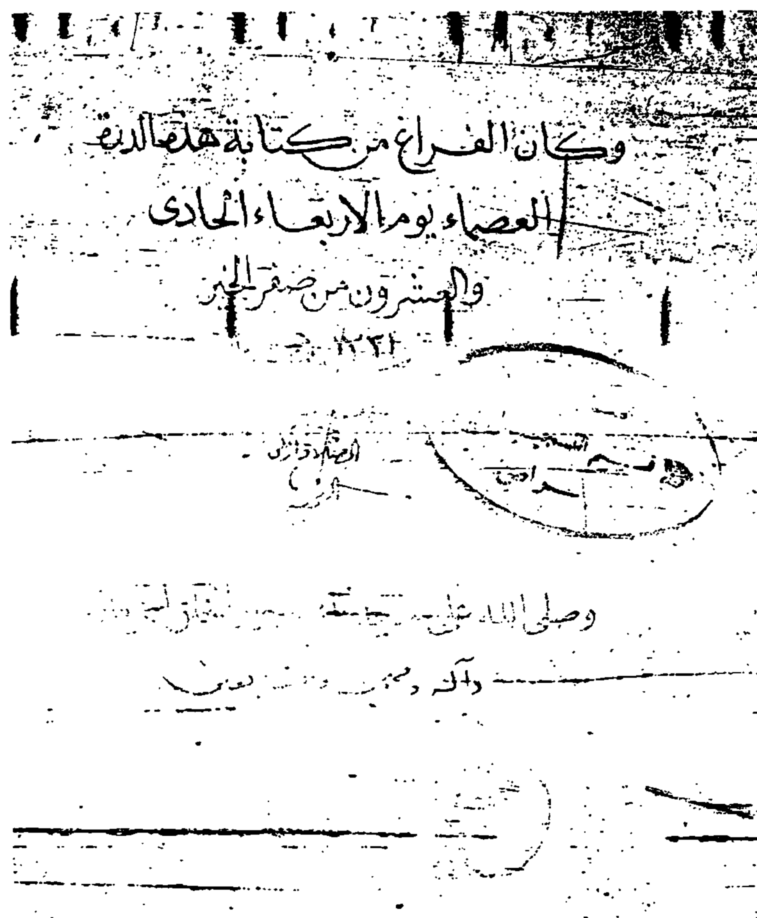
مولانا نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي

المتوفى سنة ٨٩٨ هـ



رسالة وحدة الوجود للشيخ العالم العارف
المحقق مولانا الملا عبد الرحمن
الجامي قدس سره العزيز
ونفعنا به وبعلومه
آمين

صورة الصفحة الأولى من وحدة الوجود



وكان الفراغ من كتابة هذه الرسالة
العصماء يوم الاربعاء الحادي
والعشرون من صفر الخير
١٢٣١

صورة الصفحة الأخيرة من وحدة الوجود

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم إلى يوم الدين.

وبعد

فـــإن حقيقة الذات غير مضبوط لأنها من حيث هي كذلك لا وصف له، ولا اسم، ولا رسم فهي في عماء كما جاء في الحديث.

إذ لا يمكـــن معرفتها بوجه من الوجوه ما لم تتعين بصفة وأول التعيينات علمهـــا بـــذاتها فهذه الصفة تنزلها من الحضرة الأحدية الذاتية التي لانعت لها إلى الحضرة الواحدية والصفات وتسمى الحضرة الإلهية وهذه الحضرة أثبتت للحضرة الأولى أزلية الآزال ولهذه النسبة الاعتبارية بين الذات الأحدية وصفاتها أزلاً تعقد النـــسبة الأبعـــد اعتبار الاثنينية تلك النسبة السرمدية وتحققت بهذه النسبة أزلية الآزال وذلك أعنى تقدم الأحدية على الواحدية، والواحدية التي لأزليتها أول وهو أزلية الآزال وذلك ابتداء النسبة السرمدية وقد اقتضت الحضرة الإلهية بهذه النسبة حقائق الأعيان بحكم العالمية فتحدث لها بحدوث الأعيان نسب آخر بين الحقيقة الأولى وتلك الأعيان كالقادرية على إيجادها والمشيئة لها والتكلم معها بخطاب كن فيكون والسمعية المشيئة المسماة بالعناية الأولى والبصرية بشهودها على تلك الـــصفات والعالمـــية تحكم (في نظر العقل فقط لا في نفس الذات) على الذات بالحياة فجعلت هذه (أي الصفات السبع) مع الذات أئمة الأسماء لأنها أسماء أولية متقدمة على سائرها وفى الحقيقة العالمية تقتضى أن يكون الاسم العالم إمام الأمة لتقدم العلم على الإرادة وسائرها سوى الحياة المصححة للعلم لكن الاسم الحي وان تقـــدم لا يستحق الامامة لتقدم العالم بالشرف فان الحياة لا تظهر إلا بالعلم والإدراك فهـــي كالـــشرط والاستعدادية ولما كانت هذه الصفات السبع أمورا

اعتبارية مقتضية لربوبية الرب المطلق لجميع الأشياء والتي بواسطتها (أي الصفات) .... كانت أزليات هذه الأسماء متقدمة على أزلية الربوبية مطلقا.

فحضرة الربوبية متأخرة على الحضرة الإلهية تأخرها (مثل تأخرها) عن حضرة الذات فأزلية الآزال هي الأولية المطلقة التي لا تعدد فيها وأزلية الإلهية متعددة بتعدد الأسماء والأسماء لا تحصرها كثرة لكنها مع لا تناهيها تنحصر في السبعة لأنها جزئياتها وفروعها المتشعبة فيها فلا تخرج عن احاطتها فلكل من السبعة من حضرات الأسماء فيها طائفة (أي جملة متفرقة) من غير الأسماء الغير متناهية فتحت كل اسم منها أسماء غير متناهية تتوسط بين الذات ومربوبها في الربوبية بالأفعال فحضرات الأسماء تنحصر في هذه السبعة، وكلها (أي هذه الحضرات) التي سابقة على حضرة الربوبية التي كل يوم هو (أي الرب) في شأن (أي أمر من الأمور) فالابتداء الأول أي امتداد بقاء الأحدية من أزل الآزال إلى ابد الآباد ليس فيه (أي في هذا الامتداد الأول) نسبة ولا قسمة وعند اعتبار التعيينات الوصفية ينفصل (أي البقاء الدائم الذي للحضرة) إلى امتداد الأسمائية التي هي كناية عن حضرة الأفعال إلى امتداد الربوبية ويسمى الدهر ونظيرها (أي الحضرات الثلاث أي الأحدية والواحدية والربوبية) في الزمان امتداد الدور (أي الدوران) الفلكي فانه إذا اعتبرت الحركة الأولى وامتداد مقاديرها الذي هو الزمان المطلق، مع قطع النظر عما تحتها (أي تحت الحركة) لم يكن له ابتداء ولا انتهاء ولا قسمة فإذا اعتبرت محاذاة الشمس لنقطة وهى ما لا تتحمل القسمة منها أي دارت نقطة كانت ابتدأت السنة أي السنة الشمسية إلى تلك النقطة بحركتها التي تحتها وتقطع بها أجزاء فلك (فلك تحت الفلك الأطلس) فلك البروج وينفصل الامتداد بها إلى السنين وتتصل السنة باعتبار قطعها (أي الشمس للبروج أي الإثنى عشر) إلى الشهور، والشهور باعتبار وصولها أي الشمس إلى النقطة الأولى

(أي التي حازتها في اعتبار أول سيرها من الفلك الأطلس فلك الأفلاك) بالحركة اليومـــية، أي مع ليلته إلى الأيام والأيام أي الثلاثين في كل شهر إلى الساعات أي الفلكـــية خمـــسة عشر درجة كل ساعة. والساعات إلى الدقائق {والدقائق جمع دقيقة، وهي جزء من ثلاثين جزء من الدرجة، والثواني جمع ثانية، وهي جزء من ثلاثـــين جـــزء مـــن الدقيقة، والثوالث جمع ثالثة وهي جزء من ثلاثين جزء من الثانية.

والـــثوالث تنقـــسم إلى الآن. والآن الـــواحد جـــزء من ثلاثين جزء من الثالـــثة} (1). إلى الثواني ثم تنفصل الثواني إلى الثوالث حتى الآن. وهو في الزمان بمنزلة النقطة الهندسية.

ويفسّر. أي: الآن بالزمان الحاضر، وهو أقصر من الزمان. أي الزمان المفهوم لكل إنسان، وهو الذي لا ينقسم أصلاً من غاية الصفر إلاّ في الوهم على زعم الحكماء دخلت عليهم شبهة وهمية وأدلة خيالية وقد تطلق الأيام على كل واحد من الأجزاء أي الزمان الذي لا يتجزأ مجازا باعتبار أنه مجزأ محدود من الزمان فأقصر الأيام هو الآن وأطولها بحسب الزمان هو السنة عاد (بتشديد الذال المهملة أي بعد) للأكثر عد الواحد للأعداد والأكثر متقدر بالأقل تقدر (أي مثل تقدر المائة بالعشرات) وكما أن الساعات تقدر الأيام والأيام تقدر الشهور والشهور تقدر السنين فكذلك (الزمان المجازى) الزمان الذي هو أقصر الامتدادات الأزلية تقدر (مصدر بمعنى اسم مفعول) الباقين أي اللذين هما الجهر والسرمد ولنرجع إلى المقصود فنقول أن الله تعالى تقتضى (أي تطلب) ربوبيته أسماءه أي الحسنى والأسماء لدوام تأثيرها تقتضى وسائط في ربوبيتها لما عدا هذا (أي غير العالم وهو الأصول والأوليات من الأسباب العلوية) هذا العالم وهى (أي تلك

---

(١) ما بين المعقوفتين مستدرك بالهامش الأيسر ص ٧ بخط مختلف.

الأصول والأوليات) الأثريات فاقتضت الايمة (قوله فاقتضت الايمة أي السبعة من الأسماء الإلهية) الكواكب السبعة السيارة مع أفلاكها وجعلتها الرؤسا والسادات في تدابير امور الدنيا وسخرتها (أي الايمة السبعة سخرت الكواكب السبعة) بأمر الله تعالى كما قال ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ ﴾[النحل: ١٢] أي الالهي في قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ ﴾[القمر: ٥٠] (أي فعله واحد وهو قوله كن) أي سخرتها أي الايمة على التدابير الجارية في هذا العالم التي هي أي تلك التدابير لشؤون إلهية في أيام الدنيا كما أشار عليه في قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾[الرحمن ٢٩] ولما كانت أيام الدهر أيام الربوبية الممتدة من انتهاء (أي تمام رتبته الأزلية) الأزلية للحضرة الإلهية أي الواحدية إلى أزلية الربوبية وتمتد الربوبية إلى انتهاء التغيرات الزمانية أي التي هي شؤون الحق تعالى كانت أيام الدهر أطول الزمانيات (أي المنسوبة إلى الدور الفلكي التي هي امتدادات منحصرة في امتدادات مقدار الحركة الأولى أعنى الزمان فيتقدر بالمقاييس الربانية تقدر (مصدر قدر بالتشديد أي مثل تقدر أيام.. الخ) أيام العدد التام منها وهو الألف (أي من تلك المقاييس) وهو الألف فكل يوم منها (أي من الأيام الزمانيات) ألف سنة وهى (أي تلك الأيام صفة) الربوبية وأيام (المدبر أي أيام الاسم المدبر الحق تعالى) المدبر كما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[الحج: ٤٧] الآية المدبر (صفة للرب تعالى) الذي وقت به.

(أي باليوم المذكور) العذاب وإنجاز الوعد في قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ ﴾[الحج: ٤٧] وان يوما (أي من أيام الدنيا) عندظربك كألف سنة الآية والتدبير في قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[السجدة: ٥] (وألف سنة كيوم في مجيء العذاب للكافرين المراد سريع

إتيانه أي العذاب إليهم) إلى الأرض والسمٰوات سبع على مقتضى الايمة السبعة (قوله الأئمة السبعة وهى: الحي العالم المريد القادر السميع البصير المتكلم) كان مقدار الدنيا سبعة أيام من تلك الأيام أي التي من أيام الرب تعالى أسبوعا واحداً لكل رأس من رءوس الكواكب السبعة دور تام من الأدوار الزمانية سر انشقاق (ينكشف لك أيها السالك القمر من هذا الكلام) القمر وختم النبوة أي: وينكشف سر فإن ظهوره (صلى الله عليه وسلم) في اليوم الأخر (أي السبعة أيام) الذي هو جمعة الأسبوع المذكور كظهور آدم (عليه السلام) في اليوم الأول بانقضاء اليوم السابع الذي نحن فيه (الآن وهو يوم الجمعة) وتعظم (أي: وتنكشف سر تعظيم) الجمعة في الشرع المحمدي (صلى الله عليه وسلم) . ولهذا قال (عليه السلام) :

(إذا استقامت أمتي فلها يوم، وإن لم تستقم فلها نصف يوم) [1]

وفي الحديث بشارة لنا أي المؤلفين وأمثاله نفعنا الله بهم وبالاستقامة حين جاوزنا النصف من ذلك اليوم. ولما كانت أيام الآخرة أيام الإلهية الممتدة من ابتداء حضرة أزلية الآزال إلى منتهى ربوبيات الأسماء كانت أطول من أيام الربوبية تتقدر أي تلك الأيام بالمقاييس التي هي أيام صفة الربوبية. والربوبية (أي: وصف الربوبية) تحصل بأي اسم كان من أسماء الأفعال. وأمَّا صفة الألوهية فلا تتم إلاّ بالأئمة السبعة. فالربوبية في الحقيقة (سُبع) (بضم السين أي واحدة من سُبع صفات) الألوهية (بضم السين) فأيام الدنيا سُبع (بضم السين أي واحد من سبعة بالنسبة إلى الأيام) أيام الآخرة، وهي الحاصلة من ضرب الأيام السبعة (التي كل يوم منها ألف سنة) في عدد الأئمة السبعة فتكون أي الجملة تسعة وأربعين ألف سنة وينتهي الأمر الإلهي فيها إلى الأمر العلي (فينكشف الكل انه

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

تعـــالى هـــو لا سواه في أهل الجنة، وفي أهل النار) ذي المعارج الأسمائية العليا وبانقضائها في اليوم التالي (هو يوم السبت أي الراحة) لهذه الأمة من أيام الربوبية تنتهي المعارج كلها إلى الفناء في الذات فتتم الخمسين ويتحقق معنى قوله تعالى: " تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فإن انقضاء أي عـــدد التسعة والأربعين أي ألف سنة بواحدة أي زائدة إنما يكون بالخمسين أي الخمسين ألف سنة وهو يوم القيامة الكبرى " فاصبر صبراً جميلا " إن كنت من أهـــل القيامة الكبرى. وإذا كان طول هذا اليوم خمسين ألف سنة كانت القيامة (وهـــي المـــوت النفساني) الصغرى أول موطن من مواطنها (أي مواطن القيامة الكبرى) . كما قال (عليه السلام) :

(من مات فقد قامت قيامته).

وقال (صلى الله عليه وسلم) : (القبر أول منزل من منازل الآخرة).

والوسطى (أي: والقيامة الوسطى بين الكبرى والصغرى هي فناء العارف بعـــد موته الاختياري قبل تحققه بفناء الفناء، وهي سجدة الاقتراب) هي أوسط مواطـــنها (أي القيامة الكبرى) وفيه (أي في يوم القيامة الكبرى) مواطن مختلفة وأحوال لأهلها متباينة كموطن الجمع، وموطن الفصل، وموطن فيه لا يُسأل عن ذنـــبه إنس ولا جان، وموطن يقال فيه تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وموطن آخر فيه لا ينطقون. كما أخبر عنه تعالى في قوله: " هذا يوم لا ينطقون ".

وإذا تحققت يا أيها السالك بتحقيق وحدة الوجود على التفصيل المذكور في الحضرات الثلاث: الأحدية، والواحدية، والربوبية، وامتداداتها تحقق لك أيها الـــسالك معـــنى قول من قال: أنا أقل (قوله أنا أقل أي أنقص لتأخر إيجاده عن السباب العلوية أعني اللوح والقلم وجميع العوالم في الدنيا والآخرة إنما نشأ وظهر في ســـنة الربوبية وهي السنة الثالثة. وأما سنة الأحدية التي لا تحصى إلاّ بالسنة الواحدية الصفاتية الأسمائية فلا وجود لشيء فيما قد سبق ربه تعالى عليه بسنتين)

من ربي بسنتين. وإن من امتداد أول التعينات ابتدأت السنة التي كل يوم منها ألف سنة كما أن كل أسبوع من هذه السنة سبعة آلاف سنة، وكل شهر ثلاثون ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون ألف سنة، وكل أسبوع من السنة الأولى (أي سنة الأحديـــة) ثلاثمائة ألف وخمسين ألف سنة، وكل شهر من ذلك ألف ألف سنة. وهي الأحقاب المذكورة في قوله تعالى: " لابثين فيها أحقابا ".

ومـــن ترقى إلى الحضرة الواحدية خرج من أيام الربوبية إلى أيام الإلهية في السنة السرمدية.

ومن بلغ إلى الحضرة الأحدية جعل تحت قدمه الأوقات العددية (أي كلها) وكان وقته واحدا. (قوله وكان وقته أي الذي هو مفقود فيه بالوجود الحق واحدا لا تعدد فيه أصلا ولا تغيير له وهو الأزل الذي لا ماضي له ولا مستقبل وجميعه حال وكان حق رتبته العدمية المقدرة صاعداً والله الباقي لا سواه بعد فناء الخلق وذلك اليوم الحق أي الذي كل شيء فيه باطل وكل مشتغل عاطل.

نهـــاية الـــرسالة

والحمد لله وحده وكفى

تمت الرسالة اليتيمة بعون الله وحسن توفيقه

وكان الفراغ من كتابة هذه الدرة العصماء

يوم الأربعاء الحادي والعشرون من صفر الخير سنة ١٣٣١هـــ

على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام والتحية

وصلى الله على سيدنا محمد خير الخلق أجمعين

وآله وصحبه والتابعين.

فهرس المحتويات

رسائل صوفية مخطوطة

إنه من دواعي السرور أن تُهيّأ الفرصة، بتقدير المولى عز وجل، لأن نقوم بعمل تحقيق لمجموعات من الرسائل الصوفية المخطوطة. ولا يخفى أن هذا الأمر راود المحقّق كثيراً، إذ في تجميع عدد من الرسائل وتحقيقها حكمة عليا من الباري سبحانه وتعالى، وهي أن يبسط المحقق بين يدي القارئ مجموعة من الآراء والأفكار المختصرة، وربما الكاملة - في تنوع الرسالة- فإنه سبحانه قد منّ على المحقّق بالعمل في الرسائل كثيرا، وخاصة أثناء نشر رسائل الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، فقد حقق له وحده ما يقرب من مائة رسالة، ويزيد. فاكتشف أثناء ذلك أن كل رسالة يمكن أن تستقل بنفسها من حيث فكرتها وطبيعة منهجها وطبيعة موضوعها كذلك، وتكون مع مثيلاتها لنفس المؤلف، فهي في وحدة خاصة، ووحدة عامة مع غيرها من الرسائل لنفس المؤلف. فانظر كم تعطي هذه الرسائل المتعددة الأفكار عن المؤلف الواحد، وكم يكون تجلي الحق عليه، وتجدده إذا علمنا أن تجليات الحق سبحانه وتعالى متجددة لا تتوقف، فما بالك أن تكون هذه الرسائل لمجموعة مختلفة من المؤلفين إذا كان هذا هو الشأن مع مؤلف واحد.

فكل مؤلف هنا له مشرب مختلف عن الآخر، وتفكير مخصوص، لذلك من الضروري التعرف على هذا التنوع في الأفكار والمشارب. فإنك ستلتقي مع عدد من المؤلفين هم عشرة لعشر رسائل، انظر المفتتح أو الفهرس ليقول لك أهمية ذكر هؤلاء العشرة، ثم إنّ هذه الرسائل تتحدث في موضوع واحد فلها جميعا بالرغم من تعددها وحدة واحدة وهي التصوف.

دار الكتب العلمية®
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
+961 5 804 810/11/12 · 9424 - 11 بيروت - لبنان
+961 5 804 813 · 1107 2290 رياض الصلح - بيروت
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
E-mail : sales@al-ilmiyah.com
ISBN 978-2-7451-5290-9





